



لأبي القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا الزهري الأندلسي
المعروف بابن الأفليلي
٣٥٢ - ٤٤١ هـ

السفر الأول

الجزء الثاني

دراسة وتحقيق
الدكتور مصطفى عليان

مؤسسة الرسالة

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م



مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف ٣١٩٠٣٩، ٨١٥١١٢ - ص.ب. ٧٤٦٠ برقيا، بيوشران





السفر الأول
الجزء الثاني



بسم الله الرحمن الرحيم

وقَالَ يُعَزِّيه بِعَبْدِهِ يَمَاكَ، وقد تُوُفِّي[١] في سَحَرِ يَوْمِ الأربعاءِ، لِعَشْرٍ بَقِيْنَ من شَهْرِ رمضانَ سَنَةَ أربعينَ وثَلاثِمائةٍ.

١ - لا يَحْزُنِ اللَّهُ الأميرَ فإنَّني   لآخِذُ مِنْ حالاَتِه بِنَصِيبِ

يَقُولُ، دَاعياً لِسَيْفِ الدَّولةِ: لا يَحْزُنِ[٢] اللَّهُ الأميرَ فيما فَرَّحَهُ، ولا سَاءَهُ فيما سَرَّهُ، فإنِّي كما[٣] أَلْبَسَني من أَفْضَالِه، يُوجِبُ أَنْ آخُذَ بنَصيبٍ مِنْ أَحْوالِهِ، فَأُسَاءُ بِمَسَاءَتِهِ، وأُسَرُّ بِمَسَرَّته.

٢ - وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الأرضِ ثُمَّ بَكى أسىً   بَكَى بِعيُونٍ سَرَّها وقُلُوبِ

ثُمَّ قَالَ: وَمَنْ سَرَّ أَهلَ الأَرضِ بما شَمِلَهُم من إِحْسَانِه، وَفَرَّحهُم بما أَفاضَ فيهم[٤] من إِنْعَامِهِ، لَزِمَهُم أَن يَبْكيَ، فَتَبْكي عُيُونُهم عِنْدَ مُصِيبَتِهِ، ويَأْلَمَ فَتَأْلَمَ قُلُوبُهم عِنْدَ رَزِيَّتِهِ، مُقَارَضَةً لما سَلَفَ مِنْهُ، وحِرْصاً على صَرْفِ المَكْرُوهِ عَنْهُ.

٣ - وَإِني وإن كَانَ الدَّفِينُ حَبِيْبَهُ   حَبِيْبٌ إلى قلبي حَبِيبُ حَبِيْبِي

ثُم قالَ: وإني[٥] وإنْ كَانَ الدَّفِينُ مَخْصُوصاً بِمَحَبَّةِ سَيْفِ الدَّولةِ، وكان أَقْعَدَ مِنِّي بالتَّوَجُّعِ لِفَقْدِهِ، والارتِمَاضِ[٦] بأَمْرِهِ، فإنَّ مَنْ أَحَبَّهُ حَبيبٌ إلى قَلْبِي، شَدِيدٌ لُصُوقُهُ بِنَفْسِي.

٤ - وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الأَحِبَّةَ قَبْلَنا   وأَعيَا دَوَاءُ المَوتِ كُلَّ طَبِيبِ

---

(١) «وقد» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «أحزن» قال ابن جني: «أفصح اللغتين حَزنني الأمر يَحْزُنني، وأجاز أبو زيد اللغتين وقال هما فصيحتان» ورقة ٢٢.

(٣) في ر، ف «فإن ما».

(٤) في ر، ف «عليهم».

(٥) ساقطة من ر، ف.

(٦) ارتمض من كذا: اشتد عليه وأقلقه.



ثُمَّ[1] يقولُ: إن مما يُعَزِّي[2] عن هذا الهالكِ[3]، أَنَّ السَّالِفِينَ قَبْلَنا قد فارَقُوا أَحِبَّتَهُم، واخْتَرَمَتِ المَنِيَّةُ أنفُسَهم، ثُمَّ أَعْيَا دَوَاءُ الموتِ الذي أَصَابَهُم، كُلَّ طَبيبٍ رَامَ طِبَّهُ، وكُلَّ عَزيزٍ حَاوَلَ دَفْعَهُ.

٥ - سُبِقْنَا إلى الدُّنيا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُها مُنِعْنَا بها من جَيْئَةٍ وذُهُوبِ

الجَيْئَةُ: المَرَّةُ الواحِدَةُ من المَجيءِ، والذُّهوبُ والذَّهابُ: مَصْدَرانِ بمَعْنَى واحِدٍ، ويُشيرُ بالجَيْئَةِ، والذُّهوبِ إلى الموتِ والحياةِ[4].

ثُمَّ قالَ: سُبِقنا إلى الدُّنيا، فلو عاشَ مَنْ سَبَقَنَا إليها، لَغَلَبَنَا بِتَقَدُّمِهِ[5] عَلَيْها، ولامْتَنَعَ ما نَحْنُ فيهِ من الذُّهُوبِ والجَيْئَةِ، ومن الفَنَاءِ والنَّشْأَةِ.

٦ - تَمَلَّكَهـا الآتي تَمَلُّكَ سَالِبٍ وَفَارَقَها الماضي فِرَاقَ سَليبِ

ثُمَّ قَالَ، مُؤَكِّداً لِمَا قَدَّمَهُ من صِفَةِ الدُّنيا: تَمَلَّكها النَّاشِئُ فيها تَمَلُّكَ وارثٍ سَالِبٍ، وفَارَقَها الخَارِجُ عَنْهَا فِرَاقَ مَسْلُوبٍ ظَاعِنٍ، فهذه[6] حَقِيقَةُ جِبْلَتِها، وجِبْلَةِ[7] خِبْرَتِها، وليس يَجِبُ أن يُحْزَنَ مِنْها على فَائِتٍ لا يَرْجِعُ، ولا أن يُجْزَعَ مِنْها لمَحْتُومٍ لا يُدْفَعُ.

٧ - ولا فَضْلَ فِيها للشَّجاعَةِ والنَّدى وَصَبْرِ الفتى لولا لِقَاءُ شَعُوبِ

شَعُوبُ: اسمٌ من أسماءِ الموتِ[8].

---

(١) زيادة في ر، ف

(٢) في ر، ف «يعزيني».

(٣) في ر، ف «الميت».

(٤) «الجيئة... والحياة» زيادة في ل.

(٥) «بتقدمه» ساقطة من ر، ف.

(٦) في ر، ف «هذه».

(٧) في ر، ف «جلية». والجِبْلَةُ: الطبيعة والأصل.

(٨) «شعوب... الموت» زيادة في ل. وسميت بذلك لأنها تَشْعَب أي: تُفرِّق، ومنه شعبت القدح إذا فرَّقته وإذا جمعته، وهو من الأضداد.

فيقولُ: ولا فَضْلَ في الدُّنيا للشَّجاعةِ والكرَمِ والصَّبْرِ والجَلَدِ، لـولا تَبايُنُ النَّاسِ في التَّوْطِينِ عَلَى لِقَاءِ المَـوْتِ، وإنما[1] فَضَـلَ الشُّجاعُ الجَبَـانَ بإقْدَامِهِ على الموتِ، وفَضَلَ الكريمُ البَخِيْلَ بِقِلَّةِ رَغْبَتِهِ في المَالِ، الذي هو مَتاعُ الحَياةِ، وَفَضَلَ الصَّابِرُ الجَازِعَ بِتَجَلُّدِهِ للمَكَـارِهِ التي تَقُودُ إلى التَّلَفِ، فبالإقْدَامِ على المَوْتِ يَسْتَبِينُ الفَضْلُ، وبالجَزَعِ منه يُسْتَحَقُّ الذَّمُّ.

٨ ـ وأوْفَى حَيَـاةِ الغَـابِـرين[2] لِصَـاحِبٍ   حَيَـاةُ امـرىءٍ خَـانَتْـهُ بَعْـدَ مَشِيبِ

ثُمَّ قـالَ، مُزَهِّـداً في الحَياةِ[3]: وأَوْفَى حَيَـاةِ البَـاقِـينَ الـذين طَـالَت أعْمَارُهم، حَيَاةُ مَنْ لَحِقَ سنَّ المَشِيبِ، وأَدْرَكَ زَمَانَ الكِبَرِ، ثُمَّ غَايَتُهُ بَعْدَ ذلك لِقَاءُ الحَتْفِ الذي كَرِهَهُ، وحُلولُ الموتِ الذي حَذِرَهُ، هذه سَبِيـلُ مَنْ مُتِّعَ بِحَيَاتِهِ، وأُسْعِدَ بِتَرَاخي مُدَّتِهِ، والتَّفَاضُلُ في ذلك عند تَـأَمُّلِهِ[4]، قليلٌ لا يُجْزَعُ لِفَوْتِهِ، وقَريبٌ لا يُفْرَحُ بِمِثْلِهِ.

٩ ـ لَأَبْقَى يَمَـاكُ في حَشَـايَ صَبَـابَـةً   إلى كُـلِّ تُـرْكيٍّ النِّجـارِ[5] جَلِيبُ

النِّجَارُ: الأَصْلُ، والجَلِيْبُ: المَجْلُوبُ من أرضٍ إلى أُخرى[6].

فيقولُ: «لَأَبْقَى[7] يَمَاكُ»؛ هذا التُّركيُّ الهالِكُ في حَشاي، لِشِدَّةِ إعجَابي بِهِ، وَقُوَّةِ أَسَفِي عَلَيْهِ، صَبَابَةً إلى كُلِّ تُركيٍّ يُشَارِكه[8] في أَصْلِهِ، وَيُمَاثِلُهُ في جَلْبِهِ.

---

(١) في ل. «فإنما».

(٢) في ر، ف «الغائرين».

(٣) في ل «للحياة» جاء في القاموس: «زَهَدَ فيه... والتزهيد فيه وعنه».

(٤) في ف «تألمه».

(٥) في ف «التجار».

(٦) «النجار... أخرى» زيادة في ل.

(٧) اللام: تدل على قسم محذوف.

(٨) في ر، ف «شاركه».



١٠ ـ ومـا كـلُّ وَجْـهٍ أبْيَض بِمُبَـارِكٍ   وَلاَ كُـلُّ جَـفْنٍ ضَـيِّقٍ بِـنَجِيبِ

ثُمَّ قالَ، مُشِيراً إلى فَضْلِ يَمَاكَ على غَيْرِهِ من الأَتْرَاكِ: وَما كُلُّ تُرْكيٍّ أبيض الوَجْهِ، مُبَارَكَةٌ طَلْعَتُهُ، ولا كُلُّ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ ضَيِّقَ الجَفْنِ، مَشْهورَةٌ نَجابَتُهُ، وبَيَاضُ الوجوهِ، وَصِغَرُ العُيونِ، من صِفَاتِ الأَتْرَاكِ، فَيَقُولُ، مُنَبِّهاً على فَضْلِ يَمَاكَ في أَبْنَاءِ جِنْسِهِ: إنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ أَشْبَهَهُ في خَلْقِهِ، وشَارَكَهُ في جِنْسِهِ، يُشَارِكُهُ في نَجابَتِهِ، ويُشْبِهُهُ في شَجَاعَتِهِ وَطَاعَتِهِ.

١١ ـ لَئِنْ ظَهَـرَتْ فِينَـا عَـلَيْـهِ كَـآبَـةٌ   لَقَـدْ ظَهَـرَتْ فِي حَـدِّ كُـلِّ قَضِيبِ

القَضِيبُ: السَّيْفُ القاطِعُ[1].

فيقولُ: لِئِن ظَهَرتْ فِيْنَا الكآبةُ لِمَوْتِهِ، واسْتَبَانَ عَلَيْنَا الأَسَفُ لِفَقْدِهِ، لقد ظَهَرَ ذلكَ في قَوَاطِعِ السُّيوفِ، لِمَا سَلَفَ مِنْ جِلاَدِهِ بها، وتَقَدَّمَ من اسْتِعْمَالِهِ في الوَقَائِعِ لَهَا.

١٢ ـ وَفي كُـلِّ قَوْسٍ كُـلَّ يَـوْمٍ تَنَـاضُـلٌ   وَفي كُـلِّ طِـرْفٍ كُـلَّ يَـوْمٍ رُكُـوبُ

الطِّرفُ: الفَرَسُ الكَرِيمُ[2].

ثُمَّ قالَ: وكذلكَ اكتَأَبَتْ عَلَيْهِ القِسِيُّ عِنْدَ التَّنَاضُلِ، وَعِتَاقُ الخَيْلِ عِنْدَ التَّجَاوُلِ، لِقِيَامِهِ بِشُرُوطِ الرَّمْي، وَمَعْرِفَتِهِ بِرُكُوبِ الخَيْـلِ، وأَنَّهُ جَمَعَ مَعَ الإقْدَامِ والشجاعَةِ؛ الحِذْقَ بِصِنَاعَاتِ[3] الحِرَابَةِ.

١٣ ـ يَـعِـزُّ عَـلَيْـهِ أَنْ يُخِـلَّ بِـعَـادَةٍ   وَتَـدْعُـو لأَمْـرٍ[4] وهـو غَـيْرُ مُجِيبِ

---

(١) «القضيب... القاطع» زيادة في ل.

(٢) «الطِّرفُ: الفرس الكريم» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «بصناعة».

(٤) في ر «لأمن».

ثمَّ[1] يقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: يَعِزُّ عَلَى هذا الهالِكِ لو أجابَ سائِلَهُ، وأَخبَرَ مُسْتَخْبِرَهُ، أن يُخِلَّ بِعادَتِهِ في خِدْمَتِكَ، ويُغْلَبَ على تَصَرُّفِهِ في حَضْرَتِكَ، وتَدْعُوهُ وهو غَيْرُ مُجِيبٍ لِدَعْوَتِكَ، ولا قادِرٍ على الإسراعِ إلى إنْفاذِ[2] رَغْبَتِكَ.

١٤ ـ وَكُنْتُ إذا أبْصَرْتُهُ لَكَ قائِماً نَظَرْتُ إلى ذِي لِبْدَتَيْنِ أدِيبِ

اللِّبْدَتَانِ: شَعْرٌ يكونُ على زُبْرَةِ الأسَدِ من ناحِيَتَي الزُّبْرَةِ، واحِدَتُها لِبْدَةٌ[3].

ثُمَّ قالَ: وكنتُ إذا أبْصَرْتُهُ قائِماً لَكَ، وَشَهِدْتُهُ مُتَصَرِّفاً في مَجْلِسِكَ، رأيتُ منه أسَداً باسِلاً، وسَبُعاً قاتِلاً، أديباً في لَفْظِهِ، كَرِيماً في مُعْتَقَدِهِ وَفِعْلِهِ.

١٥ ـ فإنْ يَكُنِ العِلْقَ النَّفِيسَ فَقَدْتَهُ فَمِنْ كَفِّ مِتْلافٍ أغَرَّ وَهُوبِ

ثُمَّ[4] يقولُ لِسَيْفِ الدَّولَةِ: فإن كانَ هذا المَفْقُودُ عِلْقاً نَفِيساً فَقَدْتَهُ، وعَبْداً مُشْفِقاً عَدِمْتَهُ، فإنَّما صَدَرَ منك عن كَفٍّ مُتْلِفٍ للأعْلاقِ[5] النَّفِيسةِ، وهَّابٍ للأموالِ العَظِيمةِ، وَحَسْبُكَ أن يَكُونَ كَغَيْرِهِ مِمَّا قَدْ كَرُمَ عَليكَ، فَوَهَبْتَهُ، وما سِواه مما كُنْتَ تَعْتَدُّ به، فَبَذَلْتَهُ.

١٦ ـ كَأنَّ الرَّدَى عَادٍ عَلَى كُلِّ مَاجِدٍ إذَا لم يُعَوِّذْ مَجْدَه بِعُيُوبِ

ثُمَّ قالَ: كَأنَّ الرَّدَى لا يَعْتَصِمُ ماجِدٌ مِنْ عادِيَتِهِ، ولا يَسْتَدْفِعُ كَرِيمٌ سُوءَ عاقِبَتِهِ، إلاّ بِعُيوبٍ مُتَقَلَّدَةٍ، وآفاتٍ مُتَحمَّلَةٍ، وكأنَّ العُيوبَ لأهْلِها مَعاذاتٌ تَحْفَظُهُمْ، وأسْبابٌ من أسْبابِ السَّلامَةِ تَعْصِمُهُمْ.

---

(١) زيادة في ر، ف.

(٢) في ف «نفاد».

(٣) «اللبدتان... لبدة» زيادة في ل. والزُّبْرَةُ: موضع الكاهل على الكتفين.

(٤) زيادة في ر، ف.

(٥) العِلْقُ: النَّفِيسُ من كل شيء.

١٧ ـ وَلَوْلاَ أَيَادِي الدَّهْرِ في الجَمْعِ بَيْنَنا   غَفَلْنَا فلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ

ثُمَّ[١] يقولُ: وَلَوْلاَ أَيادي الدَّهرِ في الجَمْعِ بَيْنَ الأَحِبَّة[٢]، والتَّأْليفِ بَيْنَ أهلِ الصَّفاءِ والمودَّةِ، وتَغْييرِهِ لِذَلِك بتفْريقِ ما جَمَعَ، وتَشْتيتِ ما أَلَّفَ، غَفَلْنَا عَنْهُ، ولم[٣] نَشْعُر بِذُنُوبِهِ، وأَعْرَضْنَا عمّا[٤] تقلَّبْنا فيه من صُرُوفِهِ.

١٨ ـ وَلَلتَّرْكُ لِلإِحْسَانِ خَيْرٌ لِمُحْسِنٍ   إذا جَعَلَ الإِحسانَ غَيْرَ رَبِيبِ

الرَّبِيْبُ: المَوْصُولُ، يُقالُ رَبَبْتُ الشَّيءَ إذا وَصَلْتَهُ[٥].

ثُمَّ قالَ، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ: وتَرْكُ الإحسانِ من المُنْعِمِ بِهِ، والإِمْسَاكُ عَنْهُ من المُعْتَقِدِ لَهُ، أَفْضَلُ من أن يَبْتَدِيَهُ[٦] ولا يَصِلَهُ، وَيَعْتَقِدَهُ ولا يَشْفَعَهُ، يُشيرُ إلى أنَّ إحسانَ الدَّهرِ في الجَمْعِ بَيْنَ المُتآلِفينَ[٧] من أَهْلِهِ، لا يَقُومُ بإِسَاءَتِهِ فيما يُعْقِبُ ذلك من تَفْريقِ جَمْعِهِم[٨]، وتَشْتيتِهِ لِشَمْلِهِم.

١٩ ـ وإنَّ الذي أَمْسَتْ نِزَارٌ عَبِيدَهُ   غَنِيٌّ عن اسْتِعْبَادِهِ لِغَرِيبِ

ثُمَّ[٩] يقولُ، مُشِيْراً إلى سَيْفِ الدَّولةِ: وإنَّ[١٠] الذي أَمْسَت نِزارٌ، ومنها مُضَرُ[١١] ورَبِيْعَةُ؛ وهما[١٢] سَادَاتُ العَرَبِ، عَبيدَ طَاعَتِهِ، وأَنْصارَ دَعْوَتِهِ،

(١) زيادة في ر، ف.

(٢) في ل «في جمع الأحبّة».

(٣) في ل «فلم».

(٤) في ف «ثم».

(٥) «الربيب... وصلته» زيادة في ل.

(٦) في ل «يبديه».

(٧) في ف «المتلافين».

(٨) في ل «بإساءته في تفريق جمعهم».

(٩) زيادة في ر، ف.

(١٠) في ر، ف «فإن».

(١١) «ومنها مضر» زيادة في ل.

(١٢) في ل «ومنها».

وخُدَّامَ دَوْلَتِهِ[١] ، غِنيٌّ عن غَرِيبٍ من العَجَمِ يَصْطَنِعُهُ، وَجَلِيبٍ[٢] منهم يَسْتَعْبِدُه. يُشيرُ إلى أنَّ سَيْفَ الدَّولةِ، وهو رَئيسُ جَماهيرِ العَرَبِ، غَنِيٌّ عن أن يَتَكَثَّرَ بيَمَاكَ[٣]، وهو جَلِيبٌ من أبْنَاءِ العَجَمِ.

٢٠ - كَفَى بِصَفَاءِ الوُدِّ رِقّاً لِمثْلِهِ وبالقُرْبِ مِنْهُ مَفْخَراً لِلَبِيبِ

ثُمَّ قالَ: يَكْفِيه مِنْ تَمَلُّكِ رِقِّ العَرَبِ، ما أَصْفَوْهُ من وُدِّهم، وَبَذَلوه من نُصْحِهِم، وَيَكْفِيهِمْ من التَّشَرُّفِ به، اختِصَاصُهُ لَهُم، واسْتِخْدَامُهُ بهم، ففي[٤] القُرْبِ مِنْه للَّبِيْبِ مَفْخَرٌ يَرْفَعُهُ، وشَرَفٌ يُرْضِيه ويُقْنِعُهُ.

٢١ - فَعَوَّضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الأَجْرَ إِنَّهُ أَجَلُّ مَثَابٍ من أَجَلِّ مُثِيبِ

ثُمَّ[٥] يقولُ: فعوَّضَ اللَّهُ سَيْفَ الدَّولةِ من مُصَابِهِ بِجَزِيلِ الأَجْرِ، وأَثَابَهُ فيه بكَريمِ الذُّخْرِ، فإنَّ ذلك أَجَلُّ ثَوَابٍ يُعْلَمُ، والمُثِيبُ به أَجَلُّ مُثيبٍ يُسْأَلُ.

٢٢ - فَتَى الخَيْلِ قَدْ بَلَّ النَّجِيعُ نُحُورَها تَطَاعَنُ[٦] في ضَنْكِ المَقَامِ عَصِيبِ

العَصِيْبُ: الشَّديدُ، والضَّنَكُ: الضَّيْقُ[٧].

ثُمَّ وَصَفَ حَالَ سَيْفِ الدولةِ، فقالَ: هو فتَى الخيلِ الذي[٨] يُمْتَثَلُ

---

(١) «خدام دولته» زيادة في ر، ف.

(٢) في ر، ف «يتكثر به».

(٣) «بماك» ساقطة من ر، ف.

(٤) في ر، ف «فبالقرب».

(٥) «ثم» زيادة في ر، ف.

(٦) في رواية ابن جني والواحدي والتبيان «يطاعن»
قال المبارك بن أحمد: «وجدت في نسخة يطاعن بالياء، عوداً على فتى الخيل، ويكون موضعه الحال، تقديره فتى الخيل مطاعناً، ويجوز أن يكون التقدير أنت فتى الخيل تطاعن».
(النظام ج ١ ورقة ١٥٦).

(٧) «العصيب... الضيّق» زيادة في ل.

(٨) في ر، ف «التي».

فِعْلُهُ، وفَارِسُها الذي لا يُنْكَرُ فَضْلُهُ، إذا اشْتَدَّ البَأْسُ، وضَاقَ مَجَالُ الحَرْبِ، وبَلَّ الدَّمُ نُحُورَ الخَيْلِ.

٢٣ - يَعَافُ خِيَامَ الرَّيْطِ في غَزَاوَتِهِ فَما خَيْمُهُ إلاّ غُبَارُ حُروبِ

والرَّيْطُ: جَمْعُ رَيْطَةٍ، وهي المُلاءَةُ[١].

ثُمَّ قالَ: يَعَافُ القِبَابَ في غَزَواتِهِ ويَكْرَهُهَا، ويَجْتَنِبُ خِيامَ الرَّيْطِ ويَهْجُرُها، ويَأْنَسُ[٢] بِعَجَاجِ الحربِ فَيَقْتَحِمُهُ، ويَسْكُنُ إلى قَتَامِها فَيَدَّرِعُهُ، ويُؤْثِرُ شَدائِدَ الحربِ على خِيَامِهِ، وغَمَراتِها[٣] على قِبَائِهِ[٤].

٢٤ - عَلَيْنَا لَكَ الإسْعَادُ إنْ كَانَ نَافِعاً بِشَقِّ قُلُوبٍ لا بِشَقِّ جُيُوبِ

ثُمَّ[٥] يقولُ: عَلَيْنَا أن نُسْعِدَكَ بِوَجْدِ قُلُوبِنَا، وشِدَّةِ حُزْنِنَا، وأن نُشارِكَكَ بما نَعْتَقِدُه ونُضْمِرهُ، لا[٦] بما نُبْدِيه ونُظْهِرُهُ. وجَعَلَ ذِكْرَ القُلُوبِ والجُيوبِ إشارَةً إلى هذا التَّعْبِيرِ[٧].

٢٥ - فَرُبَّ كَئِيبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ وَرُبَّ كَثيرِ الدَّمْعِ غَيْرُ كَئِيبِ

ثُمَّ قالَ: فَرُبَّ مُكْتَئِبٍ مُوجَعٍ لا تَجْري دمُوعُهُ، ولا تَنْدَى جُفُونُه، وَرُبَّ خَلِيٍّ غَيْرِ مُكْتَئِبٍ، يَكْثُرُ دَمْعُهُ، ويَبْدُو بِتَصَنُّعِهِ حُزْنُهُ.

---

(١) «الريط... المُلاءة» زيادة في ل.

(٢) في ف «ويناس».

(٣) في ر، ف «غمراتها».

(٤) في ر، ف «قبابها».

(٥) زيادة في ر، ف.

(٦) في ر، ف «إلا».

(٧) في ر، ف «التغيير».

٢٦ - تَسَلَّ بِفِكْرٍ في أَبِيْكَ فَإِنَّمَا بَكَيْتَ فَكَانَ الضَّحْكُ بَعْدَ قَرِيبِ

وقَوْلُهُ: في أَبِيْكَ، يُرِيدُ: في أَبَوَيْكَ، فَثَنَّى الأَبَ عَلَى لَفْظِهِ، ولم يَرُدَّهُ إلى أَصْلِهِ، وقد رَوَى الفَرَّاءُ[١] ذلك، وذكَرَ أَنَّ من العَرَبِ مَنْ يَقُولُ، إذا ثَنَّى الأَبَ والأَخَ في الرَّفع أَبَانِ وأَخَانِ، وفي النَّصْبَ والخَفْضِ أَبَيْنَ وأَخَيْنِ، ويقولُ في الجَمْعِ في الرَّفعِ: أَبُونَ وأخونَ، وفي النَّصبِ والخَفْضِ أَبِيْنَ وأَخِيْنَ[٢]، وأنشدَ سِيبَوَيْهِ[٣] في جَمْعِ أَبٍ جَمْعَ السَّلامَةِ على لفظِهِ لِفَصِيحِ العَرَبِ[٤]:

فَلَمَّا تَبَيَّنَّ أصواتَنَا بَكَيْنَ وَفَدَّيْنَنَا بالأَبِيْنَا[٥]

وليس[٦] تَثْنِيَةُ أبٍ على لَفْظِهِ بِأَعْجَبَ من جَمْعِهِ جَمْعَ السَّلامةِ على ذلك[٧].

---

(١) الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الدَّيلمي، وهو من أصل غيرعربي، ولقب بذلك لأنه كان يفري الكلام أو لأنه كان يحسن نظم المسائل، توفي في طريق مكة سنة سبع ومائتين، له كتاب معاني القرآن، قال عنه أبو العباس أحمد بن يحيى، «لم يعمل قبله ولا بعده مثله ولم يتهيأ لأحد من الناس جميعاً أن يزيد عليه شيئاً» وله المصادر في القرآن، الجمع والتثنية في القرآن، النوادر، المقصور والممدود المذكر والمؤنث. . .
(انظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ١٣١ - ١٣٣، وبغية الوعاة للسيوطي ٢/٣٣٣).

(٢) «وتقول. . . وأخين» زيادة في ل.

(٣) كتاب سيبويه ٣/٤٠٦.

(٤) «في جمع أب. . . لفصيح العرب» زيادة في ل.

(٥) البيت لزياد بن واصل السلمي قال سيبويه «انشدناه من نثق به وزعم أنه جاهلي».

(٦) في ر، ف «وليست».

(٧) قال أبو الفتح ابن جني: «أبيك يريد: أبويك وهي لغة معروفة، تقول العرب أب وأبان وأبين وأبون وأبين. قال: واخذت عن أبي بكر محمد بن الحسن عن ثعلب يقال: هذا أبك وهذا أباك وهذا أبوك ثلاث لغات. فمن قال: هذا أبك قال: هذان أباك، أب وأبان، ويجوز فيه أبوان، ومن قال أباك أو أبوك فتثنيتها واحد أبوان».
(النظام ج ١ ورقة ١٥٦).



فيقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: تَسَلَّ عن هذا المَفْقُودِ بالفِكْرِ في أَبَيْكَ، فَقَد كَانَ حُزْنُكَ عَليهما أَشَدَّ، وأَسَفُكَ[١] أَبْيَنَ وَأَوْكَدَ، وقد عَاقَبَ بَعْدَ قَرِيبٍ بُكاءَكَ عليهما ضَحِكُكَ، وعَفَّى على حُزْنِك بِهما سُلوُّكَ، وإذا كانَ السُّلوُّ لا بُدَّ منه، فَلَيْسَ في الحقِّ أن تُعْرِضَ عنه[٢].

٢٧ - إِذَا اسْتَقْبَلَتْ نَفْسُ الكَرِيمِ مُصَابَهَا   بِخُبْثٍ ثَنَتْ فَاسْتَدْبَرَتْهُ بِطِيبِ

ثُمَّ أَكَّدَ ما قدَّمَهُ، فقالَ[٣]: إذا استَقْبَلَ الكريمُ مُصَابَهُ بالاسْتِكْرَاهِ لَهُ، وإِظْهَارِ الجَزَعِ فيهِ، عَادَ عَنْ قَرِيبٍ، فَطَابَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ، وأَخْرَجَهُ إلى السُّلْوَانِ طَبْعُهُ، وعَلِمَ أن الحُزْنَ لا يَنْفَعُهُ، فكانَ الصَّبْرُ غَايَةَ جَزَعِهِ، والسُّلُوُّ آخرَ تَفَجُّعِهِ.

٢٨ - ولِلْوَاجِدِ[٤] المكْروبِ مِنْ زَفَرَاتِهِ   سُكُونُ عَزَاءٍ أو سُكُونُ لُغُوبِ

اللُّغُوبُ: الإعياءُ[٥].

ثُمَّ قالَ: ولا بُدَّ لِذي الوَجْدِ المَكْرُوبِ، والشَّديدِ الزَّفَرَاتِ المحْزونِ، أن يَسْكُنَ سُكونَ مَنْ يَعْيَ وَيَلْغَبُ[٦]، أو يَسْكُنَ سُكونَ مَنْ يَسْلُو ويَصْبِرُ.

٢٩ - وكَمْ لَكَ جَدًّا لَمْ تَرَ الْعَيْنُ وَجْهَهُ   فَلَمْ تَجْرِ في آثارِهِ بِغُروبِ

يقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: وكم لَكَ جَدًّا[٧] اخترَمَهُ المَوْتُ، وأَفْنَاهُ الدَّهرُ،

---

(١) في ف «وأسف».
(٢) ساقطة من ف.
(٣) «ثم أكدّ ما قدّمه» زيادة في ل، وفي ر، ف «ثم قال».
(٤) في ف «وللواحد».
(٥) «اللغوب: الإعياء» زيادة في ل.
(٦) في ر، ف «ويغلب».
(٧) في ر، ف «وكم جدّاً لك».



فلم تَبْكِ عليه عَيْنُكَ، ولم تَأْلَمْ له نَفْسُكَ، وسَلاَّكَ عن الشُّغْلِ به عِلْمُكَ؛ بأَنَّ[1] المَوْتَ غَايَةُ الإنسانِ لا بُدَّ مِنْهُ، ولا مَحِيْصَ لِأَحَدٍ عَنْهُ، ومِثْلُ هذا يَجِبُ أن يُسَلِّيكَ عن مُصَابِكَ، ويُسْقِطَ عَنْكَ مؤونَةَ[2] حُزْنِكَ.

٣٠ - فَدَتْكَ نفوسُ الحَاسِدِيْنَ فإنَّها   مُعَذَّبَةٌ في حَضْرَةٍ وَمَغِيْبِ

ثُمَّ قالَ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ: فَدَتْكَ نُفوسُ حاسِدِيكَ، فإنَّها مُعَذَّبَةٌ بالخضوعِ لَكَ في حَضْرَتِكَ، وبالوقوعِ تَحْتَ أَمْرِكَ[3] في غَيْبَتِكَ.

٣١ - وَفي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَهَا   وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتي لها بِضَرِيبِ

الضَّريبُ: الشَّبِيهُ[4].

ثُمَّ قالَ: وفي تَعَبٍ من يَحْسُدُ الشَّمْسَ عَلَى النورِ الذي لا تَعْدَمُهُ، ويَجْتَهِدُ في أَنْ يَجِدَ لها شَبِيْهاً، وذلك لا يُمْكِنُهُ، وكذلِكَ مَنْ حَسَدَ سَيفَ الدَّولَةِ على الرِّئاسةِ، فإنما يَحْسُدُهُ على ما هو في طَبْعِهِ، ومَنْ طَلَب له نَظِيراً فهو يُحَاوِلُ ما لَيْسَ في وُسْعِهِ.

---

(١) في ر، ف «فإن».

(٢) في ر، ف «مؤنَة» وكلاهما صحيح.

(٣) في ر، ف «أوامرك».

(٤) «الضَّريب: الشبيه» زيادة في ل.

وقَالَ يمْدَحُهُ، ويَذْكُرُ بِناءَهُ مَرْعَشَ[١]، في سَنَةِ إحْدَى وأربَعِينَ[٢] وثَلاثِمَائَةٍ.

١ - فَدَيْنَاكَ مِنْ رَبْعٍ وإنْ زِدْتَنا كَرْبَا فَإنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ للشَّمْسِ والغَرْبا

يقولُ: فَدَيْنَاكَ بأَنْفسِنَا مِنْ رَبْعٍ مُوحِشٍ، ومَنْزِلٍ مُقْفِرٍ، وإنْ زِدْتَنا كَرْباً، بِدُرُوسِ رُسُومِكَ، وتَغَيُّرِ طُلُولِكَ، فإنكَ كُنْتَ للشَّمْسِ، من حَبائِبِنا[٣] التي كُنَّا نَهْتَدِي بُنُورِها، ونَسْتَضِيءُ بِوَجْهِهَا[٤]، مَشْرِقاً تَطْلُعُ لنا مِنْكَ، ومَغْرِباً تَسْتَتِرُ عَنَّا فِيْكَ.

٢ - وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدَعْ[٥] لَنَا فُؤَاداً لِعِرْفَانِ الرُّسُومِ ولاَ لُبَّا[٦]

ثُمَّ قالَ: وكيفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ أَذْهَلَنَا بُعْدُهُ، وأَطَاشَ عُقولَنا نَأْيُهُ، فلم يَدَعْ[٧] لنا فؤاداً نَهْتَدي بهِ في سُؤَالِ رُسُومِهِ، ولا لُبّاً نَسْتَعْمِلُهُ[٨] في مَعْرِفَةِ طُلُولِهِ.

٣ - نَزَلْنَا عَنِ الأكْوَارِ نَمْشِي كَرَامَةً لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا

الأكوارُ: واحدُها كُورٌ، والإلمامُ: الزِّيارةُ[٩].

---

(١) من ثغور إرمينية بناه سيف الدولة.

(٢) في ر، ف «إحدى وثلاثين».

(٣) في ف «حبائبها».

(٤) في ل «بوجوهها».

(٥) في رواية ابن جني والواحدي والتبيان «تدع» وجاء في هامش ل الإشارة إليها. «قال أبو الفتح عنى بمن امرأة، فلذلك قال تدع بالتاء، حملاً على المعنى».
(النظام ج ١ ورقة ١٥٨).

(٦) في ر، ف «ولا قلبا».

(٧) في ل «تدع».

(٨) في ر، ف «بياناً نستعمله... ولالباً نهتدي به...».

(٩) «الأكوار... الزيارة» زيادة في ل. والكُورُ: الرَّحلُ للناقة والبعير.



فَيَقُولُ: نَزَلْنا عِندَ[1] إلمامِنا بهذا الرَّبعِ عَنْ أَكْوَارِ رَكَائِبِنا[2]، إعظاماً لِقَدْرِ مَنْ بَانَ فَضْلُهُ[3] عَنْهُ، وإيجاباً له، وأَكْبَرنَاهُ عن أَنْ نُلِمَّ به رُكْبَاناً، لا نَمْشِي نَحْوَهُ وزُوَّاراً لا نَخْضَعُ عِنْدَه.

٤ ـ نَذُمُّ السحابَ الغُرَّ[4] في فِعْلِها بِهِ ونُعْرِضُ عَنْها كُلَّما طَلَعَتْ عَتْبَا

الغُرُّ من السَّحَابِ: الغِزارُ، والعَتْبُ: المَوْجِدَةُ[5].

ثُمَّ قالَ[6]: نَذُمُّ غِزارَ السَّحابِ فيما تَفْعَلُه بهذا الرَّبعِ، مِن تَغْييرِ مَعَالِمِه، وتَعْفِيَةِ رُسُومِهُ، ونُعْرِضُ عنها[7]، عندَ طُلُوعِهَا، لِذَلِكَ عَاتِبِينَ، ونُكْثِرُ مَلامَتَها مُتَسَخِّطِينَ.

٥ ـ وَمَنْ صَحِبَ الدُّنيَا طَوِيلاً تَقَلَّبَتْ عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبَا

الكِذْبُ والكَذِبُ والكِذابُ والكِذَّابُ: كلُّ ذلك بِمَعْنَى[8].

ثُمَّ قَالَ: وَمَنْ صَحِبَ[9] الدُّنيا فأَطَالَ صُحْبَتَها، وعَرَفَها وتَحقَّقَ خِبْرَتَها، تَصَرَّفَتْ به أَحْوَالُها، واختَلَفَتْ عَلَيهِ أُمُورُهَا، حتَّى يَصِيرَ صِدْقُهاعِنْدَهُ كَذِباً[10] لاَ يَثِقُ به، وَحَقُّهَا بَاطِلاً لا يَسْكُنُ إليه، وضَرَبَ هذا مَثَلاً في اختِلافِ الحالِ به وبأَحِبَّتِهِ في القُرْبِ والبُعْد، والقَطِيْعَة والوَصلِ.

(١) في ر، ف «عن».
(٢) في ر، ف «ركابنا».
(٣) «فضله» زيادة في ر، ف.
(٤) في ر، ف «الغزّ».
(٥) «الغر... الموجدة» زيادة في ل.
(٦) في ر، ف «يقول».
(٧) ساقطة من ر، ف.
(٨) «الكذب... بمعنى» زيادة في ل.
(٩) في ر، ف «من عرف الدنيا... وخبرها».
(١٠) في ر، ف «حتى يصير عنده صدقها كذباً».



٦ - وَكَيْفَ التِذَاذِي بالأَصَائِلِ والضُّحى   إذا لم تُعِـدْ[١] ذاكَ النَّسيمُ الذي هَبَّـا

النَّسيمُ: هُبوبُ الرِّيحِ[٢].

فيقولُ[٣]: وكيفَ التَذُّ بالأَصَائِلِ وبَرْدِها، وبالغُدُوَاتِ وَحُسْنِها، وهذهِ الأَوْقَاتُ أكرمُ أوقاتِ الزَّمانِ، وسائِرُ الأوقاتِ تابِعَةٌ لها، وجَارِيةٌ على حُكْمِها، إذا[٤] لم تُعِدْ لي هذهِ الأوقاتُ النَّسيمَ الذي هَبَّ بِوَصْلِ الأَحِبَّةِ، ولَذَّ بِقُرْبِهم، وطَابَ بِتَدَاني مَحَلِّهم.

٧ - ذَكَـرْتُ بهِ وَصْـلاً كَأنْ لم أَفُـزْ بِـهِ[٥]   وَعَيْشَـاً كَـأَنِّي كُنْتُ أَقْـطَعُـهُ وَثْبَـاً

ثُمَّ قالَ[٦]: ذَكَرْتُ بِذِكْرِ ذلكَ النَّسِيمِ وَصْلاً انصَرَمَ، فَكَأَنِّي لم أَفُزْ بِنَيْلِه، وعَيْشَاً ذَهَبَ، فكأَنِّي وَثْبَاً سِرْتُ في قَطْعِهِ؛ يُريدُ: أَنَّه لم[٧] يَنْتَفِعْ بما سَلَفَ له من الوَصْلِ، وأَنَّه يَسْتَقْصِرُ[٨] ما تَقَدَّمَ لَهُ من هَنِيِّ العُمْرِ.

٨ - وَفَتَّـانَـةَ العَيْنَـيْنِ قَتَّـالَـةَ الهَـوَى   إذا نَفَحتْ شَيْخَـاً رَوَائِحُهـا شَبَّـا

نَفحُ الطِّيبِ: سُطوعُ ريحِهِ[٩].

(١) في رواية ابن جني والواحدي والتبيان «يَعُدْ».
قال المبارك بن أحمد: «وروى المطرِّز «إذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبا» وقاك وجد لم يعد، على المعنى، كأنه قال إذا لم يعد فهذه الأوقات التي هي أوقات الأصائل والضحى، هذا كلامه، وفيه نظر» (النظام ج ١ ورقة ١٥٨).
(٢) «النسيم: هبوب الريح» زيادة في ل.
(٣) في ر، ف «ثم قال».
(٤) في ر «إذ».
(٥) في ر، ف «لم أَبُحْ».
(٦) في ر، ف «يقول».
(٧) في ر، ف «لا».
(٨) في ف «وأنه يستقصر له من الوصل وأنه ما تقدم».
(٩) «نفح... ريحه» زيادة في ل.

فيقولُ: وذكرتُ[1] فَتَّانَةَ العَيْنَيْنِ، بِفُتُورِهما وَسِحْرِهما، قَتَّالَةَ الهَوَى؛ بِتَمْكِينِهِ[2] من النُّفوس، واستيلائِهِ عَلَيْها، إذا نَفَحَتْ رَوائحُ طِيْبِها شَيْخاً، جَدَّدَتْ شَبِيْبَتَهُ، وصَرَفَتْ إلى التَّصابي نِيَّتَهُ.

٩ - لها بَشَرُ الدُّرِّ الذي قُلِّدَتْ بِهِ   وَلَمْ أَرَ بَدْراً قَبْلَها قُلِّدَ الشُّهْبَا

البَشَرُ: جَمْعُ بَشَرَةٍ، وهي ظاهِرُ جلدِ الإنسانِ، واستَعارَ ذلكَ في الدُّرِّ، والشُّهْبِ: النُّجومُ[3].

ثُمَّ قالَ: إنها تَقَلَّدت من الدُّرِّ ما يشبِهِ النُّجومَ بِحُسْنِهِ، ويُماثِلُها بارتِفاعِهِ في جِنْسِهِ، وإنَّ بَشَرَها بَشَرُ ذلكَ الدُّرِّ حُسْناً وبَهْجَةً، وصَفاءً وَرِقَّةً، ولم يَرَ[4] قَبْلَها بَدْراً ضُمِّنَتِ الكواكبَ عُقُودُهُ، واشْتَمَلَتْ عَلَيْها قَلائِدُهُ. فأشارَ بهذهِ العِبارَةِ إلى أنَّ مَحْبوبَتَهُ هي البَدْرُ في حَقِيْقَتِها، والقَمرُ الطَّالِعُ عند أهلِ[5] التَّأَمُّلِ لَها.

١٠ - فَيَا شَوْقِ ما أَبْقَى وَيَالي مِنَ الهَوَى[6]   ويا دَمْعِ ما أَجْرَى ويا قَلْبِ ما أَصْبَا[7]

---

(١) زيادة في ر، ف.

(٢) في ر، ف «بتمكُّنه».

(٣) «البشر... النّجوم» زيادة في ل.

قال أبو الفتح: الشهب جمع شهباء: يعني الدرة، ويجوز أن يكون عني بالشهب جمع أشهب، يعني الكوكب؛ لذكره البدر، وهذا هو القول، ويجوز أن يكون جمع شهاب وهو النجم. قال المبارك بن أحمد: الذي يقتضيه المعنى أن يكون الشهب جمع أشهب وهو الكوكب أو جمع شهاب وهو النجم ليجمع بين تشبيهين، وهما: تشبيهها بالبدر وتشبيه ما قلدت به من الدر بالنجوم». (النظام ج ١ ورقة ١٥٩).

(٤) في ل «نر» بالاسناد إلى ضمير الجمع.

(٥) «عند أهل» زيادة في ر، ف.

(٦) في رواية التبيان «التوى» واشير الى هذه الرواية في هامش ل.

(٧) روى ابن جني والواحدي والتبيان «يا شوقُ... يا دمعُ... ويا قلبُ» بالرّفع.



قوله: «فيا شَوْقِ ما أَبْقَى ويَالِي من الهَوَى[1]» ذَكَر سِيْبَوَيْهِ[2] أَنَّ المُنادِيَ إذا أضَافَ مُنَادًى إلى نَفْسِهِ أَسْقَطَ يَاءِ الإِضَافَةِ، وتَرَكَ الكَسْرَةَ دالَّةً عَلَيْها، في لُغاتِ أكثرِ العَرَبِ، ومنهُمْ مَنْ يُثْبِتُهَا، فاستَعْمَلَ أَبُو الطيب ما عَلَيْهِ الأكثَرُ من إِسْقَاطِها[3] فقال: يا شَوْقِ، ويا دَمْعِ، ويا قَلْبِ، وحَذَفَ المُنَادَى وهو يَنْوِيهِ من قَولِهِ: «و[4]يالي من الهَوَى»، والعربُ[5] تَفْعَلُ ذلك مَعَ اللاَّمِ المَكْسُورةِ، فَيَقُولُ قَائِلُهم: يالِلْعَجَبِ، يُرِيدُ: يا قومِ أَدْعُوكُمْ لِلْعَجَبِ، رَوَى ذلك سيبَوَيْهِ[6] وغَيْرُهُ، وحَذَفَ العَائِدَ على ما التي للتَّعَجُّبِ، فقالَ: ما أَبْقَى، وهو يُرِيدُ: ما أَبْقَاهُ، ثِقَةً[7] بِفهمِ المُخَاطَبِ، وَبِدَلاَلَة الكَلاَمِ على ما قَصَدَهُ، والعَرَبُ تَفْعَلُ ذلكَ في الكَلاَمِ، وتَسْتَعْمِلُهُ كَثِيراً في الشِّعْرِ.

فَيَقُول، مُعَجِّباً بِشِدَّةِ حَالِهِ: فيا شَوْقِ ما أَبْقَاهُ، وأَشَدَّ مُدَاوَمَتَهُ، ويا قَوْمِ اعجَبُوا لي من الهَوَى الذي لا أَعْدَمُهُ، ويا دَمعِ ما أَجْرَاهُ وأَسْرَعَهُ، ويا قَلْبِ ما أَصْبَاهُ وأَجْزَعَهُ.

١١ ـ لَعقَدْ لَعِبَ البَيْنُ المُشِتُّ بها وبي وَزَوَّدَني في السَّيْرِ ما زَوَّدَ الضَّبَّا

تَقُولُ[8] العَرَبُ: إنَّ الضَبَّ يَسْتَنْشِقُ الرِّيحَ فَيُغْنِيهِ[9] عن الماءِ، وإنه

---

(١) «قوله... الهوى» زيادة في ر، ف.

(٢) كتاب سيبويه ٢/٢٠٩.

(٣) قال المبارك بن أحمد «حذف الياءات التي للإضافة في المنادى وهي اللغة الفصحى». (النظام ج ١ ورقة ١٥٩).

(٤) الواو ساقطة من ر، ف.

(٥) في ر، ف «فالعرب».

(٦) كتاب سيبويه ٢/٢١٨.

(٧) ساقطة من ر، ف.

(٨) في ل «وتقول».

(٩) في ر، ف «فتغنيه» والريح يذكر ويؤنث.



لِهذا أَصْبَرُ الحَيَوانِ على العَطَشِ، وَبِحَسَبِ حَاجَتِهِ إلى الرِّيحِ يَرْتَقِبُها، وَبِضَرورَتِهِ إليها يَعْتَني بِطَلَبِها[1].

فَيَقولُ: لَقَدْ لَعِبَ البَيْنُ بها وبي، يُريدُ: مَحْبُوبَتَهُ، فَشَتَّتَ ما التَأَمَ من شَمْلِنا[2]، وأَبْعَدَ ما اتَّصَلَ من قُرْبِنا، وَزَوَّدَني بَعْدَ رِحْلَتِها وانتِزاحِ دَارِها، ما يَتَزَوَّدُ الضَّبُّ من تَنَسُّمِ الرِّيحِ[3]، فأَنا أَسْتَشْرِفُ إلى هُبُوبِهَا، فما[4] هَبَّ مِنْهَا مِنْ نَحوِ بِلادِها أَنِسْتُ به، وسَكَنْتُ إليه، وارتَحْتُ له، وحَرَصْتُ عليه. وعُشّاقُ العَرَبِ يَفْعَلونَ ذلك ويَذْكُرُونَه كَثِيراً في أَشْعَارِهم، فأَشارَ أبو الطَّيِّبِ[5] بِذكرِهِ[6] الضَّبَّ، إلى هذا المَعْنَى أَحْسَنَ إشَارَةٍ، ودَلَّ عَلَيْهِ أَبْيَنَ دَلالَةٍ.

١٢ - وَمَنْ تَكُنِ الأُسْدُ الضَّوارِي جُدُودَهُ   يَكُنْ لَيْلُه صُبْحاً وَمَطْعَمُهُ غَصْبَا

ولـمَّا[7] ذَكَرَ انقطاعَ الأَسْبَابِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبَتِهِ، وَتَقَلُّبَ الأحوالِ بِهِ وبها، وتَصْرِيفَ الزَّمَانِ لَهُ وَلَها، أَخَذَ في ذِكْرِ بَعْضِ ما تَصرَّفَ فيه، فقالَ: وَمَنْ تَكُنْ[8] أَنجَبَتْهُ[9] الأُسُودُ الضارِيَةُ، وَوَلَدَتْهُ السِّبَاعُ العَادِيَةُ، كان لَيْلُهُ[10] صُبْحاً لِكَثْرَةِ سُرَاهُ فيه، ومَطْعَمُهُ غَصْباً لِخِفَّةِ الاغتِصابِ عليه. وأَشَارَ بهذهِ الحالِ إلى نَفْسِهِ، فَأَبَانَ عن صَرَامَتِهِ وَشِدَّتِهِ، ودَلَّ على اعتزامِهِ وقوَّتِهِ.

---

(١) في ر، ف «يعني بطلبتها».
(٢) في ر، ف «شملها».
(٣) في ل «الرياح».
(٤) في ف «بما».
(٥) زيادة في ل.
(٦) في ر، ف «يذكر».
(٧) في ل «لما».
(٨) «تكن» زيادة في ر، ف.
(٩) في ف «الحبتة».
(١٠) ساقطة من ر، ف.

١٣ ـ وَلَسْتُ أُبَالِي بَعْدَ إدراكي العُلاَ ... أَكَانَ تُرَاثاً ما تَنَاوَلْتُ[١] أمْ كَسْبَا

ثُمَّ قالَ: وَلَسْتُ أُبَالي إذا أَدْرَكْتُ مَعَاليَ الأُمورِ وحُزْتُها، واشتَهَرتُ بها ونِلْتُهَا، أَكَانَ ذلك بِمِيراثٍ احْتَزْتُهُ، أم بِكَسْبٍ اسْتَفَدْتُهُ، فالمرءُ إنما يَشْرُفُ بِفِعْلِهِ، ويَرْتَفِعُ بِنَفْسِهِ.

١٤ ـ فَرُبَّ غُلاَمٍ عَلَّمَ المجدَ نَفْسَهُ ... كَتَعْليمِ سَيْفِ الدَّولَةِ الدَّوْلَةَ الضَّرْبَا

ثُمَّ قالَ: فَرُبَّ غُلامٍ اكتَسَبَ المجدَ بِنَفْسِهِ، وتَعَلَّمَ الكرَمَ بِطَبْعِهِ، كَسَيْفِ الدَّوْلَةِ الذي عَلَّمَ الدَّولةَ[٢] الضَّرْبَ، ونَهَجَ لها الجِلادَ والطَّعْنَ، فَدَبَّرَهَا، والسُّيُوفُ مُدْبَرَةٌ، وصَرَّفها والسُّيُوفُ مُصَرَّفَةٌ. وهذا الخُروجُ بابٌ من البديعِ يُعْرَفُ بالاستِطرادِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ.

١٥ ـ إذا الدَّوْلَةُ اسْتَكْفَتْ بِهِ في مُلِمَّةٍ ... كَفَاها فكانَ السَّيْفَ والكَفَّ والقَلْبَا

يَقُولُ: إذا طَرَقَتِ الدَّولةَ مُلِمَّةٌ، واعتَرَضَتْهَا من الحَوادِثِ مُهِمَّةٌ، كَفَاهَا ذلك واستَقَلَّ به، وَجلاَهُ وَتَجَرَّدَ لَهُ، فَفَعَلَ فِعْلَ السَّيْفِ، وبَطَشَ بَطْشَ الكَفِّ، وَدَبَّرَ تَدْبيرَ القَلْبِ، واكتَفَى في جميعِ ذلكَ بنَفْسِه، ولم يَفْتَقِرْ فيه إلى غَيْرِه. وهذا التَّصْنِيفُ بَابٌ من أبوابِ[٣] البَديعِ يُعْرَفُ بالتَّقْسِيمِ.

١٦ ـ تُهَابُ سيوفُ الهِنْدِ وهيَ حَدائِدٌ ... فكيفَ إذا كانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا[٤]

ثُمَّ قالَ: تُهَابُ سُيوفُ الهِنْدِ وهيَ حَدَائِدُ لا تَعْقِلُ، ومُصَرَّفَاتٌ يُفْعَلُ بها

(١) في ر، ف «تناولته».
(٢) المقصود «أهل الدولة».
(٣) زيادة في ر، ف.
(٤) هذا البيت ساقط من ر، ف.



ولا تَفْعَلُ، فَكَيْفَ ظَنُّكَ بها إذا كانت عُرباً نِزاريَّةً، وصريحةً في الشَّرَفِ تَغْلِبِيَّةً؟ يشيرُ إلى سَيْفِ الدَّولةِ، لأنَّه من بَنِي تَغْلِبَ، وتَغْلِبُ من رَبِيْعَةَ، ورَبِيْعَةُ بنُ نِزارٍ[1].

١٧ - ويُرْهَبُ نابُ اللَّيثِ واللَّيْثُ وَحْدَهُ فكيف إذا كانَ الليوثُ لهُ صَحْبا

ثُمَّ قالَ: ويُرهَبُ نابُ اللَّيْثِ، واللَّيْثُ وحدَهُ، وليسَ لهُ جَيْشٌ يَعْضُدُهُ[2]، ولا جَمْعٌ يُؤَيِّدُهُ، فكيفَ بأسَدٍ تَصْحَبُهُ الأُسُودُ[3]، وتَمْتَثِلُ أَمْرَهُ، وتُطِيْعُهُ ولا تُخَالِفُ رَأْيَهُ؟ يُشيرُ إلى سَيْفِ الدَّولةِ، وأنَّه الأَسَدُ في بَأْسِهِ، وَيُفَضِّلُهُ بِسُلْطَانِهِ وجَيْشِهِ.

١٨ - ويُخْشَى عُبَابُ[4] البَحْرِ وهو مَكَانُهُ[5] فَكَيْفَ بِمَنْ يَغْشَى البِلادَ إذا عَبَّا[6]

عُبَابُ السَّيْلِ: مُقَدَّمُهُ، وَعَبُّهُ: تَدَفُّعُهُ[7].

فيقولُ: وَيُخْشَى عُبَابُ البحرِ، ويُرْتَقَبُ بَأْسُهُ، وهو مَقْصُورٌ على مَكانٍ لا يَتَعَدَّاهُ، ومُسْتَقِرٌّ لا يَتَخَطَّاهُ، فَكَيْفَ بِبَحْرٍ إذا عَبَّ غَشِيَ البِلادَ فَأَدْرَكَ بَعِيْدَها، واسْتَبَاحَ مَنِيْعَهَا؟ يُشِيرُ إلى سَيْفِ الدَّولَةِ، وأنَّه البَحْرُ الذي لا تَمْتَنِعُ منه مَطَالِبُهُ، ولا تَتَعَذَّرُ عليه[8] مَقَاصِدُهُ.

---

(١) هذا الشرح ساقط أيضاً من ر، ف.

(٢) في ر، ف «يقصده».

(٣) في ر، ف «يصحبه الأسد».

(٤) في ف «عبوب».

(٥) هذه رواية ابن جني وفي رواية الواحدي «ويخشى عَباب البحر والبحر ساكن».

(٦) في ر، ف تقدم هذا البيت على البيت السابع عشر «ويرهب ناب الليث».

(٧) «عباب... تدفعه» زيادة في ل.

(٨) ساقطة من ل.



١٩ ـ عَليمٌ بــأَسْرَارِ الـدِّيَــانَــاتِ واللُّغَى   لَـهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَـحُ النَّاسَ والكُتُبَـا

ثُمَّ قَالَ: إنَّهُ عَليمٌ بأسْرَارِ الدِّياناتِ، وما يَعْتَقِدُهُ أَهْلُهَا، عَالِمٌ بِـوجُوهِ اختِلافِها، وما يقُولُ به المُحْتَجُّونَ لها، لَهُ خَـطَراتٌ وبَدَائـعُ تَفْضَحُ النَّـاسَ بِدِقَّتِها، وتَدُلُّ على ما قَصَّرَتِ الكُتُبُ فيه بِصِحَّتِها.

٢٠ ـ فَبُــورِكْتَ مِنْ غَيْثٍ كَــأَنَّ جُلُودَنــا   به[١] تُنْبتُ الدِّيبَاجَ والْوَشْيَ والْعَصْبَا

بُورِكْتَ: أي اعتُمِدْتَ بالبَرَكَةِ، والعَصْبُ: ضَرْبٌ من البُرْدِ[٢].

فيقُولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: فَبُورِكْتَ من مَلِكٍ جَوَادٍ يُشْبِهُ الغَيْثَ بِجُـودِهِ، ويَفْعَلُ ما يَفْعَلُهُ بِكَرَمِهِ، فـإذا أَنْبتَتِ الأَرْضُ على الغَيْثِ ضروبَ النَّبَـاتِ، وأَصْنَافَ الزَّهَراتِ، فإنَّ جُلُودَنا تُنْبِتُ على عَطَاياهُ ضُروبَ الوَشْيِ، وأَنْواعَ[٣] الدِّيباجِ والعَصْبِ.

٢١ ـ وَمِنْ وَاهِبٍ جَزْلاً وَمِنْ زَاجِرٍ هَلاً[٤]   ومن هَاتِكٍ دِرْعـاً ومِنْ نَاثِـرٍ قُصْبَا[٥]

---

(١) في ف «بها».

(٢) «بوركت. . . البرد» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «وإبداع».

(٤) في ل «هلاً» وفي ر، ف «هَلاً» بالتنوين، وهي رواية ابن جني والواحدي والتبيان، قال المبارك بن أحمد المستوفي الأربلي: «وقال جماعة من مفسري شعره إن شئت نونت منكراً، وإن شئت لم تنون معرفاً، وأنا أختار التنوين للأمرين ونغمة الألفاظ المنونة في تضاعيف البيت» (النظام ورقة ١٦١).

(٥) في ر، ف «قضبا» قال المبارك بن أحمد «ويروى من ناثر قضبا، وهو السيف القاطع أن ينثر السيوف على الأعداء يوم الوغى».
وقال المبارك بن أحمد: «وروى أبو البقاء العكبري» ومن باتر «نُقْبَا» قال: والباتر: القاطع، ولم أر هذه الرواية في شيء من ديوان شعره ولا في شرحه.
(النظام ج ١ ورقة ١٦١).

هَـلا: كلمةٌ يُـزْجِرُ بِهـا الخَيْـلُ إذا اسْتُـدْعيَتِ القَـرَارَ والثَّبـاتَ[1]، والقُصْبُ: المِعَى[2].

ثُمَّ قالَ: وبورِكْتَ من وَاهِبٍ يَهَبُ جَزْلاً، ويَزْجُرُ الخَيْلَ عِنْدَ شَدَائِـدِ الحربِ بِهَلا، ويَهْتِكُ بِطِعَانِهِ دُرُوعَ الفُرْسَانِ، وَيَنْثُرُ بِرِمَاحِهِ قُصْبَ الأَقْرانِ.

٢٢ ـ هَنِيْئـاً لأَهْـلِ الثَّغْـرِ رَأْيُـكَ فِيهِمُ ‏ ‏ وَأَنَّـكَ حِزْبَ اللهِ صِـرْتَ لَهُمْ حِزْبـا

ثُمَّ[3] يقولُ: هَنِيئاً لِأَهْلِ ثَغْرِ الشَّامِ حُسْنُ رَأْيِكَ فيهم، وما أَظْهَرْتَهُ من تَهَمُّمِك بهم، وأَنَّكَ يا حِزْبَ اللهِ ويا ناصِرَ دِيْنِه، ومُعْلِي كَلِمَتِهِ، صِرْتَ لَهُم حِزباً، تَحْمِيْهِم[4] وتَمْنَعُهُم، وتَحوطُهُم وتَعْضُدُهم[5].

٢٣ ـ وَأَنَّـك رُعْتَ الـدَّهْـرَ فِيْهَـا وَرَيْبَــهُ ‏ ‏ فأن شاءَ[6] فَلْيُحْدِثْ بِسَاحَتِها خَطْبَا

ثُمَّ قالَ: «وأَنَّك رُعْتَ الدَّهْرَ فيهـا»، فَأَنَّثَ، وقـد قَدَّمَ ذِكْـرَ الثَّغْرِ، والثَّغْرُ مُذَكَّرٌ، وهذا تَفْعَلُهُ العَرَبُ إذا تَركت اللَّفظَ وَحَمَلَتْ عَلى المَعْنَى، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ[7] **﴿أولئك هم الوارثون الذين[8] يَرِثون الفِرْدَوْسَ هُم فيها خَالِدون﴾**[9] والفِرْدَوسُ مُذَكَّرٌ، يَقُولونَ: الفِرْدَوسُ الأَعْلَى، ولكنَّهُ أَنَّثَ لَمَّا أَرادَ

(١) قال ابن جني: «من نون أراد النكرة كأنه قال سرعة سرعة، ومن لم ينون أراد المعرفة كأنه قال السرعة السرعة» شرح ابن جني ورقة ٢٨.

(٢) هلا... المِعَى» زيادة في ل.

(٣) زيادة في ر، ف.

(٤) في ر، ف «بجميعهم».

(٥) في ر، ف «وتعضهم».

(٦) في ر، ف «فإن شكَّ» وهي رواية الواحدي والتبيان.

(٧) في ر، ف «عز وجهه».

(٨) «هم الوارثون الذين» ساقطة من ر، ف.

(٩) سورة المؤمنون آية ٩ ـ ١٠.



الجَنَّةَ، وهو أَعْلَمُ[1]. وقالَ الشَّاعِرُ[2]:

وإنَّ كــلابــاً[3] هَــذه عَشْرُ أَبْــطُنٍ   وأَنْـتَ بَــرِيءٌ من قَـبَــائِـلِهــا الـعَشْرِ

فأَنَّثَ البَطْنَ، وهو مُذَكَّر، لَمَّا أَرَادَ القَبِيْلَة، وكذلكَ أَنَّثَ أبو الطَّيِّبِ الثَّغْرَ لَمَّا أَرَادَ الأَرضَ والُمدنَ.

فَيقولُ: هَنِيئاً لُمِدنِ الثَّغْرِ، أَنَّكَ رُعْتَ فيها الدَّهْرَ وأَفْزَعْتَهُ، وَزَجَرْتَ[4] عنها رَيْبَهُ وَذَعَرْتَهُ[5]، فإنْ أحبَّ أن يَعْلَمَ مَبْلَغَ جُهْدِهِ، فَلْيُحْدِثْ بِسَاحَتِها مُنْكَراً من فِعْلِهِ، فَسَيَعْلَمُ كَيْفَ دَفْعُكَ[6] لِخُطُوبِهِ، وكَيْفَ رَدُّكَ[7] لِحَوَادِثِهِ وَصُرُوفِهِ.

٢٤ - فَيَـوْمـاً بِخَيْــلٍ تَـطْرُدُ الــرُّومَ عَنْهُمُ   وَيَـوْمَاً بِجُـودٍ يَطْرُدُ الفَقْـرَ والجَـدْبَـا

ثُمَّ قالَ: فَيَوْمَاً تَحُوطُ أَهْلَ الثَّغْرِ بِخَيْـلٍ تَطْرُدُ الـرُّومَ عَنْهُم، وتَمْنَعُهُمْ مِنْهُم، وَيَوْمَاً تَحُوطُهُم بِجُودٍ تَبْسُطُهُ فيهم، وكَرَمٍ تُمْطِرُهُ عَلَيْهِم، وتَكُفُّ[8] بذلكَ الفَقْرَ عن جَمِيْعِهِم، وتُبْعِدُ به الجَدْبَ عَنْ بِلادِهم، وَتُعَوِّضُهم الخِصْبَ من الَمحْلِ، واليَسَارَ من العُدْمِ.

---

(١) «وهو أعلم» زيادة من ر، ف.

(٢) البيت للنّواح الكلابي في هامش الخزانة للعيني ٤٨٤/٤، ولرجل من بني كلاب في كتاب سيبويه ١٧٤/٢ وللأعور بن البراء الكلابي في الأشباه والنظائر ٥١/٣ وبلا نسبة في المذكر والمؤنث للفراء ص ٧٩ والمذكر والمؤنث للمبرد ص ١٠٨.

(٣) في ر، ف «تميماً».

(٤) في ف «وجزرت».

(٥) في ف «وذرعته».

(٦) في ر، ف «كفك».

(٧) في ر، ف «ودك» وهو تصحيف.

(٨) الواو ساقطة من ر، ف.



٢٥ ـ سَرَايَاكَ تَتْرَى والدُّمُسْتُقُ هَارِبٌ وَأَصْحَابُهُ قَتْلَى وأَمْوَالُهُ نُهْبَى

نُهْبَى: على وزنِ فُعْلَى، اسمٌ لما نُهِبَ(١).

فيقول(٢): سَرَاياكَ في بلادِ الرّومِ مُتَتَابِعَةٌ، وغَزَواتُكَ إليهم مُتَّصِلَةٌ، والدُّمُسْتُقُ هَارِبٌ عَنْكَ، مُتَوَقِّعٌ لكَ، وأَصْحَابُهُ قَتْلَى وَقَائِعِكَ، وأَمْوَالُه أَنْهَابُ عَسَاكِرِكَ.

٢٦ ـ أَتَى مَرْعَشاً يَسْتَقْرِبُ البُعْدَ مُقْبِلاً وأَدْبَرَ إذ أَقْبَلْتَ يَسْتَبْعِدُ القُرْبَا

مَرْعَشُ: حِصْنٌ بَنَاهُ سيفُ الدَّولةِ في بلادِ الرُّومِ(٣).

ثُمَّ قَالَ، يُرِيدُ الدُّمُسْتُقَ: أتى مَرْعَشاً مُبَادِراً لكَ، مُغْتَنِماً فيها لِمَغِيْبِك(٤)، يَسْتَقْرِبُ البُعْدَ لِشِدَّةِ سَيْرِهِ، وَيَسْتَدْنِيهِ بِسُرْعَةِ عَدْوِهِ، فَلَمَّا عَلِمَ بِتَوَجُّهِكَ نَحْوَهُ، واعِتِقَادِكَ قَصْدَهُ، أَدْبَرَ مُنْهَزِماً، والقَرِيبُ يَبْعُدُ عَلَيْهِ لِفِرَقِهِ منكَ، والدَّاني يَنْتَزِحُ عَنْهُ لِمُخَالفَتِهِ لكَ(٥).

٢٧ ـ كَذَا يَتْرُكُ الأَعْدَاءَ مَنْ يَكْرَهُ القَنَا وَيَقْفُلُ مَنْ كَانَتْ غَنِيمَتُهُ رُعْبَا

ثُمَّ(٦) يقولُ، مُعَرِّضاً بالدُّمُسْتُقِ، ومُعَيِّراً له، بِفِرَارِهِ عن سَيْفِ الدَّولة، بَعْدَمَا أَظْهَرَهُ مِنْ قَصْدِ مَرْعَشَ: كذا يَتْرُكُ الأَعْدَاءَ، ويَفِرُّ عنهم، مَنْ كَرِهَ

(١) «نهبى... نهب» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ثم يقول».

(٣) «مرعش... الروم» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «لمغيبتك».

(٥) في ر، ف «لمخافته».

(٦) زيادة في ر، ف.



الطِّعَانَ، ولم يَصْبِرْ على مَضَضِها، وأشْفَقَ منها، ولم يُوَطِّنْ عَلَى أَلَمِها. وهكذا[1] يَقْفُلُ[2] مَغْلُوباً مَنْ كَانَ الرُّعْبُ غِنِيْمَتَهُ، والفِرَارُ من الأعداءِ غَايَتَهُ.

٢٨ ـ وَهَـلْ رَدَّ عَنْـهُ بـاللُّقَـانِ وُقُـوفُـهُ صُـدُورَ العَـوَالي والُمـطَهَّمَـةَ القُبَّـا

الُمطَهَّمَةُ: الحَسَنَةُ الخَلْقِ، والقُبُّ: الضَّامِرَةُ البطونِ، يريدُ: الخيلَ[3].

ثُمَّ قَالَ، زَارِياً عَلَيْهِ، وبَاسِطاً لِعُذْرِهِ في هَزِيْمَتِهِ: وَهَلْ أَغْنَى عنه وقُوفُهُ باللُّقَانِ[4] وتَجَلُّدُهُ؟ وهَل مَنَعَ ذلك مِنْهُ صُـدُورَ الرِّمـاحِ الُمسَدَّدةِ، وحَمَـلاَتِ الخُيُولِ القُبِّ الُمطَهَّمَةِ؟ فلا لَوْمَ عَلَيْهِ في فِرَارِه، إذا كان[5] الوقوفُ لا يَنْفَعُهُ، ولا حَظَّ له في التَّجَلُّدِ، إذا كَانَ التَّجَلُّدُ لا يَعْصِمُهُ.

٢٩ ـ مَضَى بَعْدَما التفَّ الـرِّمَاحَـانِ سَاعـةً كَمَا يَتَلَقَّى الهُدْبُ في الرَّقْدَةِ[6] الهُدْبا

قَوْلُهُ: «بعدما التفَّ الرِّمَاحَانِ ساعَةً»[7]، الرِّمـاحَانِ[8] يُـريدُ: رِمَـاحَ أصحابِ سيفِ الدَّولةِ، ورِمَاحَ الرُّومِ[9]، وَثَنَّى الجَمْعَيْنِ، لأنَّـه[10] جَعَلَهُما حَيِّـزَيْنِ، فَثَنَّاهُمـا، كَأَنَّ كُـلَّ واحدٍ مِنْهُـما اسمٌ عَلَى حِيَـالِهِ، والعَـرَبُ تَفْعَلُ

(١) في ف «وكذا».
(٢) في ر، ف «يفعل».
(٣) «المطهمة... الخيل» زيادة في ل.
(٤) في ر، ف «في اللقان».
(٥) ساقطة من ر، ف.
(٦) في ر «الرقد».
(٧) «قوله بعدما... ساعة» زيادة في ر، ف.
(٨) «الرماحان» زيادة في ل.
(٩) «الروم» ساقطة من ر، ف.
(١٠) في ل. «لأنهما».



ذلك[1]، قالَ الشَّاعرُ[2]:

فَتَنَـازَلا فَـتَـوَافَـقَـتْ خَـيْـلاَهُمَـا وكِـلاَهُمَـا بَـطَلُ اللِّقَـاءِ مُخَـدَّعُ[3]

فَثَنَّى الخَيْلَ وَهيَ جَمْعٌ، لَمّا جَعَلَها حَيِّزاً بِنَفْسِه.

فيقُولُ، وهو يُريدُ: الـدُّمُسْتُقَ، مَضَى بَعْدَ أنْ حَمِيَ الحَرْبُ، واشْتَدَّ الـطَّعْنُ، وتَشَاجَرتِ الرِّمَاحُ، واختَلَفَتْ بها أَيْـدي الفُرْسَـانِ فَتَـلاَقَتْ كـما تَتَلاقى[4] أَهْدَابُ العَيْنِ في الرَّقْـدَةِ، واخْتَلَطَتْ على تَنَـاءٍ[5] من الالتِفَافِ[6] والكَثْرَةِ.

٣٠ - وَلـكِـنَّـهُ وَلَّى وَلِـلطَّعْـنِ سَـوْرَةٌ إذَا ذَكَـرَتْهَـا نَـفْسُـهُ لَمَسَ الجَنْبَـا

السَّوْرَةُ: البَطْشُ والعَجَلَةُ[7].

(١) في تثنية الجمع خلاف بين أهل العلم، قال ابن جني في تعليقه على تثنية (الرماحان): «وجمع الجمع المكثر في اللغة أكثر من تثنيته» (النظام ج ١ ورقة ١٦٢) وذهب الأشموني إلى أن الحاجة قد تدعو إلى تثنيته (شرح الأشموني ٤/١٥٢) على أن أكثر العلماء يميل إلى إباحة تثنية الجمع الدال على القلة دون ما يدل على الكثرة (انظر النحو الوافي ٤/٦٧٤).

(٢) هو أبو ذؤيب الهذلي (انظر البيت في ديوان الهذليين: شعر أبي ذؤيب ١/٣٨ والمفضليات ١/٤٢٨ وعيون الأخبار ١/١٨٠).
واسمه خويلد بن خالد بن محرث من مخضرمي الجاهلية والإسلام، وهو شاعر فحل كثير الغريب لا غميزة في شعرة ولا وهن كما يقول ابن سلام، وقد شهر بعينيته التي يرثي فيها بنيه، خرج للجهاد وهو شيخ كبير، وصحب جند عبدالله بن أبي السرح إلى افريقية في سنة ٢٦ هـ وذكر أبو الفرج أنه قبض في مصر (انظر طبقات فحول الشعراء ١/١٣١ الأغاني ٦/٥٦).

(٣) في ل، ر، ف «مدجج» وهو تحريف، ومخدع: ذو خدعة في الحرب، أو هو الذي خدع مرّة بعد مرة وجرب الحرب، فهو أكيس له. (انظر لسان العرب مادة: خدع).

(٤) في ر، ف «تلاقي».

(٥) في ف «ثناء».

(٦) في ر، ف «الالتفات».

(٧) «السورة: البطش والعجلة» زيادة في ل.

ثُمَّ قالَ: ولكنَّه مَعَ هذهِ المواقَفةِ، وشِدَّةِ[1] هذه المُقاوَمةِ، انهزَمَ وذَلَّ، وولَّى وَفرَّ، وللطَّعْنِ سَوْرَةٌ[2] واستِعْلاءٌ وشِدَّةٌ، إذا تَذَكَّرتْ نَفْسُهُ ذلكَ لَمسَ جَنْبَهُ مُتَفقِّداً[3] لَهُ، وشاكَّاً[4] في أنْ لا يَحُلَّ الطَّعنُ به.

٣١ - وَخَلَّى العَذارَى والْبَطارِيقَ والْقُرى وشُعْثَ النَّصارَى والقَرابِينَ والصُّلْبَا

شُعْثُ النَّصارَى: عُبَّادُهم[5].

ثُمَّ قَالَ: وخَلَّى العَذارى من أهلِ مِلَّتِهِ، والبَطارِيقَ من أَنْصارِ دَعْوَتِهِ، والمُدُنَ الجامِعَةَ لِأَهلِ عَمَلِهِ، والمُتَبَتِّلينَ من نَصارَاهُ، والصُّلْبَانَ التي يَعْبُدُها، والقَرَابِينَ التي يَتَوَسَّلُ إلى آلِهَتِهِ بها، يَتَحَكَّمُ[6] المسلمونَ في جَميعِ ذلكَ؛ بالسَّبي والقَتْلِ، والتَّخْريبِ والنَّهْبِ، والتَّغييرِ والنَّسْفِ.

٣٢ - أَرَى كُلَّنَا يَبْغي الحياةَ بِسَعْيِهِ[7] حَرِيْصاً عَلَيْها، مُسْتَهاماً بها صَبَّا

ثُمَّ[8]، يقول مُشيراً إلى أَنَّ الدُّمُسْتُقَ فَرَّ بِنَفْسِهِ، وأَقْدَمَ عليه سَيْفُ الدَّولةِ بِجُنْدِهِ[9]: أَرَى كُلَّنا يَبْغِي الحَيَاةَ بما يَفْعَلُهُ، ويَسْعَى لها فيما يُقَدِّرُهُ، حِرْصاً عليها، وإِيْثاراً لها، وصَبابَةً بِحُبِّها.

---

(١) «هذه الموافقة وشدّة» ساقطة من ر، ف.
(٢) في ف «صورة».
(٣) في ر «مُفْتَقِداً».
(٤) الواو ساقطة من ف.
(٥) «شعث النصارى: عبادهم» زيادة في ل.
(٦) في ر، ف «فَتحكَّمَ».
(٧) في رواية ابن جني والواحدي «لنفسه» وفي رواية التبيان «بنفسه».
قال المبارك بن أحمد: «ويروى بسعيه، والذي قرأته وهو في أصل نسختي «بسعيه» وقد صحح عليه، ويكون الباء حالاً، أي: بسبب سعيه ومع سعيه (النظام ج ١ ورقة ١٦٢).
(٨) زيادة في ر، ف.
(٩) في ر، ف «بجهده».



٣٣ ـ فَحُبُّ الجَبَانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التُّقَى[١]   وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الحَرْبَا

ثُمَّ بيَّن ذَلِكَ، فقالَ: فَحُبُّ الجَبَانِ لِنَفْسِه[٢] زَيَّنَ لهُ التَّقِيَّةَ والإِحْجَامَ، وحُبُّ الشُّجاعِ لِنَفْسِهِ زَيَّنَ لَهُ التَّجَلُّدَ والإِقدامَ، وكلاهُمَا مَعَ اختِلافِ تَناوُلِهما، رَأى أنّه مُصيبٌ في فِعْلِهِ، مُحْتَاطٌ على الحَياةِ بِسَعْيِهِ.

٣٤ ـ وَيَخْتَلِفُ الـرِّزْقَـانِ والْفِعْـلُ وَاحِـدٌ   إلى أَنْ تَرَى[٣] إِحْسَانَ هَذَا لِذَا ذَنْبَا

ثُمَّ قـالَ: وقد يَخْتَلِفُ الـرِّزْقَانِ، وَتَتَبَـايَنُ الفائِـدَتَانِ، والفِعْـلُ وَاحدٌ، والتَّناوُلُ مُتَّفِقٌ، حَتَّى يُذْنِبَ الرَّجُلُ فيما يُحْسِنُ غَيْرُهُ به، ويُخْطِىءُ فيما يُصِيبُ سِوَاهُ في مِثْلِهِ، كَرُكَّابِ البَحْرِ الَّـذين يَتَّفِقُ فِعْلُهم[٤]، وَيَخْتَلِفُ في التِّجَارَةِ والهَلاكِ أَمْرُهم، هذه أَحْوَالُ الزَّمانِ، والسَّبِيْلُ في مَقَاصِدِ الإِنْسَانِ.

٣٥ ـ فَأَضْحَتْ كَأَنَّ السُّورَ مِنْ فَوْقُ بَدْؤُهُ[٥]   إلى الأَرْضِ قَدْ شَقَّ الكَوَاكِبَ والتُّرْبَا

وَقَوْلُهُ: «كَأَنَّ السُّورَ من فوقُ»[٦] ضَمَّ آخِرَ فَـوْقَ لَمَّا وَضَعَـهُ مَوْضِـعَ المَعْرِفَةِ، وقَطَعَهُ عن[٧] الإِضَافَةِ التي هي أَصْلُهُ، وهي العِلَّة[٨] في بِنَاءِ قَبْلُ

---

(١) في رواية الواحدي «البقا».

(٢) في ر، ف «النفس».

(٣) في رواية التبيان «يُرَى».

(٤) في ر، ف «تتفق أحوالهم».

(٥) في رواية الواحدي والتبيان «فوق بدئه» وروى ابن جني بالرفع «من فوقُ بدؤُه» قال: أراد من فوقه أي: من أعلاه، فلما حذف المضاف إليه بناه».
ديوان أبي الطيب (الفسر) ص ١٧٤.

(٦) «وقوله... فوق» زيادة في ر، ف.

(٧) في ل «من»

(٨) في ف.. العدة».



وَبَعْدُ على الضَّمِ، قال الشَّاعرُ في مِثْلِ ذلكَ[1]:

لَعَنَ الإلَـهُ تَـعِلَّةَ بـنَ مُسَـافِـرٍ   لَـعْـنـاً يُـشَنُّ عَـلَيْـهِ مِـن قُـدَّامُ

فَبَنَى قُدَّامَ على الضَّمِّ لَمَّا قَطَعَها عما تَسْتَحِقُّه من الإضافَةِ في الأَصْلِ، واختَاروا لهذه الظُّرُوفِ البِنَاءَ على الضَّمِّ، وعَدَلوا عن الفَتْحِ والكَسْرِ؛ لأَنَّ الفتحَ والكَسْرَ يَدْخُلانِ عليها في حِيْنِ إضافَتِها[2]، فاختَاروا لها في حِيْنِ البِنَاءِ حَرَكَةً لم تَكُن لها في حَينِ التَّمكُّنِ.

فيقولُ، وقد استَوفَى وصفَ الحالِ في هزيمةِ سَيْفِ الدولةِ للدُّمُسْتُقِ على مَرْعَشَ: فَأَضْحَتْ، يُرِيدُ: هذهِ المَدِيْنَةَ، وكَأَنَّ سُورَهَا ابتَدِىءَ من أَعْلاهُ، لارتِفَاعِ بِنْيَتِهِ، وشِدَّةِ مَنْعَتِهِ، وعَجْزِ الرُّومِ عَمَّا حَاوَلُوه في جِهَتِهِ[3]، فَكَأَنَّهُ لَمِا هـو عَلَيْهِ من بُعْدِ الغَـايَـةِ، وتَمَكُّنِ القُـوَّةِ، قـد شَقَّ الكَـوَاكِبَ وَزَاحَمَهـا، واخْتَرقَ[4] الأَرضَ وَدَاخَلَها، فلا سبيلَ إليه، ولا طَمَعَ لِلْعَدوِّ فيهِ.

٣٦ ـ تَصُـدُّ الـرِّيـاحُ الهـوَّجُ عنهـا مَخَافَـةً   وتَفْـزَعُ فيها[5] الـطَّيرُ أن تَلْقُطَ الحَبَّا

الهُوجُ مِنَ الرِّياحِ: الشِّدَادُ[6].

---

(١) وهو أحد شعراء بني تميم، انظر البيت الكامل للمبرد ٣٧/١ الأشموني ٢٦٨/٢ أمالي ابن الشجري ٢٢٢/١ وفي شرح شواهد خزانة الأدب العيني ٤٣٨/٣ قال: وقبله أبيات:

ألبان إبل تعلة بن مسافر   ما دام يملكها عليّ حرام
وطعام عمران بن أوفى مثله   ما دام يسلق في الحلوق طعام
إن الذين يسوغ في أعناقهم   زاد يمن عليهم للئام

ويروى تعلة بن مزاحم.

(٢) في ر «الإضافة».

(٣) في ر، ف «جبهته».

(٤) في ر، ف «واحترق».

(٥) في رواية التبيان «منها».

(٦) «الهوج... الشداد» زيادة في ل.



ثُمَّ قالَ[1]، مُؤكداً لما تَقَدَّمَ: تَصُدُّ الرِّيَاحُ الهُوجُ عن هذهِ المدينةِ، مَخافَةَ لِمعَارَضَةِ سُورِها لها، وَتَيَقُّناً أنّه يَقْطَعُ دونَ غَايَتِهَا بها[2]، وتَفْزَعُ الطَّيْرُ مِنْ أن تَلْقُطَ الحَبَّ في ذُرَاه، وَتَتَصرَّفُ[3] آمِنَةً في أعْلاَهُ، وأَخْبَرَ عن المدينةِ، وهو يريدُ السُّورَ؛ لأَنَّ السُّورَ بَعْضُهَا.

٣٧ - وَتَـرْدِي الجِيَـادُ الجُـرْدُ فَـوْقَ جِبَـالِهَـا   وَقَدْ نَدَفَ الصِّنَّبْرُ في طُرْقِها العُطْبَا

الصِّنَّبْرُ: ريحٌ بارِدَةٌ في غَيْمٍ، والعُطْبُ: القُطْنُ، والرَّدَيَانُ: ضَرْبٌ من الجَرْيِ[4].

ثُمَّ قالَ: وهذه المَدِيْنَةُ، مَعَ ما هيَ عليهِ من ارتفاعِ الشَّأْنِ، وقوَّةِ البُنْيانِ[5]، لا تُغِبُّها خُيولُ سَيْفِ الدولةِ، بل هي تَرْدِي في أَوْعَارِها، وعلى قُنَنِ جِبَالِها، والصِّنَّبْرُ يَنْدِفُ القُطْنَ في طُرُقِها، وَيَجْتَلِبُ[6] الثَّلْجَ إلى أَرْضِهَا، يُريدُ: أنَّها[7] مُمْتَنِعَةٌ بِقُوَّةِ البِنْيَةِ، وكَثْرَةِ الشِّحْنَةِ[8]، وأَنَّ الخيلَ تُلازِمُها في زمانِ الثَّلْجِ، وحِيْنَ امْتِنَاعِ الغَزْوِ، وهيَ فيها[9] قاطِنَةٌ غَيْرُ رَاحِلةٍ، ومُقيمةٌ غيرُ ظَاعِنةٍ.

٣٨ - كَفَى عَجَبـاً أَنْ يَعْجَبَ النَّـاسُ أَنَّـهُ   بَـنَى مَـرْعَشَـاً تَبَّـا لآرائِهـمْ تَبَّـا

---

(١) في ر، ف «فيقول».
(٢) ساقطة من ر، ف.
(٣) في ر، ف «وتنصرف».
(٤) «الصنبر... الجري» زيادة في ل.
(٥) في ر، ف «ارتفاع البنيان وقوة الشأن».
(٦) في ف «ويحتلب».
(٧) في ر، ف «بأنها».
(٨) الشّحنة: المقصود بها الخيل الرابطة التي ملأ بها سيف الدولة هذه المدينة.
(٩) في ر، ف «فيه».



التَّبُّ: الخَسَارةُ[1].

فيقولُ[2]: كَفَى عَجَباً أن[3] يَعْجَبَ النَّاسُ، من أن يَكُونَ سَيْفُ الدَّولَةِ بَنَى مَرْعَشَاً، ويُسَكِّنُها، ويَحْمِيها ويُحَصِّنُها، ثُمَّ دَعَا عَلَى هذا الرَّأْيِ[4] منهم بالخَيْبَةِ[5] والخُسرَانِ، وَشَهِدَ عَلَيْهِمْ فيه بالجَهَالةِ والنُّقْصَانِ[6].

٣٩ ـ وَمَا الفَرْقُ ما بَيْنَ الأَنَامِ وَبَيْنَهُ   إِذَا حَذَرَ المحذُورَ واسْتَصْعَبَ الصَّعْبَا

ثُمَّ قالَ: وما الفَرقُ ما[7] بَيْنَ سَيْفِ الدَّولةِ، وبَيْنَ مَنْ شَهِدُوه من أُمَراءِ جُيُوشِهِم، وما بَاشَرُوه من المُدبِّرين لأُمُورِهم، إذا كانَ يَحْذَرُ ما حَذِرُوهُ، ويَفْعَلُ ما فَعَلُوهُ، ولا يَسْتَقْرِبُ[8] ما بَعُدَ عِنْدَهم، وَيَنْكَشِفُ ما استَتَرَ دُونَهم.

٤٠ ـ لِأَمْرٍ أَعَدَّتهُ الخِلاَفَةُ لِلْعِدَى   وَسَمَّتْهُ[9] دونَ العَالمِ الصَّارِمَ العَضْبَا

يَقولُ: لأمرٍ خُصَّ به مِنَ الفَضْلِ، وقُدِّرَ فيه مِنَ النَّفَاذِ والعَزْمِ، اختارَتْهُ[10] الخِلافَةُ لِحمايَةِ حَوْزَتِها، وأَعَدَّتْهُ لِلمُدافَعَةِ دونَ بَيْضَتِهَا، وَسَمَّتْهُ دونَ العَالمِ بالسَّيْفِ الذي لا يَنْبُو حَدُّهُ، والصَّارِمِ الذي لا يُذَمُّ فِعْلُهُ.

---

(١) «التب: الخسارة» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ثم قال».

(٣) في ر، ف «من أن».

(٤) «على هذا الرأي» ساقطة من ف.

(٥) في ر، ف «الخسة».

(٦) في ر، ف «وشهد عليهم بالجهالة فيهم والنقصان».

(٧) «ما» زيادة في ر، ف، وزاد في ف «ما بين الأنام».

(٨) في ر، ف «يستغرب».

(٩) في ف «وَسَمَّيته».

(١٠) في ر، ف «احتازته».



٤١ ـ وَلَمْ تَفْتَرِقْ عَنْهُ الأَسِنَّةُ رَحْمَةً وَلَمْ تَتْرُكِ[١] الشَّامَ الأَعَادِي لَهُ حُبَّا

ثُمَّ قالَ: ولم تَفْتَرِقْ عَنْـهُ أَسِنَّةُ الْمُقَـاتِلِينَ، رَحْمَةً لَـهُ، ولا تَجَافَـوا عن مُعَارَضَتِهِ، عِنَايَةً به، ولا تَرَكَ أَعْدَاؤُهُ الشَّامَ لَهُ، مَعَ جَلاَلَتِها، إِسْعَاداً وَمَحَبَّةً، ولا آثَرُوهُ بِتَمَلُّكِها[٢]، إِيجَاباً وَمَوَدَّةً، ولكنَّهم حَذِروا بأَسَهُ وشِدَّتَهُ، وَتَـوَقَّعُوا إِقْدَامَهُ وَسَطْوَتَهُ.

٤٢ ـ وَلكِنْ نَفَـاهـا عَنْـهُ غَـيْرَ كَـرِيمَـةٍ كَـرِيمُ النَّثَا[٣] مـا سُبَّ قَطُّ ولا سَبَّـا

النَّثَا: الخَبَرُ، خَيْراً كانَ أو غيرُهُ[٤].

فيقولُ: ولكنْ نَفَى الأَعداءَ عن أرضِ الشَّامِ، غَيْرَ كريمةٍ في نَفْيِها[٥]، ولا مُتَخَيَّرةٍ في فِعْلِهَا، كريمُ النَّشْرِ، طَيِّبُ الذِّكْرِ، لا يُسَبُّ لِعُلُوِّ قَدْرِهِ، ولا يَسُبُّ لِسَعَةِ حِلْمِهِ.

٤٣ ـ وَجَـيْشٌ يُـثَـنِّي كُـلَّ طَـودٍ كـأَنَّـهُ خَرِيقُ رياحٍ وَاجَهَتْ[٦] غُصْناً رَطْبَا

الطَّوْدُ: الجَبَلُ الطويلُ، والخَرِيقُ: الرِّيحُ الشَّديدةُ[٧].

ثُمَّ قالَ: ونَفَاهَا له جَيْشٌ مَخُوفُ بَأْسُـهُ، جليلٌ شَـأْنُهُ، يُثَنِّي الجِبَـالَ بِكَثْرَتِهِ، ويَخْفِضُها بِجُمُوعِهِ وَقُوَّتِهِ، ويَفْعَلُ بِهَا في حَطِّ ما ارتَفَعَ، وتَفْرِيقِ ما

---

(١) كذا في رواية ابن جني وفي رواية التبيان «ولم يترك».

(٢) في ر، ف «بتمكنها».

(٣) في ر، ف «الثنا».

(٤) «النثا... غيره» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «نفسها».

(٦) في ر، ف «باشرت».

(٧) «الطود... الشديدة» زيادة في ل.

اجْتَمَعَ، ما يفْعَلُهُ[1] خَرِيقُ الرِّيحِ بالأَغْصَانِ الرَّطْبَةِ، وشَدِيدُ العُصُوفِ بالحَشَائِشِ الرِّخْوَةِ.

٤٤ ـ كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مُغَارَهُ فَمَدَّتْ عَلَيْها[2] مِنْ عَجاجَتِهِ حُجُبَا

ثُمَّ[3] يقولُ: كأَنَّ هذا الجيشَ أَخافَ نُجُومَ اللَّيْلِ وأَفْزَعَها، وهَالَهَا بِكَثْرَتِهِ وذَعَرَهَا، فاسْتَتَرَتْ عَنْهُ بِتَكَاثُرِ قَتَامِهِ، واحْتَجَبَتْ[4] عَنْهُ[4] بِتَكَاثُفِ عَجَاجِهِ[5].

٤٥ ـ فَمَنْ كَانَ يُرْضِي اللُّؤْمَ والكُفْرَ مُلْكُهُ فَهَذا الذي يُرْضِي المكارِمَ والرَّبَّا

ثُمَّ قالَ: فَمَن[6] كانَ يُرضِي مُلْكُهُ اللُّؤْمَ والكُفْرَ من أَدْنِياءِ المُتغَلِّبِينَ، وكُفَّارِ المُتَنَصِّرِينَ، فَهذا الذي يُرْضِي اللَّهَ بإقامَةِ شَرَائِعِهِ، ويُرْضِي الكرَمَ بإحيائِهِ لمعالِمِه.

---

(١) في ر، ف «تفعله».

(٢) في ر، ف «عليه» وأشار إليها في حاشية ل.

(٣) زيادة من ر، ف.

(٤) في ر، ف «وحجبت». وفي ل «منه»

(٥) في ر، ف «حجابه».

(٦) في ف «من».

وأَهْدَى إليه سَيْفُ الدَّولةِ ثِيابَ دِيْبَاجٍ رُوميٍّ، وقَنَاةً، وفَرَساً مَعَها مُهْرٌ لها، فَأَعْجَبَهُ المُهْرُ، ولم تُعْجِبْهُ الفَرَسُ، فَقَالَ:

١ - ثِيَابُ كَرِيمٍ مَا يَصُونُ حِسَانَها   إِذَا نُشِرَتْ كَانَ الهِبَاتُ صِوَانَها

صِوانُ الشيءِ: ما اتُّخِذَ لِصِيانَتِهِ[١].

فيقولُ: خِلَعُ سَيْفِ الدولةِ ثِيابُ كريمٍ، لا يَصُونُ حُسْنَها[٢]، ولا يَدَّخِرُ[٣] رَفِيْعَها، إذا نَشَرَهَا فَصِوانُها عِنْدَهُ أن يَهَبَها، وحِفْظُهُ لها أن يَكْسُوَهَا وَيَخْلَعَهَا.

٢ - تُرِينا صَنَاعُ الرُّومِ فيها[٤] مُلُوكَها   وَتَجْلو عَلَيْنَا نَفْسَها وَقِيَانَها

الصَّنَاعُ: المرأةُ الحَاذِقَةُ بالعَمَلِ[٥].

ثمَّ قالَ: تُرِينا صَنَاعُ الرُّومِ، الحاذِقَةُ بِعَمَلِها، العَالِمَةُ بإقَامَةِ صُوَرِهَا، في تلكَ الثِّيَابِ، أَمْثِلَةَ مُلُوكِها، وتَجْلُو عَلَيْنَا فيها أَنْفُسَها وقِيَانَها[٦]، اقتِدَاراً على مَا تَصْنَعُهُ، وتَقَدُّماً في إصَابَةِ ما تُصَوِّرُهُ.

٣ - ولم يَكْفِهَا تَصْوِيرُها الخَيْلَ وَحْدَهَا   فَصَوَّرَتِ الأشْيَاءَ إلاَّ زَمَانَها

يقولُ[٧]: ولم يَكْفِ تِلْكَ الصَّناعَ[٨] أن صَوَّرتِ الخيلَ مَعَ ما صَوَّرَتْهُ،

---

(١) «صوان ... لصيانته» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «حسانها».

(٣) في ر، ف «ولا يدّخر».

(٤) في رواية التبيان «فينا».

(٥) «الصناع ... بالعمل» زيادة في ل.

(٦) القيان: جمع قَيْنةٍ، وهي الأمةُ المُغَنِّيَة.

(٧) في ر، ف «ثم قال».

(٨) في ر، ف «الصنائع».



وَصَنَعَتْهَا مَعَ ما صَنَعَتْهُ، حتى تَصَرَّفَتْ في الأَشْيَاءِ فَمَثَّلَتْهَا، وكَثَّرتْ منها وأَظْهَرَتْهَا، فلم يَعْدَمِ المُتَأَمِّلُ[1] لِتِلْكَ الصَّنَائِعِ، والمُشَاهِدُ لِتلكَ البَدَائِعِ، إلا الزَّمَانَ بِصُورَتِهِ، ومُشَاهَدَتَهُ بِمِثَالِهِ، والزَّمَانُ لا صُورةَ لَهُ فَدَلَّ بِقَوْلِهِ؛ أَنَّها[2] لم يَفُتْهَا إلا مَا لاَ صُورَةَ لَه[3]، على أَنَّها استَوْفَتِ الصُّوَرَ بِجمْلَتِها، ومَثَّلَتْها[4] بِعَامَّتِها، وهذا من البَديعِ يُعْرَفُ بالاستِثْنَاءِ.

٤ - وما ادَّخَرَتْهَا قُدْرَةً في مُصَوَّرٍ سِوَى أَنَّها ما أَنْطَقَتْ حَيَوانَها

ثُمَّ قالَ: وما ادَّخَرَتْ تلكَ الصَّنَاعُ قُدْرَةً فيما صَوَّرَتْهُ، وحِكْمَةً فيما أَظْهَرَتْهُ، إلاَّ أَنَّها لم تُنْطِقِ الحَيَوانَ من تلكَ الصُّوَرِ، ولا أَظْهَرَتِ الحياةَ فيما أَبْدَتْهُ من تلكَ المُثُلِ، وما خَلاَ ذلكَ، فَقَد اسْتَوْفَتْهُ وأكمَلَتْهُ، وحَسَّنَتْهُ وتَمَّمَتْهُ.

٥ - وَسَمْرَاءُ يَسْتَغْوِي الْفَوَارِسَ قَدُّهَا وَيُذْكِرُها كَرَّاتِها وَطِعَانَها

السَّمْراءُ: القَناةُ[5].

فيقولُ[6]، مُعَدِّداً لما أَهْدَاهُ إليه: وَسَمْرَاءُ يَهِيجُ الفَوارِسَ حُسْنُ قَدِّها على الحَرْبِ، ويَشُوقُها إلى المُطارَدَةِ والطَّعْنِ، ويُذَكِّرُهَا بذلِكَ، وَيُغْرِيها[7] بِفِعْلِهِ، ويُحَرِّكُها إلى اسْتِعْمَالِ مِثْلِهِ.

٦ - رُدَيْنِيَّةٌ تَمَّتْ وَكَادَ نَبَاتُها يُرَكِّبُ فِيها زُجَّها وَسِنَانَها

الرُّدَيْنِيَّةُ: مَنْسوبةٌ إلى رُدَيْنَةَ، وكانَتْ امرأةً تَتْجُرُ بالرِّماحِ في الجاهِلِيَّةِ[8]:

(١) في ر، ف «المماثل».
(٢) في ر، ف «أنّه».
(٣) ساقطة من ف.
(٤) في ر، ف «وأحرزتها».
(٥) «السمراء: القناة» زيادة في ل.
(٦) في ر، ف «ثم قال».
(٧) في ر، ف «يغويها».
(٨) «الرديني ... الجاهلية» زيادة في ل.

ثمَّ قالَ: رُدَيْنِيَّةٌ تَمَّ خَلْقُها، وَكَمَلَ حُسْنُهَا، وَكَادَتْ في حِيْنِ نَبَاتِهَا، تَسْتَدْعِي الزُّجَّ والسِّنَانَ[1]، وَتُعَلِّمُ الْمُطَارَدَةَ والطِّعَانَ.

٧ - وَأُمُّ عَتِيقٍ خَالُهُ دونَ عَمِّهِ رَأى خَلْقَهَا مَنْ أعْجَبَتْهُ فَعَانَهَا

العَتِيقُ: الكريمُ من الخَيْلِ، وأرادَ الفَرَسَ التي أهدَى إليه، والمُهْرَ الذي كان مَعَها[2].

فيقولُ[3]: إنَّ هذه الفَرَسَ تَأَخَّرَ خَلْقُها عن خَلْقِ مُهْرِها، فكَرُمَ وهَجُنَتْ، وحَسُنَ وتأخَّرتْ[4]، فَيَقولُ، مُنْكراً لِأَمْرِها، ومُعْتَذِراً لِهُجْنَتِها وَحالِها: إنَّها أُمُّ عَتيقٍ مِنَ الخَيل، كَرُمَ فَحْلُهُ، وَهَجُنَتْ أُمُّهُ، فَخَالُهُ دونَ عَمِّهِ، وكَأَنَّ أُمَّهُ رَآها مَنْ أعْجَبَتْهُ فَلَقَعَها[5] بِعَيْنِهِ، فَتَضاءَلَ لِذَلِك خَلْقُهَا، ولم يَتِمَّ على حَقِيقَتِهِ[6] حُسْنُهَا.

٨ - إذا سَايَرَتْهُ بَايَنَتْهُ وَبَانَها وَشَانَتْهُ في عَيْنِ الْبَصِيرِ وَزَانَها

ثمَّ قالَ: إذا سَايَرَتْ هذهِ الفَرَسُ مُهْرَهَا، بَايَنَتْهُ وَبَايَنَها[7]، فَرَفَعَها وَوَضَعَتْهُ، وَزَيَّنَها وَنَقَصَتْهُ

٩ - فَأَيْنَ التي لا تَأْمَنُ[8] الخَيْلُ شَرَّهَا وَشَرِّي وَلاَ تُعْطِي سِوَايَ أَمَانَها

(١) الزُّجُّ: الحديدة في أسفل الرمح، والسِّنَانُ: نَصْلُ الرُّمح.
(٢) «العتيق... معها» زيادة في ل.
(٣) في ر، ف «ثم يقول».
(٤) في ر، ف «وقصرت».
(٥) لَقَعَها: أصابها بعينه حسداً.
(٦) في ر، ف «حقيقة».
(٧) في ر، ف «وبانها».
(٨) في رواية الواحدي «لم يأمن». والتبيان «لا يأمن».

يقولُ: فأيْنَ التي عَهِدْتُها مِنْ كَرائمِ الخَيْلِ، التي كانَتْ لا تَأْمَنُ الفُرسانُ سَطْوَتي عليهم بها، وإقحَامي في غَمَراتِ الحَرْبِ لها، والتي كانَتْ لا تَأْنَسُ[1] بِغَيْري فَيَأمَنُها، ولا تُمَكِّنُ سِوايَ من نَفْسِها فَيَرْكَبُها.

١٠ ـ وَأَيْنَ[2] التي لا تَرْجِعُ الرُّمْحَ خَائِباً إذا خَفَضَتْ يُسْرَى يَدَيَّ عِنَانَها[3]

ثُمَّ قالَ: وأَيْنَ التي كَانَتْ لا تَرْجِعُ الرُّمْحَ خَائِباً، من فَارسٍ تُصِيْبُهُ، ولا تَرُدُّهُ مُقَصِّراً عن مَطلوبٍ في الحَرْبِ تَنالُهُ، إذا خَفَضَتْ يُسْرَى يَدَيَّ عَنَانَها، مُسْتَنْهِضاً لها، وأَرْخَتْهُ[4] طالِباً لِلفُرسان بها.

١١ ـ ومَا لِي ثَنَاءٌ لاَ أَرَاكَ مَكَانَهُ فَهَلْ لَكَ نُعْمَى لا تَرَاني مَكَانَها

ثُمَّ قالَ، مُخاطِباً لِسَيْفِ الدَّولةِ: ومالي أيُّها الرَّئيسُ ثَنَاءٌ أَدَّخِرُهُ[5] عَنْكَ، ومَدْحٌ لا أَسْتَعْمِلُهُ فيكَ، وأَعْتَقِدُكَ مَكَاناً له، وأَهْلاً للاختِصَاصِ به، فَهَلْ لَكَ نُعْمَى لا تَخُصُّني بها، وتراني أَهْلاً وَمَوْضِعاً لها؟

(١) في ر، ف «لا تأمن».

(٢) في رواية التبيان «فأين».

(٣) في هامش ل «عيانها» رواية أخرى.

(٤) في ر، ف «وأرخيته».

(٥) في ف «أؤَخِّرُه».



وَكَانَ ربَّما تَأَخَّرِ مَدْحُهُ عن سيفِ الدولةِ، فَيَشُقُّ ذلك عَليه، ويُكْثِرُ أَذَاهُ، ويُحْضِرُ في مَجْلِسِهِ من يُعَرِّضُ له بالقَبِيحِ، فَفَعَلَ به ذلك[١] مرَّاتٍ، فقالَ، وأَنْشَدَها في مَحْفِلٍ من العَرَبِ والعَجَم:

١ - واحـرَّ قـلبَـاهُ مِمَّـن قـلْبُـهُ شَبِـمُ وَمَنْ بِجِسْمي وَحَـالي عِنْـدَهُ سَقَمُ[٢]

وا: حَرفُ يُنَادَى به كما يُنَادَى بيا، وحَرَّ قَلْبَاهُ: اسمٌ مضافٌ مُنَادَى، كان أَصْلُهُ واحرَّ قَلْبِي، فَأَبْدَلَ من الياءِ أَلِفاً، رَغْبَةً في الخِفَّةِ، والعَرَبُ تَفْعَلُ ذلكَ في النِّداءِ، واسْتَجْلَبَ هاءَ السَّكْتِ، وأَثْبَتَها في الوَصْلِ كما ثَبَتَتْ في الوَقْفِ، والعَرَبُ تَفْعَلُ ذلك في الشِّعرِ، وحَرَّكَ الهاءَ، لِسُكُونِها وسكونِ الألفِ قَبْلَها، ولِلْعَربِ في ذَلِكَ فِعْلاَنِ؛ مِنْهُم من يُحَرِّكها[٣] بالضَّمِ، تَشْبِيهاً بهاءِ الضَّمير، فيقولُ: واحرّ قَلْبَاهُ، أَنْشَدَ في ذلكَ يَعْقُوبُ عن الفَرَّاءِ[٤]:

يـا مَـرْحَـبـاهُ بِـحِـمَارِ عَـفْـرَاءْ إذا أَتى قَـرَّبْـتُـهُ لمـا شَـاءْ
من الشَّعيرِ والحشيشِ والماءْ[٥]

ومِنَ العَرَبِ مَنْ يُحَرِّكُ بالكَسْرِ، على ما يُوجَدُ كثيراً في الكَلامِ، عِنْدَ التقاءِ السَّاكِنَيْنِ، أَنْشَدَ على ذلك يَعْقُوبُ[٦]:

يـا ربِّ يـا ربَّـاهِ إِيَّـاكَ أَسَـلْ عَفْـراءَ يـا رَبَّـاهِ مِنْ قَبْـلِ الأَجَـلْ

وهذه اللغَةُ التزَمَ أبو الطَّيِّبِ، والشَّبِمُ: البارِدُ[٧].

---

(١) في ر، ف «ففعل ذلك به».

(٢) في ر، ف «أَلَمُ».

(٣) في ل «يحرك الهاء».

(٤) إصلاح المنطق لابن السكيّت ص: ٩٢ والأبيات لعروة بن حزام العذري في شرح المفصل لابن يعيش ٤٦/٩.

(٥) الشطر الثاني والثالث زيادة في ل.

(٦) إصلاح المنطق ص٩٢.

(٧) الشبم: البارد» زيادة في ل.



فيقولُ: واحرَّ قلبي واحتراقِهِ[1]، واسْتِحْكَام تَهَمُّمِهِ[2]، بِمَنْ قَلْبُهُ عني باردٌ لا عِنَايَةَ لهُ بي، ولا إقبالَ لَهُ عَليَّ، ومَنْ بِجِسْمِي وحَالي[3] من إعْرَاضِهِ سُقْمٌ يُوجِبُ أَلَمَهُمَا[4]، وشَكاةٌ تعودُ باختلالِهما[5]. والعَربُ[6] تَكْني بحرارةِ القَلْبِ عن الاعتِنَاءِ والحُبِّ[7]، وبِبَرْدِهِ عن الإعراضِ والتَّرْكِ.

٢ - مَا لي أُكَتِّمُ حُبّاً قَدْ بَرَى جَسَدِي   وَتَدَّعي حُبَّ سَيْفِ الدَّولَةِ الأُمَمُ

المُكَتِّمُ: المُبَالِغُ في الكَتْمِ، وَبَرْيُ الجِسْمِ: إضناؤه وإنحالُهُ[8].

ثمَّ قالَ: ما لي أُكَتِّمُ من حبِّ سيفِ الدَّولةِ ما يَزِيدُ[9] مُضْمَرُهُ على ظاهِرِهِ، ومكتومُهُ على شَاهِدِه، والأُمَمُ تَشْرَكُني في ادِّعاءِ ذلكَ، والتَّصَنُّعِ به بقلوبٍ غَيْرِ خالِصَةٍ، وَنيَّاتٍ غَيْرِ صَادقةٍ، فَيُضْني جِسْمِي، ويُنْحِلُهُ تَقَدُّمي في صِدْقِ وُدِّهِ، وتَأَخُّري فيما يَخُصُّني مِنْ فَضْلِهِ.

٣ - إنّ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُرَّتِهِ   فَلَيْتَ أَنَّا بِقَدْرِ الحُبِّ نَقْتَسِمُ

ثُمَّ قالَ: إن كانَ يَجْمَعُنا حُبُّ غُرَّتِهِ، والكَلَفُ بِمَوَدَّتِهِ، فَلَيْتَ أَنَّا نَقْتَسِمُ المَنَازِلَ عِنْدَهُ، بِقَدْرِ ما نَحنُ عليهِ من صِحَّةِ الخَالِصَةِ، وما نَعْتَقِدُهُ[10] من المَوَدَّةِ الصَّادِقَةِ، فلا يُبْخَسُ المُخْلِصُ حَظَّهُ[11]، ولا يُبْذَلُ للمُتَصنِّعِ بِرُّهُ.

(١) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «وإحراقه».
(٢) في ت «همه».
(٣) في ر، ف «وحال».
(٤) في ر، ف «ألمها».
(٥) في ف «باختلالها». وفي ت «تؤذن باختلالهما».
(٦) في ف «والحرب».
(٧) في ر، ف «بالحب» وهي ساقطة من ت.
(٨) «والمكتم... وإنحاله» زيادة في ل.
(٩) في ر، ف «يريد».
(١٠) في ر، ف «يعتقده».
(١١) في ت «حقه».

٤ ـ قَدْ زُرْتُهُ وَسُيوفُ الهِنْدِ مُغْمَدَةٌ وَقَدْ نَظَرْتُ إليهِ وَالسيوفُ دَمُ

ثُمَّ[١] يقولُ: قد زُرْتُهُ في الأَمْنِ والسِّلْمِ، وقد شهِدْتُهُ في شَدائِدِ الحَرْبِ؛ يُريدُ: أنهُ خَبَرَهُ في الضِّيقِ والسَّعَةِ، وامتَحَنَهُ في الأَمْنِ والمَخافَةِ[٢]، فأَعْجَبَهُ كَيْفَ تَقلَّبَ، وحَمِدَهُ[٣] على أيِّ حالٍ تصرَّفَ.

٥ ـ فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ وَكَانَ أَحسَنَ ما في الأَحْسَنِ الشِّيَمُ

ثُمَّ قالَ: فَكَانَ في جميعِ أَحْوالِهِ أَحْسَنَ خَلْقِ اللهِ شَاهِداً، وأَكْرَمَهُمْ ظَاهِراً، وكَانَ أَحْسَنَ من ذلك شِيَمُهُ المُخْتَبَرَةُ، وأَخْلاَقُهُ المُمْتَحَنَةُ[٤].

٦ ـ فَوْتُ العَدوِّ الَّذي يَمَّمْتَهُ ظَفَرٌ في طَيِّهِ أَسَفٌ في طَيِّهِ نِعَمُ

الأَسَفُ: الحُزْنُ[٥].

فيقولُ[٦]: فَوْتُ العَدُوِّ الذي أَعْجَزَكَ بِهَرَبِهِ، وفَرَّ عَنْكَ لاسْتِحْكَامِ جَزَعِهِ، ظَفَرٌ ظَاهِرٌ، واسْتِعْلاَءٌ بَيِّنٌ، وإِنْ كانَ ذلكَ الظَّفَرُ في طَيِّهِ منك أَسَفٌ على ما حُرِمْتَهُ من إِدْرَاكِهِ، والإِثْخَانِ بالقَتْلِ فيه، وفي طَيِّ ذلك الأَسف نِعَمٌ بما[٧] صَرَفَ[٨] اللَّهُ عَنْكَ من مَؤُونَةِ الحربِ، وشِدَّةِ مُعَانَاةِ اللِّقَاءِ.

---

(١) زيادة في ر، ف.
(٢) في ف «والمخالفة» وفي ت «والخوف».
(٣) في ت «وأحمده».
(٤) في ت «المستحسنة».
(٥) «الأسف: الحزن» زيادة في ل.
(٦) في ر، ف «ثم يقول».
(٧) في ت «بها».
(٨) كذا في ل، ت وفي ر، ف «صرفه».

٧ ـ قَدْ نابَ عَنْكَ شَدِيدُ الخوفِ واصْطَنَعَتْ لَـكَ المَهَابَـةُ ما لا تَصْنَـعُ البُهَمُ

البُهَمُ: الذين تَناهَتْ شجاعَتُهم من الفُرسانِ، واحِدُهم بُهْمَةٌ[١].

ثمَّ قالَ: قد نَـابَ عَنْكَ خَـوْفُ العَدوِّ لـك، فَغَلَبَهُ وذَعَّـرَهُ، وهَزَمَـهُ وروَّعَه، وصَنَعَتْ لكَ فيه مَهابَتُك، وَبلَغتْ[٢] لكَ منه مَخافَتُكَ، ما لا تَصْنَعُهُ بُهَمُ الشُّجْعَانِ، ولا تَبْلُغُهُ أَبْطَالُ الفُرْسَانِ.

٨ ـ أَلْـزَمْتَ نَفْسَـكَ شَيْئَـاً لَيْسَ يَلْزَمُها أَنْ لا تُـوَارِيَهُـم[٣] أَرْضٌ ولا عَـلَمُ

العَلَمُ: الجبَلُ الطَّويلُ[٤].

فيقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: أَلزمْتَ نَفْسَكَ من نِكَايَةِ العدوِّ والمُبَالَغَةِ في قَتْلِهم مَا لا يَلْزَمُكَ، وكَلَّفْتَها ما لا يَحِقُّ عَلَيْكَ، وَذَهَبْتَ إلى ألاّ تُوَارِيَهُم منك أرضٌ تَشْتَمِلُ عليهم، ولا يَسْتُرُهم عَنْكَ جَبَلٌ يَحُولُ بَيْنَك وَبَيْنَهُم.

٩ ـ أَكُلَّما رُمْتَ جَيْشـاً فـانثَنَى هَـرَبـاً تَـصَـرَّفَتْ بِـكَ في آثَـارِهِ الهِـمَـمُ

ثمَّ قالَ: أَكُلَّما رُمْتَ جَيْشَاً من جُيوشِ الرّومِ، فَفَرَّ منك[٥]، ووَلَّى هَارباً عنك، تَصَرَّفَتْ بك هِمَمُكَ في آثارِهِ[٦]، فلم يُرْضِك انهزَامُهُم[٧] دونَ أن يَنَالَهُم[٨] القَتْلُ، ولا فِرَارُهم[٩] دونَ أن يَتحكَّمَ[١٠] فيهم[١١] السَّيْفُ.

(١) «البُهمَ... بُهْمَة» زيادة في ل.
(٢) في ف «وغلبت».
(٣) في رواية التبيان «يُواريَهُم».
(٤) «العلم.. الطويل» زيادة في ل.
(٥) «ففر منك» ساقطة من ت.
(٦) في ت «أثره».
(٧) كذا في ل، ت وفي ر، ف «انهزامه».
(٨) كذا في ل، ت وفي ر، ف «يناله».
(٩) في ر، ف «فراره».
(١٠) في ت «يستحكم».
(١١) في ر، ف «فيه».

١٠ ـ عَلَيْكَ هَزْمُهُمْ في كُلِّ مُعْتَرَكٍ   وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عَارٌ إذا انهَزَمُوا

ثُمَّ[1] يقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: عَلَيْكَ أن تَهْزِمَ الرُّومَ في كلِّ مُعْتَرَكٍ يَتَعَاطَوْنَ فيه لِقَاءَكَ، ولا عَارَ عليك في أن يَغْلِبَهُم خَوْفُكَ، فَيَنْهَزِمُوا دُونَ قِتَالٍ، تَوَقُّعاً لَكَ، وَيَفِرُّوا دُونَ لِقَاءٍ، إشْفَاقاً منك.

١١ ـ أمَا تَرَى ظَفَراً حُلْواً سِوَى ظَفَرٍ   تَصَافَحَتْ فِيهِ بِيْضُ الهِنْدِ واللِّمَمِ

ثُمَّ قالَ: أَلَيْسَ يَحْلُو لك ظَفَرٌ تَنَالُهُ، وأَمَلٌ في عَدوِّك تَبْلُغُهُ، ما لا يَكُونُ ذلِكَ بَعْدَ قَتْلٍ وقِتالٍ، ومُجَالَدَةٍ ونِزَالٍ، وبَعْدَ أن تُصَافِحَ سُيُوفُكَ رؤوسَهُمْ، وتُبَاشِرَ سلاَحُكَ جُسُومَهُمْ. وأَشَارَ بِمُصَافَحَةِ السيوفِ لِلِّمَمِ[2] إلى هذا التَّعبيرِ.

١٢ ـ يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إلاَّ في مُعَامَلَتِي   فِيكَ الخِصَامُ وَأَنْتَ الخَصْمُ والحَكَمُ

يقولُ[3] لسيفِ الدَّولةِ: يا أَعْدَلَ النَّاسِ في أَحْكَامِهِ، وأَكْرَمَهُمْ في أَفْعَالِهِ، إلاَّ في مُعَامَلَتِي، فإنَّه يُخْرِجُني عن عَدْلِهِ، ويُضَيِّقُ عليَّ ما قد بَسَطَهُ من فَضْلِهِ، فيك[4] خِصامي وَتَعَتُّبِي[5]، وأنت خَصْمي وحَكَمِي، فأَنَا أُخَاصِمُكَ إلى نَفْسِكَ، واسْتَعْدِي[6] عَلَيْكَ حُكْمَكَ.

١٣ ـ أُعِيذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً   أَنْ تَحْسِبَ الشَّحْمَ فِي مَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ

ثمَّ قَالَ: أُعِيذُ نَظَراتِكَ الصَّادِقَةَ، وظُنُونَكَ المُصِيبَةَ، من أن تَحْسِبَ ما

---

(١) زيادة في ر، ف.
(٢) اللِّمَمُ: جمع لِمَّةٍ، وهي شعر الرأس إذا جاوز شحمة الأذن، وألمَّ بالمنكب.
(٣) في ر، ف «ثم قال».
(٤) كذا في ل، ت وفي ر، ف «فيه».
(٥) في ف «وتعتبني» وفي ت «وتعبي».
(٦) في ت «وأستدعي».



أَشْكُوهُ من الضَّرورةِ سَعَةً، وما أُظْهِرُ[1] من التَّجمُّلِ حَقيقَةً، فتَكُونَ كَمَنْ يَحْسِبُ السُّقْمَ[2] صِحَّةً، والوَرَمَ سِمَناً وقُوَّةً.

١٤ ـ وما انتِفاعُ أخي الدُّنيا بناظِرِهِ   إذا استَوَتْ عندَهُ الأنوارُ والظُّلَمُ

ثُمَّ ضَرَبَ في ذلك مَثَلاً، فقال: وما يَنْتَفِعُ أخو الدُّنيا بِنَظَرِهِ، ولا تَعُودُ عَلَيْهِ فائِدَةُ بَصَرِه[3]، إذا اسْتَوَى عِنْدَهُ الصِّحَّةُ والسَّقَمُ، والأنْوارُ والظُّلَمُ.

١٥ ـ أنا الذي نَظَرَ الأعْمَى إلى أَدَبي   وأَسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بِهِ صَمَمُ

يقولُ[4]: أنا الذي استذَاعَ أَدَبي، واسْتَبَانَ مَوْضِعي فيه، فَثَبَتَ ذلك في العُقُولِ، وَتَمَكَّنَ في القُلوبِ، ورآهُ الأعْمَى وإنْ كانَ لا يُبْصِرُ، وأسْمَعَتْ كَلِماتي فيه ذَا الصَّمَمِ[5] وإن كانَ لا يَسْمَعُ.

١٦ ـ أَنامُ مِلءَ جُفُوني عن شَوارِدِها   وَيَسْهَرُ الخلقُ جَرَّاها وَيَخْتَصِمُ

تقولُ العربُ: فَعَلْتُ هذا من جَرَّى فلانٍ، أي: من أَجْلِهِ[6].

ثُمَّ قالَ: أنامُ ساكِنَ النَّفْسِ، مُتَمَكِّنَ النَّومِ، لا أُعْجَبُ بِشَوارِدِ ما أُبْدِعُ، ولا أَحْفِلُ بنوادِرِ ما أَنْظِمُ[7]، وَيَسْهَرُ الخَلْقُ في تَحَفُّظِ ذلكَ وَتَعَلُّمِهِ، وَيَخْتَصِمُونَ في تَعَرُّفِهِ وَتَفَهُّمِهِ، فاسْتَقِلُّ منه ما يَسْتَكْثِرُونَهُ، وأُغْفِلُ عمّا يَغْتَنِمُونَه.

---

(١) في ر، ف «وما أظهره».

(٢) في ر، ف «السقام».

(٣) في ت «بصده».

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) في ف «ذا الصمّ».

(٦) «تقول... أجله» زيادة في ل.

(٧) كذا في ل، ت وفي ر، ف «لا أعجب بشوارد ما أنظم، ولا أحفل بنوادر ما أبدع».



١٧ ـ وَجَاهِلٍ مَدَّهُ في جَهْلِهِ[١] ضَحِكي حَتَّى أَتَتْهُ يَدٌ فَرَّاسَةٌ وَفَمُ

الفَرْسُ: دَقُّ العُنُقِ[٢].

فيقولُ[٣]: وَرُبَّ جاهِلٍ اغترَّ بمُجامَلتي لَهُ، ومُسامَحتي إيَّاهُ، وضَحِكي على جَهْلِهِ، حتَّى سَطَوْتُ به فَفَرَسْتُه، وَعَضِضْتُ[٤] عَلَيْه فأَهْلَكْتُهُ.

١٨ ـ إذا رَأَيْتَ[٥] نُيُوبَ اللَّيْثِ بارِزَةً فَلا يَغُرَّنْكَ أَنَّ اللَّيْثَ مُبْتَسِمُ[٦]

النَّابُ: الضِّرسُ الذي بَيْنَ الرُّباعيَّةِ والطَّواحِنِ، وَجَمْعُهُ نُيُوبٌ[٧].

ثُمَّ قالَ، زَارِياً على المُغْتَرِّ بِضَحِكِهِ: إذا رَأَيْتَ اللَّيْثَ قد أَبْرَزَ أَنْيابَهُ، فلا يَغُرَّنَّكَ تَبَسُّمُهُ، فإنَّ ذلكَ أَقْرَبُ لِبَطْشِهِ، وأَدَلُّ على ما يُحْذَرُ من فِعْلِهِ، وكَذلكَ كان ضَحِكي لِلْمَخْدُوعِ به سَبَباً قَادَهُ إلى صَرْعَتِهِ، وأَدَّاهُ إلى هَلَكَتِهِ[٨].

١٩ ـ وَمُهْجَةٍ مُهْجَتي مِنْ هَمِّ صَاحِبِها أَدْرَكْتُها بِجَوَادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ

الحَرَمُ: المَوْضِعُ الذي يُؤْمَنُ فيه، ويُمْتَنَعُ بِحُرْمَتِهِ[٩].

فيقولُ[١٠]: ورُبَّ مُهْجَةِ مُقاتِلٍ لي، كانَتْ مُهْجَتي من هَمِّ[١١] ذلك

---

(١) في ر، ف «في جاهل».
(٢) «الفَرْسُ، دَقُّ العُنُقِ» زيادة في ل
(٣) في ر، ف «ثم يقول».
(٤) في ت «وغضبت».
(٥) في رواية التبيان «إذا نظرت».
(٦) في ر، ف، ورواية التبيان «فلا تَظُنَّن». وفي رواية الواحدي «يبتسم».
(٧) «الناب... نيوب» زيادة في ل.
(٨) كذا في ر، ف، ت وفي ل «مهلكته».
(٩) «الحرم... بحرمته» زيادة في ل.
(١٠) في ر، ف «ثم يقول».
(١١) ساقطة من ر، ف.

المُقاتِلِ وبِغْيَتِهِ، فأدْرَكْتُ منهُ ما كانَ يُحاوِلُهُ مِنِّي، يُشِيرُ إلى قَتْلِهِ لَهُ، وظَفرِهِ بِهِ، بِفَرَسٍ جَوادٍ، ظَهْرُهُ حَرَمٌ لِصَاحِبِه، وجَرْيُهُ أمانٌ لِراكِبِهِ.

٢٠ ـ رِجْلاَهُ في الرَّكضِ رِجْلٌ والْيَدانِ يَدٌ وَفِعْلُهُ مـا تُـرِيـدُ الكَفُّ والقَـدَمُ

ثُمَّ وَصَفَ ذلكَ الجَوَادَ فَقَالَ: رِجْلاَهُ لِسُرْعَةِ رَكْضِهِ، وَخِفَّةِ وَقْعِهِ، ومَا هُوَ عَلَيْهِ من تَأَتِّي أمْرِهِ، كالرِّجلِ الواحِدَةِ، ويَدَاهُ كاليَدِ المُفْرَدَةِ، لا تَخْتَلِفُ في وَقْعِهِا، ولا تَتَخاذَلُ في نَقْلِهَا، وفِعْلُهُ في السُّرْعَةِ ما تُرِيدُهُ القَدَمُ التي بها تُسْتَعْجَلُ، وفي المُواتاةِ والمُوَافَقَةِ ما تُرِيدُهُ(١) الكَفُّ التي بها يُسْتَوْقَفُ(٢).

٢١ ـ ومُـرْهَفٍ سِرْتُ بَيْنَ المَوْجَتَـيْنِ(٣) بِهِ حَتَّى ضَـرَبْتُ وَمَـوْجُ المـوْتِ مُلْتَـطِمُ

المَـوْجُ: مـا ارتفـعَ واضـطربَ من المـاءِ، واستعـارَ ذلـكَ في كتـائِبِ الحَرْبِ(٤).

فَيَقولُ: ورُبَّ سَيْفٍ مُرْهَفٍ، سِرْتُ بِهِ(٥) بَيْنَ الفِئَتَيْنِ المُتَقَـابِلَتَيْنِ(٦)، والطَّائِفَتَيْنِ المُتَزَاحِفَتَيْنِ، حَتَّى ضَرَبْتُ وجَالَدْتُ، واقْتَحَمْتُ وَتَقَدَّمْتُ، والموتُ يَلْتَطِمُ مَوْجُهُ، ويَزْخَرُ بَحْرُهُ.

٢٢ ـ فَـالخَيْـلُ واللَّيْـلُ والبَيْـدَاءُ تَعْـرِفُني والحَرْبُ والضَّرْبُ(٧) والقِرطَاسُ والقَلمُ

---

(١) في ت «تريد».

(٢) في ر، ف «يتوقف».

(٣) هذه رواية ابن جني أيضاً وفي رواية الواحدي والتبيان «الجحفلين».

(٤) «الموج... الحرب» زيادة في ل.

(٥) ساقطة من ر، ف.

(٦) في ل «المُتقَاتِلَيْنِ».

(٧) في رواية التبيان «والضَّربُ والطَّعْنُ».



ثُمَّ قالَ: فالخيلُ[1] تَعْرِفُني لِتَقَدُّمِي في فُرُوسَتِها، وحِذْقِي بِرُكُوبِها[2]، والليلُ يَعْرِفُني لِسُرَايَ فيه، وَطُولِ ادِّرَاعِي لَهُ، والبَيْدَاءُ تَعْرِفُني بِمُداوَمَتِي لِقَطْعِها، واسْتِسْهَالِي لِأَمْرِها، والحربُ والضَّربُ يَشْهَدانِ بِحِذْقي[3] بِهِما، وتَقَدُّمي فيهما، والقَرَاطِيسُ شَاهِدَةٌ، لإحاطَتِي[4] بِمَعْرِفَةِ ما تَتَضَمَّنُهُ، والقَلَمُ [عالِمٌ][5] لِإِبْدَاعي فيما يُقَيِّدُهُ.

٢٣ ـ صَحِبْتُ في الفَلَوَاتِ الوَحْشَ مُنْفَرِداً   حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّي القُورُ[6] والأَكَمُ

القُوْرُ: صِغارُ الجِبالِ، والأَكَمُ: جمعُ أَكَمَةٍ، وهي التَّلُّ المُشْرِفُ[7].

ثُمَّ قال: صَحِبْتُ الوَحْشَ في الفَلَواتِ مُنْفَرِداً بِقَطْعِهَا، مُسْتَأْنِساً بِصُحْبَةِ حَيَوَانِها[8]، حتى تَعَجَّبَ مني سَهْلُهَا وَجَبَلُهَا، وقُوْرُهَا[9] وأَكَمُها.

٢٤ ـ يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَينا أَنْ نُفَارِقَهُمْ   وِجْدانُنَا كُلَّ شَيءٍ بَعْدَكُم عَدَمُ

ثُم[10] يقولُ مُشيراً إلى سَيْفِ الدَّوْلَةِ: يا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنا أَنْ نُفارِقَهُ، لِما[11] أَسْلَفَ إِلَيْنا مِنْ فَضْلِهِ، واسْتَوْفَرْنَاهُ من الحَظِّ بِقُرْبِهِ، وِجْدَانُنَا كلَّ طائِلٍ بَعْدَكُمْ، عَدَمٌ لا نُسَرُّ بِهِ، ومُحْتَقَرٌ لا نَبْتَهِجُ له.

---

(١) في ل «والخيل».

(٢) «وحذقي بركوبها» زيادة في ر، ف.

(٣) في ر، ف «لحذقي».

(٤) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «بإحاطتي».

(٥) زيادة في ت ويقتضيها النص.

(٦) في ر، ف «القُوْز» بضم القاف وهو تصحيف لرواية أخرى بفتح القاف و«القَوْز» المستدير من الرمل والكثيب المشرف.

(٧) «القور... المشرف» زيادة في ل.

(٨) في ف «حواتها».

(٩) في ر، ف، ت «وقوزها» بالزاي.

(١٠) زيادة في ر، ف.

(١١) في ت «بما».

٢٥ ـ مَـا كَـانَ أَخْلَقَنَـا[١] مِنْكُمْ بِتَكْـرِمَـةٍ   لَـو أَنَّ أَمْـرَكُـمُ مِنْ أَمْـرِنَـا أَمَـمُ

الأَمَمُ: القَرِيبُ[٢].

ثُمَّ قالَ: ما كان أَخْلَقَنَا[٣] بِبِرِّكُم وَتَكْرِمَتِكُمْ، وإِيثارِكُمْ وتَقْدِمَتِكُمْ، لو أَنَّ أَمْرَكُمْ في الاعتِقَادِ لَنَا على نَحْوِ أَمْرِنَا في الاعتِقَادِ لَكُم، وما نَحْنُ عليه من الثِّقَةِ بِكُمْ.

٢٦ ـ إِنْ كَـانَ سَـرَّكُمُ مَـا قَـالَ حَـاسِـدُنَـا   فَـمَا لِجُـرْحٍ إِذا أَرْضَـاكُـمُ أَلَـمُ

ثُمَّ[٤] يقولُ، مُشِيراً إلى سَيْفِ الدَّولَةِ: إِنْ كَانَ ما نَقَلَهُ الحاسِدُ لنا، واختَلَقَهُ الواشِي بِنَا، مُرْضِياً لَكُم، مُسْتَحْسَناً عِنْدَكم، فما نَتَشَكَّى الجُرْحَ إذا أَرْضَاكُم مَعَ شِدَّةِ وَجَعِهِ، ولا نَتَكَرَّهُهُ مَعَ اسْتِحْكَامِ أَلَمِهِ، حِرْصَاً على مُوَافَقَتِكُم، وإِسْرَاعَاً إلى إِرَادَتِكُم.

٢٧ ـ وَبَيْنَنَـا لَـوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَـعْـرِفَـةٌ   إِنَّ المَعَـارِفَ في أَهْـلِ النُّهَى ذِمَمُ

الذِّمَمُ: العُهُودُ، واحِدُها ذِمَّةٌ، والمعارِفُ: جَمْعُ مَعْرِفَةٍ، والنُّهى: جَمْعُ نُهْيَةٍ، وهي العَقْلُ[٥].

---

(١) في ف، «أخلاقنا».
(٢) «الأَمَمُ: القَرِيبُ» زيادة في ل.
(٣) في ف «أخلاقنا».
(٤) زيادة في ر، ف.
(٥) «الذمم... العقل» زيادة في ل.

ثُمَّ قالَ: وبَيْنَنا وَصَائِلُ[1] المَعْرِفَةِ، ولَنَا[2] إليكم شَوَافِعُ الخَالِصَةِ[3]، إنْ أَحْسَنْتُم المُرَاعاة لِـذلك، والمُحَـافَظَةَ عَلَيْـهِ، والمَعَارِفُ عِنْـدَ أَمْثَالِكُمْ مِنْ ذَوي[4] العُقولِ الرَّاجِحَةِ، والأَحْلاَمِ[5] الوَافِرَةِ، ذِمَمٌ لا يُضَيَّـعُ حِفْظُهـا، وَوَسائلُ لا يُسْتَجَازُ رَدُّهَا.

٢٨ ـ كَمْ تَـطْلُبونَ لَنَـا عَيْبَـاً فَيُعْجِـزُكُمْ[6] وَيَكْـرَهُ اللَّهُ مـا تَـأْتُـونَ والكَـرَمُ

ثُمَّ[7] يقـولُ، مُشِيراً إلى سَيْفِ الـدَّولَةِ، ومُعَنِّفَـاً لَهُ في إِصْغَـائِـهِ إلى الطَّاعِنينَ[8] عليه: كم تَطْلُبونَ لنا عَيْبَاً تَغُضُّونَ به مِنَّا، وتُصْغُونَ إليه فيـما يُنْقَلُ إليكم، فَيُعْجِزُكم ذلكَ ويُيئِسُكُمْ، ويَبْعُدُ عليكم ولا يُمْكِنُكُمْ، وَيَكْـرَهُ اللَّهُ مِنْ ذلكَ ما تَأْتُونَهُ، وَيُسْخِطُهُ ما تُحَاوِلُونَهُ، وَيَكْرَهُهُ الكَرَمُ الذي يُلْزِمُكُم الإِنْصَافَ والعَدْلَ[9]، ويُوْجِبُ عَلَيْكُم المُحَافَظَةَ والفَضْلَ[10].

٢٩ ـ ما أَبْعَدَ العَيْبَ والنُّقْصَانَ مِنْ[11] شَرَفِي أَنَـا الثُّـرَيَّـا وَذَانِ الشَّيْبُ والهَـرَمُ

ثُمَّ قال، فَاخِراً بِنَفْسِهِ، ومُشيراً إلى سَلاَمَةِ عِرْضِـهِ: ما أَبْعَـدَ العَيْبَ

(١) في ت «وسائل».
(٢) كذا في ل، ت وفي ر، ف «وبنا».
(٣) في ت «المحالفة».
(٤) كذا في ل، ت وفي ر، ف «أهل».
(٥) ساقطة من ر، ف.
(٦) في هامش ل «فَيَعْجِزَكم» بالفتح.
(٧) زيادة في ر، ف.
(٨) كذا في ل وت، وفي ر، ف «الطاعن».
(٩) في ر، ف «العدل والإنصاف».
(١٠) في ف «والعقل».
(١١) في رواية التبيان «عن».

والنُّقْصَانَ من شَرفي ورِفْعَتِهِ، وعِرْضي وسَلامَتِهِ[1]، أنَا في ذلكَ الثُّرَيَّا، والعَيْبُ والنقصانُ كالشَّيْبِ والهَرَمِ، لا يَعْلَقَانِ بي، كما لا يَعْلَقُ الشَّيْبُ والهَرَمُ بها، ولا يَعْرِضَانِ لي كما لا يَعْرِضُ الشَّيْبُ والهَرَمُ لَهَا.

٣٠ ـ لَيْتَ الغَمَامَ الذي عندي صواعِقُهُ   يُزيلُهُنَّ إلى من عِنْدَهُ الدِّيَمُ

الغَمامُ: السَّحابُ، والصَّاعِقَةُ: قِطْعَةٌ من نارٍ تَسْقُطُ بأثرِ الرَّعدِ الشَّديدِ، والجمعُ صواعقُ، والدِّيمَةُ: مَطَرٌ يدومُ مَعَ سكونٍ، والجَمْعُ دِيَمٌ[2].

ثُمَّ قالَ، مُشِيراً إلى سَيْفِ الدَّولةِ: لَيْتَ هذا المَلِكَ الذي يُشْبِهُ الغَمَامَ بجودِهِ، وَيَخْلُفُهُ بِفَضْلِهِ[3]، وَعِنْدي مِنْهُ صَوَاعِقُهُ، وتُسْرِعُ إليَّ مَكارِهُهِ، يُزِيلُ بَيْني وبَيْنَ الحَاسِدينَ لي، فَيَنْقُلُ تِلْكَ الصَّواعِقَ إليهم، وَيُنْجِي بتِلْكَ المَكارِهِ عَلَيْهم، فَأُشَارِكُهُمْ في بُؤْسِهِ، كما شَارَكوني[4] في فَضْلِهِ.

٣١ ـ أرى النَّوى تَقْتَضِيني كُلَّ مَرْحَلَةٍ   لا تَسْتَقِلُّ بها الوَخَّادَةُ الرُّسُمُ

النَّوى: البُعْدُ، والاقتِضاءُ: مَعْروفٌ، والوَخْدُ والرَّسْمُ: ضَرْبانِ من سَيْرِ الإبلِ، والوَخَّادَةُ من الإبلِ: التي تسيرُ بالوَخْدِ، واحِدَتُها واخِدَةٌ، والرُّسُمُ منها: التي تسيرُ بالرَّسم، واحِدَتُها رَسُومٌ[5].

فيقولُ، مُعَرِّضاً بما اعتقَدَهُ من الرَّحيلِ عَنْ سَيْفِ الدَّولة، لِما تَشَكَّاهُ من

(١) كذا في ل وت وفي ر، ف «ما أبعد ما تحاولونه من إلحاق العيب، والاعتراض بالنقصان على شرفي».
(٢) «الغمام... ديم» زيادة في ل.
(٣) في ت «بعقله».
(٤) في ر، ف «يشاركوني».
(٥) «النوى... رسُومُ» زيادة في ل. قال ابن جني: النوى هنا: اليه او المنزلة بين المرحلتين (البيان ٣/٣٧٢).



قِلَّةِ إِنْصافِهِ لَهُ: أَرَى النَّوَى التي أُرِيْدُهَا، والرِّحْلَةَ التي أعتَقِدُها، تَقْتَضِيني تَجَشُّمَ كُلِّ مَرْحَلَةٍ نائِيَةٍ[١]، وشُقَّةٍ بَعِيدَةٍ، لا تَسْتَقِلُّ بها الوَخَّادَةُ الرُّسُمُ من الإِبِلِ؛ لِبُعْدِ مَنالِها[٢]، ولا تُطِيْقُها لِشِدَّةِ مَآلِها[٣].

٣٢ - لَئِنْ تَرَكْنَ ضُمَيْراً عَنْ مَيَامِنِنَا لَيَحْدُثَنَّ لِمَنْ وَدَّعْتُهُمْ نَدَمُ

ضُمَيْرٌ: اسمُ جَبَلٍ[٤].

ثُمَّ قالَ: لَئِنْ[٥] تركْنَ ضُمَيْراً؛ هذا الجَبَلَ، يَمْنَةً مِنْهُنَّ، يُرِيدُ: رَوَاحِلَهُ، لَيَحْدُثَنَّ لِمَنْ وَدَّعْتَهُمْ نَدَمٌ. على مُفَارَقتي لَهُم، وَأَسَفٌ على رَحِيلي عَنْهُمْ، يُشِيرُ بِذَلِكَ إلى سَيْفِ الدَّوْلَةِ.

٣٣ - إذا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وقَدْ[٦] قَدَروا أَلاَّ تُفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمُ

رحَلَ الرَّجلُ: إذا تَحَوَّل عن مَنْزِلِهِ، ورَحَلْتَهُ أنت، إذا فَعَلْتَ ذلك به[٧].

ثُمَّ قالَ، مُوجِباً[٨] على سَيْفِ الدَّولةِ المَلاَمَةَ في رِحْلتِهِ، وقَائِماً في ذلك عن نَفْسِهِ بِحُجَّتِه: إذا رَحَل الرَّاحِلُ[٩] عن قَوْمٍ وهم قَادِرُونَ على إِزَاحَةِ

---

(١) في ت «وافية».

(٢) كذا في ر، ف، ت وفي ل «منازلها».

(٣) في ل «مناها».

(٤) «ضمير: اسم جبل» زيادة في ل وهو جبل في الشام يقع على يمين طالب مصر من الشام.

(٥) في ر، ف «إن».

(٦) في ر، ف «وهم قدروا».

(٧) «رحل... به» زيادة في ل.

(٨) في ل «موحياً... للملامة».

(٩) كذا في ل وت وفي ر، ف «الرجل».

عِلَّتِهِ، واسْتِقْرَابِهِ بإسْعَافِ رَغْبَتِهِ، وأغفَلُوهُ حتى يَرْحَلَ عَنْهُم، وَيَنْقَطِعَ بالزَّوَالِ مِنْهُمْ، فَهُمُ الذين رَحَلُوه وأَزْعَجُوهُ، وَحرَّكُوهُ وأَخْرَجُوهُ.

٣٤ ـ شَرُّ البِلادِ مكانٌ لا صَديقَ بِهِ[١] وَشَرُّ ما يَكْسِبُ الإنْسانُ ما يَصِمُ

الشيءُ يَصِمُ الشَّيءَ: إذا عابَهُ، والوَصْمُ: الصَّدعُ، وشُبِّهَ العَيْبُ في الحَسَبِ بِذَلِك[٢].

فيقولُ: شَرُّ البلادِ بلادٌ[٣] لا يُوجَدُ فيها من يُؤْنَسُ بِوُدِّهِ، ويُسْكَنُ إلى كَرَمِ[٤] فِعْلِهِ، وشَرُّ ما كَسَبَهُ الإنْسَانُ ما عَابَهُ وَوَصَمَهُ، وأَذَلَّهُ وانتَقَصَهُ. يُريدُ: أَنَّ هِبَاتِ سَيْفِ الدَّولةِ مَعَ كَثْرَتِها، وجَلالَتِها، وَسَعَتِهَا، لا تُعادِلُ تَقْصِيرَهُ به، وإيثارَهُ لِحُسَّادِه عَلَيْهِ.

٣٥ ـ وَشَرُّ ما قَنَصَتْهُ رَاحَتي قَنَصٌ شُهْبُ البُزاةِ سَواءٌ فِيهِ والرَّخَمُ

الاقتِناصُ: التَّصيُّدُ، والشيءُ المَصِيدُ قَنصٌ[٥].

ثُمَّ قالَ: وَشَرُّ ما ظَفِرَ بِهِ القانِصُ، قَنَصٌ[٦] يَشْتَرِكُ فيه البُزَاةُ الشُّهبُ مَعَ رِفْعَتِها، والرَّخَمُ[٧] السَّاقِطَةُ مَعَ دَناءَتِها وَضَعَتِها، يُشِيرُ إلى أَنَّ ما أَوْلاهُ سَيْفُ الدَّولَةِ من بِرِّهِ، وأظْهَرَهُ عَلَيْهِ من إحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ، شَارَكَهُ فيه مِنْ[٨] حُسَّادِهِ أَهْلُ الغَبَاوةِ، وَنَازَعَهُ إيَّاهُ أَهْلُ العَجْزِ والجَهَالَةِ.

---

(١) في رواية التبيان «بلاد لا صديق بها».
(٢) «الشي... بذلك» زيادة في ل.
(٣) في ر، ف «مكان لا يوجد فيه».
(٤) في ت «كريم».
(٥) «الاقتناص... قنص» زيادة في ل.
(٦) في ف «نقص».
(٧) الرَّخم: جمع رَخَمَة: وهو طائر أبقع يشبه النسر في خلقته.
(٨) كذا في ل، ف وفي ر، ف «مع».

٣٦ ـ بأيِّ لَفْظٍ تَقولُ الشِّعْـرَ زِعْنِفَـةٌ تَجُـوزُ عِنْـدَكَ لا عُـرْبٌ ولا عَجَمُ

الزِّعْنِفَةُ: السُّقَّاطُ من الناسِ، وهذا الاسمُ مأخوذٌ من زَعانِفِ الجِلْدِ، وهي أطرافُهُ وسواقِطُهُ[1].

فيقولُ[2] لِسَيْفِ الدَّولةِ: بأَيِّ لَفْظٍ تقولُ الشعرَ زِعْنِفَةٌ، أرذالٌ يجُوزُونَ عِندَكَ، ليسوا عَرَباً[3] فُصَحَاءَ فَتَحْمَدَهُمْ، ولا عَجَماً لُكْناً فَتَعْذِرَهُم، يَتَرَفَّعُونَ عن العَجَمِ ولا يَفُوتُونَهُمْ، وَيَتَشَبَّهُونَ بالعَرَبِ ولا يَلْحَقُونَهُمْ. وهذهِ العِبَارَةُ وإن لم تَكُن في[4] لَفْظِهِ، فهي مَفْهُومَةٌ من حَقِيْقَةِ قَصْدِهِ.

٣٧ ـ هَـذَا عِـتَـابُـكَ إلاّ أَنَّـهُ مِـقَـةٌ قَـدْ ضُـمِّـنَ الـدُّرَّ إلاّ أَنَّـه كَـلِمُ

المِقَةُ: المَحبَّةُ، والكَلِمُ: جمعُ كَلِمَةٍ[5].

ثُمَّ قالَ[6] لسَيفِ الدَّولةِ: هذا عِتَابُكَ، وهو[7] وإن أَمَضَّكَ[8]، مِقَةٌ خَالِصَةٌ، ومَوَدَةٌ صَادِقَةٌ، فَبَاطِنُهُ غَيْرُ ظَاهِرِه، كما أَنَّهُ قد ضُمِّنَ الدُّرَّ بِحُسْنِهِ[9]، وإنْ كانَ كَلِماً مَعْهُوداً[10] في ظَاهِرِ لَفْظِهِ.

---

(١) «الزعنفة... وسواقطه» زيادة في ل.
(٢) في ر، ف «ثم يقول».
(٣) في ر، ف «عرابا».
(٤) في ر، ف «من».
(٥) «المِقَةُ... كلمة» زيادة في ل.
(٦) في ر، ف «ثم يقول».
(٧) «وهو» ساقطة من ف.
(٨) المَضُّ: الحُرْقَةُ، ومَضَّهُ: أحرقه وشقَّ عليه وآلمه.
(٩) في ت «الحسنة».
(١٠) كذا في ل، ت. وفي ر، ف «معهودة».

ولما أَنْشَدَ هذه القَصِيْدَةَ وانصَرَفَ، كانَ في المَجْلِسِ رَجُلٌ يعَادِيه، فَكَتَبَ إلى أبي العَشَائِرِ على لِسانِ سَيْفِ الدَّولةِ كِتَاباً إلى أَنْطاكِيَةَ، يَشْرَحُ له فيهِ ذِكْرَ القَصِيْدَةِ وأغْرَاهُ بِهِ، فَوَجَّهَ أبو العَشَائِرِ عَشْرَةً من غِلْمَانِهِ، فَوَقَفُوا قَرِيْباً من بَابِ سَيْفِ الدَّولَةِ في الليلِ، وأَنْفذُوا إليهِ رَسُولاً على لِسَان سَيْفِ الدَّولَةِ، وسارَ إليه، فلما قَرُبَ مِنْهُمْ، ضَرَبَ راجِلٌ[١] بَيْنَ أَيْدِيهم بِيَدِهِ إلى عِنَانِ فَرَسِهِ[٢]، فَسَلَّ أبو الطَّيِّبِ السَّيْفَ[٣]، فَوَثَبَ الرَّاجِلُ عَنْهُ[٤]، وتَقَدَّمَتْ فَرَسُهُ به الخيلَ[٥] فَعَبَرَ قَنْطَرَةً كَانَتْ بَيْنَ يَدَيه، فأَصابَ أَحَدُهُمْ نُحْرَةَ[٦] فَرَسِهِ بِسَهْمٍ فانتَزَعَهُ، واسْتَقَلَّتْ الفَرَسُ بهِ، وتَبَاعَدَ بهم لِيَقْطَعَهُم من[٧] مَدَدٍ إنْ كَانَ لَهُمْ، ورَجَعَ عَلَيْهِم بَعْدَ أَنْ فَنِيَ النُّشَّابُ[٨]، فَضَرَبَ أَحَدَهُمْ بالسَّيْفِ فَقَطَعَ الوَتَرَ وبَعْضَ القوسِ، وأَسْرَعَ السَّيفُ في ذِرَاعِهِ، فَوَقَفُوا عَلَيْهِ[٩]، وسارَ وَتَرَكَهُمْ، فلما يَئِسوا مِنْهُ قالَ لَهُ أَحَدُهُم: نحنُ غِلْمَانُ أبي العَشَائِرِ، فلذلكَ قالَ:

ومُنْتَسِبٍ عِنْدي إلى مَنْ أُحِبُّهُ ... وَلِلنَّبْلِ حَوْلِي من يَدَيْهِ حَفِيفُ

(١) في ت «رجل».
(٢) في ت «فضرب رجل منهم بيده إلى عنان فرسه».
(٣) ساقطة من ف.
(٤) في ت «فوثب عليه الرجل».
(٥) ساقطة من ت.
(٦) ساقطة من ت.
(٧) كذا في ل، ت، وفي، ر، ف «عن».
(٨) في ت «ورجع إليهم بعد أن فنى نشابهم».
(٩) في ت «فوقفوا على صاحبهم المجروح».



هي خَمْسَةُ أَبْيَاتٍ قَدْ تَقَدَّمَتْ[١]، وأُلْحِقَتْ بِمَدْحِ أَبي العَشَائِرِ[٢]، وقد كُنَّا شَرَطْنَا على رأْسِها أَنْ[٣] نَشْرَحَها ها هُنَا.

وعَادَ أَبُو الطَّيِّبِ إلى المدِيْنَةِ في اللَّيْلَةِ الثَّانِيةِ مُسْتَخِفْياً وأَقَامَ عِنْدَ صَدِيقٍ لَهُ، والمُرَاسَلَةُ بَيْنَهُ وبَيْنَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، وسَيْفُ الدولةِ يُنْكِرُ أَنْ يكونَ فَعَلَ ذَلك، أَوْ أَمَرَ بِهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ أَبو الطَّيِّبِ هذهِ الأَبْيَاتَ، وكَتَبَ بها إِليه.

١ - أَلاَ ما لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ اليَوْمَ عَاتِباً فَدَاهُ الوَرَى أَمْضَى السُّيوفِ مَضَارِبَا

مَضاربُ السَّيْفِ: ما تَشْتَمِلُ عليهِ حَدَّاهُ[٤].

فيقولُ: ألا ما[٥] لِسَيفِ الدَّولةِ اليَوْمَ عاتِباً عَليَّ، مَعَ تَأْمِيلِي لَهُ[٦]، مُعْرِضاً عَنِّي، مَعَ اسْتِحْكَامِ ثِقَتي به، فَدَاهُ الوَرَى مِمَّا يَكْرَهُهُ، وَوَقَاهُ جَمِيعُهُمْ ما يَحْذَرُهُ، فإِنَّهُ أَمْضَى السُّيُوفِ وأَنْفَذُها، وأَقْطَعُها وَأَصْرَمُها.

---

(١) لم ترد هذه الأبيات فيما سبق.

وتتمة الأبيات هي قوله:

١ - فَهَيَّجَ مِن شَوْقِي وما مِن مَذَلَّةٍ حَنَنْتُ ولكِنَّ الكَرِيمَ أَلُوفُ

٢ - وكُلُّ وِدَادٍ لا يَدُومُ على الأذى دَوامَ وِدَادِي للحُسَيْنِ ضَعِيفُ

٣ - فإنْ يَكُنِ الفِعْلُ الذي ساء واحداً فأفعالُه اللائي سررن أُلُوفُ

٤ - ونفسي لَهُ نفسي الفِداءُ لِنَفْسِهِ ولكِنَّ بعضَ المالكين عَنِيفُ

(انظر الأبيات في التبيان في شرح ديوان المتنبي ٢/٢٩٢).

(٢) وأبو العشائر هو الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان.

(٣) في ر، ف «أنا».

(٤) «مضارب... حدّاه» زيادة في ل.

(٥) في ل «أما».

(٦) ساقطة من ر، ف.

٢ ـ وَمَـالِي إذا مَا اشْتَقْتُ أَبْصَرتُ دُونَـهُ   تَنَـائِفَ لا أَشْتَـاقُهـا وسَـبَـاسِبَـا

التَّنَائِفُ: القِفَارُ، والسَّبَاسِبُ: نَحْوَ ذلِكَ[١].

ثُمَّ قالَ: ومالي إذَا ما اشْتَقْتُ إليه، أَلْفَيْتُ دُونَهُ من حُجُبِ المخَافَةِ، وَعَوائِقِ المَهَابَةِ، تَنَائِفَ لا أشتَاقُ مِثْلَها، وسَبَاسِبَ[٢] لا أُريدُ قَطْعَها، وسَمَّى تِلْكَ العَـوَائِقَ تَنَائِفَ وسَبَـاسِبَ، على سَبيـلِ الاسْتِعَارَةِ، وحَـذَفَ إليه من الكَلامِ وهو يَنْوِي ذِكْرَهُ، لما في الكَلاَمِ من قُوَّةِ الدَّلالَةِ عليه[٣].

٣ ـ وَقَـدْ كَـانَ يُـدْني مَجْلِسي مِنْ سَمَـائِـهِ   أُحَـدِّثُ[٤] فِيـهِ بَـدْرَهَـا وَالكَـوَاكِبَـا

ثُمَّ قالَ: وقد كَانَ قَبْلَ مَوْجِدَتِـهِ عَلَيَّ، يُـدْني مَجْلِسي مِنْ حَضْرَتِـهِ، التي هِيَ السَّـمَاءُ في رِفْعَتِها، فَـأُحَدِّثُ منـه البَدْرَ بَهَـاءً وجَلاَلَـةً، وأُحَدِّثُ مِنْ جُلَسَـائِـهِ الكَواكِبَ عُلُوَّاً ورِئَاسَةً. وجَرَى على نحو ما قَدَّمْنَاهُ[٥] من الاسْتِعارَةِ.

٤ ـ حَنَـانَيْـكَ مَسْئُولاً وَلَبَّيْـكَ دَاعِيَـاً   وحَسْبِيَ مَـوْهُوبـاً وحَسْبُك وَاهِبَـا[٦]

---

(١) «التنائف... نحو ذلك» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «سباسبا». وهو لحن.

(٣) في ر، ف «لما في قوة الكلام من الدلالة عليه».

(٤) في رواية الواحدي والتبيان «أحادث».

(٥) في ر، ف «قدمه».

(٦) المنصوبات في هذا البيت إما على الحال أو على التمييز... قال أبو الفتح بن جني: نصب مسؤولاً وداعياً وموهوباً وواهباً على الحال، قال المبارك بن أحمد: والعامل في هذه الأحوال ما في الألفاظ قبلها من معاني الأفعال. قال أبو زكريا التبريزي: قال أبو العلاء: وهذه المنصوبات التي في هذا البيت كقوله مسؤولاً وداعياً، الأحسن أن تكون منصوبة على التمييز، ولا يمتنع نصبها على الحال. قال المبارك بن أحمد: الأولى أن تكون منصوبة على الحال؛ لأنها مشتقة من الأفعال، والتمييز غالباً إنما يكون غير مشتق.
(النظام ج ١ ورقة ١٦٦).

الحَنانُ: الرَّحْمَةُ، وحَنانَيْكَ مَصْدرٌ بِمَعْنَى التَّحَنُّنِ، ثُنِّيَ على سَبِيلِ المُبالَغةِ، كأنَّ المُتكَلِّمَ يقولُ للمُخاطَبِ: تحنُّناً بعد تحنُّنٍ منك، ولبَّيْكَ مصدرٌ ثُنِّي بِمَعْنَى المُبالغةِ أيضاً، وتأويلُهُ: مُداوَمَةٌ على طاعَتِكَ، وهو مأخوذٌ من قولهم: ألَبَّ بالمكانِ: إذا أقامَ به[1].

فيقولُ[2] لِسيْفِ الدَّولَةِ: حَنانَيْكَ مَسْئُولاً صَفْحُكَ، ولَبَّيْكَ مَرْجوّاً عَفْوُكَ[3]، وحَسْبِي مَوْهُوباً ذَلِكَ مِنْك، وَحَسْبُكَ وَاهِباً له، وَمُتَطَوِّلاً به.

٥ - أَهَذا جَزَاءُ الصِّدقِ إنْ كُنْتُ صَادِقاً أَهَذَا جَزَاءُ الكِذْبِ إنْ كُنْتُ كَاذِبا

الكِذبُ: الكَذِبُ[4].

ثُمَّ قالَ لِسَيْفِ الدَّولَةِ: أهذا الإعْرَاضُ مِنْكَ جَزَاءُ الصِّدْقِ إنْ كُنْتُ صَادِقاً فيما أُدْلِي[5] بهِ من المَعْذِرَةِ، أو جَزَاءُ الكِذْبِ مَعَ ما أُظْهِرُهُ من اسْتِدْعَاءِ العَفْوِ والرَّحْمَةِ[6].

٦ - وإنْ كَانَ ذَنْبِي كُلَّ ذَنْبٍ فَإنَّهُ مَحَا الذَّنْبَ كُلَّ المَحْوِ مَنْ جَاءَ تَائِبا[7]

ثُمَّ قالَ: وإنْ كُنْتُ غَيْرَ صَادِقٍ في العُذْرِ، وَمُتَقَلِّداً حقِيْقَةَ[8] الذَّنبِ،

---

(١) «الحنان... به» زيادة في ل.
(٢) في ر، ف «ثم قال».
(٣) في ر، ف «ولبيك مدعوّاً يرجو عفوك».
(٤) «الكِذب: الكَذِبُ» زيادة في ل.
(٥) في ر، ف «أجِلُّ».
(٦) في ر، ف «والمرحمة».
(٧) في رواية المبارك بن أحمد بن المستوفي الأربلي «محا الذَّنْبَ كلَّ الذَّنبِ من جاء تائباً» قال: ويروى «محا الذنب كل الذنب إن جئت تائباً».
(النظام ج ١ ورقة ١٦٦).
(٨) في ل «لحقيقة».



ففي ما التزِمُه من التَّوْبَةِ، وأَسْتَدْعِيه من المَغْفِرَةِ، ما يَمْحُو الذَّنْبَ ويُذْهِبُهُ، ويُنْسِيهِ وَيُسْقِطُهُ، فالذُّنُوبُ مَمْحُوَّةٌ بالتَّوْبَةِ، مَغْفُورَةٌ بالإِنَابَـةِ والرَّجْعَـةِ. وهذا الكلامُ وإنْ كانَ فيه زيادةٌ على لَفْظِهِ، فهو مَفْهُومٌ من حَقيقةِ قَصْدِهِ[1].

(١) «وهذا الكلام... حقيقة قصده» زيادة في ر، ف.

ودَخَلَ على(١) سَيْفِ الدَّولةِ بَعْدَ تِسْعَ عَشْرَةَ ليلةً، فَتلَقَّاهُ الغِلْمَانُ، وأَدْخَلُوه إلى خِزَانَة الكُسْوةِ، فَخُلِعَ عَليه وَطُيِّبَ، ثُمَّ دَخلَ على(٢) سيفِ الدَّولةِ، فَسأَلَهُ عن حَالِهِ وهو مُسْتَحيي، فقالَ لَهُ أبو الطيِّبِ: رأيتُ الموتَ عِنْدَكَ(٣) خيرٌ من الحياةِ بَعْدَكَ(٤)، فقالَ لهُ سيفُ الدَّولةِ: بل يُطِيلُ اللهُ بَقَاءَكَ، ودَعَا له، ثُمَّ رَكِبَ أبو الطَّيِّبِ، فَأَتْبَعَهُ سَيْفُ الدَّولَةِ خِلَعَاً وطِيْبَاً كثيراً وَهَديَّةً، فَقَالَ أبو الطَّيِّبِ يَمْدَحُهُ، وَيَعْتَذِرُ إليه:

وأَنْشَدَها(٥) في شَعْبانَ سَنَةَ إحدى وأَرْبَعينَ وثلاثِمائةٍ.

١ - أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعي سِوَى طَلَلِ ... دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرَّكْبِ والإِبْلِ

الطَّلَلُ: ما أشرفَ من آثارِ الدِّيارِ، والتَّلْبِيَةُ: الإِقامَةُ على الإِجابَةِ(٦).

فيقولُ: إنَّهُ وَقَفَ بِدَارِ مَحْبُوبَتِهِ، فَأَشْجَاهُ ما شَاهَدَهُ(٧) من دُرُوسِ

(١) ساقطة من ر، ف.
(٢) زيادة في ل وفي شرح ابن جنى «إلى» لوحة ٥٢١.
(٣) في ر، ف «عندي».
(٤) في شرح ابن جنى «من أحب إلى».
(٥) الواو زيادة في ر، ف.
(٦) «الطَّللُ... الإجابة» زيادة في ل.
(٧) في ر، ف «ما رآه».



رُسُومِها، وتَغَيُّرِ طُلُولِها، واسْتَثَارَ ذلك[1] حُزْنَهُ، واستَدْعَى بُكَاءَهُ، فأَجَابَ دَمْعُهُ تِلْكَ الدَّعْوَة، وأَسْعَدَ على[2] تِلْكَ النِّيَّةِ، قَبْلَ أن يُجِيْبَ ذلك بَعْضُ الرَّكْبِ بالتَّأَسُّف. وأَشَارَ إلى نَفْسِهِ وبَعْضِ الإبل بالحنينِ، وأَشَارَ إلى نَاقَتِهِ، والشُّعَراءُ يَصِفُون مَطَايَاهُمْ بالحنينِ إلى دِيارِ الأَحِبَّةِ، كما يَصفُونَ بذلكَ أَنْفُسَهُم. وقد كَشَفَ أبو الطَّيِّبِ هذا المَعْنَى حيثُ يقولُ:

اثْـلِثْ[3] فـإنّـا أيُّهـا الـطَّلَلُ نَـبْكِـي وتُـرْزَمُ تَحْتَـنَـا الإبـلُ[4]

٢ ـ ظَلِلْتُ بَـيْنَ أُصَيْحـابي أُكَفْكِفُـهُ وَظَـلَّ يَسْفَـحُ بَـيْنَ العُـذْرِ وَالْعَـذَلِ

ظَلِلتُ أفعَلُ الشَّيْءَ ظُلُولاً: إذا أَخَذْتَ فيـه وأَقْبَلْتَ عليهِ. وكَفْكَفْتُ الدَّمْعَ وغَيْرَهُ: إذا حاوَلتَ إِمْسَاكَ ذلكَ وصَرْفَهُ، وسَفَحَ الدَّمْعُ يَسْفَحُ سَفْحاً وسُفُوحاً: إذا سَالَ[5].

ثُمَّ قالَ: يَصِفُ انسِكابَ دَمْعِهِ، واستِكْفَافَهُ لهُ مُتَسَتِّراً بِوَجْدِه: ظَلَلْتُ أَكُفُّ الدَّمْعَ بَيْنَ أُصَيْحَابي[6]، وَصَغَّرَهُم مُظْهِراً للإعجابِ بهم، والعَرَبُ تَفْعَلُ ذلك، ثمَّ قالَ[7]: وظَلَّ الدَّمْعُ يُسْفَحُ بَيْنَ ما أَبْسُطُه عِنْدَهُم من العُذْرِ، وما يُهْدُونهُ[8] إليَّ من العَذْلِ.

---

(١) في ف «ضاك».

(٢) زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «اثبت».

ومعنى أثلث: كن ثالثاً، من قولهم: ثلثت الرجلين أثلثهما، إذا صرت ثالثهما.

(٤) هذا البيت مطلع قصيدة يمدح فيها أبا شجاع عضد الدولة فنّاخُسْرَو ويذكر هزيمة هسوذان الكردي.

(٥) «ظللت... سال» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «أصحابي».

(٧) «ثم قال» ساقطة من ر، ف.

(٨) في ت «وما يبدونه».



٣ ـ أَشْكُو النَّوَى وَلَهُمْ مِنْ عَبْرَتِي عَجَبٌ   كَذَاكَ كَانَتْ وما أشكو سوى الكِلَلِ

النَّوى: البُعْدُ، والعَبْرَةُ: الدَّمْعُ[١].

فيقولُ: إنَّه يَشْكُو نَوَى محبوبَتِهِ وانـتِزَاحَ دَارِها، ومـا يَبْعَثُ ذَلِكَ من وَجْدِهِ بها، وأصحَابُهُ يَعْجَبُونَ من عَبْرَتِهِ، ومن بُكَائِـهِ وكَثْرَتِـهِ، فاستَغْـرَبَ عَجَبَهُمْ، فقالَ: قد كَانَتْ عَبْرَتي على هذهِ الحالِ، ولَسْتُ أَشكو مَانِعاً دونَ مَنْ أُحِبُّه، إلا الكِلَلَ[٢] التي تَتَضَمَّنُهُ، والسُّتُورَ التي تَحْجُبُهُ، والدَّارُ وَاحِدَةٌ، والمَنازِلُ مُتَجَاوِرَةٌ، فكيفَ ظَنُّكُم بي، وأَنَا أَشْكُو النَّوى التي تَمْنَعُ مِنْهُ، والبُعْدَ الذي يُؤَيِّسُ[٣] عَنْهُ؟

٤ ـ وَمَـا صَبَابَـةُ مُشْتَاقٍ عَـلَى أَمَـلٍ   مِنَ اللِّقَـاءِ كَمُشْتَـاقٍ بـلا أَمَـلِ

ثُمَّ قالَ: وما صَبابَةُ مُشْتَاقٍ على أَمَلٍ[٤] من لِقاءِ[٥] من يُحِبُّهُ، بِقُرْبِ الدَّارِ، وَدُنُوِّ المَحَلِّ، كَصَبابَةِ مُشْتَاقٍ لا أَمَلَ له في ذلك، لِتَباعُدِ مَحْبُوبَتِهِ، ونَأْيِ دَارِهِ[٦]، وانتزاحِ مَحَلِّهِ.

٥ ـ مَتَى تَـزُرْ قَـوْمَ مَنْ تَهْـوَى زِيَـارَتَهـا   لا يُتْحِفُـوكَ بِغَـيْرِ البِيْضِ والأَسَـلِ

البِيْضُ هـاهُنا: السُّيـوفُ، والأَسَلُ: الـرِّماحُ، والإِتْحَـافُ: الإِطـرافُ بالهَدِيَّةِ[٧].

---

(١) النوى... الدمع» زيادة في ل.
(٢) الكِلَلُ: جمع كِلَّة. وهي الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوقى به من البعوض.
(٣) أَيِسْتُ منه آيسُ يأساً، لغة في يئست منه أيأس يأساً ومصدرهما واحد.
(٤) كذا في ر، ف، ت وزاد في ل «له».
(٥) ساقطة من ف.
(٦) في ت «لتباعد محبوبه، وتنائي داره».
(٧) «البيض... بالهدية» زيادة في ل.

ثُمَّ[١] يقولُ: متى تَزُرْ قَومَ مَحْبُوبَتِك التي اسْتِقرارُها فيهم[٢]، لا يُتْحِفُوكَ إلا بالسُّيوفِ والرِّماحِ، مُنْتَهِزينَ لِغِرَّتِكَ، وَطَالِبِينَ لِمُهْجَتِكَ، ومُسْتَرِيْبِيْنَ لِزِيَارَتِكَ. فَدَلَّ على تَعَذُّرِ زِيَارَةِ مَحْبُوبَتِهِ، بِما[٣] هِيَ بِسَبِيْلِهِ من المَنَعَةِ، ومَوْضِعِها من الاعتِزَازِ والرِّفْعَةِ.

٦ - والهَجْرُ أَقْتَلُ لي مِمَّن[٤] أُراقِبُهُ أَنَا الغَريقُ فَما خَوْفي من البَلَلِ

ثُمَّ قالَ: وَهَجْرُ مَنْ أُحِبُّهُ[٥] أَقْتَلُ لي من سِلاحِ مَنْ أُرَاقِبُهُ، وَمَوْقِعُ ما أَحْذَرُهُ من الرَّقيبِ، في جَنْبِ مَا أَشْكُوهُ من هِجْرانِ الحبيبِ، كَموقِعِ البَلَلِ عِنْدَ الغَرِيقِ، الذي هُوَ أَقَلُّ ما يَحْذَرُهُ، وأهونُ ما يَخافُهُ[٦] وَيَتَوَقَّعُهُ.

٧ - ما بَالُ كُلِّ فُؤَادٍ في عَشِيرَتِها بِهِ الَّذي بي وَمَا بي غَيْرُ مُنْتَقِلِ

ثُمَّ[٧] يقولُ: إن مَحْبُوبَتَهُ بَارِعَةُ الحُسْنِ، مَعْشُوقَةُ الدَّلِّ، كُلُّ[٨] قَلْبٍ[٩] في عَشِيْرَتِها به الذي بأبي الطَّيِّبِ من حُبِّها، فما بَالُ ذلك لا يُخَفِّفُ عَنْهُ مِنَ[١٠] الكَلَفِ بها؟ وما بَالُ حُبِّها في قَلْبِهِ ثابتٌ لا يَنْتَقِلُ، ومُقِيمٌ لا يَرْتَحِلُ؟

٨ - مُطَاعَةُ اللَّحْظِ في الأَلحَاظِ مَالِكَةٌ لِمُقْلَتَيْهَا عَظِيمُ المُلْكِ في المُقَلِ

---

(١) زيادة في ر، ف.

(٢) في ر، ف «عندهم».

(٣) في ر، ف «بما».

(٤) في رواية الواحدي والتبيان «مما».

(٥) في ر، ف «أحبُّ».

(٦) في ر، ف «تخافه».

(٧) زيادة في ر.

(٨) كذا في ل، ت وفي ر، ف «وكل».

(٩) كذا في ل، ت وفي ر، ف «فؤاد».

(١٠) زيادة من ر، ف.

ثُمَّ وَصَفَ مَوْضِعَ مَحْبُوبَتِهِ من الحُسْنِ، فَقَالَ: إنَّ أَلحَاظَها مُطَاعَةٌ في الأَلْحَاظِ المَعْشُوقَةِ، وأَنَّها في الحِسَانِ[1] مَالِكَةٌ لا تُمَاثَلُ، ومُقَدَّمَةٌ لا تُشَاكَلُ، وأن لِمُقْلَتَيْهَا في المُقَل عَظِيمَ المُلْكِ، ورَفِيعَ المَنْزِلَةِ والقَدْرِ.

٩ ـ تَشَبَّـهُ الخَفِـرَاتُ الآنِسَـاتُ بِهـا في حُسْنِهـا فَيَنَلْنَ الحُسْنَ بِـالحِيَـلِ

الخَفِراتُ: الحَيِيَّاتُ، والواحِدةُ خَفِرةٌ، والآنِساتُ: الحِسَانُ الحديثِ، الواحِدَةُ آنِسَةٌ[2].

ثُمَّ قالَ: إنَّ الخَفِراتِ الآنِسَاتِ يَتَشَبَّهنَ[3] بها في مَشْيِهـا، ويَرُمْنَ[4] حِكَايَتَها في دَلِّها، فَيُكْسِبُهُنَّ ذلك نَيْلَ الحُسْنِ بالتَّحَيُّـلِ[5]، والوصـولَ إليه بالتَّعَمُّلِ.

١٠ ـ قَـدْ ذُقْتُ شِـدَّةَ أَيَّـامي وَلَـذَّتَهـا فَـمَا حَصَلْتُ عَلَى صَـابٍ وَلاَ عَسَـلِ

الصَّابُ: شَجَرٌ مُرٌّ[6]

فيقولُ: قد ذُقْتُ شِدَّةَ أَيَّامي وَصُعوبَتَها، ولَذَّتَها[7] ورَفَاهِيَّتَها، فَـما[8] حَصَلْتُ على صَابٍ من مُرِّها، ولا عَسَـلٍ من حُلْوِها؛ لأَنَّ لَـذَّاتِ الأَيَّامِ ومَكَارِهَهَا مُنْتَقِلَةٌ فَـانِيَةٌ، ومُسْتَحِيلَةٌ زَائِلَةٌ، تَتَعَـاقَبُ ولا تَدُومُ، وتَنْتَقِـلُ ولا

(١) كذا في ل، ت وفي ر، ف «الحسن».
(٢) «الخفرات... آنسة» زيادة في ل.
(٣) في ر «يشتبهن» وفي ف «يشبهن».
(٤) في ت «ويرين».
(٥) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «بالتخيّل».
(٦) «الصاب: شجر مُرّ» زيادة في ل.
(٧) في ر، ف «ولذتها وصعوبتها».
(٨) ساقطة من ف.



تُقِيمُ، وما كَانَ كَذَلِك، فَلَيْسَ يُقْطَعُ على اسْتِكْـرَاهِ مُرِّهِ، ولا يُحْتَمُ[1] عـلى اسْتِعْذَابِ حُلْوِهِ.

١١ ـ وَقَـدْ أَرَاني الشَّبَابُ الـرُّوحَ في بَدَني   وَقَـدْ أَرَاني المَشِيبُ الـرُّوحَ في بَـدَلي

ثُمَّ قـالَ: وقد صَحِبْتُ الشَّبَـابَ مَسْرُوراً به، وَأَرَاني الـرُّوحَ في بدَني مُرْتَاحاً له، ثُمَّ صَحِبْتُ المَشِيبَ مُسْتَكْرِهاً لِصُحْبَتِهِ، وأَرَاني الرُّوحَ في بَدَلي[2]، بِتَغَيُّرِ أَحْوالي في مُدَّتِهِ، فأَشَارَ إلى أن حَقِيقةَ أُمورِ الإنْسَانِ أَيَّامَ شَبِيْبَتِهِ وَقُوَّتِهِ، ثُمَّ يَتَبَدَّلُ بالانتِقَالِ إلى مَشِيْبِهِ وكَبْرَتِهِ.

١٢ ـ وقـد طَـرَقْتُ فَتَـاةَ الحَيِّ مُـرْتَـدِيـاً   بِصَاحِبٍ غَـيْرِ عِـزْهَـاة ولا غَـزِلِ

العِـزْهَاةُ: الـذي لا يَطْرَبُ للسَّمَـاعِ، والغَـزِلُ: الـذي يُحِبُّ اللَّهْـوَ والغَزَلَ[3].

فيقولُ[4]: وقد طَرَقْتُ فَتَاةَ الحَيِّ مُرْتَدِيَاً بالسَّيفِ، وأَشَارَ إليه بما وَصَفَهُ، فقالَ: إنَّهُ صَاحبٌ غَيْرُ عِزْهَاةٍ[5]، لا يَطْرَبُ للسَّمَاعِ، ولا غَـزِلٌ يَحِنُّ إلى اللَّهوِ[6].

١٣ ـ فَبَـاتَ بَيْـنَ تَـراقِينـا نُـدَفِّعُـهُ[7]   وَلَيْسَ يَعْلَمُ بالشَّكْوَى وَلاَ القُبَلِ

التَّرْقُوَةُ: العَظْمُ الذي بَيْنَ المَنْكِبِ وبين ثُغْرَةِ النَّحْرِ، وجَمْعُهُ تَرَاقٍ[8].

(١) «يحتم» ساقطة من ر، ف.
(٢) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «بدني».
(٣) «العزهاة... والغزل» زيادة في ل.
(٤) في ر، ف «ثم يقول».
(٥) في ف «هزهاة».
(٦) في ر، ف «ولا غزل لا يحن إلى الغزل».
(٧) في رواية الواحدي «ندافعه».
(٨) «الترقوة... تراق» زيادة في ل.

ثُمَّ قالَ: «فَبَاتَ بَيْنَ تَرَاقِيْنَا»، يُشيرُ إلى مَا كانَ عَلَيْه من الحَذَرِ والرِّقْبَةِ، والتَّوقُّعِ والمَخَافَةِ، وأنه لم يَخْلَعِ السَّيْفَ عن نَفْسِهِ حينَ مُعَانَقَتِـهِ لِمَحْبُوبَتِـهِ، وأَنَّهما كانا يَدْفَعَانِهِ، وهو لا يَعْلَمُ بالشَّكوى[1] المُتَواصِفَةِ بَيْنَهُما، وما كـان يَتَّصِلُ بِذلكَ من الغَزَلِ والتَّجْمِيشِ[2] والقُبَلِ.

١٤ ـ ثُمَّ اغْتَـدَى وَبِهِ مِنْ رَدْعِهـا أَثَـرٌ   عَـلى ذُؤَابَـتِـهِ والجَـفْـنِ وَالخِـلَلِ

الرَّدْعُ: أَثرُ الخَلُوقِ[3]، وذُؤَابَةُ السَّيْفِ: رَأْسُ قائِمِهِ، وذُؤَابَةُ كلِّ شيءٍ أعلاهُ، وجَفْنُ السَّيفِ: غِمْدُهُ، والخِلَلُ: جُلودٌ مَنْقوشَةٌ على أغمادِ السُّيوفِ، واحِدُها خِلَّةٌ[4].

ثُمَّ اغتَدَى، يُريدُ: السَّيْفَ، وبه آثارٌ من طِيْبِها ظَاهِرَةٌ عـلى ذُؤَابَتِهِ، وعلى جَفْنِهِ وخِلَلِهِ، وهَذِهِ المواضِعُ منهُ هِيَ التي وَلِيَتْهـا مَحْبُوبَتُهُ في حِيْنِ[5] دَفْعِهَا له، وإزَاحَتِها إيَّاهُ.

١٥ ـ لا أَكْسِبُ الـذِّكْـرَ إلاَّ مِنْ مَضَـارِبِـهِ   أو مِنْ سِنَـانِ أَصَمِّ الكَعْبِ مُعْتَـدِلِ

كُعوبُ الرُّمحِ: العُقَدُ النَّاشِزَةُ بَيْنَ أنابِيْبِه، والرُّمحُ الأَصَمُّ الكَعْبِ: هو الذي تَصْلُبُ تلكَ الكعوبُ منه وتَكْتَنِزُ، وتَتَداخَلُ ولا تَنْتَشِرُ، وبذلك يَعْتَدِلُ خَلْقُهُ، ويَشْتَدُّ أَسْرُهُ[6].

---

(١) في ر، ف «الشكوى».

(٢) التجميش: الملاعبة والمغازلة.

(٣) الخَلُوق: ضرب من الطيب.

(٤) «الرَّدع... خِلَّة» زيادة في ل.

(٥) «حين» زيادة في ر، ف

(٦) «كعوب الرمح... أسره» زيادة في ل.

فيقولُ[1]: لا أكْسِبُ جَمِيلَ الذِّكْرِ[2] إلاَّ من مَضَارِبِ هذا[3] السَّيفِ الذي وَصَفَهُ، أو مِنْ[4] سِنَانِ رُمْحٍ أصمَّ الكَعْبِ، مُعْتَدِلِ المَتْنِ؛ يُرِيدُ: أَنَّهُ لا يَكْتَسِبُ الحَمْدَ[5] إلاَّ بِجُرْأَةِ نَفْسِهِ، وشِدَّةِ بَطْشِهِ، وَمَشْهُورِ بِأْسِهِ.

١٦ ـ جَـادَ الأَمِـيرُ بِـهِ لي في مَـوَاهِبِـهِ   فَـزَانَها وَكَسَاني الـدِّرْعَ في الحُلَلِ

ثُمَّ خَرَجَ إلى مَدْحِ سَيْفِ الدَّولَةِ، وذِكْرِ الهِبَةِ التي وَهَبَ لهُ، فقالَ: جَادَ الأَميرُ لي بالسَّيْفِ في مَوَاهِبِهِ[6] فَزَانَها بِمَوْضِعِهِ، وكَسَاني الدِّرعَ في حُلَلِهِ، وخَصَّني بها في خِلَعِهِ[7] فحسَّنَها بِشَرَفِهِ[8]، فأَشَارَ إلى أنَّ ذلك لِعِلْمِهِ بحالِ أبي الطَّيِّبِ في الشَّجَاعةِ، ومَنْزِلَتِهِ[9] في الإِقدامِ والصَّرَامَةِ.

١٧ ـ وَمِنْ عَـلِيِّ بنِ عَـبْـدِ اللهِ مَعْـرِفَـتي   بِـحَمْـلِهِ مَنْ كَـعَبْـدِ اللهِ أو كَـعَـلي

ثُمَّ[10] يقولُ: ومِنْ عَلِيِّ بنِ عَبْدِ اللهِ؛ يريدُ: سَيْفَ الدَّولةِ[11]، مَعْرِفَتي بِحَمْلِ الرُّمحِ والطَّعْنِ به، لأني لَمَّا صَحِبْتُهُ[12]، احتَذَيْتُ حَذْوَهُ في الحَرْبِ،

---

(١) في ر، ف «ثم يقول».

(٢) كذا في ل، ت وفي ر، ف «الذكر الجميل».

(٣) زيادة في ر، ف.

(٤) في ف «ومن».

(٥) في ت «المجد».

(٦) في ر، ف «جاد الأمير بالسيف لي مواهبه».

(٧) في ل «وكساني الدرع في خلعه».

(٨) «فحسَّنَها بشرفه» زيادة في ل.

(٩) في ل «وإنما ذلك لعلمه بحالي في الشجاعة، ومنزلتي».

(١٠) زيادة في ر، ف.

(١١) «يريد سيف الدولة» زيادة في ر، ف.

(١٢) ساقطة من ف.

وامتَثَلْتُ أفْعَالَهُ في الطَّعنِ والضَّربِ، ومَنْ كعبدِ اللهِ أو كَعَليٍّ ابنِـهِ في شِدَّةِ بَأسِهما، وشُهْرَةِ مَجْدِهِمَا؟

١٨ ـ مُعْطِي الكَواعِبِ والجُرْدِ السَّلاَهِبِ وَالْـ ـبِيضِ القَوَاضِبِ والْعَسَّالةِ الذُّبُلِ

الكواعِبُ مِنَ النِّساءِ: اللواتي نَبَتَتْ ثُدِيُّهُنَّ، والجُرْدُ من الخيلِ: التي يَقْصُرُ شَعْرُ جلودِها، وذلكَ من شَوَاهدِ كَرَمِهـا، والسَّلاهِبُ منهـا الطِّوالُ، والقواضِبُ من السُّيوفِ: القواطِعُ الماضِيَةُ، والعَسَّالَةُ من الرِّماحِ، المُنْعَطِفَةُ عِنْدَ هَزِّها، والذُّبُلُ: اليابِسَةُ منها[١].

ثُمَّ قالَ، يريدُ: سَيْفَ الدَّولةِ، مُعْطِي الكواعبِ المُصِبْيَاتِ بِحُسْنِهِنَّ، والجُـردِ المُعْجَبَاتِ بِعِتْقِهِنَّ، وقواضِبِ السُّيوفِ، وطِـوَالِ الـرِّمـاحِ، وأشـارَ بِوَصْفِهِ، بالإكثار من هِبَةِ هذه الأَصْنَافِ، إلى أنه يَسْتَصْحِبُ كُماةَ الفُرْسَانِ، وأعـلامَ الشُّجْعَـانِ فَيَعْتَمِـدُهم في هِبَـاتِـهِ بمـا يُـوافِقُهم[٢]، ويَقْصِـدُهُمْ بمـا شاكَلَهُم[٣].

١٩ ـ ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجْهُ الأَرْضِ عَنْ مَلِكٍ[٤] مِلءِ الزَّمانِ وملءِ السَّهْلِ والجَبَلِ

ثُمَّ[٥] يقولُ: إنَّ[٦] سيفَ الدَّولةِ لِغَرَابَةِ أفْعَالِهِ، وانفِرَادِهِ بالفَضْلِ في

(١) «الكواعب... اليابسة منها» زيادة في ل.
(٢) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «ويعتهدهم بما يوافقهم».
(٣) في ر، ف «ويقصدهم في هباته بما يشاكلهم» وفي ت «يعضدهم».
(٤) في ر، ف «ملل».
(٥) زيادة في ر، ف.
(٦) ساقطة من ل.



جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، وما يُتَابِعُه من كَثْرَةِ وقَائِعِهِ، ويُخَلِّدُهُ من جَليلِ مَكَارِمِهِ، وظَفَرِه في جَمِيْعِ مَقَاصِدِهِ؛ يُحَمِّل الزَّمَانَ من ذلكَ ما لا يَضْبِطُهُ[١]، وَيكَلِّفُهُ ما لا يَعْهَدُهُ، فَيَضِيْقُ عن فَخَامَةِ قَدْرِهِ، ويُقَصِّرُ عن جَلاَلَةِ مَجْدِه[٢]، وكذلك تَضِيقُ الأَرضُ عمَّا[٣] يُحَمِّلُها من جُيُوشِهِ، ويُسَيِّرُ فيها من جُمُوعِهِ، فَقَد مَلأَ الزَّمَانَ بِمَكَارِمِهِ ومَجْدِهِ، ومَلأَ السَّهْلَ والجَبَلَ[٤] بِكَتَائِبِهِ وجَمْعِهِ.

٢٠ ـ فَنَحْنُ في جَـذَلٍ والـرُّومُ في وَجَـلٍ   والـبَرُّ في شُغُـلٍ وَالْبَحْـرُ في خَجَـلِ

ثُمَّ قالَ: فَنَحْنُ مِنَ الاعتزازِ[٥] بِهِ في جَذَلٍ دَائمٍ، والرُّومُ من التوقُّعِ لَهُ في وَجَلٍ لأزِمٍ، والـبَرُّ في شُغُلٍ لتَضَـايُقِهِ بِجَيْشِـهِ، والبَحْرُ في خَجَـلٍ لِتَقْصِيرِهِ عَنْ جُودِهِ.

٢١ ـ مِنْ تَغْلِبَ الغَـالِبِينَ النَّـاسَ مَنْصِبُهُ   وَمِنْ عَـديٍّ أَعَـادي الجُبْنِ والبَخَـلِ

المَنْصِبُ: الأَصْلُ[٦].

ثُمَّ يقولُ: إنَّ[٧] سيفَ الدَّولَةِ أَصْلُهُ مِنْ تَغْلبَ، هذه القَبِيْلَةِ التي غَلَبَتِ النَّاسَ بِعِزِّها، وانقادوا في الجاهِلِيَّةِ والإِسلامِ[٨] لأَمْرِهـا، مَعَ[٩] أَنَّـهُ منها،

(١) في ت «ما لا يطيقه».
(٢) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «الإحاطة بمجده».
(٣) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «بما».
(٤) كذا في ر، ف، ت وفي ل «الجبال».
(٥) في ف «الاغتراب».
(٦) «المنصب: الأصل» زيادة في ل.
(٧) ساقطة من ف.
(٨) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «جاهليتهم وإسلامهم».
(٩) ساقطة من ر، ف.

[هو][1] من بني عَدِيٍّ أطوادِ فَخْرِها، ومَعَادِنِ مَجْدِها؛ أعادِي الجُبْنِ والبُخْلِ، والمَشْهُورِينَ بالبأسِ والفَضْلِ، وجَانَسَ بَيْنَ تَغْلِبَ والغَالِبِينَ، وبَيْنَ عَدِيٍّ وأَعَادِي الجبنِ، والمُجَانَسَةُ اتفاقُ اللَّفظِ مَعَ اختلافِ المعنى[2]، وذلكَ مِنْ أبوابِ البَديعِ، وقد بَيَّنَاهُ فيما تَقَدَّمَ[3].

٢٢ ـ والمَدْحُ لابنِ أبي الهَيْجَاءِ تُنْجِدُهُ   بالجَاهِلِيَّةِ عَيْنُ العِيِّ والخَطَلِ

الخَطَلُ: عَجَلَةٌ تَبعثُ على الخَطأِ، والإنجادُ: التَّأييدُ والعَوْنُ[4].

ثُمَّ قالَ، يريدُ: سيفَ الدَّولَةِ، ويخاطبُ نَفْسَهُ: والمدحُ لابنِ أبي الهَيجَاءِ تُنْجِدُهُ بِأَخْبارِ الجَاهِلِيَّةِ، وما سَلَفَ لَه[5] من كَرمِ الأَوَّلِيَّةِ؛ عِيٌّ[6] بَيِّنٌ، وخَطَلٌ ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّهُ غَنِيٌّ عنِ التَّشَرُّفِ بِغَيْرِهِ، ومُحْرِزٌ[7] لِغايةِ ما يَبْلُغُهُ المَدْحُ بنَفْسِهِ، والكُرَمَاءُ بِجُمْلَتِهِم يُقَصِّرونَ عن أَقَلِّ مَكَارِمِهِ، ولا يَبْلُغُونَ أَيْسَرَ فَضَائِلِهِ[8].

٢٣ ـ لَيْتَ المَدَائِحَ تَسْتَوْفي مَنَاقِبَهُ   فَما كُلَيْبٌ وَأَهْلُ الأَعْصُرِ الأُوَلِ؟

كُلَيْبُ بنُ رَبِيْعَةَ: هو رئيسُ بني تَغْلِبَ وسَيِّدُهُمْ في الجاهِلِيَّةِ، وضَرَبَتِ العَرَبُ المَثَلَ بِعِزِّهِ، فَكانوا يقولونَ: أعزُّ مِنْ كُلَيْبِ بنِ[9] وائلٍ[10].

(١) زيادة في ت ويقتضيها السياق.
(٢) «والمجانسة... المعنى» زيادة في ر، ف.
(٣) في ل «وقد تقدم تفسير المجانسة وأنها من البديع».
(٤) «الخطل... والعون» زيادة في ل.
(٥) كذا في ل، ت وفي ر، ف «وما أسفله».
(٦) في ت «غي».
(٧) في ر، ف «ومحذر».
(٨) في هذا البيت والذي يليه تعريض بأبي العباس النامي؛ لأنه مدح سيف الدولة بقصيدة ذكر فيها آباءه الذين كانوا في الجاهلية.
(٩) ساقطة من ل.
(١٠) «كليب بن ربيعة... وائل» زيادة في ل.

فَيقولُ: ليتَ المدائحَ تَسْتَوْفي مَنَاقِبَ سيفِ الدَّولةِ، وتَأْتي على ذِكْر مَكَارِمِهِ، فما كُلَيْبٌ وسائرُ الملوكِ الأَوَّلينَ عِنْدَ ما خَلَّدَهُ من الفَخْرِ، وأَبْقَاهُ مِنَ المَكَارمِ على وجهِ[1] الدَّهرِ؟

٢٤ ـ خُذْ مَا تَراهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ   في طَلْعَةِ الشَّمْسِ ما يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

ثُمَّ قالَ، يُخَاطِبُ نَفْسَهُ: خُذْ ما تَرَاهُ من فَضْلِهِ، وَصِفْ ما تُشَاهِدُهُ[2] من مَجْدِهِ، وَدَع شَيْئاً سَمِعْتَ به ولم تَشْهَدْهُ[3]، وأُخْبِرْتَ بِهِ[4] عَنْهُ ولم تُبْصِرْهُ، فَفَضْلُ سيفِ الدَّولةِ على المُلوكِ كَفَضْلِ الشَّمْسِ على سَائِرِ النُّجومِ، وفيه ما يُغْني عَنْهُم، وهو أَكْرَمُ بَدَلٍ مِنْهُم، كما أن الشَّمْسَ تُغْني عَنْ زُحَلٍ، وفيها منهُ أكرَمُ بَدَلٍ.

٢٥ ـ وَقَدْ وَجَدْتَ مَكَانَ القَوْلِ ذَا سَعَةٍ   فإِنْ وَجَدتَ لِسَاناً قائلاً فَقُلِ

ثُمَّ قالَ: وقد وجدتَ في سيفِ الدَّولةِ وما يُبْدِيهِ مِنْ مَجْدِهِ، ويُتَابِعُهُ من فَضْلِهِ، مكاناً للقولِ، ومجالاً واسِعاً لِلوَصْفِ، فإن كُنْتَ ذا لِسَانٍ قائلٍ، فَحَسْبُكَ وَصْفُ فضائِلِهِ، وذِكْرُ ما يُخَلِّدُهُ[5] من مَكَارِمِه.

٢٦ ـ إنَّ الهُمَامَ الذي فَخْرُ الأَنَامِ بِهِ   خَيْرُ[6] السُّيوفِ بِكَفَّيْ خَيْرَةِ الدُّولِ

---

(١) «وجه» ساقطة من ر، ف.

(٢) كذا في ر، ف ت، وفي ل «شاهدت».

(٣) في ر، ف «تشاهده».

(٤) «به» زيادة في ر، ف.

(٥) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «يخلد».

(٦) في ر، ت «فخر».



خَيرةُ: تأْنِيثُ خيْرٍ، قَالَ اللّهُ عَزَّ وَجلَّ ﴿فِيهِنَّ خيْراتٌ حِسانٌ﴾[1]، الواحِدُ خَيْرَةٌ[2].

فيقولُ مُشِيراً إلى سَيْفِ الدَّولةِ: إنَّ الهُمَامَ الذي يَفْخَرُ بهِ الفَاخِرونَ، ويَلْهَجُ بذكرِهِ الذَّاكرونَ، خَيْرُ السُّيوفِ المَسْلُولَةِ[3] بِكَفِّي خَيْرَةِ[4] الدُّولِ المَعْلُومَةِ[5].

٢٧ ـ تُمْسِي الأَمَانِيُّ صَرْعَى دُونَ مَبْلَغِهِ   فَمَا يَقُولُ لِشَيْءٍ لَيْتَ ذَلِكَ لِي

ثُمَّ قالَ: تَقْصُرُ الأَمَانِيُّ عن بُلوغِ قَدْرِهِ، وَتَصْغُرُ عِنْدَ جلاَلَةِ أَمْرِهِ، وتُصْبِحُ صَرْعَى دونَ إدراكِ[6] مَجْدِهِ، فما يَتَمَنَّى في الرِّفْعَةِ أَكْثَرَ مما يَبْلُغُهُ[7]، ولا يحاوِلُ في الفَضْلِ ما يَزِيدُ على ما يَفْعَلُهُ[8]. وهذهِ العِبَارَةُ وإنْ لم يَأْتِ عليها لَفْظُهُ، فهي مَفْهُومَةٌ منه، وغَيْرُ خَارجَةٍ عَنْهُ.

٢٨ ـ انْظُرْ إِذَا اجْتَمَعَ السَّيْفَانِ فِي رَهَجٍ   إلى اختِلافِهِما في الفَضْلِ والْعَمَلِ

يقولُ: انظُرْ إذا اجتَمَعَ سَيْفُ الدولةِ والسَّيفُ المعهُودُ في رَهَجِ حَرْبٍ، ومُسَاجَلَةِ جِلاَدٍ وضَرْبٍ، إلى تَقْصِيرِ السَّيْفِ عن فِعْلِهِ، وَتَأَخُّرِهِ عَمَّا يَسْتَبِينُ مِنْ فَضْلِهِ، ومُخَالَفَتِهِ لَهُ في خَلْقِهِ وعَمَلِهِ، وزِيَادَتِهِ عَلَيْهِ في غَنَائِهِ وأَثَرِهِ.

---

(١) سورة الرحمن آية ٧٠.

(٢) خيرة... خيرة، زيادة في ل.

(٣) كذا في ل، ت وفي ر، ف «المشهورة».

(٤) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «خير».

(٥) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «المكرّمة».

(٦) في ر، ف «مبلغ».

(٧) في ر، ف، ت «بلغه».

(٨) في ر، ف «فعله».

٢٩ ـ هَـذَا المُعَـدُّ لِـرَيْبِ الـدَّهْـرِ مُنْصَلِتـاً   أَعَـدَّ هَذَا لـرأسِ الفَارِسِ البَـطَلِ

ثُمَّ قالَ، مُشِيْراً إلى سَيْفِ الدَّولَةِ: هذا المُعَدُّ لِرَيْبِ الدَّهْرِ مُنْصَلِتاً عَلَى خُطُوبِهِ، مُتَجَرِّداً لِكَفِّ صُرُوفِهِ، أَعَدَّ ذلكَ، يريدُ: السَّيفَ المَعْهُودَ[1]، لِرَأْسِ الفَارِسِ البَطَلِ، يَضْرِبُ بِهِ ويُصَرِّفُه، ويُمْضِيهِ ويَسْتَعْمِلُهُ، وَيَتَّخِذُهُ[2] آلـةً يُدَبِّرُها، وَيَبْطِشُ عَلَى حَسَبِ إرادَتِهِ بها، فَأَبانَ أَنَّ السَّيْفَ وإن وَافَقَهُ في الاسمِ، فهو مُقَصِّرٌ عَنْهُ في حَقِيْقَةِ الحُكْمِ.

٣٠ ـ فـالعُرْبُ مِنْـهُ مَعَ الكُـدْريِّ طَـائِـرَةٌ   والـرُّومُ طَـائِـرَةٌ مِنْـهُ مَـعَ الحَجَـلِ

الكُدْريُّ: ضَرْبٌ من القَطَا[3].

فَيَقولُ[4]: إن عُصَاةَ الأَعْرَابِ لِفَرَقِهِمْ من سَيْفِ الدَّولةِ، يَعْتَصِمُونَ مِنْهُ بِمَا غَمَضَ من الرِّمَالِ، وَبَعُدَ من المَهَامِهِ[5] والقِفَارِ، وهناك تَسْتَقِرُّ القَطَا وتَأْمَنُ، وتُفَرِّخُ وتَسْكُنُ، وكَذَلِكَ الرُّومُ تَعْتَصِمُ مِنْهُ بالأَوْعَارِ وقُنَنِ الجِبَالِ، وتلكَ مَوَاضِعُ الحَجَلِ وَمَسَاكِنُها. وَأَشَارَ بِجَمْعِهِ بَيْنَ العَرَبِ والكُدْرِيِّ، وبَيْنَ الرُّومِ والحَجَلِ[6]، إلى مُسْتَقَرِّ الطَّائِفَتَيْنِ، وما إليهِ غَايَةُ فِرارِ[7] الصِّنْفَيْنِ، وَدَلَّ على أَنَّ سَيْفَ الدَّولةِ لا تَتَعَرَّضُ الأَعْدَاءُ لِحَرْبِهِ، ولا يُقَاوِمُونَ شِدَّةَ بَأْسِهِ، وإنَّما يَفْزَعُونَ إلى الاعْتِصَامِ مِنْهُ بالفَلَواتِ النَّائِيَةِ، ورُؤوسِ الجِبَالِ الشَّامِخَةِ.

---

(١) في ت «المغمود».

(٢) في ر، ف «ويتخذها».

(٣) «الكدري... القطا» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «ثم يقول».

(٥) المَهْمَهُ والمَهْمَهَةُ: المفازة أو الصحراء البعيدة والبلد القفر.

(٦) الحَجَلُ: الذكر من القَبَجِ، الواحدة حُجْلةٌ وحِجْلى، وهو من طير الجبل.

(٧) في ر، ف «قرار».

٣١ ـ وما الفِرارُ إلى الأجبالِ مِنْ أَسَدٍ   تَمْشِي النَّعامُ بِهِ في مَعْقِلِ الوَعِلِ

الوُعُولُ: شِيَاهُ الجِبالِ، واحِدُها وَعِلٌ، ومَعْقِلُها: ما ارتفعَ من الأَوْعارِ[١].

ثُمَّ قالَ، مُشِيْرَاً إلى الرُّومِ: وكَيْفَ يُنْجِي الفِرارُ إلى الأَجْبالِ من أَسَدٍ، شَديدٍ بَأْسُهُ، ومَلِكٍ نافِذٍ أَمْرُهُ، تُسَهِّل سَعَادَتُهُ للنَّعامِ التَّوقُّلَ[٢] في مَعَاقِلِ الأَوْعَالِ، حَتَّى كأَنَّها رِمالٌ مَبْسُوطَةٌ، وسُهولٌ مَوْصُولَةٌ. فَدَلَّ على أن سيفَ الدولةِ في قُوَّةِ[٣] سَعْدِهِ، وتَمَكُّنِ أَمْرِهِ، لا يَفُوتُهُ مَنْ طَلَبَهُ، ولا يَمْتَنِعُ[٤] عليهِ مَنْ قَصَدَهُ.

٣٢ ـ جازَ الدُّرُوبَ إلى ما خَلْفَ خَرْشَنَةٍ   وَزَالَ عَنْهَا وَذَاكَ الرَّوْعُ لم يَزُلِ

الدُّرُوبُ: المَسَالِكُ التي تكونُ في الجِبالِ الحاجِزَةِ بَيْنَ بلادِ المُسْلِمينَ وبلادِ الرُّومِ، وخَرْشَنَةُ: مَدينةٌ من مَدائِنِ الرُّومِ[٥].

فيقولُ[٦] في سَيْفِ الدَّولةِ: إنَّه اقتحَمَ بلادَ الرُّومِ، وجَازَ إليها الدُّروبَ، وحَصَرَ خَرْشنَةَ، ورَحَلَ عَنْهَا مُتَوَغِّلاً[٧] في بِلَادِ الرُّومِ[٨]، فَزَالَ عنها والفَزَعُ مُقِيمٌ بها، وفَارَقَها والتَّوَقُّعُ مُلازمٌ لها؛ لأَنَّ أَهْلَها كانوا يَحْذَرون سَطْوَتَهُ، ولا يَأْمَنُونَ كَرَّتَهُ.

---

(١) «الوعول... الأوعار» زيادة في ل.

(٢) التَّوَقُّلُ: الصعودُ. وَقَلَ في الجبل يَقِلُ: صعد.

(٣) كذا في ل، ت وفي ر، ف «بقوة».

(٤) في ت «يمنع».

(٥) «الدروب... الروم» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «ثم يقول».

(٧) في ر، ف «توغلاً».

(٨) زاد في ر، ف «وجاز إليها الدروب».

٣٣ ـ فَكُلَّمَا حَلَمَتْ عَذْرَاءُ عِنْدَهُمُ فَإِنَّمَا حَلَمَتْ بالسَّبْي والجَمَلِ

ثُمَّ قَالَ[١]: فَكُلَّمَا حَلَمَتْ عَذْرَاءُ مِنْ خَرائِدِهم[٢]، ومَحْجُوبَةٌ من كَرائِمِهم، فَإِنَّما تَحْلُمُ بالسَّبْي الذي تَحْذَرُ[٣] وُقُوعَهُ، وبالجَمَلِ الذي تَتَوَقَّعُ رُكوبَهُ، والجِمَالُ إنما يَحْمِلُ عليها العَرَبُ، ولا تَعْرِفُها الرُّومُ. فأَشَارَ إلى أنَّ كَثْرَةَ ما اجْتَلَبَهُ[٤] سَيْفُ الدَّولةِ على الجِمالِ من سَبْيِهم، ذَعَرَ مُحَجَّبَاتِ[٥] نِسَائِهم، فاشتَغَلَتْ بِذَلكَ أَنْفُسُهُنَّ[٦]، وَمَثَّلَتْهُ لَهُنَّ أَحْلاَمُهنَّ.

٣٤ ـ إنْ كُنْتَ تَرْضَى بأَنْ يُعْطُوا الجِزَى بَذَلُوا مِنْها رِضَاكَ وَمَنْ لِلْعُوْرِ بالحَوَلِ

ثُمَّ قالَ، مُخاطِباً لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ: إنْ كنتَ تَرْضَى من الرُّومِ بِجِزْيَتِهم، وَتَتَقَبَّلُ ما يَبْذُلُونَهُ لَكَ من طَاعَتِهم، بَادَروا في[٧] ذلكَ إلى أَمْرِكَ، واحْتَملوا على رَأْيِكَ، وأَنَّى لهم بهذه الحِظَةِ[٨]، والبلوغُ إلى تلك الرُّتْبَةِ[٩]، مَعَ ما أَحَاطَ بهم من القَتْلِ، واتَّصَلَ فيهم من السَّبْي؟ والجِزْيَةُ عند ذلك، كالحَوَلِ عند العَوْرِ، والآفَةِ المُحْتَمَلَةِ عند ذَهَابِ البَصَرِ.

---

(١) في ر، ف «ثم يقول».

(٢) في ف «برائدهم».

(٣) في ر، ف «يحذر».

(٤) كذا في ل، ت وفي ر، ف «حمله».

(٥) كذا في ل، ت وفي ر، ف «محجلات» وفي ت «ذعرت».

(٦) في ر، ف «أنفسهم».

(٧) كذا في ل، ت وفي ر، ف «من».

(٨) في ل «الحِطَّة» وفي ت «الحظوة».

والحِظَةُ كعِدَة، المكانة والحظ من الرزق.

(٩) «والبلوغ إلى تلك الرتبة» ساقطة من ر، ف.

٣٥ - نَادَيْتُ مَجْدَكَ في شعْـري وَقَدْ صَـدَرا يـا غَـيْرَ مُنْتَحَـلٍ في غَـيْرِ مُنْتَحَـلِ

الانْتِحالُ: الادِّعاءُ، والْمُنْتَحَلُ مِنَ الشِّعرِ والَمجْدِ: ما ادُّعِيَ فيه على غيرِ حَقِيْقَتِهِ[1].

فيقـولُ[2] لسيفِ الدَّولـةِ: نَادَيْتُ مـا خَلَّدْتُهُ من مَجْـدِكَ، وقَيَّـدْتُ[3] ذِكْرَهُ من[4] مَدْحِكَ، وَقَدْ تَيَقَّنتُ أَنَّهُما يَسِيرانِ مَسِيْرَ الشَّمْسِ، وَيَبْقَيَانِ بَقَاءَ الدَّهرِ، يا خالِصاً غَيْرَ مُنْتَحَلٍ، في صَادقٍ غَيْرِ مُنْتَحَلٍ.

٣٦ - بـالشَّـرقِ والغَـرْبِ أَقْـوَامٌ نُحِبُّهمُ فَـطَالِعَـاهُمْ وَكُـونَـا أَبْلَغَ الـرُّسُـلِ

ثُمَّ قالَ[5]: بالشَّرقِ والغربِ من أَحِبَّتِنا وخُلَصَائنا[6] وأَعَزَّتِنا، مَنْ نُسَرُّ بِمُشَارَكَتِهِ في حَالِنا، ومُطَالَعَتِهِ بِجُمْلَةِ أَمْرِنا، فَطَالِعَاهُمْ، وكُونا في ذَلِكَ أكرَمَ الْمُرْسَلِينَ، وأَعْدَلَ الشَّاهِدِينَ.

٣٧ - وَعَـرِّفَـاهُـم بـأَنِّي في مَكَـارِمِـهِ أُقَلِّبُ الـطَّرفَ بَيْنَ الخَيـلِ والخَـوَلِ

الخَوَلُ: العَبِيْدُ والحَاشِيَةُ[7].

ثُمَّ قالَ: وعَرِّفَاهُم بأَنِّي مَغْمُورٌ في مَكَارِمِ سَيْفِ الدَّولةِ، مُتَصَرِّفٌ في فَوَاضِلِهِ، أُقَلِّبُ الطَّرْفَ بين الخَيْلِ الرائِعَةِ، والحَاشِيةِ الحَافِلَةِ.

---

(١) «الانتحال... غير حقيقته» زيادة في ل.
(٢) في ر، ف «ثم يقول».
(٣) زاد في ر، ف «وما قيدت».
(٤) كذا في ر، ف، ت، وزاد في ل «من ذلك في مدحك».
(٥) في ر، ف «ثم يقول».
(٦) في ر، ف «خلصاتنا».
(٧) «الخول... والحاشية» زيادة في ل.

٣٨ - يــأيُّهــا المُحْسِنُ المشكــورُ مِنْ جِهَتِي   والشُّكْــرُ مِنْ قِبَلِ الإحســانِ لا قِبَلي

ثُمَّ[١] يقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: يأَيُّها المُحْسِنُ بِطَبْعِهِ، المشكُورُ من جِهَتِي بما حَمَّلَني من فَضْلِهِ، والشُّكْرُ من قِبَلِ إِحْسَانِهِ ورِفْدِهِ[٢]، لا من قِبَلي فيما أَهْدِيهِ مِنْ مَدْحِهِ.

٣٩ - مَـا كَـانَ نَــوْمِيَ إلاَّ فـوقَ مَعْــرِفَتِي   بــأَنَّ رأيَــكَ لا يُؤْتَى من الــزَّلَــلِ

يَقولُ[٣]: ما كانَ نَوْمي في[٤] حِيْنِ مَوْجِدَتِكَ[٥]، وَطُمَـأنينَتي في مُدَّةِ عَتْبِكَ وَتَسَخُّطِكَ[٦]، إلا فَـوقَ ما كُنْتُ أَتَيَقَّنُـهُ من مَعْرِفتي، بـأن رَأْيَكَ لا يَسْتَزِلُّهُ[٧] السَّاعُونَ بِبَغْيِهِم[٨]، ولا يُحِيلُونَهُ[٩] بِكَذِبهم[١٠]، وكَنَى بالنَّومِ عن سُكونِ نَفْسِهِ، وتَمَهُّدِهِ لِمَعْرِفَتِهِ بِسَيْفِ الدَّولَةِ عن[١١] حُسْنِ ظَنِّهِ. فَأَشَارَ إلى ما قَصَدَهُ أَلْطَفَ إشارَةٍ، وعَبَّر عَنْهُ أَحسنَ عِبَارةٍ[١٢].

٤٠ - أَقِـلْ أَنِلْ أَقْطِعْ اَحْمِلْ عَـلِّ سَلِّ أَعِـدْ   زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفَضَّـلْ أَدْنِ سُرَّ صِـلِ

---

(١) زيادة في ر، ف.

(٢) كذا في ل، ت وفي ر، ف «وفضله».

(٣) زيادة في ر، ف.

(٤) زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «مدحتك».
وجَدَ عليه مَوْجِدَةً: إذا غَضِب.

(٦) «تسخطك» زيادة في ر، ف.

(٧) في ر، ف، ت «يستنزله».

(٨) في ر، ف «بسعيهم» وفي ت «ببغيتهم».

(٩) في ت «يحلونه». والمُحال من الكلام: ما عُدِل به عن وجهه، وأحلت الكلام: أفسدته.

(١٠) كذا في ل، ت وفي ر، ف «بكيدهم».

(١١) كذا في ر، ف، ت وفي ل «وحسن ظنه».

(١٢) فأشار... أحسن عبارة» زيادة في ر، ف.

ثُمَّ[1] يقولُ لِسيفِ الدَّولةِ: أَقِلْ مَنْ استَنْهَضَكَ من عَثْرَتِهِ، وأَنِلْ مَنْ اسْتَعَانَ بِفَضْلِكَ على قِلَّتِهِ[2]، وأَقْطِعِ المَنازِلَ والضِّياعَ مَنْ أَمَّلَك، وآحْمِلْ على سَوَابِقِ الخَيْلِ مَنْ اسْتَحْمَلَكَ، وعَلِّ وآرْفعْ[3] قَدْرَ مَنْ اعتَلَق بكَ، وسَلِّ عن كُلِّ مَفْقُودٍ بما تُجَدِّدُه من بِرِّكَ، وتُسْبِغُهُ من فَضْلِكَ، وتَابِعْ ذلكَ وأَعِدْهُ، وأَدِمْهُ[4] وجَدِّدْهُ، وزِدْ في غَدِكَ على ما تُسْلِفُهُ في يَوْمِكَ[5]، وهَشَّ وَرَحِّبْ بِمَنْ قَصَدَكَ، وأَظْهِرِ البَشَاشَةَ لِمَنْ اعتَمَدَكَ، وَدُمْ على ما عُهِدَ من تَفَضُّلِكَ، وأَدْنِ الوافِدَ عَلَيْكَ، وسُرَّهُ بِمُتَابَعَةِ إِحْسَانِكَ، وصِلِ الجميعَ بِتَطَوُّلِكَ وإِنْعَامِكَ.

٤١ ـ لعلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَواقِبُهُ ... فَرُبَّما صَحَّتِ الأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ

ثُمَّ قالَ: لَعَلَّ ما أَوْجَبَهُ الواشونَ مِنْ عَتْبِكَ، وأَحْدَثُوهُ من مَوْجِدَتِكَ، محمودُ العاقِبَةِ، مَشكورُ الخَاتِمَةِ، يُفْضِي إِلَيَّ السَّعَادَةَ بِحُسْنِ رَأْيِكَ، وَيُعْقِبُ الحُظْوَةَ[6] بِكَرِيمِ اختِصَاصِك، فَرُبَّ عِلَّةٍ انقَادَتْ بعدَ[7] شِدَّةٍ، وكانَتْ سَبَباً لِسَلامةٍ وصِحَّةٍ.

٤٢ ـ وَمَا[8] سَمِعْتُ ولا غَيْرِي بِمُقْتَدِرٍ ... أَذَبَّ مِنْكَ لِزُورِ القَوْلِ عَنْ رَجُلِ

---

(١) زيادة في ر، ف.

(٢) زاد في ت «وفقره».

(٣) زيادة في ر، ف.

(٤) كذا في ل، ت وفي ر، ف «وواصله».

(٥) في ر، ف «وزد في يومك ما تسلفه في غدك».

(٦) في ر، ف «بالخطوة» وفي ت «الخصوم».

(٧) كذا في ل، ت وفي ر، ف «استنقذت من».

(٨) في رواية التبيان «ولا».

الزُّورُ: الكَذِبُ[1].

فَيقولُ[2] لِسَيْفِ الدَّولةِ: وما سَمِعتُ، ولا سَمِعَ غَيْري، بِمَلِكٍ مِثْلِكَ، ومُقْتَدِرٍ[3] قَبْلَكَ، يَبْلُغُ مَبْلَغَكَ في دَفْعِ[4] الزُّورِ عن رَجُلٍ يُمتَحَنُ به، وَرَدِّ الكَذِبِ عن مُطالَبٍ يُخْتَلَقُ[5] عليهِ.

٤٣ ـ لِأَنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لا تَكَلَّفُهُ ليس التَّكَحُّلُ في الْعَيْنَيْنِ كالكَحَلِ

ثُمَّ قالَ: وذلك لأَنَّ حِلْمَكَ حِلمٌ قد[6] طُبِعْتَ عليهِ[7] فما تَتَكَلَّفُهُ، وخُصِصْتَ بهِ، فما تَتَكَسَّبُهُ، وَحُسْنُ التَّكَحُّلِ غَيْرُ حُسْنِ الكُحْلِ، وحِلمُ التَّكَلُّفِ غيرُ حِلْمِ الطَّبعِ.

٤٤ ـ وما ثَناكَ كَلامُ النَّاسِ عَنْ كَرَمٍ ومَنْ يَسُدُّ طَرِيْقَ العَارِضِ الهَطِلِ

العَارِضُ: السَّحَابُ، والهَطِلُ منه: الكَثِيْرُ المَطرِ[8].

فيقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: وما ثَنَاكَ عَذْلُ النَّاسِ لكَ، على كَثْرَةِ العَطَاءِ، عَنْ كَرَمِكَ، ولا أَخْرَجُوك، بِتَكْثِيرِهم عَلَيْكَ[9] عن خُلُقك، وكيفَ لَهُم بذلك وجُودُك كالسَّحَابِ الهَطِلِ، الذي لا يُرَدُّ وَبْلُهُ، ولا تُسَدُّ طُرُقُهُ؟

---

(١) «الزور: الكذب» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ثم يقول».

(٣) كذا في ر، ف، ت وفي ل «ولا مقتدر».

(٤) في ت «رفع».

(٥) في ت «يحنق».

(٦) «قد» زيادة في ر، ف.

(٧) في ر «به» وساقطة من ف.

(٨) العارض... المطر» زيادة في ل.

(٩) في ف «عليهم».

٤٥ ـ أَنْتَ الجَـوَادُ بـلا مَنٍّ ولا كَـدَرٍ[١] ولا مِـطَالٍ وَلا وَعـدٍ ولا مَـذَلِ

المَذَلُ: الفَتْرَةُ[٢].

ثُمَّ قالَ لَهُ[٣]: أَنْتَ الجوادُ بلا مَنٍّ يَنْقُصُ[٤] جُودَكَ، ولا كَدَرٍ يُعَارِضُ فَضْلَكَ، ولا مِطالٍ[٥] يُنَازِعُ ذلك، ولا عِدَةٍ ولا تأخيرٍ[٦] ولا فَتْرةٍ.

٤٦ ـ أَنْتَ الشُّجَاعُ إِذَا ما[٧] لم يَطَأْ فَرَسٌ غَـيْرَ السَّنَـوَّرِ والأَشْـلاَءِ[٨] والقُلَلِ

السَّنَوَّرُ: السِّلاحُ، والأَشْلاءُ: بَقِيَّةُ أجسادِ القَتْلَى، واحدُها شِلْوٌ. والقُلَلُ: الرُّؤوسُ، واحدُها قُلَّةٌ[٩].

فَيقولُ[١٠] لِسَيْفِ الدَّولَةِ: أنتَ الشُّجَاعُ عندَ اشتِدَادِ القِتَالِ، وتَجَالُدِ الأَبْطَالِ، وسُقُوطِ القَتْلَى عن خُيُولِهِم، وانفِصَالِهِم عن سِلاَحِهِم، والخَيْلُ لا تَطَأُ غَيْرَ أَشْلائِهِم ورؤوسِهِم، وسِلاَحِهِم وجُسُومِهِم.

٤٧ ـ وَرَدَّ بَعْضُ القَنَـا بَعْضَـاً مُقَـارَعَـةً كَـأَنَّهُ مِنْ نُفُـوسِ القَـوْمِ في جَـدَلِ

---

(١) في رواية التبيان «ولا كذب».

(٢) «المذل: الفترة» زيادة في ل.

(٣) «له» زيادة في ل.

(٤) كذا في ر، ف، ت وفي ل «ينغِّص».

(٥) في ت «ولا كذب يعارض فضلك، ولا مطل ينازع بذلك».
والمطل: التسويف في العدة والدَّيْن.

(٦) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «تأخر».

(٧) ساقطة من ف.

(٨) في ر، ف «الأشياء» وهو تحريف.

(٩) «السنور... قلّة» زيادة في ل.

(١٠) في ر، ف «ثم يقول».

ثُمَّ قالَ[1]: والقَنَا يَرُدُّ بَعْضُهُ بَعْضَاً بِتَخَالُفِ الطِّعَانِ ، وتقارُعِ[2] الأَقْرانِ، حَتَّى كأَنَّه لِشِدَّةِ تِلك المُعَارَضَةِ، واتِّصالِ تلكَ المُقَاوَمَةِ، في جَدَلٍ لا يُقْلِعُ، وخِصَامٍ لا يَنْقَطِعُ.

٤٨ ـ لاَ زِلْتَ تَضْرِبُ مَنْ عَادَاكَ عن عُرُضٍ   بِعَاجِلِ النَّصرِ في مُسْتَأْخِرِ الأَجَلِ

العُرُضُ: الاعتِراضُ مِنْ جَانِبٍ[3].

ثُمَّ دَعَا لِسَيْفِ الدَّولةِ، فقالَ: لا زِلْتَ تَضْرِبُ أعداءَكَ مُعْتَرِضَاً لهم، وتَعْتَمِدُهُم[4] مُقْدِمَاً عليهم، مَكْنوفَاً بِنَصْرٍ يَقْدُمُك، مَعْصُوماً بأَجَلٍ يَسْتَأْخِرُ بك.

(١) زاد في ف «ثم قال لسيف الدولة».

(٢) كذا في ل، ت وفي ر، ف «باختلاف الطعان وقراع الأقران».

(٣) «العرض... جانب» زيادة في ل.

(٤) «وتعتمدهم» زيادة في ل.

وأنْشَدَ أبو الطَّيِّبِ هذه القَصِيْدَةَ سيفَ الدولةِ(١) بِحَضْرَةِ جَماعَةٍ، فلما بَلَغَ إلى قولِهِ أَقِلْ أَنِلْ... البَيْتَ، رَأى مَنْ حَضَرَ يَعُدُّ حروفَهُ ويَسْتَكثِرُها، فأنْشَدَهُ: (٢)

١ - أَقِلْ، أَنِلْ، أُنْ، صُنِ، آحمِلْ، عَلِّ، سَلِّ، أعِدْ
زِدْ هَشَّ، بَشَّ، هَبِ، اغفِرْ، أدْنِ، سُرَّ(٣)، صِلِ

أُنْ: بِمَعْنَى ارْفُقْ، فيقولُ: ارفُقْ فيما تَبْدُرُ إليه من فَضْلِكَ، وصُنْ بكَرَمِكَ مَنْ يَقْصِدُكَ عن قَصْدِ غَيْرِكَ(٤)، وتَفْسِيْرُ سائِرِ البَيْتِ على ما تقدَّم(٥).

فَرَآهُم(٦) يَسْتَكثِرونَ الحروفَ، ويَسْتَعْظِمونَ سُرْعَةَ خاطِرِهِ، فقالَ:

٢ - عِشِ، آبْقَ، آسْمُ، سُدْ، قُدْ، جُدْ، مُرِ، آنْهَ، رِهْ، فِهْ، آسْرِ، نَلْ
غِظِ، آرْمِ، صِبِ، آحْمِ، آغْزُ، آسْبِ، رُعْ، زُعْ، دِ، لِ، آثْنِ، بِلْ(٧).

وَرَيْتُ الرَّجُلَ: إذا أَصَبْتَ رِئَتَهُ، وصِبْ: بِمَعْنَى أَصِبْ، يقالُ: صَابَ

---

(١) في ل «وأنشد أبو الطيب سيف الدولة هذه القصيدة».

(٢) وزاد فيه على البيت المتقدم ص٢٢ «أن، صُنْ، اغفر» وقد فسرها الأفليلي.

(٣) في ر، ف «مُنَّ».

(٤) «أُنْ... غيرك» جاءت في ر، ف بعد قوله: «وبل: بمعنى أمطر».

(٥) «وتفسير... ما تقدم» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «ورآهم».

(٧) هذه رواية ابن جني أيضاً، وفي رواية الواحدي «نل» بمعنى «أعط».



وأصـــابَ بِمَعْنًى، ورُعْ: بمعنى أخِفْ، يقـــالُ: راعَ يـــروعُ، بِمَـعْنَى أفـــزعَ وأخافَ[١]، وزُعْ: بِمَعْنَى كُفَّ، وبِلْ: بِمَعْنَى أَمْطِرْ.

فيقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: عِشْ مَنْسِيّاً[٢] عُمْرُكَ، وآبقَ قَريرةً عَيْنُكَ، وآسْمُ بِمَكَارِمِكَ، وسُدْ بِفَضَائِلِكَ، وقُدِ الجيوشَ إلى أَعْدَائكَ، وَجُدْ بِعَطَائِكَ[٣] على أَوْليائِكَ، ومُرْ مَسْمُوعاً أَمْرُكَ، وآنْهَ غَيْرَ مُخَالَفٍ نَهْيُكَ، ورِهْ أَعْدَاءَكَ بظُهورِكَ عَلَيْهم؛ أيْ أَصْبِ رِئَـاتِهِم بإيجَاعِكَ لَهُمْ، وفِهْ لأَوْلِيَائِكَ بإحْسَانِكَ إلَيْهِم، وآسْرِ إلى أعدائِكَ بِجَيْشِكَ، ونَلْ ما تَبْغِيهِ بِسَعْدِكَ، وغِظْ[٤] بِظُهُـورِكَ من يَحْسُدُكَ، وآرمِ بِبَأسِـكَ مَنْ يُخَالِفُـك، وصِبْ مَنْ تَعْتَمِدُه بِـرَمْيِك، وآحْمِ ذِمَارَك بِهَيْبَتِك، وآغْزُ الرُّومَ بِجمُوعِكَ[٥]، وآسْبِ بِجُيوشِكَ[٦] ذَراريهم، وَرُعْ بِمَخَافَتِكَ آمِنَهُمْ، وَزُعْ بِوَقَائِعك مُتَسَلِّطَهُم[٧]، وآحمِلِ الدِّياتِ مُتَفَضِّلاً بذلكَ، وَلِ الأَمْصارَ مشكوراً في وِلايَتِكَ[٨]، وآثْنِ الأعداءَ عَنْهـا بِحِمَايَتِـكَ، وَنِلْ عُفَاتَك بجُودِكَ، وأَمْطِرْ عليهم سَحَائِبَ فَضْلِك.

٣ ـ وهـــذا دُعَـــاءٌ لـــو سَكَتُّ كُـفِيتُـــهُ   لأني سَـأَلْتُ اللَّهَ فيكَ وقـد فَعَـلْ[٩]

---

(١) «بمعنى أفزع وأضاف» ساقطة من ر، ف.

(٢) في ر، ف «مُنْسياً».

(٣) في ر، ف «بعطاياك».

(٤) زاد في ر، ف «ثم يقول: غظ».

(٥) «واغز الروم بجموعك» ساقطة من ل، ت.

(٦) «بجيوشك» ساقطة من ر، ف.

(٧) في ت «مسلطهم». وَزُعْ: الوَزْعُ: كف النفس عن هواها، وَزَعَ يَزَعُ ويَزَعُ.

(٨) «مشكوراً في ولايتك» ساقطة من ر، ف.

(٩) هذا البيت ساقط من ر.



يُرِيدُ[1]: أَنَّ جَمِيعَ ما دَعَا به لِسَيْفِ الدَّولةِ مَعْهودٌ منهُ، مَضْمُونٌ له، مَعْلُومٌ فيهِ، فلو[2] أَمْسَكَ عمّا دَعَا بهِ لكانَ قد كَفَى ذلك[3]؛ لأنَّهُ إنما سَأَلَ اللَّهَ ما قَدْ فَعَلَهُ، وأَعْمَلَ الرَّغبَةَ إليهِ فيما قد مَكَّنَهُ.

(١) في ر، ف «ثم يقول».
(٢) في ل «ولو».
(٣) ساقطة من ر، ف.

فَقالَ لهُ[١] سَيْفُ الـدَّولةِ: أَيُمكِنُ أكـثَرُ من هَذا، فقالَ: نَعم، ولكنَّه يَغْمُضُ، فاسْتَحْسَنَ سيفُ الدَّولةِ ومَنْ حَضرَ القَصِيْدَةَ وما جَرى، وأَطْنَبوا في ذِكْرِهِ وَوَصْفِهِ، فقالَ:

١ ـ إنَّ هــذَا الشِّعْــرَ في الشِّعْــرِ مَـلِكْ سَــارَ فَهْـوَ الشَّمْسُ والــدُّنيــا فَلَكْ

الفَلَكُ: مَدَارُ الشَّمْسِ والنُّجُومِ[٢].

فيَقولُ: إنَّ شِعْرَهُ في سائرِ الأَشْعَـارِ كالَملِكِ في الـرَّعِيَّةِ؛ يَعْلُو عَلَيْهـا وَتَتَواضَعُ له، وَيَكْبُرُ عنها وتَصْغُرُ عنه، وإنَّهُ لِحُسْنِهِ وبراعَةِ وَصْفِهِ[٣]، يَسـيرُ مَسيرَ الشمسِ، ويَبْقَى بَقَاءَ الدَّهرِ، والدُّنيا لهُ كالفَلَكِ للشَّمْسِ، تَشْتَمِلُ على سَيْرِه، وتَسْتَنِيرُ بِبَرَاعَتِه وَحُسْنِه.

٢ ـ عَــدَلَ الــرَّحْمــنُ فيــه بَـيْـنَــنــا فَقَضَى بــاللَّفظِ لي والَمـدْحِ[٤] لَــكْ

ثُمَّ قـالَ لسيفِ الدولـةِ: عَدَلَ الـرَّحمنُ فيـه بَيْني وبَيْنَـك، فَقَضَى لي بالإبداعِ في نَظْمِهِ[٥]، وقَضَى لكَ بما تَخَلَّدَ مِنَ المَجْدِ في لَفْظِهِ[٦].

---

(١) ساقطة في ل.

(٢) «الفلك... والنجوم» زيادة في ل.

(٣) «وبراعة وصفه» زيادة في ر، ف.

(٤) في رواية الواحدي «والحمد».

(٥) في ر، ف «لفظه».

(٦) في ر، ف «من مجدك بمدحه».



٣ - فـإذَا مَـرَّ بِـأُذْنَيْ حَـاسِـدٍ صَـارَ ممـن كَـانَ حَـيًّـاً فَـهَـلَكْ

ثُمَّ قالَ: فإذا مرَّ بأُذْنَيْ شَاعِرٍ يَحْسُدُني، أو مَلِكٍ يَحْسُدُكَ، صَارَ ذلكَ الحَاسِدُ مِمَّن كَانَ حَيًّاً فَأَهْلَكَهُ الحَسَدُ[1]؛ لأنَّهُ لا يَقُومُ لِلْمَلِكِ أملٌ في أن يُدْرِكَ ما خَلَّدَه لكَ مَدْحُهُ، ولا يقوم للشَّاعِرِ أَمَلٌ في أن يُدْرِكَ ما خَلَّدَهُ لي نَظْمُهُ.

(١) في ر، ف «حسده».

- ٣٩ -

وَحَضَرَ مَجْلِسَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ في شَوَّالٍ سَنَةَ إحدى وأَرْبَعينَ وثلاثمائةٍ، وبَيْنَ يَدَيْهِ نارَنجٌ وطَلْعٌ، وهو يَمْتَحِنُ الفُرْسَانَ، فقال سَيْفُ الدَّوْلَةِ لابن جَشٍّ؛ رئيسِ المَصِّيْصَةِ[1] الكاتِبِ: لا تَتَوهَّم هذا لِلشُّرْبِ، فقالَ أبو الطَّيِّبِ ارتِجالاً:

١ - شَديدُ البُعْدِ من شُرْبِ الشَّمُولِ　　تُرُنْجُ الهِنْدِ أو طَلْعُ النَّخيلِ

الشَّمُولُ: الخمرُ، سُمِّيتْ بذلكَ لأَنَّها تَشْمَلُ القومَ بِرِيحِها، وتُرُنْجُ الهِنْدِ: النَّارَنْجُ، وطَلْعُ النَّخِيْلِ: أولُ ما يَنْعَقِدُ فيه من ثَمرتِهِ، وتَنْشَقُّ عنهُ أَغْشِيَتُهُ، فَيُسَمَّى ذلك العَقْدُ حِيْنَئِذٍ طَلْعاً، وتُسَمَّى الأَغْشِيَةُ المُنْشَقَّةُ كافوراً[2].

فيقولُ لِسَيْفِ الدَّولَةِ: تُرُنْجُ الهِنْدِ، وهو النَّارَنْجُ[3]، أو طَلْعُ[4] النَّخيلِ، شَدِيدٌ بُعْدُهُما في مَجْلِسِكَ عَنْ شُرْبِ الشَّمُولِ، وإنْ كَانَ غَيْرُكَ يَتَّخِذُهُما لِذَلك؛ لِأَنَّ هذه الحَالَ غيرُ مَظْنُونةٍ[5] بِكَ، وإنَّما اسْتِحْضَارُك لهما ولِما يُشَاكِلُهُمَا من الرَّيَاحِيْنِ استِمْتَاعاً بِحُسْنِ ذلك، لا مُخَالَفَةَ فيه إلى ما يُكْرَهُ، واسْتِجَازَةً لما لا يَحْسُنُ.

---

(١) «رئيس المَصِيصة» زيادة في ل.

(٢) «الشمول... كافوراً» زيادة في ل.

(٣) «وهو النارنج» زيادة في ر، ف.

(٤) في ر، ف «وطلع».

(٥) في ر، ف «منوطة».



٢ - وَلـكِـنْ كُـلُّ شَيءٍ فـيـه طِـيْـبٌ   لَـدَيْـك مِن الـدَّقيقِ إلى الجَليـلِ

ثُمَّ قالَ، مُؤيِّداً[١] لما قَدَّمَهُ: وَلَكِنَّ استِحْضَارَكَ للنَّارَنْجِ والطَّلْعِ، لأنَّهما طَيِّبانِ، وكُلُّ طِيْبٍ في حَضْرَتِكَ، وغَيْرُ مَعْدُومٍ فيما تَقَعُ عليه مُشَاهَدَتُك[٢]، مما دَقَّ مِنْ ذلِكَ[٣] إلى ما جَلَّ، وما قَلَّ مِنْ ذَلِكَ[٤] إلى ما كَثُر.

٣ - وَمَـيْـدَانُ الفَـصَـاحَـةِ والـقَـوَافي   وَمُمْـتَـحَـنُ الـفَـوارِسِ وَالخُـيُـولِ

المَيْدَانُ: حَيْثُ تَتَسابَقُ الخُيُولُ[٥].

ثُمَّ[٦] قالَ: وكذلكَ لَدَيْكَ مَيْدَانُ السِّبَاق في النَّظمِ والنَّثْرِ، والتَّباري في الفَصَاحَةِ والشِّعْرِ، ومُمْتَحَنُ الفوارسِ والخَيْلِ بالتَّسابقِ والتَّجاولِ[٧]، والتَّطارُدِ والتَّساجُلِ، هذا الذي تُعْمَرُ به حَضْرَتُكَ، وتَنْزِعُ إليه هِمَّتُكَ.

---

(١) في ر، ف «مؤكداً».
(٢) في ر، ف «وغير معدوم عند مشاهدتك».
(٣) «من ذلك» زيادة في ر، ف.
(٤) «من ذلك» زيادة في ر، ف.
(٥) «الميدان. . . الخيول» زيادة في ل.
(٦) «ثم» ساقطة من ل.
(٧) في ر، ف «والتسابق بالتجاول».

- ٤٠ -

وكانَ بالحَضْرَةِ قومٌ، زعَمَ بعضُ الرُّواةِ أَنَّ ابنَ خالَوَيْهِ اللُّغويَّ[١] كان مُتَمَلِّكَهُم، فزعموا أَنَّهم لم يَفْهَموا مَقْصَدَ أبي الطَّيِّبِ، وأَنَّ تَعْبِيْرَهُ قصَّرَ عن بَيانِ ما أرادَهُ، وأَنكرَ عليه ابنُ خالَوَيْهِ تُرُنْجٌ، وزَعَمَ أَنَّ المعروفَ أُتْرُنْجٌ، فاسْتَشهَدَ أبو الطَّيِّبِ بما رَوَاهُ يَعْقوبُ[٢] من أنَّ تُرُنجاً وأُتْرُنجاً مَقُولانِ، ثم قالَ[٣]:

١ - أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ العَربِ الأَصيلِ   وكانَ بقَدْرِ ما عايَنْتُ قِيْلي

الأَصْلُ من كلِّ شيءٍ: الثَّابِتُ، والقَوْلُ والقِيْلُ: بِمَعْنًى واحِدٍ، وهذا مما جاءَ منه فَعْلٌ وفِعْلٌ بِمَعْنًى، وقُلِبَتِ الوَاوُ ياءً في قِيْلٍ؛ لِلْكَسْرَةِ التي قَبْلَها[٤].

فيقولُ: أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ العربِ الذي لا يُنْكَرُ صوابُهُ، ولا تُدْفَعُ صِحَّتُهُ،

---

(١) ابن خالويه اللغوي: هو أبو عبدالله بن الحسين بن أحمد بن خالويه، وأصله من همدان، دخل بغداد طالباً للعلم سنة أربع عشرة وثلاثمائة، قرأ القرآن على ابن مجاهد، والنحو والأدب على ابن دريد وابن الأنباري (انظر معجم الأدباء ٢٠٣/٩).

(٢) هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق المعروف بابن السِّكِّيت، والسِّكِّيت لقب أبيه إسحق، أخذ عن البصريين والكوفيين، وكان من ألم الناس باللغة والشعر، راوية ثقة، ولم يكن بعد ابن الأعرابي مثله، واثنى ابن خلكان على كتابه إصلاح المنطق.

(٣) كذا في شرح ابن جني أيضاً نسخة الأحمدية ورقة ٥٣٠.

وفي ر، ف «فلم يتبين معنى البيت لقوم حضروا، وذلك أن ابن خالويه اللغوي أنكر قوله: ترنج الهند، وزعم أن العرب إنما تقول: اترنج، واستشهد أبو الطيب بما رواه يعقوب: أن العرب تقول ترنج واترنج، فقال أبو الطيب».

(٤) «والأصل... التي قبلها» زيادة في ل.

بل هو الأصيلُ الثَّابتُ، والمشهورُ البَيِّنُ، وكانَ قولِي بقَدْرِ ما عانَيْتُ، وعلى حَسَبِ ما شاهَدْتُ.

٢ - فَـعَـارَضَـهُ كَـلامٌ كَـانَ مِـنْـهُ   بِمَـنْـزِلَـةِ النِّسـاءِ مِنَ البُـعُـولِ

ثُمَّ قالَ[١]: فعارَضَهُ كلامٌ سَاقِطٌ، وإنكارٌ ضَعِيفٌ؛ مَوْقِعُ ذلكَ الضَّعْفِ من قُوَّتِهِ، وذلكَ السُّقوطِ من رِفْعَتِهِ، مَوْقِعُ النِّسَاءِ من البُعولِ، والرَّعِيَّةِ[٢] من المَلِكِ الجَليلِ.

٣ - وَهَـذا الـدُّرُّ مَـأْمـونُ التَّشَـظِّي   وأَنْتَ السَّيْفُ مـأمـونُ الفُـلولِ

التَّشَظِّي: زَوالُ شَظَايا الشَّيْءِ؛ وهي شَقَقُهُ، واحِدَتُها شَظِيَّةٌ[٣].

فيَقولُ، [٤] مُشِيْراً إلى شِعْرِهِ: وهذا الدُّرُّ الذي[٥] لا يُخافُ تَشَظِّيهِ، ولا يُمْكِنُ الاعتِراضُ فيه، وأنتَ تُخَاطِبُ سَيْفَ الدَّولَةِ؛ السَّيْفُ الذي يُؤْمَنُ انفِلالُهُ، ولا يُخَافُ نُبُوُّهُ ولا انثِناؤُهُ[٦].

٤ - وَلَـيْسَ يَـصِـحُّ في الأَفْـهَـامِ شَيْءٌ   إذا احـتـاجَ النَّهَـارُ إلى دَلِـيـلِ

ثُمَّ قالَ: وليس يَصِحُّ في الأَفهامِ شَيْءٌ، إذا لم يَصِحَّ ما أَنْظِمُهُ، ويُفْهَمُ ما أُورِدُهُ[٧]؛ لأنَّ ذلكَ كالنَّهارِ الذي لا تُطْلَبُ الأَدِلَّةُ عَلَيْهِ، ولا تُمكِنُ أَحداً[٨] المخالَفَةُ فيه.

(١) «ثم قال» زيادة في ر، ف.
(٢) في ر، ف «السوق».
(٣) «التشظي... شظية»، زيادة في ل
(٤) في ر، ف «ثم يقول».
(٥) ساقطة من ر، ف.
(٦) في ر، ف «وأثناؤه».
(٧) كذا في ل، ت وفي ر، ف «أريده من ذلك».
(٨) في ر، ف «ولا يصح لأحد» وفي ت «ولا يمكن أحد».

الفَاتِرةَ، وألحَاظَكِ الفَتّانَةَ[1] السَّاحِرَةَ، مَنْ أَبْصرَهـا تمكَّنَ العِشْقُ بهِ، ومَنْ شَاهَدَها تَزَيَّنَ الحُبُّ لَهُ.

٣ ـ وَبيْنَ الرِّضا والسُّخطِ والقُربِ والنَّوى مَجَـالٌ لِـدَمْـعِ المُقْلَةِ المُتَـرَقْـرِقِ

النَّوى: البُعدُ، والدَّمعُ المترَقْرِقُ: الذي يَجولُ في العَيْنِ ولا يَنْحدِرُ[2].

فَيَقولُ[3]: وَبيْنَ ما أرْجُوهُ من رِضا مَنْ أُحِبُّهُ، وأَحْذَرُهُ مِنْ سُخْطِهِ، وما أَتَمَنَّاهُ من اقترَابِهِ، وأخافُهُ من بُعْدِهِ، مَجَالٌ للدُّموعِ التي تُسْتَكَفُّ حَذَراً للرَّقيبِ[4]، وتَتَرَقْرَقُ في المُقلِ كَلَفاً بالحَبِيْبِ.

٤ ـ وَأَحْلَى الهَوَى مَا شَكَّ في الوصل رَبُّهُ وَفي الهَجْـرِ فَهْوَ الـدَّهْرَ يَـرْجُو وَيَتَّقِي

ربُّ الشَّيْءِ: مالِكُهُ والمُدَبِّرُ له[5].

ثُمَّ قالَ، مُنبِّهاً على استِبْصَارِهِ في حُبِّه، واغتِبَاطِهِ بِحَالِهِ: وأَحْلَى الهَوَى وأَعْذَبُهُ، وأَلَذُّهُ وأَطْيَبُهُ، ما كانَ صَاحِبُهُ فيهِ بَيْنَ يَأْسٍ وطَمَعٍ، ومخافَةٍ وأملٍ، فهو يَحْذَرُ الهَجْرَ وَيَتَّقِيهِ، ويُؤَمِّلُ الوَصْلَ وَيرْتَجِيه.

٥ ـ وَغَضْبَى مِنَ الإدْلالِ سَكْرَى مِن الصِّبَا شَفَعْتُ إليهـا مِنْ شَبـابِي بِـرَيِّقِ

---

(١) في ر، ف «الفاتنة».

(٢) «النوى... لا ينحدر» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم يقول».

(٤) في ر، ف «حذر الرقيب».

(٥) «رب... له» زيادة في ل.

الإدْلاَلُ والصِّبا: مَعْروفانِ، والرَّيِّقُ: المُعْجِبُ، وهو فَيْعِلُ مِنْ راقَ يَرُوقُ[(١)].

فيقولُ[(٢)]: ورُبَّ غَضْبى، غَضَبَ إدْلاَلٍ وعُجْبٍ، لا غَضَبَ استِكرَاهٍ وسُخْطٍ، في سُكْرٍ من حَدَاثَةِ السِّنِّ، وتَناهٍ[(٣)] في الغُنْجِ[(٤)] والحُسْنِ، شَفَعَ لي إليها من شَبَابي شَافِعٌ مُطْلِبٌ، وقَابَلَها منه رَائِقٌ مُعْجِبٌ.

٦ - وَأَشْنَبَ مَغْسُولِ الثَّنِيَّاتِ وَاضِحٍ   سَتَرْتُ فَمي عَنْهُ فَقَبَّلَ مَفْرِقي

الأَشْنَبُ: البَرَّاقُ الثَّغْرِ، والواضِحُ: الأَبْيَضُ[(٥)].

ثُمَّ قالَ: ورُبَّ أَشْنَبَ، عَذْبٍ مُقَبَّلُهُ، مَغْسُولٍ ثَنِيَّاتُهُ، واضِحٍ شَخْصُهُ، باهِرٍ حُسْنُهُ[(٦)]، سَتَرْتُ فمي عَنْهُ وَرَعاً وَعِفَّةً، فَقَبَّلَ مَفْرِقي كَلَفاً وغِبْطَةً.

٧ - وأَجْيَادِ غِزْلاَنٍ كَجِيْدِكِ زُرْنَني   فَلَمْ أَتَبَيَّنْ عَاطِلاً مِنْ مُطَوَّقِ

العاطِلُ: الذي لا حَلْيَ عليه، والمُطَوَّقُ: الذي يَتَطَوَّقُ بالحَلْيِ[(٧)].

ثُمَّ قالَ: ورُبَّ[(٨)] أجيادِ غِزْلانٍ كجِيْدِكِ في الحُسْنِ والبَهْجَةِ، والتَّلعِ[(٩)]

---

(١) «الادلال... يروق» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ثم قال».

(٣) ساقطة من ف.

(٤) في ر «القبح».

(٥) «الأشنبُ... الأبيض» زيادة في ل.

(٦) كذا في ل، ت وفي ر، ف «عذب المقبل... الثنيات... الشخص... الحسن».

(٧) «العاطل... بالحلي» زيادة في ل.

(٨) في ر، ف «وأجياد».

(٩) التَّلَعُ: مدّ العنق تطاولاً بالحسن.

- ٤١ -

ودَخَلَ على سَيْفِ الدَّولَةِ في ذي القِعْدَةِ سنَةَ إحدَى وأَرْبَعينَ وثلاَثِمِائةٍ، وقد جَلَسَ لِرَسُولِ مَلِكِ الرُّومِ، لَـمَّا وَرَدَ يَلْتَمِسُ الفِدَاءَ، ورَكِبَ الغِلْمَانُ بالتَّجافِيْفِ، وأحضَروا لَبُوءَةً مَقْتُولَةً، ومَعَها ثَلاثَةُ أَشْبَالٍ بالحَيَاةِ، وألقَوْهَا بَيْنَ يَدَيهِ، فقالَ أبو الطَّيِّبِ:

١ - لَقِيتَ العُفَاةَ بآمالِها وَزُرْتَ العُدَاةَ بآجالِها

٢ - وأَقْبَلْتِ الرُّومُ تَمْشِي إلَيـ ـكَ بَيْنَ اللُّيُوثِ وأَشْبالِها

٣ - إذا رأتِ الأُسْدَ مَسْبِيَّةً فأَيْنَ تَفِرُّ بأطْفالِها

العُفَاةُ: طُلاَّبُ المَعْروفِ، واللُّيوثُ: الأُسْدُ، وأَشْبَالُها: أولادُها، واحِدُها شِبْلٌ.

فيقولُ لسَيْفِ الدَّولةِ: لَقِيتَ عُفَاتَكَ بِما أمَّلُوهُ من جُودِكَ، وزُرْتَ عُدَاتَكَ بما حَذِرُوهُ مِنْ بَأسِكَ، فانْصَرَمَتْ في يَدَيْكَ أعْمارُهُم، وقَرُبَتْ بِزيارَتِكَ لهم آجالُهُم، ثمَّ قالَ: وأَقْبَلَتْ رُسُلُ مَلِكِ الرُّومِ تَمْشِي إليكَ بينَ الأُسْدِ المَقْتُولَةِ وبَيْنَ أَشْبالِها المَغْنُومَةِ، فإذا رَأَتِ الأُسْدَ لا تَمْتَنِعُ منكَ، وسَبْيَهَا عليكَ لا يَتَعَذَّرُ عليكَ، فأَيْنَ تَفِرُّ بأَنْفُسِها، وأين تَهْرُبُ بأَطْفَالِها وذُرِّيَّتِها[١].

(١) هذا الشرح في نسخة ل وغير موجود في ر، ف.



وقالَ أيضاً، يَذْكُرُ الفِداءَ الذي التَمَسَهُ الرَّسُولُ، وكِتابَ مَلِكِ الرُّومِ الوارِدِ مَعَهُ، سنَةَ إحدى وأَرْبَعينَ وثلاثِمائةٍ[١].

١ ـ لِعَيْنَيــكِ مَـا يَلْقَى الفُؤَادُ ومــا لَقِي　　وَلِلْحُبِّ[٢] مَــا لَمْ يَبْقَ مِنِّي وَمَـا بَقِي

يَقولُ لِـمَحْبُوبَتِهِ: لِعَيْنَيْكِ وما تَضَمَّنَتَا مِنَ السِّحْرِ، وَأَثارتاهُ من كوامِنِ الحُبِّ، ما يَلْقاهُ[٣] قَلْبي من الوَجْدِ فيما يَسْتَأْنِفُهُ، وما لَقِيَهُ من قَبْلِ ذلكَ فيما أَسْلَفَهُ، وللحُبِّ الذي أَسْلَمَتْني إليه، واقتَصَرتْ بي عليه، ما لَمْ[٤] يُبْقِـهِ[٥] السُّقمُ من جِسْمِي مِمّا أَفْنَيْتِهِ، وما بقيَ منه[٦] مما أَنْحَلْتِهِ وأَضْنَيْتِهِ.

٢ ـ ومـا كُنْتُ مِمَّن يَـدْخُـلُ العِشْقُ قَلْبَـهُ　　وَلَكِنْ مَنْ يُبْصِرْ جُـفُــونَــكِ يَعْشَقِ

ثُمَّ قالَ: وما كُنتُ من الكَلَفِ بالغَزَلِ، والإِقْبالِ على اللَّهوِ واللَّعِبِ، في حَالِ مَنْ يَدْخُلُ العِشْقُ قَلْبَهُ، ويَتَمَلَّكُ[٧] الحبُّ أَمْرَهُ، ولكنَّ جُفُونَكِ

---

(١) «سنة إحدى وأربعين» زيادة في ر، ف.

(٢) في رواية الواحدي «وللشوق».

(٣) كذا في ل، ت وفي ر، ف «يلقى».

(٤) «ما لم» ساقطة من ف، وفي ر «بما».

(٥) في ر، ف «ينفه».

(٦) «منه» ساقطة من ر، ف.

(٧) في ر «أو يتملك».



والنَّضْرَةِ، زُرْنَنِي واصِلاتٍ لي، واعْتَمَدنَني مُعْجِباتٍ بي، فأَعْرَضْتُ عَنْهُنَّ غيرَ مُتَبَيِّنٍ، وغَضِضْتُ طَرْفي دونَهُنَّ غيرَ مُتَتَبِّعٍ، فَلَمْ أتَبَيَّن المُطَوَّقَ الحَالِي، ولا تَحَقَّقْتُ المُتَبَذِّلَ العَاطِلَ.

٨ ـ وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى يَعِفُّ إذَا خَلاَ عَفَافي وَيُرْضِي الحِبَّ والخَيْلُ تَلْتَقي

العَفَافُ: الكَفُّ عما لا يَحِلُّ[١].

فيقولُ[٢]: وما كُلُّ مَنْ يَهْوى يَعِفُّ[٣] عَفَافِي في خَلْوَتِهِ، ويَبْلُغُ مَبْلَغِي في طاعَةِ مُروءَتِهِ، ويُرْضِي الحِبَّ والخَيْلُ مُلْتَقِيةٌ، والفُرْسَانُ في الحَرْبِ مُتَبارِيةٌ، بِظُهُورِ بَأْسِهِ وشجاعَةِ نَفْسِهِ.

٩ ـ سَقَى اللَّهُ أَيَّامَ الصِّبا ما يَسُرُّها وَيَفْعَلُ فِعْلَ البابِلِيِّ[٤] المُعَتَّقُ

البَابِلِيُّ: شَرَابٌ نَسَبَهُ إلى بابِل، وهو بَلَدٌ، والمُعَتَّقُ: القَدِيمُ الاعتِصَارِ[٥].

ثُمَّ قالَ، مُتَذكِّراً لأَيَّامِ شَبِيبَتِهِ[٦]، ودَاعياً بالسُّقْيَا لِمُدَّةِ فُتُوَّتِهِ[٧]: سَقَى اللهُ أيامَ الصِّبَا ما يَسُرُّها بِهِ[٨]، ولَقَّاها ما يُغَبِّطُهَا فيهِ، ويَفْعَلُ بها فِعْلَ[٩]

---

(١) «العفاف... يحل» زيادة في ل.
(٢) في ر، ف «ثم قال».
(٣) ساقطة من ر، ف.
(٤) في ف «البلابلي».
(٥) «البابلي... الاعتصار» زيادة في ل.
(٦) في ف «شبابته».
(٧) في ف «فتوحته».
(٨) «به» ساقطة من ر، ف.
(٩) زاد في ف «ما فعل».



الشَّرابِ المُصفَّقِ، ويُطْرِبُها إطْرَابَ البَابِلِيِّ المُعَتَّقِ.

١٠ ـ إذا مَا لَبِسْتُ[١] الدَّهْرَ مُسْتَمْتِعاً بِـهِ   تَخَـرَّقْـتُ والمَلْبُـوسُ لم يَتَـخَـرَّقِ

ثُمَّ قالَ: إذا ما لَبِسْتُ الدَّهرَ بِطُولِ صُحْبَتي له، واشْتَمَلْتُ[٢] بِكَثْرَةِ تَصَرُّفي فيهِ، بَلِيْتُ قَبْلَ أن أُبْلِيَ[٣] ما أَلْبَسُهُ، وفَنِيْتُ قبلَ أن أُفْنِيَ[٤] مَنْ أَصْحَبُه، وهكذا[٥] الدَّهْرُ يُبْلِي مَنْ لَبِسَهُ، ويُخْلِقُ مَنْ صَحِبَهُ، وذَكَرَ اللُّبْسَ والتَّخْرِيقَ على سَبِيْلِ الاسْتِعارَةِ، وهي مِنْ أبوابِ البَدِيعِ[٦].

١١ ـ وَلَمْ أَرَ كـالأَلْحَـاظِ يَـوْمَ رَحِيلِهِـمْ   بَعَثْن بِكُـلِّ القَتْـلِ مِنْ كُـلِّ مُشْفِقِ

يقولُ[٧]: ولم أرَ كالأَلْحاظِ يَوْمَ مُفارَقَتي[٨] الذينَ أَلِفْتُهُمْ، ولا كَفِعْلِها عِنْدَ رَحِيْلِ الذين أَحْبَبْتُهم، بَعَثْتْ لنا[٩] القَتْـلَ مَعَ إشْفَـاقِ المُديـرينَ لها، وهَاجَتْ لنا البَثَّ مَعَ إخلاصِ المُلاَحِظِينَ بها[١٠]، فَأَوْجَعَتْ بِتَفْتِيْرِها[١١] غيرَ

---

(١) زاد في ر، ف «به».

في رواية الواحدي والتبيان «لبستَ» و«تخرقتَ» بالإسناد إلى ضمير المخاطب. «قال أبو العلاء: هذا البيت إذا طولب الشاعر بحسن الأدب وجب أن لا يقابل الممدوح بمثله، ولا ريب أن الشاعر لم يرد بهذا إلا نفسه أو غيره من المخاطبين دون الممدوح، ولكن يكره مثل هذا خيفة من التطيّر. وفي نسخة سماعي «لبستُ» و«تخرقتُ» على ضمير المتكلم، فراراً من التطير» (النظام ج ٢ ورقة ٢٠٨).

(٢) زاد في ر، ف «به».

(٣) في ف «يبلى».

(٤) في ف «يفنى».

(٥) في ر، «وهذا».

(٦) في ر، ف «وهي من بديع الكلام».

(٧) في ر، ف «ثم قال».

(٨) كذا في ل، ت وفي ر، ف «مفارقة».

(٩) «لنا» ساقطة من ر، ف.

(١٠) في ت «لها».

(١١) في ف «بتغديرها».

قاصِدَةٍ، وقَتَلَتْ[1] بأَسْحَارِها غيرَ عَامِدةٍ.

١٢ - أَدَرْنَا[2] عُيُوناً حَائِرَاتٍ كَأَنَّها   مُرَكَّبَةٌ أَحْدَاقُهَا فَوْقَ زِئْبَقِ

ثُمَّ قالَ: أَدَرْنَا عُيوناً حَائِراتٍ بمُتَابَعَةِ لَحْظِها، مُتْعَبَاتٍ بِتَرَادُفِ دَمْعِها، كَأَنَّما[3] وُضِعَتْ أَحْدَاقُها على الزِّئْبَقِ، فهي حَائِرةٌ لا تَسْكُنُ، ومُتْعَبَةٌ لا تَفْتُرُ.

١٣ - عَشِيَّةَ يَعْدُونا عَن النَّظَرِ البُكَا   وَعَنْ لَذَّةِ التَّوْدِيعِ خَوْفُ التَّفَرُّقِ

ثُمَّ قالَ: عَشِيَّةَ يَعْدُونَا عن النَّظَرِ إلى مَنْ نُحِبُّهُ بُكَاؤُنَا لِرِحْلَتِهِ، ويَمْنَعُنَا من الالتِذَاذِ بالقُربِ مِنْهُ عِنْدَ تَوْدِيعِهِ مَخَافَتُنا لفُرْقَتِهِ.

١٤ - نُوَدِّعُهُمْ وَالبَيْنُ فِينَا كَأَنَّهُ   قَنَا ابْنِ أَبي الهَيْجَاءِ في قَلْبِ[4] فَيْلَقِ

القَنَا: الرِّمَاحُ: واحِدَتُها قَنَاةٌ، وابنُ أبي الهَيْجاءِ: سَيْفُ الدَّولَةِ، والفَيْلَقُ: الكَتِيْبَةُ الشَّديدَةُ[5].

فَيقولُ: نُوَدِّع مَنْ نُحِبُّهُ وَالبَيْنُ يَفْعَلُ بنا فيما يُثِيرُهُ من وَجْدِنا، وَيَبْعَثُهُ من حُزْنِنا، كَفِعْلِ رِمَاحِ سَيْفِ الدَّولةِ في كَتِيْبَةٍ تَعْتَرِضُهُ، وجَمَاعةٍ تُقَابِلُهُ.

١٥ - قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسْجُ داودَ عِنْدَها[6]   إذا وَقَعَتْ فيه كَنَسْجِ الخَدَرْنَقِ

القَواضِي: الصَّادِقَةُ، والمواضِي: النَّافِذَةُ، ونَسْجُ دَاودَ: إِشَارةٌ إلى

---

(١) كذا في ل، ت وفي ر «قلت» وفي ف «أقلت».
(٢) كذا في رواية النظام أيضاً وفي رواية الواحدي والتبيان «أدرن».
(٣) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «كأنّها».
(٤) في ر، ف «كل» وهي رواية أخرى (النظام ج ٢ ورقة ٢٠٨).
(٥) «القنا... الشديدة» زيادة في ل.
(٦) في ر، ف «عنده» والوزن واحد.



الدُّروعِ، والخَدَرْنَقُ: ذَكَرُ العَناكِبِ[1].

ثُمَّ وَصفَ تلكَ الرِّماحَ، فقالَ: إنَّها قاضِيَةٌ على مَنْ تَقْصِدُهُ، ماضِيَةٌ[2] على مَنْ تَعْتَمِدُهُ، نَسْجُ داودَ من الدُّرُوعِ، على أنَّها أَحْكَمُها صَنْعَةً، وأَثْبَتُها قُوَّةً، عند تِلكَ الرِّماحِ، كَنَسْجِ العَنْكَبُوتِ في سُرْعَةِ خَرْقِها لها، ونَفاذِها فيها.

١٦ ـ هَوادٍ لأَمْلاكِ الجيوشِ كأَنَّها   تَخَيَّرُ أَرْوَاحَ الكُماةِ وتَنْتَقي

الهَوادِي: المُهْتَدِيَةُ، والانْتِقاءُ: القَصْدُ إلى ما لا عَيْبَ فيهِ، والكُماةُ: الشُّجْعانُ[3].

ثُمَّ قالَ: هَوادٍ لأَمْلاكِ الجُيوشِ؛ يُريدُ: أنَّها عَالِمَةٌ بهم، مُيَسَّرَةٌ لهم، كأنَّها تَتخَيَّرُ أَرْواحَ الكُماةِ على قَصْدٍ، وَتَنْتَقِي مُلُوكَ الجُيوشِ عَلَى عَمْدٍ.

١٧ ـ تَفُكُّ[4] عَلَيْهم كُلَّ دِرْعٍ وَجَوْشَنٍ   وَتَفْرِي إِلَيْهِم كُلَّ سُورٍ وَخَنْدَقِ

تَفُكُّ: تَحُلُّ، وَتَفْرِي: تَقْطَعُ[5].

فَيقولُ: إنَّ رماحَ سَيْفِ الدَّولةِ تَفُكُّ على أعدائِهِ كُلَّ دِرْعٍ وكلَّ[6] جَوْشَنٍ[7]، بِشِدَّةِ طَعْنِ[8] فُرْسَانِهِ، وشَجَاعَةِ أَنْفُسِ أَصْحَابِهِ، وأَنَّها لا يُعْتَصَمُ

---

(١) «القواضي... العناكب» زيادة في ل.

(٢) «على من تقصده ماضية» ساقطة من ف.

(٣) «الهوادي... الشجعان» زيادة في ل.

(٤) في رواية الواحدي «تَقُدُّ».

(٥) «تفك... وتقطع» زيادة في ل.

(٦) زيادة في ر، ف.

(٧) الجَوْشَنُ: الدِّرعُ.

(٨) في ر، ف «طعان».

منها بِسُورِ مَدِيْنَةٍ يَعْتَرِضُها، وَخَنْدَقِ حِصْنٍ[1] يَعِنُّ لها.

١٨ - يُغِيْرُ بها بَيْنَ اللُّقَانِ وَوَاسِطٍ   وَيَرْكُزُهَا بَيْنَ الفُرَاتِ وَجِلَّقِ

اللُّقَانُ: وادٍ في بِلادِ الرُّومِ، وواسِطُ: مَدِيْنَةٌ من مَدائنِ العِراقِ، والفُراتُ: وادٍ بَيْنَ العراقِ والشَّامِ، وجِلَّق: وادٍ في بلادِ الرُّومِ[2].

ثُمَّ وصَفَ بُعْدَ مَغارِ سَيْفِ الدَّولةِ بها، وما هُوَ عَلَيْهِ من كَثْرَةِ الأَعْمالِ لها، فقالَ: يُغِيرُ بها على عُصَاةِ العَربِ وكُفَّارِ العَجَمِ، ويَرْكُزُها بَيْنَ الأَرْضينَ، ويَأْمَنُ به بَأْسَ[3] الطَّائِفَتَيْنِ.

١٩ - وَيُرْجِعُها حُمْراً كَأَنَّ صَحِيحَها   يُبَكِّي دَماً مِنْ رَحْمَةِ المُتَدَقِّقِ

المُتَدَقِّقُ: المُتَكَسِّرُ[4].

ثُمَّ قالَ: ويُرْجِعُها حُمْراً من دِمَائِهم، مُعْمَلةً في قَتْلِهم، كأَنَّ ما صَحَّ منها وَسَلِمَ[5]، يَبْكي على ما انْدَقَّ مِنْها وانكَسَرَ، وكَأَنَّ الدَّمعَ في ذلكَ البُكَاءِ ما يَقْطُرُ عَن[6] تلكَ الرِّماحِ من الدِّماءِ.

٢٠ - فَلاَ تُبْلِغَاهُ ما أَقُولُ فَإِنَّهُ   شُجَاعٌ مَتَى يُذْكَرْ لَهُ الطَّعْنُ يَشْتَقِ

ثُمَّ يقولُ[7] لِصَاحِبَيْهِ: فلا تُبْلِغَاهُ ما أقولُ من وَصفِ أَفْعَالِهِ، وطِعَانِ فُرْسَانِهِ، فَإِنَّكُما تَبْعَثَانِهِ على ذلكَ؛ لأَنَّه شُجَاعٌ إذا ذُكِرَتْ له الطِّعَانُ اشْتَاقَ

(١) في ر، ف «وحصن».
(٢) «اللقان... الروم» زيادة في ل.
(٣) في ل «ما بين».
(٤) «المتدفق: المتكسر» زيادة في ل.
(٥) في ر، ف «فيها ويسلم».
(٦) في ر، ف «من».
(٧) في ل «فيقول».



إليها، وإذا وُصِفَتْ لَهُ الحَرْبُ حَرَصَ عليها.

٢١ - ضَرُوبٌ بأَطْرافِ السُّيوفِ بَنانُهُ   لَعُوبٌ بأطْرافِ الكَلامِ المُشَقَّقِ

البَنانُ: أطْرافُ الأَصابعِ، والمشَقَّقُ مِن الكلامِ: العَويصُ الغَامِضُ[١].

ثُمَّ وَصَفَهُ[٢] بالنَّفاذِ في الحِرابَةِ، والعِلمِ بِوُجُوهِ الخِطَابَةِ، فقالَ: إنَّ يَدَهُ على عادةٍ من إعمالِ السُّيوفِ؛ فَبَنانُهُ ضَرُوبَةٌ[٣] بِظُبَاتِها، ولِسَانُهُ على عادةٍ من تَصْرِيفِ غَوامِضِ الكَلاَمِ، وهو مُدْرِكٌ لِغَايَاتِها.

٢٢ - كَسائِلِهِ مَنْ يَسْأَلُ الغَيْثَ[٤] قَطْرَةً   كَعاذِلِهِ مَنْ قالَ لِلْفَلَكِ ارْفُقِ

الفَلَكُ: مَدارُ النُّجومِ[٥].

ثُمَّ قالَ: كَسَائِلِه، مَعَ اسْتِغْنَائِهِ عن سُؤَالِهِ، بما يَسْبِقُ إليه من نَوالِهِ، مَنْ[٦] يَسْأَلُ الغَيْثَ قَطْرَةً يَسِيرَةً، وهو يُمْطِرُ عَلَيْهِ سَحائِبَ غزيرةً، وكعاذِلِهِ، فيما طُبِعَ عليهِ مِنْ بَأْسِهِ، ويُسِّرَ[٧] لهُ من جُودِهِ[٨]، مَنْ[٩] يَسْأَلُ الفَلَكَ الرِّفقَ في سَيْرِهِ، والخُرُوجَ عما طَبَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ في خَلْقِهِ.

٢٣ - لَقَدْ جُدْتَ حَتَّى جُدْتَ في كُلِّ مِلَّةٍ   وَحَتَّى أَتاكَ الحَمْدُ مِنْ كُلِّ مَنْطِقِ

---

(١) «البنان... الغامض» زيادة في ل.

(٢) في ف «صرفه».

(٣) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «ضروب».

(٤) في ر، ف «البحر».

(٥) «الفلك: مدار النجوم». زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «كمن».

(٧) في ر، ف «وسيّر».

(٨) في ف «وجوده».

(٩) في ر، ف «كمن».

ثُمَّ يقولُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ: لقد جُدتَ حَتَّى فَاضَ جُودُكَ في كُلِّ أُمَّـةٍ، وَعَمَمْتَ به أَهْلَ كلِّ مِلَّةٍ، وأتاكَ الحَمْدُ من جَمِيعِ مُلُوكِ[1] الفِرَقِ على حَسَبِ نُطْقِهِم، وأَهْدَوْا إليك الشُّكرَ بِمَبْلَغِ وُسْعِهِمْ[2].

٢٤ ـ رَأى مَلِكُ الـرُّومِ ارْتِيَاحَـكَ للنَّدَى   فَـقَـامَ مَقَـامَ المُـجْتَـدِي المُـتَمَـلِّقِ

الارتياحُ: الطَّرَبُ، والمُجتَـدِي: السَّائِـلُ، والمُتَمَلِّقُ: المُتَصَنِّعُ بـإِظْهَارِ المَحَبَّةِ[3].

ثُمَّ قالَ: رأى مَلِكُ الرُّومِ ارتياحَكَ لِلبَـذْلِ، وَبِدَارَكَ إلى الإنعَـامِ والفَضْلِ، فَقَامَ يَسْلُكُ[4] مَقامَ المُجْتَدِي لَكَ، وَيَتَوَدَّدُكَ بالمَلَقِ فِعْلَ المُسْتَجِيرِ بكَ.

٢٥ ـ وَخَـلَّى الرِّمَـاحَ السَّمْهَـرِيَّـةَ صَـاغِـراً   لِأَدْرَبَ مِنْـهُ بـالـطِّعَـانِ وأَحْـذَقِ

السَّمْهَرِيَّةُ: الرِّماحُ الصِّلابُ[5].

فَيَقُولُ، مُخْبِراً عن مَلِكِ الرُّومِ: أَنَّهُ عَادَ بِمَسْأَلَةِ سَيْفِ الدَّولةِ، وخَضَعَ لِطَاعَتِهِ، وخَلَّى الرِّماحَ السَّمْهَرِيَّةَ له، عَالِماً بأَنَّهُ أَحذَقُ منه[6] بـالطَّعنِ بهـا، وأَدْرَبُ في التَّصريفِ لها.

٢٦ ـ وَكَـاتَبَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيْـدٍ مَـرَامُهـا   قَـرِيبٍ عَـلَى خَيْـلٍ حَـوَالَيْـكَ سُبَّقِ

---

(١) في ر، ف «تلك».

(٢) في ر، ف «جهدهم».

(٣) «الارتياح... المحبة» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «يسألك».

(٥) «السَّمهريَّة... الصلاب» زيادة في ل.

(٦) «منه» ساقطة من ر، ف.

وكَاتَبَ من أرضٍ مُمْتَنِعَةٍ عَزِيزةٍ، مُتَنائِيَةٍ بَعِيْدَةٍ، إلا أنَّ مرامَها يَقْرُبُ عَلَى خَيْلِكَ السَّابِقَةِ، واسْتِبَاحَتَها لا تَمْتَنِعُ على كَتَائِبِكَ الغَالِبَةِ.

٢٧ ـ وَقَدْ سَارَ في مَسْرَاكَ مِنْها رَسُولُهُ   فَما سَارَ إلاَّ فَوْقَ هَامٍ مُفَلَّقِ

المَسْرَى: المَوْضِعُ الذي يُسَارُ فيه بالليلِ[1].

ثُمَّ قالَ: وقد سَارَ رَسُولُ مَلِكِ الرُّومِ عِنْدَ قَصْدِهِ لك في مَوَاضِعِ سُرَاكَ من تِلْكَ الأَرْضِ، فما سَارَ إلاَّ على هَامٍ للرُّومِ مُفَلَّقَةٍ، وأَشْلاَءٍ مِنْهُمْ مُقَطَّعَةٍ. يُشِيرُ إلى قُربِ عَهْدِ سَيْفِ الدَّولَةِ بالإيقاعِ بِهِم[2]، ومُبَالَغَتِهِ بالقَتلِ فيهم، وأنَّ ذلك أَوْجَبَ خُضُوعَهُمْ وَذِلَّتَهم، واسْتِكَانَتَهُمْ وَرَغْبَتَهُمْ.

٢٨ ـ فَلَمَّا دَنَا أَخْفَى عَلَيْهِ مَكَانَهُ   شُعَاعُ الحَدِيدِ البَارِقِ المُتَأَلِّقِ

التأَلُّقُ: اللَّمَعَانُ[3].

فَيَقولُ: إنَّ رسولَ مَلِكِ الرُّومِ لَمَّا دَنَا من سَيْفِ الدَّولةِ، قابَلَهُ من شُعَاعِ[4] سِلاحِ المُتَزَيِّنِين[5] بِحَضْرَتِهِ، ولَمَعَانِ الحَدِيدِ على المُتَصَرِّفِينَ في خِدْمَتِه، ما أَغْشَاهُ فَلَمْ يَتَبَيَّنْ مَكَانَهُ، وأَدْهَشَهُ فَلَمْ يَتَحَقَّقْ مَوْضِعَهُ.

٢٩ ـ وَأَقْبَلَ يَمْشِي في البِسَاطِ فَما دَرَى   إلى البَحْرِ يَمْشِي[6] أو[7] إلى البَدْرِ يَرْتَقِي

(١) «المسرى... بالليل» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «عليهم».

(٣) «التألق: اللمعان» زيادة في ل.

(٤) في ف «شجاع».

(٥) في ر، ف «المترتبين».

(٦) في ر، ف «يسري» وفي رواية ابن جني والنظام «إلى النجم يمشي» «قال أبو الفتح: أراد أإلى النجم يمشي، فحذف همزة الاستفهام تخفيفاً».
(النظام ج ٢ ورقة ٢١٠).

(٧) كذا في ل، وفي ر، ف، ت «أم».



ثُمَّ قَالَ: وأَقْبَلَ يَمْشِي في بِسَاطِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، وقد غَشِيَهُ من هَيْبَتِهِ، ومَلَكَ قَلْبَهُ مِنْ جَلاَلَتِهِ، ما لا يَعْرِضُ مِثْلُهُ إلا لِمَنْ قَصَدَ مُصَمِّماً إلى البَحْرِ، أو ارتَفَعَ مُرْتَقِياً إلى البَدْرِ.

٣٠ ـ وَلَمْ يَثْنِكَ الأَعْدَاءُ عن مُهَجَاتِهِم بِمِثْلِ خُضُوعٍ في كَلامٍ مُنَمَّقِ

التَّنمِيْقُ: التَّحْسِينُ[١].

ثُمَّ قالَ لسيفِ الدَّولةِ: ولم تَثْنِكَ الأَعْداءُ عن إتْلافِ مُهَجَاتِهِم، وتَسْلِيطِ القَتْلِ عَلَى جَمَاعَاتِهِم، بِمِثْلِ الخُضُوعِ لِأَمْرِكَ، وتَنْمِيقِ الكلامِ في الاسْتِجَارةِ بِفَضْلِكَ، وهذه حالُ الرُّومِ مَعَكَ، ومَبْلَغُ طاقَتِهِم في الاسْتِدْفَاعِ لكَ.

٣١ ـ وَكُنْتَ إذا كَاتَبْتَهُ قَبْلَ هذه كَتَبْتَ إليهِ في قَذَالِ الدُّمُسْتُقِ

القَذَالُ: مُؤَخَّرُ الرَّأسِ، والدُّمُسْتُقُ: صاحبُ جيوشِ الرُّومِ[٢].

ثُمَّ قالَ لِسَيْفِ الدَّولةِ، زَارياً على مَلِكِ الرُّومِ[٣]: وكُنْتَ قَبْلَ اسْتِخْذَائِهِ[٤] لكَ، واسْتِجَارَتِهِ[٥] بكَ، إذا أَرَدْتَ مُكَاتَبَتَهُ، كَتَبْتَ إليه بما تُؤَثِّرُهُ سُيُوفُكَ في قَذَالِ دُمُسْتُقِهِ. وكان الدُّمُسْتُقُ[٦] قد جُرِحَ في بَعْضِ وَقَائِعِ سَيْفِ الدَّولَةِ على الرُّومِ[٧]، فَأَشَارَ أبو الطَّيِّبِ إلى ذلك، ودَلَّ به على ضَرورَةِ مَلِكِ

---

(١) «التنميق: التحسين» زيادة في ل.

(٢) «القذال... الروم» زيادة في ل.

(٣) «ثم قال... الروم» زيادة في ر، ف.

(٤) الاستخذاء: الانكسار والذلة، وأصل الخذي استرخاء الأذن من أصلها وانكسارها مقبلة على الوجه.

(٥) زاد في ر، ف «واستجارته منك».

(٦) ساقطة من ر، ف.

(٧) «على الروم» زيادة في ر، ف.



الرُّومِ، إلى ما أَظْهَرَهُ من الخُضوعِ.

٣٢ ـ فـإنْ تُعْطِهِ بَعْضَ[١] الأمَـانِ فَسَائِـلٌ   وإنْ تُعْـطِهِ حَـدَّ الحُسَـامِ فَـأَخلِقِ

ثُمَّ قالَ لِسَيْفِ الدَّولةِ: فإنْ تُعْطِهِ بَعْضَ مَا سَأَلَهُ من الأَمَانِ، فَإِنَّما تُعْطِيه خَاضِعَاً قد أَذْعَنَ بِطَاعَتِكَ، وضَارِعـاً قد صَـرَّحَ بِمَسْئَلتِكَ، وإن تُعْطِهِ حَدَّ الحُسَامِ غَيْرَ قَابِلٍ لِمَسْئَلَتِهِ، ولا مُسْعِفٍ لِرَغْبَتِهِ، فَمَا أَخْلَقَكَ بذلكَ.

٣٣ ـ وَهَـلْ تَـرَكَ البِيْضُ الصَّـوَارِمُ مِنْهُمُ   حَبِيْسَـاً[٢] لِفَـادٍ أو رَقِيْقَـاً لُمِعْتِقِ

يَقولُ لسيفِ الدَّولةِ: وهَلْ تَرَكَتْ سُيوفُكَ من الرُّومِ حَبِيْسَاً يُفْدَى مِنْ إِسَارِه، أو رَقِيقاً يُعْتَقُ من رِقِّهِ، يُريـدُ: أَنَّ القَتْلَ أَفنى جُمْلَتَهم، واسْتَـأْصَلَ عَامَّتَهُمْ، وأنَّ ما رَغِبُوه من السِّلمِ لا يَتلافَوْنَ به مَنْ أَفَـاتَهُ القَتْـلُ، وأَفْنَاهُ الموتُ[٣].

٣٤ ـ لَقَـدْ وَرَدُوا وِرْدَ القَـطَا شَفَـرَاتِهَـا   وَمَـرُّوا عَلَيْهـا رَزْدَقـاً بَعْـدَ رَزْدَقِ[٤]

شَفراتُ السُّيوفِ: حُرُوفُها، والرَّزْدَقُ: الصَّفُّ[٥].

ثُمَّ قالَ: لقد وَرَدُوا على شَفَراتِ السُّيُوفِ في وَقَائِعكَ عَلَيْهم، كَما تَرِدُ القَـطَا مَواضِـعِ[٦] شُرْبِهـا، ومَجامـعِ وِرْدِها، ومَـرُّوا على السُّيـوفِ[٧] صَفَّاً

---

(١) في رواية التبيان «منك».

(٢) في رواية التبيان «أسيراً».

(٣) في ر، ف «فاته الموت، وأفناه القتل». وفاته الشيء، وأفاته إياه غيره، ذهب عنه.

(٤) كذا في رواية الواحدي أيضاً «رَزْدَق» وفي رواية التبيان والنظام «زردق» بزاي ثم راء. والرَّزدق: الصف من الناس والسَّطر من النخل. وهو فارسي مُعرَّب، وأصله بالفارسية «رسته».

(٥) «شفرات... الصنف» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «على مواضع» وفي اللسان عن ابن سيده: ورَدَ الماء وغيره وَرْداً وورود،اً، وورَدَ عليه: أشرف عليه، دخله أم لم يدخله.

(٧) في ر، ف «عليها».



بَعْدَ صَفٍّ، وفَوْجاً بعد فَوْجٍ، مُرورَ الطَّيرِ[١] على تلكَ المَوارِدِ، وتَكاثُرُها في تلك المَشارِبِ[٢].

٣٥ - بَلَغْتُ بِسَيْفِ الدَّولَةِ النُّورِ رُتْبَةً   أَنَرْتُ بِهَا مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ

ثُمَّ[٣] يقولُ: بَلَغْتُ بِسَيْفِ الدَّولَةِ الذي هُوَ نُورٌ في دَهْرِهِ، وضِيَاءٌ مُشْرِقٌ في عَصْرِهِ، رُتْبَةً من المَدْحِ، ومَنْزِلَةً من جَلِيلِ الوَصْفِ، أَضَاءَت في جَمِيعِ الأَرْضِ، وأَنَرْتُ بها مَا بَيْنَ الشَّرْقِ والغَربِ. ويُقَالُ: أَنَارَ الرَّجلُ المكانَ: إذا أَظْهَرَ الضِّياءَ فيه[٤].

٣٦ - إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِلِحْيَةِ أَحْمَقٍ   أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ ٱلْحَقِ

ثُمَّ قَالَ، مُشِيراً إلى سَيْفِ الدَّولةِ، ومُعَرِّضاً بمن حَوْلَهُ من الشُّعَراءِ: إذا شَاءَ أن يَلْهُو بِلِحْيَةِ أَحْمَقٍ يَتجاوزُ قَدْرَهُ، ويُفْحِمُ[٥] عليه شِعْرَه، أَرَاهُ طَرْفاً مما قَيَّدْتُهُ في مَدْحِهِ، وغَيرَ كَثيرٍ مما نَظَمْتُهُ[٦] في مَجْدِه، وكَنَى عن ذلِكَ بقولِهِ: «أَرَاهُ غُبَاري» على سبيلِ الاسْتِعَارَةِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ ٱلْحَقْ هذهِ الغَايَةَ من الشِّعْرِ، واسْلُكْ هذه الطَّرِيقَةَ من النَّظْمِ، فَيَبِيْنُ عِنْدَ ذلك من عَجْزِهِ ما يُضْحِكُهُ، ومن تَقْصِيرِهِ ما يُلْهِيهِ ويُطْرِبُهُ.

---

(١) في ر، ف «القطا».

(٢) في ر، ف «على مواضع الشرب، وتكاثرها على مواضع الورد».
أدرك أبو العلاء في سَفَر القطا من بلد إلى بلد معنى متميزاً عن الشراح،إذ يقول: «ويجوز أن يكون أراد أنهم سافروا إلى السيوف حتى وردوها كما أن القطا الوارد يجيء من البلد إلى البلد البعيد ليصل إلى الماء».
(النظام ج ٢ ورقة ٢١٠).

(٣) زيادة في ر، ف.

(٤) «ويقال... فيه» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «ويُفْحم».

(٦) في ر، ف «نظمت».



٣٧ ـ وَمَا كمَدُ الحُسَّادِ شَيْئاً قَصَدْتُهُ ۝ وَلكِنَّهُ مَنْ يَزْحَمِ البَحْرَ يَغْرَقِ

ثُمَّ قالَ: وما الإزراءُ(١) على أهلِ الحَسَدِ مِنْهُم قَصَدْتُ بما أَبْدَعْتُهُ، ولا التَّعْجِيزُ لَهُمْ أَرَدْتُ فيما خَلَّدْتُهُ، ولكِنّي في ذلكَ كالبَحْرِ الذي يُغْرِقُ مَنْ زَاحَمَهُ غَيْرَ قَاصِدٍ، ويُهْلِكُ من اعْتَرَضَهُ غَيْرَ عامِدٍ(٢).

٣٨ ـ وَيَمْتَحِنُ النَاسَ الأَميرُ بِرَأْيِهِ ۝ وَيُغْضِي عَلَى عِلْمٍ بِكُلِّ مُمَخْرِقِ

الرَّأْيُ: رأيُ القَلْبِ، وما يَعْتَقِدُهُ الضَّميرُ، والمُمَخْرِقُ الذي يَكْذِبُ فيما يُظْهِرُهُ(٣).

فَيَقولُ: ويَمْتَحِنُ الأَميرُ الناسَ(٤) برأيِهِ فيهم، واختِيارِهِ(٥) لأُمُورِهم، وعلمِهِ الثَّابِتِ في أَحْوَالِهِم، ويُغْضِي للمُمَخْرِقِ إغْضَاءَ تَجاوزٍ وَحِلْمٍ، لا إغْضَاءَ غَلَطٍ وَسَهْوٍ.

٣٩ ـ وَإِطْرَاقُ طَرْفِ العَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ ۝ إِذَا كَانَ طَرْفُ القلبِ لَيْسَ بِمُطْرِقِ

الإِطْراقُ: السُّكونُ والإِمْسَاكُ عن الكَلامِ، وطَرْفُ العَيْنِ: نَظَرُها(٦).

ثُمَّ قالَ: وغَضُّ العَيْنِ لِطَرْفِها، وكَفُّها لِلَحْظِها(٧)، لا يَنْفَعُ المُمَوِّهَ

---

(١) في ر، ف «الارزاء».

(٢) نسب صاحب التبيان هذا الشرح إلى الخطيب التبريزي. وهو خطأ (انظر التبيان ٢/٣١٤).

(٣) «الرأي... يظهره» زيادة في ل.

«قال أبو الفتح: ممخرق لغة شاذة، وقد ذكرها بعض أصحابنا، والجيد مُتَمَخْرِق ووزن ممخرق مُمَفْعِل» (النظام ج ٢ ورقة ٢١٠).

(٤) في ر، ف «ويمتحن الناس الأمير».

(٥) في ر، ف «واختباره».

(٦) «الاطراق... نظرها» زيادة في ل.

(٧) في ر «ألحظها».



المُغالِطَ، والمُقَصِّرَ المُمَخْرِقَ، إذا كَانَ طَرْفُ القَلْبِ يَلْحَظُهُ بقيمَتِهِ[1]، وَيَنْظُرُ إليه بِحَقِيْقَتِه.

٤٠ ـ فيـا أَيُّهـا المـطْلُوبُ جَـاوِرْه تَمْتَنِـعْ ويـا أَيُّهـا المحـرُومُ يَمِّمْـهُ تُـرْزَقِ

ثُمَّ[2] يقولُ: فَيَأَيُّها الخائِفُ المَطْلوبُ، والمُرَوَّعُ المَحْروبُ، جَاوِرْ سَيْفَ الدَّولَةِ تَمْتَنِعْ بِعِزِّهِ، وتَأْمَنْ من المَخاوِفِ بما يَمُدُّهُ عَلَيْكَ من ظِلِّهِ، ويأَيُّها المَحْرومُ في قَصْدِهِ، والمُضَيَّقُ عَليهِ في رِزْقِهِ، يَمِّمْهُ تُسْعَدْ بِقَصْدِهِ، وتَتَقَدَّمِ المكثِرِينَ بما يَشْمَلُكَ من فَضْلِهِ.

٤١ ـ وَيَا أَجْبَنَ الفُرْسـانِ صَاحِبْـهُ تَجْتَرِىءْ ويـا أَشْجَعَ الشُّجْعَـانِ فَارِقْـهُ تَفْـرَقِ

ثُمَّ قالَ: ويا أَجْبَنَ الفُرْسَانِ وأَضْعَفَهُم، صَاحِبْ هذا المَلِكَ تَشْجُعْ نَفْسُكَ، ويَعْظُمْ بَأْسُكَ، ويُنْهِضُكَ[3] سَعْدُهُ، ويُظْفِرُكَ بالأَعْدَاءِ جَـدُّهُ، ويا أَشْجَـعَ الشُّجْعَانِ وأَبْـأَسَهُمْ، وأَشَدَّهُـمْ[4] وأَصْـرَمَهُم، فَـارِقْـهُ يَلْزَمِ الفَـرَقُ طَبْعَكَ، وتَتَدَاخَلِ المَخَافَةُ قَلْبَكَ.

٤٢ ـ إذا سَعَتِ[5] الأَعْـدَاءُ في كَيْـدِ مَجْـدِه سَعَى[6] مَجْدُهُ في جَدِّه سَعْيَ مُحْنَقِ[7]

(١) مطموسة في ر، ف.

(٢) زيادة في ر، ف.

(٣) في ف «وينهضه».

(٤) في ر، ف «وأنفذهم».

(٥) في ف «سمعت» وهو تحريف.

(٦) «سعى» ساقطة من ف.

(٧) في رواية التبيان «سعى جدّه في كيدهم سعي محنق» وعقب المبارك بن أحمد على هذه الرواية وغيرها بقوله: «لا كثير مدح في وصف الجد والسعادة وإنما المدح بالسعيّ والقلب» (النظام ج ٢ ورقة ٢١٠).



الجَدُّ: البَخْتُ، والحَنَقُ: الغَيْظُ[1].

فيقولُ: إذا اجتهدَ أعْدَاءُ سَيفِ الدَّوْلَةِ في كَيْدِ مَجْدِهِ، واعتراضِ فَضْلِهِ، اكتَنَفَ مَجْدَهُ مِنْ سَعْدِهِ، وأحَاطَ به من إقْبَالِ جَدِّهِ، ما يُنْهِضُهُ بِهِ[2] إنْهَاضَ الحَنَقِ في إبْطَالِ ما رَامُوهُ، وتَكْذِيبِ ما ظَنُّوهُ.

٤٣ ـ وما[3] يَنْصُرُ الفَضْلُ المُبِينُ عَلَى العِدى إذَا لم يَكُن فَضْلُ السَّعِيدِ المُوَفَّقِ

ثُمَّ قالَ، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ: وما يَنْصُرُ الفَضْلُ المُبِينُ، والتقدُّمُ الظَّاهِرُ على الحُسَّادِ والمُعْتَرِضِينَ، والأعْدَاءِ المُتَرَبِّصِينَ، إذا لم يَقْتَرِن بِذلكَ الفَضْلِ سَعْدٌ يُنْهِضُهُ، ويُحِيط به توفيقٌ يُؤَيِّدُه.

---

(١) الجد... الغيظ» زيادة في ل.

(٢) «به» ساقطة من ر، ف.

(٣) الواو ساقطة من ف.

وَدَخَلَ عليه، وقد رُفِعَ سِلاَحٌ كان بَيْنَ يَدَيْهِ، قد[1] عُرِضَ عَلَيْهِ، وهوَ في ذكرِهِ وَوَصْفِهِ، فَقالَ لَهُ ارتجالاً:

١ - وَصَفْتَ لَنَا وَلَمْ نَرَهُ سِلاَحاً   كَأَنَّكَ وَاصِفٌ وَقْتَ النِّزَالِ

يقُول لِسَيْفِ الدَّولةِ: وَصَفْتَ لنا سِلاَحاً غَائِباً لم نَرَهُ، ومَحْجُوباً لم نَشْهَدْهُ، فَكَأَنَّكَ وَصَفْتَ النِّزَالَ بِوَصْفِهِ، وأَخْبَرْتَ عنهُ بِذِكْرِهِ؛ لأَنَّ مِثلَ ذلكَ الموصوفِ لا يُعَدُّ إلا للنِّزالِ، ولا يُخْتَبَرُ إلا في القِتَالِ.

٢ - وأنَّ البَيْضَ صُفَّ على دُرُوعٍ   فَشَوَّقَ مَنْ رَآه إلى القِتَالِ

ثُمَّ قالَ: وذَكَرْتَ أَنَّ البَيْضَ صُفَّ[2] على الدُّروعِ، فَشَوَّقَ ذلكَ مَنْ سَمِعَهُ إلى الحربِ، وَهَيَّجَهُ على الطَّعْنِ والضَّرْبِ.

٣ - فلو أطْفَأْتَ نَارَكَ تَا لَدَيْهِ   قَرَأْتَ الخَطَّ في سُودِ اللَّيَالي

قَوْلُهُ: «نَارَك تا لَدَيْهِ» تَا: كَلِمَةٌ يُشَارُ بها إلى المُؤَنَّثِ الحَاضِرِ كما يُشَارُ بِذَا إلى المُذَكَّرِ، فَيَقُولُ لسيفِ الدَّوْلَةِ: فَلَوْ أَطْفَأْتَ سُرُجَكَ التي تَسْتَضِيءُ بها في لَيْلِكَ بِحَضْرَةِ هذا السِّلاَحِ؛ لأَغْنَاكَ عَنْهَا لَمَعَانُهُ، ولأَضاءَ لَكَ بَرِيقُهُ، حتَّى

(١) ساقطة من ر، ف.
(٢) في ر، ف «صُفَّتْ».
(٣) «قوله: نارك تا لديه» زيادة في ر، ف.



تَقْرَأُ ما يُخَطُّ في[1] الصَّحَائِفِ في الدَّيَاجي المُظْلِمةِ، والليَالي السُّودِ الحَالِكَةِ.

٤ ـ وَلَوْ لَحَظَ الدُّمُسْتُقُ حَافَتَيْهِ لَقَلَّبَ رَأْيَهُ حالاً لِحالِ[2]

الدُّمُسْتُقُ: صاحبُ جَيْشِ الرُّومِ[3].

ثُمَّ قالَ[4]: ولو أَبْصَرَ الدَّمُسْتُقُ ذلكَ السِّلاحَ، ولاحَظَ حَافَتَيْهِ، وأَشْرَفَ بِمُشَاهَدَتِهِ عليه، لأَفْزَعَهُ إِفْزَاعاً يَقْلِبُ[5] الرَّأْيَ في التَّخَلُّصِ مِنْهُ، ويُعْمِلُ الحِيَلَ في الفِرارِ عَنْهِ.

٥ ـ إن اسْتَحْسَنْتَ وهو على بِسَاطٍ فَأَحْسَنُ ما يَكُونُ على الرِّجَالِ

وَقَوْلُهُ: «إن اسْتَحْسَنْتَ وهو على بِسَاطٍ»[6]، أرادَ: إن اسْتَحْسَنْتَهُ، فَحذفَ الهاءَ لِقُوَّةِ دَلاَلَةِ الكَلاَمِ عليها. والعَرَبُ تَفْعَل ذلكَ، أَنْشَدَ سِيبَوَيْهِ[7] في مِثْلِ ذلك[8]:

فَأَقْبَلْتُ زَحْفاً على الرُّكْبَتَيْنِ فَثَوْبٌ نَسِيتُ وَثَوْبٌ أَجُرُّ[9]

(١) كذا في ل، ف، ت وزاد في ل «تلك».
(٢) روى صاحب التبيان هذا البيت سادساً في الترتيب (انظر ٣/٩٤).
وروى أيضاً «جانبيه» بدلاً من «حافتيه».
(٣) «الدمستق... الروم» زيادة في ل.
(٤) «ثم قال» زيادة في ر، ف.
(٥) كذا في ل، ت وفي ر، ف «يصرف».
(٦) «قوله... بساط» زيادة في ر، ف.
(٧) الكتاب: ١/٨٦.
(٨) في ر، ف «في مثله».
(٩) البيت لامرىء القيس، وفي رواية الأصمعي:
ثوباً نسيت وثوباً أجر.
قال الأعلم: «ولو رفعت «ثوباً» لأصبت، تضمر الهاء»
(ديوان امرىء القيس ص ١٥٩).



يُرِيدُ: نَسِيْتُهُ وأَجُرُّهُ، وحذَفَ الهاءَ لِدَلالةِ الكلامِ عليها[1]، فيقولُ: إنْ اسْتَحْسَنْتَ هذا السِّلاحَ وهو على بِسَاطٍ[2]، فأَحْسَنُ ما يكونُ إذا لَبِسَتْهُ[3] الرِّجالُ، وأَظْهَرَ فَضْلَهُ القِتَال.

٦ - وإنَّ بها وإنَّ بِهِ لَنَقْصاً وأَنْتَ لَهَا النِّهَايَةُ في الكَمَالِ

ثمَّ قالَ: وإنَّ بالرِّجالِ إذا خَلَتْ منكَ، وبهذا السِّلاحِ إذا انفَصَلَ عَنْكَ، لَنَقْصاً ظَاهِراً وخَلَلاً بَيِّناً، وأنت للرِّجَالِ والسِّلاحِ النِّهايةُ التي بها تَكْمُلُ، والفَخْرُ الذي به تَتَجَمَّلُ[4].

---

(١) «والعرب تفعل... الكلام عليها» ساقط من ف.

(٢) كذا في ر، ف ت وفي ل «بساطك».

(٣) في ر، ف «ألبسته» وفي ت «لبسه».

(٤) في ر، ف «يتجمل» وفي ت «يتحمّل».



- ٤٤ -

وعُرِضَتْ عَلَيه سُيوفٌ[١] فَوَجَدَ فيها واحِداً غيرَ مُذْهَبٍ، فأَمَرَ بإذْهَابِهِ، فقالَ لَهُ أبو الطَّيِّبِ ارتجالاً:

١ ـ أَحْسَنُ ما يُخْضَبُ الحديدُ بِهِ وَخَاضِبِيْهِ النَّجِيعُ والغَضَبُ

النَّجيعُ: الدَّمُ[٢].

فَيَقولُ: أَحْسَنُ ما يُخْضَبُ بِهِ الحَديدُ، وأَحسَنُ خَاضِبِيْهِ النَّجِيعُ والغَضَبُ؛ يريد: أحسَنُ ما يُخْضَبُ به الحديدُ النَّجِيعُ، وأحسنُ خَاضِبِيْهِ الغَضَبُ، فَجَمَعَ[٣] بَيْنَ الخَبَرَيْنِ والمُخْبَرِ عَنْهُما، ثِقَةً بِفَهْمِ السَّامِعِ. والعَرَبُ تَفْعَلُ ذلكَ، قال اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ومن رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيلَ والنَّهارَ لِتَسْكُنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾[٤] يريدُ: لِتَسْكُنوا في اللَّيلِ ولِتَبْتغوا من[٥] فَضْلِهِ في

(١) في ر، ف «سروج».

(٢) «النجيع: الدّم» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «وجمع».

(٤) سورة: القصص آية: ٧٣.

وذهب المطرز مذهب أبي القاسم الأفليلي فقال:

«قوله خاضبيه في موضع جر لأنه معطوف على ما والتقدير أحسن ما يخضب بالحديد وأحسن خاضبيه الغضب والنجيع. فجمع في الأول بينهما وفصلهما في الثاني. والتقدير أحسن ما يخضب بالحديد النجيع وأحسن خاضبيه الغضب. ومثله مما رمى بالكلام فذكر المخبر عنهما جملة ثم ذكر الخبران علماً بأن السامع يرّد كلاً إلى موضعه قوله تعالى: ﴿جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾ (النظام ج ١ ورقة ١٦٧).

(٥) ساقطة من ل.



النَّهَارِ. وأَشَارَ أبو الطَّيِّب إلى الحَرْبِ؛ لأَنَّ فيها يُخْضَبُ الحديدُ بالدَّمِ، ويكونُ خَاضِبَهُ الغَضَبُ.

٢ ـ فلا تَشِينَنْهُ بالنُّضَارِ فَما يَجْتَمِعُ الماءُ فيهِ والذَّهَبُ

ثُمَّ قالَ: فلا تَشِينَنْهُ، يُرِيدُ: الحديدَ بالذَّهبِ، فَيَطْمِسَ بَرِيْقَهُ[1]، وَيُذْهِبَ فِرِنْدَهُ[2]، وذلك شَيْنٌ فيه، ونَقْصٌ داخِلٌ عَلَيْهِ؛ لأَنَّ الإِذْهَابَ يَسْتُرُ مَاءَهُ، ويُذْهِبُ بَهاءَهُ[3].

(١) في ل «رونقه».

(٢) فِرِنْدُ السَّيفِ: رَوْنَقُهُ.

(٣) في ر، ف «رونقه».



وأَنفَذَ رَجُلٌ[١] من أهلِ بَغْدَادَ إلى سَيْفِ الدَّولةِ أبياتاً من الرُّحْبَةِ[٢]، ذَكَرَ أَنَّهُ رآها في المَنامِ، يَشْكو فيها الفَقْرَ، فَأَجابَهُ أبو الطَّيِّبِ:

١ - قَـدْ سَمِعْنَـا مَـا قُلْتَ في الأَحْـلاَمِ　　وأَنَـلْنَـاكَ بَـدْرَةً في المَـنَـامِ

يَقولُ: قَدْ فَهِمْنَا قَوْلَكَ، وَسَمِعْنَا حُلْمَـكَ، وأَنَلْنَاكَ بَـدْرَةً في النَّوْمِ، وأَجْزَلْنَا لك الصِّلَةَ في الحُلْمِ.

٢ - وانْتَبَـهْنَـا كَـما انْـتَبَـهْتَ بِـلا شَيءٍ　　فَـكَـانَ الـنَّـوالُ قَـدْرَ الـكَـلاَمِ

ثُمَّ قالَ: وانْتَبَهْنَا كانتِبَاهِكَ[٣] عن حُلْمٍ طَارِقٍ، وَوَهْمٍ عَارِضٍ، دُونَ شَيْءٍ تَمْلُكُهُ، وأَمْرٍ تَتَحَقَّقُهُ[٤]، فَكانَ نَوالُنَا على نَحْوِ مَدْحِكَ، وَجُودُنا عـلى سَبِيلِ قَوْلِكَ. يُشِيْرُ إلى تَسْفيهِ رَأْيِهِ، وَتَخْطِئَةِ فِعلِهِ، إِذْ لم يَجْعَلْ مَدْحَهُ لِسَيْفِ الدَّولة فَرْضاً يَقْصِدُهُ، وأَمْرَاً واجِباً يَعْتَمِدُهُ.

٣ - كُنْتَ فِيـمَا كَتَبْتَـهُ[٥] نَـائِمَ العَيْـ　　ـنِ فَـهَـلْ كُنْـتَ نَـائِمَ الأَقْـلاَمِ

(١) هو رجل من بني المنجم.

(٢) في ر، ف «وأنفد... أبياتاً من الرحبة إلى سيف الدولة».

والرحبة: قرية قرب القادسيّة.

(٢) في ر، ف «كانتهابك».

(٤) في ر، ف «تملكه... نتحققه».

(٥) في ر، ف «كتبت».



ثمَّ يقولُ، زَارِياً عليهِ: كُنتَ نَائِماً فيما حَلَمْتَـهُ، فهل كُنْتَ نَـائِماً فيما كَتَبْتَهُ. يُريدُ: أَنَّ كِتابَهُ[1] مُسْتَجْدِياً[2]، حَقِيْقَةٌ لا حُلْمٌ، وذِكْـرُ الحُلْمِ فيما قَصَدَهُ، يُوهِنُ رَغْبَتَهُ، وَيُقَبِّحُ مَسْئَلَتَهُ.

٤ ـ أَيُّهـا المُشْـتَكِي إذا رَقَـدَ الإعْـ ـدَامَ لا رَقْـدَةٌ مَـعَ الإعْـدَامِ

ثُمَّ قالَ: أيُّها المُشْتَكِي الإعْـدَامَ في حُلْمِهِ، والمُتَـوجِّعُ لـلإقْلاَلِ[3] في نَوْمِهِ، الإقْلاَلُ[4] يَطْرُدُ النَّومَ، والإعدامُ يُبْطِلُ الحُلْمَ.

٥ ـ افتَـحِ الجَفْنَ واترُكِ القَـولَ في النَّـوْ مِ وَمَيِّـزْ خِـطَابَ سَيْـفِ الإمـامِ

ثُمَّ قالَ[5]: افْتَحْ جَفْنَكَ، وَصحِّحْ قَوْلَكَ، ولا تَخْدَعْ بالأَحْلاَمِ نَفْسَكَ، وَمَيِّزْ ما تُخَاطِبُ بـهِ سَيْفَ الإمامِ، وَبَقِيَّةَ الكِرامِ.

٦ ـ الـذي لَـيْسَ عَـنْـهُ مُـغْـنٍ ولا مِـنْـ ـهُ بَـدِيـلٌ، ولا لِـمَا[6] رَامَ حَـامِي

يَقولُ: إنَّ سَيْفَ الدَّولَةِ الذي[7] لا أَحَدَ يُغْنِي عَنْه، لِعُمومِ فَضْلِهِ، ولا يَكُونُ بَدَلاً مِنْهُ، لجَلاَلَةِ قَدْرِهِ، ولا يَحْتَمِي عَنْهُ ما رَامَهُ؛ لِسَعَةِ مَقْدِرَتِهِ عَلَيْه،

---

(١) في ف «كاتبه».
(٢) في ر، ف «ان كتابه كتاب استجداء حقيقة لا حلماً».
(٣) في ف «للأقلام».
(٤) في ف «الأقلام».
(٥) «ثم قال» زيادة في ر، ف.
(٦) كذا في ر، ف ورواية الواحدي والتبيان وفي ل «لمن».
(٧) في ف «التي».

ولا يَمْتَنِعُ[1] دُونَهُ؛ لِنَفَاذِ أَمْرِهِ[2] فِيهِ.

٧ - كُلُّ آخائِهِ[3] كِرَامُ بني الدُّنْـ ـيا ولكِنَّهُ كَرِيمُ الكِرَامِ

الآخاءُ: جَمْعُ أخٍ[4].

ثُمَّ قالَ: إنَّ كِرامَ بني الدُّنيا آخاءُ لَهُ؛ بِمُوافَقَتِهِم إيَّاهُ في رَأْيِهِ، وَمُشَابَهَتِهِم له في فِعْلِهِ، ولكِنَّه المُبرَّزُ فيهم، والمُقَدَّمُ عَلَيْهِم؛ لأنَّه كريمُ كِرامِهِم، والمُحْتَوِي على جَمِيعِ خِصَالِهِم.

---

(١) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «يمنع».

(٢) كذا في ر، ف، وفي ل «أوامرها وفي تساقط لنفوذ أمره».

(٣) في رواية الواحدي «آبائه».

(٤) «الآخاء: جمع أخ» زيادة في ل.

وأنْفَذَ سيفُ الدولةِ أَبْيَاتاً (١) إلى أبي الطَّيِّبِ في ردِّ مَقَالةِ العُذَّالِ، وسَأَلَهُ إجَازَتَها، فقالَ:

١ - عَذْلُ العَوَاذِلِ حَوْلَ قَلْبِ التَّائِهِ   وَهَوَى الأَحِبَّةِ مِنْهُ في سَوْدَائِهِ

العَذَلُ: اللَّوْمُ، والتَّائِهُ: الحائِرُ الذي لا يَهْتَدِي لِأَمْرِه، وسَوْدَاءُ القَلْبِ وسُوَيْداؤُهُ: قِطْعَةُ دَمٍ تكونُ في داخِلِهِ، كأنَّها قِطعةُ كَبِدٍ(٢).

فَيقولُ: إنَّ عَذْلَ العَاذِلِ(٣) مُقْصورٌ على قَلْبِهِ، مُلازِمٌ لِمُعَارَضَتِهِ في حُبِّهِ،

---

(١) هذه الأبيات لأبي ذر سهل بن محمد الكاتب، أستاذ سيف الدولة ومؤدبه وهي قوله:

يا لائمي كف الملام عن الذي   أضناه طول سقامه وشقائه
إن كنت ناصحه فداو سقامه   وأعنه ملتمساً لأمر شفائه
حتى يقال بأنك الخل الذي   يُرْجَى لشدّة دهرِهِ ورخائِهِ
أوْ لا فدعه، فما به يكفيه من   طول الملام، فلست من نصحائه
نفسي الفداء لمن عصيت عواذلي   في حبه لم أخش من رقبائه
الشمس تطلع من أسرة وجهه   والبدر يطلع من خلال قبائه

يتيمة الدهر ١٠٤/١، ديوان أبي الطيب شرح الواحدي ٥٠٦ وفي الكشكول ج٣٥٢/١ - ٣٥٣ لبهاء الدين العاملي: قال أبو الدر.

(٢) «العذل... كبد» زيادة في ل.

وتفسير السوداء من قول الأصمعي: «سوداء القلب: عَلَقَةٌ سوداء في جوفه، إذا انشقَّ بدت كأنها قطعة كبد» (النظام ج ١ ورقة ٢٤).

(٣) في ر، ف «العواذل».



وقَلْبُهُ مَعَ ذلكَ مُعْرِضٌ عَنْ ذلكَ العَذْلِ، مُشْتَغِلٌ عَنْهُ بأَوْكَدِ الشُّغْلِ؛ لأَنَّ هَوَى أَحِبَّتِهِ منه في سُوَيْدائِهِ[١]، التي هي أَخْفَى مَوَاضِعِهِ، وهو فيه عَلَى أَثْبَتِ بَصائِرِهِ[٢].

٢ - يَشْكُو المَلامُ إلى اللَّوَائِمِ حَرَّهُ ... وَيَصُدُّ حِيْنَ يَلُمْنَ عَنْ بُرَحَائِهِ

البُرَحاء: شِدَّةُ وَهَجِ الحَرِّ[٣].

ثُمَّ قالَ: إنَّ المَلاَمَ الذي يُعْتَرَضُ به، يَشْكُو إلى اللوائِمِ ما يَفْجَؤُهُ من حَرِّ صَدْرِهِ، وَيَصُدُّ عَنْهُ لما يَتَبَيَّنَهُ من بُرَحَاءِ قَلْبِهِ.

٣ - وَبِمُهْجَتِي يَا عَاذِلي المَلِكُ الَّذي ... أَسْخَطْتُ أَعْذَلَ مِنْكَ في إرْضَائِهِ[٤]

ثُمَّ خَرَجَ إلى مَدْحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، فَقَالَ: وأَفْدِي بِمُهْجَتِي، يا أَيُّها العَاذِلُ المُكْثِرُ، واللاَّئِمُ المُسْرِفُ، المَلِكَ الذي أَسْخَطتُ في الاعتِلاَقِ بِحَبْلِهِ، والانقِطَاعِ إلى فَضْلِهِ[٥]، من المُلُوكِ المُتَشَبِّهينَ[٦] بِهِ، والرَّاغِبِينَ في مَآثِرِهِ[٧]،

---

(١) في ر، ف «سوداثه».

(٢) في ر، ف «بصيرة».

(٣) «البرحاء: . . . الحر» زيادة في ل.

(٤) كذا في رواية ابن جني وابن المستوفي أيضاً، وفي رواية الواحدي والتبيان: «أَسْخَطت كلَّ الناسِ في إرضائه».
ويروى «الملك» بالرفع والنصب. قال المبارك بن أحمد «إذا نصبت الملك كان بمعنى أفدي، وإذا رفعته كان بمعنى الملك مفتدى بمهجتي، والذي قرأته على شيخنا أبي الحرم مكي بن ريان رحمه الله الملك بالرفع» (النظام ج ١ ورقة ٢٥).

(٥) في ر، ف «صلة».

(٦) في ر، ف «المشبهين».

(٧) في ر، ف «فيما أثرته».

من القَصْدِ لَهُ، مَنْ[1] كَانَ أَبْصَرُ مِنْكَ بالعَذْلِ، وَأَهْدَى إلى طُرُقِ اللَّومِ.

٤ - إنْ كَـانَ قَـدْ مَلَكَ القُلُوبَ فـإِنَّـهُ مَلَكَ الـزَّمَانَ بـأَرْضِـهِ وَسَمـائِـهِ

ثُمَّ قـالَ: إن كـانَ ذلـكَ[2] المَلِكُ، قـد مَلَكَ القلوبَ بـإِحْسَانِـهِ، واسْتَعْبدَها[3] بإنْعَامِهِ، فإنَّهُ قد مَلَكَ الزَّمَانَ بأعْلاهُ وأسْفَلِهِ[4]. وكَنَى بأرْضِهِ وسَمَائِهِ عن ذلك، يُريدُ: أنَّهُ قد مَلَكَ جُمْلَتَهُ؛ لأنَّه رَفَعَ مَنْ أَخْمَلَهُ، وأَغْنَى مَنْ أَفْقَرَهُ، وعَمَّ النَّاسَ بإحسَانِهِ، وَشمِلَهُمْ بإنْعَامِهِ. وهذا على سبيلِ التَّجَوُّزِ، وما يَتَزَيَّدُ[5] الشُّعَراءُ فيه من القَوْلِ.

٥ - الشَّمْسُ مِنْ حُسَّـادِهِ، والـنَّصْرُ من قُـرَنَـائِـهِ، والسَّيْفُ من أَسْمَـائِـهِ

ثُمَّ يقـولُ: إنَّ الشَمْسَ من حُسَّادِ سَيْفِ الـدَّولَةِ، لِـزِيَادَتِـهِ عَلَيْهَا في حُسْنِهِ، والنَّصْرُ من قُرَنَائِهِ؛ لأنَّه بَعْضُ ما يُؤَيِّدُهُ اللَّهُ بهِ في قَصْدِهِ، والسَّيْفُ من أَسْمَائِهِ الدَّالَّةِ على رِفْعَتِهِ، وشَيْءٍ من صِفَاتِه المُعْرِبَةِ[6] عن عُلُوِّ رُتْبَتِهِ.

٦ - أَيْنَ الثَّـلاثَـةُ مِنْ ثَـلاثِ خِـلاَلِـهِ مِنْ حُسْنِـهِ وإِبَـائِـهِ وَمَضَـائِـهِ؟

الإِباءُ: عِزَّةُ النَّفْسِ وَشِدَّة الأنَفَةِ[7].

ثُمَّ قـالَ: أينَ هذه الثَّلاثَةُ مَعَ جَلاَلَـةِ أمْرِهـا، وَرِفْعَةِ قَـدْرِها، من

---

(١) في ر، ف «ما».

(٢) «ذلك» زيادة في ل.

(٣) في ف «واستبعذها»، وفي ر «واستعذبها».

(٤) في ر، ف «وأسلفه».

(٥) في ر، ف «تتزيد».

(٦) في ف «المعرفة».

(٧) «الإباء... الأنفة» زيادة في ل.

جَلاَلِ[1] خِلاَلِهِ الثَّلاَثِ[2]، التي هي على نَحْوِها لِخِلالِهِ الفَضْلُ؛ لأَنَّ الشمسَ تَطْلُعُ وَتَغْرُبُ، والنَّصْرُ يَقِلُّ ويَكْثُرُ، والسَّيْفُ يَنْبُو ويَقْطَعُ، وحُسْنُهُ ثَابِتٌ لا يُعْدَمُ، وعِزُّهُ زَائِدٌ لا يَنْقُصُ، ومَضَاؤُهُ نَافِذٌ لا يُدْفَعُ.

وهذه طَرِيقَةٌ من المَجَازِ يُحَسِّنُها للشُّعَراءِ ما يُحَاوِلُونَهُ من بُلوغِ غاياتِ المَدْحِ، وما يُتَعَارَفُ من مِثْلِها في اللُّغةِ.

٧ ـ مَضَتِ الدُّهُورُ وَمَا أَتَيْنَ بِمِثْلِهِ   وَلَقَدْ أَتَى فَعَجَزْنَ عَنْ نُظَرَائِهِ

ثُمَّ قالَ: مَضَتِ الدُّهورُ السَّالِفَةُ، والمُدَدُ الخَالِيةُ، وما أَتَيْنَ بِمِثْلِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ في ظُهورِ فَضْلِهِ، وإِحْرَازِهِ غَايَاتِ الكَمَالِ في جُمْلَةِ أَمْرِهِ، ثُمَّ أَتى الزَّمانُ به، فَعَجَزَتِ المُدَّةُ[3] المُشْتَمِلَةُ عَلَيْهِ عن أن تأتي له بِنَظِيرٍ يُشْبِهُهُ، أو تَعْتَرِضُهُ بِقَرِينٍ يَعْدِلُهُ.

(١) في ر، ف «جلالة».
(٢) في ر، ف «الثلاثة».
(٣) في ر، ف «المدد».

واستَزادَهُ سَيْفُ الدَّولةِ[١]، فقالَ:

١ ـ القَلبُ أعلَمُ يا عَذُولُ بِدائِهِ   وأَحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وبِمائِهِ

يقولُ: القلبُ أيُّها العَاذِلُ المُسْرِفُ، واللاَّئِمُ المُكْثِرُ، أَعْلَمُ مِنْكَ بِمِقْدَارِ دَائِهِ، وأَقْعَدُ بِحَقِيقةِ أَمْرِهِ، وأَوْلَى بالبُكَاءِ الذي تُنْكِرُهُ عليهِ، وتَعْذُلُهُ فيه؛ لأَنَّهُ يُسَكِّنُ وَجْدَهُ، ويُبَرِّدُ حَرَّهُ. وَجَعَلَ ذِكرَ الجَفْنِ والماءِ إشارَةً إلى البُكَاءِ.

٢ ـ فَوَمَنْ أُحِبُّ لأَعْصِيَنَّكَ في الهَوَى   قَسَماً بِهِ، وبِحُسْنِهِ، وَبَهائِهِ

ثُمَّ قالَ، مُخَاطِباً لِعَاذِلِهِ: فَوَحَقِّ مَنْ أُحِبُّهُ لأَعْصِيَنَّكَ في الهَوَى، والتَّمَسُّكِ به، وفي الحُبِّ والإقْبالِ عليه، قَسَماً بما أُعَظِّمُهُ من حَقِّهِ، وأَخْضَعُ له من بَهَائِهِ وحُسْنِهِ.

٣ ـ أَأُحِبُّهُ وأُحِبُّ فيهِ مَلاَمَةً؟   إنَّ المَلاَمَةَ فيه مِنْ أَعْدائِهِ

ثُمَّ قَالَ، أَأُحِبُّهُ، وأُحبُّ اللَّومَ فيهِ، وآلَفُهُ وآلَفُ العَذْلَ عَلَيْهِ؛ إنَّ[٢] المَلاَمَةَ من أَعْدَائِهِ المُخالِفِينَ، وأَضْدادِهِ المُعْتَرِضِينَ، وإنِّي إذا أَصْغَيْتُ إليها لَضَعِيفُ[٣] الرَّأْيِ، مُضْطَرِبُ الأَمرِ.

(١) سيف الدولة ساقطة من ر، ف.

(٢) في ر، ف «فإن».

(٣) في ف «الضعيف».



٤ ـ عَجِبَ الوُشَاةُ من اللُّحَاةِ وَقَوْلِهِمْ: دَعْ ما نَرَاكَ ضَعُفْتَ عَنْ إخْفَائِهِ

اللُّحاةُ: جَمْعُ لاحٍ، وهو اللائِمُ[1].

فَيَقولُ[2]: إن الوُشَاةَ مَعَ شِدَّةِ قَسْوَتِهم، وما هُم عَلَيْهِ من قِلَّةِ رَأْفَتِهم، عَجِبوا من اللُّحَاةِ وَقَوْلِهم لِمَن غَلَبَهُ الوَجْدُ، ومَلَكَهُ الحُبُّ، دَعْ ما نَراهُ قد غَلَبَكَ فما تَدْفَعُهُ، وَضَعُفْتَ عنه فما تَسْتُرُهُ، وهذا تَكْليفُ ما لا يُبْلَغُ مِثْلُهُ، ولا يُسْتَطاعُ حَمْلُهُ.

٥ ـ ما الخِلُّ إلاَّ مَنْ أَوَدُّ بِقَلْبِهِ وأَرَى بِطَرْفٍ لا يَرَى بِسَوَائِهِ

ثُمَّ قالَ: ما النَّصِيحُ المُشْفِقُ، والخَلِيلُ المُخْلِصُ، إلا مَنْ يَقِلُّ خِلافُهُ، ويَحْسُنُ إنْصَافُهُ، فَقَلْبُ خَلِيلِه كَقَلْبِهِ[3] فيما يَوَدُّهُ، وَطَرْفُهُ كَطَرْفِهِ فيما يَسْتَحْسِنُهُ وَيُحِبُّهُ، مُوافَقَةً له على رَأْيِهِ، ومُسَاعَدَةً له في جُمْلَةِ أَمْرِهِ.

٦ ـ إنَّ المُعِينَ عَلَى الصَّبَابَةِ والأَسَى[4] أَوْلَى بِرَحْمَةِ رَبِّها وإخائِهِ

الأَسَى: الحُزْنُ، وسواءُ: اسمٌ مَمدودٌ بِمَنْزِلَةِ غَيْر، مَعْناهُ مَعْنَى سِوى المَقْصورةِ[5].

ثُمَّ قالَ: إنَّ المُعِينَ على الصَّبَابَةِ بالرِّثَايَةِ لِصَاحِبِها، و[6]التَّحَزُّنِ لِمَنْ[7]

---

(١) «اللحاة... اللائم» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ثم يقول».

(٣) في ف «كقلبه».

(٤) في رواية الواحدي «بالأُسى» بضم الهمزة، جمع أسوة والمعنى أن الذي يعين المحب على صبابته أن يقول له أسوة بفلان وفلان أولى....

(٥) «الأسى... المقصورة» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «أو».

(٧) في ر، ف «لما».



امتُحِنَ بها، أولَى بالتَّرحُّمِ لِربِّها ومُؤَاخاتِهِ، وأحَقُّ بمُسَاعَدَتِهِ ومُصَافَاتِهِ[١].

٧ ـ مَهْـلاً فـإنَّ العَـذْلَ من أسْقَـامِـهِ وَتَـرَفُّقَـاً فـالسَّمْـعُ مِنْ أعْضَـائِـهِ

ثمَّ يَقولُ، مُسْتَدْفِعاً لِعَاذِلِه، وَمُسْتَكِفّاً لِلائِمِه: مَهْلاً، فإن العَذْلَ من أسْقَامِ المُحِبِّ، يُوجِعُ قَلْبَهُ، ويُضَاعِفُ حُزْنَهُ، وَرِفْقَاً به، فَسَمْعُهُ عُضْوٌ من أعْضَائِهِ، يُوجِعُهُ ما أوْجَعَهُ، ويُؤْلِمُهُ ما آلَمَهُ.

٨ ـ وَهَبِ المَـلاَمَـةَ في اللَّذَاذة كـالكَـرَى مَـطْرُودَةً بِـسُـهَـادِهِ وَبُـكَـائِـهِ

هَبْ: بِمَعْنَى ظُنَّ واحْسِب، أنشَدَ الأصْمَعِيُّ:

فَـكُـنْ لي مجـيـراً أبـا خـالـدٍ وإلاَّ فَـهَـبْـني امـرءاً هـالـكـاً[٢]

ثُمَّ قـالَ: وَهَبِ المَـلاَمَـةَ مُسْتَلَذَّةً لا تُسْتَكْـرَهُ[٣]، ومُسْتَحْسَنَـةً لا تُسْتَثْقَلُ[٤]. واحْسِبْهَا تَبْلُغُ في ذَلِكَ مَبْلَغَ النَّوْمِ، وتَحِلُّ مَحَلَّهُ، يَطْرُدُهَا السُّهَادُ الذي طَرَدَهُ، ويُبْعِدُها البُكَاءُ الذي أبْعَدَهُ.

---

(١) في ف «ومصافحته».

(٢) «هب... هالكاً» زيادة في ل.

والبيت لابن همّام السلولي ـ وقد رُوي صدره مختلفاً في رواية أخرى: «فقلت أجِزني أبا خالد».

والبيت شاهد على تعدية هب بمعنى اعتقد إلى مفعولين.

انظر شرح شذور الذهب ص ٣٦١ وشرح شواهد المغني ٢/٩٢٣ ـ ٩٢٤ ـ وفي اللسان مادة وهب قال الأصمعي: «تقول العرب هبني ذلك أي احسبني واعددني، قال ولا يقال هب، ولا يقال في الواجب قد وهبتك كما يقال ذرني ودعني ولا يقال وذرتك ـ وحكى ابن الأعرابي وهبني الله فداك؛ أي: جعلني فداك».

(٣) في ف «لا تستكثر».

(٤) في ر، ف «لا تستقل» وزاد بعدها «وهب بمعنى احسب وظن فيقول».



٩ ـ لا تَعْذِرِ المُشْتَاقَ في أَشْوَاقِهِ   حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ في أَحْشَائِهِ

ثُمَّ قالَ: لا يَعْذِرُ الخَلِيُّ العَاشِقَ، ولا يُسَاوِي المُشْتَاقُ السَّالِيَ، حَتَّى تَكُونَ أَحْشَاؤُهُ كَأَحْشَائِهِ، وأَحْوَالُهُ كأَحْوَالِهِ، فَيُقَاسِي ما قَاسَاهُ[1]، ويُشْكِيهِ ما أَشْكَاهُ.

١٠ ـ إنَّ القَتِيلَ مُضَرَّجاً بِدُمُوعِهِ   مِثْلُ القَتِيلِ مضرَّجاً بِدِمَائِهِ

التَّضْرِيجُ: التَّلْطِيخُ[2].

فَيَقُولُ: إن القَتِيلَ الذي يَقْتُلُهُ الحبُّ، ويَمْلِكُهُ[3] الحُزْنُ، وَيَتَضَرَّجُ بِدُمُوعِهِ فيما يَسْتَحِقُّهُ من التَّرَحُّمِ، وَيَسْتَوْجِبُهُ من التَّحَنُّنِ، كالقَتِيلِ الذي تَقْتُلُهُ[5] السِّلاَحُ، وَيَتَضَرَّجُ بالدَّمِ، لا فَرقَ بَيْنَ الأَمْرينِ، ولا خِلافَ بَيْنَ الحَالَيْنِ.

١١ ـ وَالعِشْقُ كَالمعشُوقِ يَعْذُبُ قُرْبُهُ   لِلْمُبْتَلَى وَيَنَالُ مِنْ حَوْبَائِهِ

الحَوْبَاءُ: النَّفْسُ[6].

ثُمَّ قالَ، مُبَيِّناً لِمَوْضِعِ العِشْقِ من النَّفْسِ، واسْتِيلاَئِهِ على الرَّأْيِ: والعِشقُ كالمَعْشُوقِ في حِرْصِ العَاشِقِ عليه، وَحَنِينِهِ إليه، وأَنَّه يَعْذُبُ قُرْبُهُ لِلْمُبْتَلى بِهِ[7]، وهو يَنَالُ من نَفْسِهِ، ويَحْسُنُ عِنْدَهُ، وَهُوَ يَبْعَثُ على سُقْمِهِ.

---

(١) في ف «ما قساه» ومطموسة في ر.

(٢) «التضريج: التلطيخ» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) في ف «ويمكه».

(٥) في ر، ف «يقتله».

(٦) «الحوباء: النفس» زيادة في ل.

(٧) ساقطة من ر، ف.

١٢ ـ لَوْ قُلْتَ للدَّنِفِ الحَزِينِ فَدَيْتُهُ   مِمَّا بِهِ لأَغَرْتَهُ بِفِدَائِهِ

الدَّنَفُ: المَرَضُ اللاَّزِمُ[١].

ثُمَّ قال، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ: لو قُلْتَ للدَّنِفِ الذي قد بَالَغَهُ حُزْنُهُ، وأَنْحَلَهُ سُقْمُهُ، فَدَيْتُهُ مِمَّا بِهِ؛ لأَغَرْتَهُ بِقَوْلِكَ، وأَسْخَطْتَهُ بِتَمَنِّيكَ، اغْتِبَاطاً منه بِحالِهِ[٢]، واسْتِصْوَاباً لِرَأْيِهِ.

١٣ ـ وُقِيَ الأَمِيرُ هَوَى العُيُونِ فإِنَّهُ   مَا لاَ يَزُولُ بِبَأْسِهِ وسَخَائِهِ

ثُمَّ[٣] دَعَا لِسَيْفِ الدَّولةِ، خُرُوجاً إلى المَدْحِ، وَمُؤَكِّداً لِمَا قَدَّمَهُ من اسْتِعْظَامِ الحُبِّ، فقالَ: وُقِيَ الأَميرُ هَوَى العُيُونِ الفَاتِرَةِ، فإنَّ ذلكَ ما لا يَعْصِمُ مِنْهُ؛ بَأْسُهُ وَشِدَّتُهُ، وسَخَاؤُهُ وكَثْرَتُهُ.

١٤ ـ يَسْتَأْسِرُ البَطَلَ الكَمِيَّ بِنَظْرَةٍ   وَيَحُولُ بَيْنَ فُؤَادِهِ وَعَزَائِهِ

البَطَلُ: الشُّجَاعُ، والكَمِيُّ: الشُّجَاعُ المُتَغَيِّبُ في سِلاحِهِ، والعَزاءُ: الصَّبْرُ[٤].

ثُمَّ قالَ[٥]، وَاصِفاً لِسُلْطَانِ هَوَى العُيونِ: يَسْتَأْسِرُ البَطَلَ الكَميَّ بِأَوَّلِ نَظْرَةٍ، وَيَحُولُ بَيْنَ قَلْبِهِ وَصَبْرِهِ بأَقَلِّ لَحْظَةٍ.

١٥ ـ إِنِّي دَعَوْتُكَ لِلنَّوائِبِ دَعْوَةً   لم يُدْعَ سَامِعُهَا إلى أَكْفَائِهِ

---

(١) «الدنف: المرض اللازم» زيادة في ل. قال أبو الفتح: والدَّنِفُ: الشديد المرض، ووجه إغارته إياه: الشح على محبوبه، والخوف أن يحل أحد محله منه» (النظام ج ١ ورقة ٢٩).

(٢) ساقطة من ف.

(٣) زيادة في ر، ف.

(٤) «البطل... الصبر» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «ثم يقول».



ثُمَّ يَقُولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: إنّي دَعَوْتُك للنَّوائِبِ وصُرُوفِها، وللحَوادِثِ وَخُطُوبِها، دَعْوَةً لم أَدْعُ سامِعَها إلى كُفْؤِهِ، ولا استَصْرَخْتُ المُخاطَبَ بها على مِثْلِهِ، وإنَّما دَعَوْتُ منكَ، يُرِيدُ: سَيْفَ الدَّولَةِ، الكبيرَ للصَّغِيرِ، والجَليلَ لليَسيرِ.

١٦ ـ فأَتَيْتَ مِنْ فَوْقِ الزَّمانِ وَتَحْتِهِ، مُتَصَلْصِلاً وأَمامِهِ وَوَرَائِهِ

الصَّلْصَلَةُ: امتِدادُ الصَّوتِ[١].

ثُمَّ قالَ، مُخاطِباً له: فَأَتَيْتَ[٢] من فَوْقِ الزَّمانِ وتَحْتِهِ، ومن أَمَامِهِ وَوَرَائِهِ، يشيرُ[٣] بهذا القولِ إلى إحاطَةِ مَقْدِرَتِهِ بالزَّمنِ[٤]، وقَسْرِهِ[٥] له، واقتِدَارِهِ عَلَيْهِ، وأَنَّهُ لا يُخِيفُ مَنْ مَنَعَهُ، ولا يُجِيرُ مَنْ طَلَبَهُ.

١٧ ـ مَنْ لِلسُّيُوفِ بِأَنْ يَكُونَ سَمِيَّها[٦] في أَصْلِهِ وَفِرِنْدِهِ وَوَفَائِهِ

فِرِنْدُ: السَّيفِ: رَوْنَقُهُ[٧].

فَيقولُ[٨]: مَنْ لِلسُّيوفِ، وهي حَدائدُ لا تَعْقِلُ، بأَنْ يكونَ سَيْفُ الدَّولةِ سَمِيَّها مَعَ كَرَمِ أَصْلِهِ، وبَهاءِ فِرِنْدِهِ، وتَكامُلِ وَفائِهِ، وتقصيرِ السُّيُوفِ

(١) «الصَلصلة: امتداد الصوت» زيادة في ل.
(٢) في ل «فأتيته».
(٣) في ر، ف «مشيراً».
(٤) في ر، ف «بالزمان».
(٥) في ر، ف «وقصره».
(٦) كذا في رواية ابن جني أيضاً، وفي رواية ابن المستوفي «بأن تكون سميها» وفي رواية الواحدي والتبيان «بأن تكون سميُّهُ» وجاءت الإشارة إلى صحة رواية «تكون» في حاشية ل.
(٧) «فرند السيف: رونقه» زيادة في ل.
(٨) في ر، ف «ثم يقول».



عنهُ في جميعِ ذلك، فَمَنْ لها بمُوَافَقَتِهِ في لَقَبِهِ، مَعَ تَوَاضُعِها عنه في شَرَفِهِ.

١٨ - طُبِعَ الحَـديـدُ فَكـانَ مِنْ أَجْنَـاسِـهِ وَعَـلِيٌّ المَـطْبُـوعُ مِـنْ آبـائِـهِ

طَبْعُ الحديدِ: صِنَاعَتُهُ وتَصْيِيرُهُ على الهَيْئَةِ المَقْصُودَةِ فيه[1].

ثُمَّ قالَ، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ من تَقْصِيرِ السُّيُوفِ عَنْهُ: طُبِعَ الحديدُ وصُنِعَ، وكانتِ السُّيوفُ صِنْفاً من أَصْنَافِهِ، وجِنْساً من أَجْنَاسِهِ، وطَبْعُ سيفِ الدَّولةِ من آبائِهِ بالشَّرَفِ القَـديمِ، والنَّسَبِ الكريمِ، والنَّجْـرِ[2] الصَّميمِ، فَمَنْ للسُّيوفِ بمُشَاكَلَتِهِ، وكَيْفَ لها بمُسَاوَاتِهِ[3] ومُماثلتِهِ.

(١) «طبع الحديد... المقصودة فيه» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «المجد».

(٣) في ف «بمناولته».



وجاءَهُ رَسُولُ سَيْفِ الدَّولةِ مُسْتَعْجِلاً، ومَعَهُ رُقْعَةٌ فيها بَيْتَانِ في كِتْمَانِ السِّرِّ، وهما(١):

أَمِنِّي تَخَافُ انْتِشَارَ الحَدِيثِ وَحَظِّيَ في سَتْرِهِ أَوْفَرُ؟
وَلَوْ لَمْ أَصُنْهُ لِبُقْيَا عَلَيْكَ نَظَرْتُ لِنَفْسِي كما تَنْظُرُ

مَعْنَاهُما(٢): يقولُ هذا الشاعرُ لِمَن خَشِيَهُ على كَشْفِ سِرِّهِ، وإظْهَارِ ما كَتَمَهُ من أَمْرِهِ: أَمِنِّي تَخَافُ انكشَافَ سِرِّكَ، وانتِشَارَ حَدِيْثِكَ، ووفورُ الحَظِّ لي في طَيِّهِ وكَتْمِهِ(٣)، ثُمَّ قالَ(٤): ولو لم أَصُنْ سِرَّكَ(٥) إبْقَاءً عَلَيْك، أو إنصَافاً لك، لَصُنْتُهُ نَظَراً لِنَفْسِي، وإبْقَاءً على ما فيه حَظِّي، لِأَنَّ ما يَلْحَقُني من الوَصْمَةِ بإذاعَةِ السِّرِّ أَشَدُّ مما أَتَوَقَّعُهُ في ذلك من الضُّرِّ.

وَسَأَلَهُ سَيْفُ الدَّولةِ(٦) إجازَتَها، فَقَالَ:

١ - رِضَاكَ رِضَايَ(٧) الَّذي أُوثِرُ وَسِرُّكَ سِرِّي فَمَا أُظْهِرُ

(١) البيتان مع أبيات أخرى للعباس بن الأحنف (انظر ديوانه ص ١٤٦).
(٢) زيادة في ر، ف.
(٣) في ل «ووفور الحظ في طيه وكتمه لي».
(٤) «ثم قال» زيادة في ل.
(٥) في ر «أصنه» وفي ف «لصينه».
(٦) «سيف الدولة» زيادة في ل.
(٧) في رواية الواحدي «رضائي».

يَقولُ، لمن يُخَاطِبُهُ: رِضَاكَ رِضَايَ الذي أُوثِرُهُ، وأَبْدُرُ إليه وأَلْزَمُهُ، وأَحْرِصُ عليه، وسِرُّكَ سِرِّي، فكَيْفَ أُظْهِرُه؟! وأَمْرُكَ أَمْرِي، فكَيْفَ أُضَيِّعُهُ؟!

٢ ـ كَفَتْكَ المُرُوءَةُ ما تَتَّقي وآمَنَكَ الوُدُّ ما تَحْذَرُ[١]

ثُمَّ قالَ: كَفَتْكَ مُروءَتي ما تَتَّقِيه من تَضْييعي لِحَقِّكَ، وآمَنَكَ وُدِّي ما تَحْذَرُهُ من إفْشَائِي لِسِرِّكَ.

٣ ـ وَسِرُّكُمُ في الحَشَا مَيِّتٌ إذَا أُنْشِرَ السِّرُّ لا يُنْشَرُ

أُنْشِرَ الشَّيءُ: إذا أُحْيِيَ[٢].

ثُمَّ قالَ: وَسِرُّكُم مَيِّتٌ[٣] في الحَشَا بِكَتْمِهِ، دَفِينٌ فيه بِحِفظِهِ، لا يَحْيَا إذا أُحْيِيَتِ الأَسْرارُ ولا يَظْهَرُ، ولا يَفْشُو بَيْنها[٤] ولا يُذْكَرُ.

٤ ـ كَأَنِّي عَصَتْ مُقْلَتِي فِيكُمُ وكَاتَمَتِ القَلْبَ ما تُبْصِرُ

ثُمَّ[٥] يَقُولُ، وَاصِفاً لما هُوَ عَلَيْهِ من كَتْمِ السِّرِّ، وحِفْظِ الغَيْبِ: كأَنِّي قد[٦] عَصَتْ مُقْلَتِي فيكمُ القَلْبَ، فَكَاتَمَتْهُ ما تُبْصِرُ، وساتَرَتْهُ ما تَشْهَدُ، فإذا كَانَ بَعْضِي يَكْتُمُ عن[٧] بَعْضِي السِّرَّ[٨]، شُحّاً به، ويَسْتُرُه عنه، حِفْظاً له،

(١) كذا في رواية التبيان أيضاً، وفي ر، ف ورواية الواحدي كفتك المروّة... وأمّنكَ..

(٢) «أنشر... أحيي» زيادة في ل.

(٣) ساقطة من ف.

(٤) «بينها» زيادة في ل

(٥) زيادة في ر.

(٦) زيادة في ر، ف.

(٧) «عن» زيادة في ل.

(٨) في ر «بعضاً السرّ» وفي ف «يكتم بعض السرّ».

فكيف تَـظُنُّ بي مَعَ غَـيْري مِمَّن يَلْتَمِسُ مني[1] عِلْمَهُ، ويُحـاوِلُ مِنْ قِبَلي[2] إدْراكَهُ؟

٥ ـ وإفْـشَـاءُ مَـا أنَـا مُـسْـتَـوْدَعٌ مِـن الـغَـدْرِ، والحُـرُّ لاَ يَـغْـدِرُ

ثُمَّ قالَ: وإفْشَاءُ ما أُودِعُهُ[3] مِنَ السِّرِّ غَدْرٌ بِصَاحِبِهِ، وظُلْمٌ لِمُسْتَوْدِعِهِ، والحُرُّ يَفِي ولا يَغْدِرُ، ويَنْصِفُ ولا يَظْلِمُ.

٦ ـ إذا مَـا قَـدَرْتُ عَـلَى نَـطْقَـةٍ فَـإنِي عَـلَى تَـرْكِـهَـا أَقْـدَرُ

ثُمَّ[4] يقولُ: إذا ما قَدَرْتُ على النُّطْقِ فَإنِّي أَقْدَرُ عَلَى تَرْكِهِ، وكما أَتَمَكَّنُ من إذَاعَةِ السِّرِّ، فكذلك أَتمكَّنُ من حِفْظِهِ.

٧ ـ أُصَـرِّفُ نَـفْسي كـما أَشْـتَـهـي وأَمْـلِكُـهـا والـقَـنَـا أَحْمَـرُ

ثُمَّ قالَ: أُصَرِّفُ نَفْسِي على ما أُوثِرُهُ، وأَحْمِلُهَا عَلَى مَا أَرْغَبُهُ، وأَمْلِكُهَا والقَنَا أَحْمَرُ من طِعَانِ الفُرْسَانِ، مُتَخَضِّبٌ[5] من دِمَاءِ الأَقْرَانِ، ولا أُرَاعُ في[6] تِلْكَ الوَقَائِعِ، ولا أَحُولُ عند تِلْكَ الشَّدَائِدِ.

٨ ـ دَوَالَـيْـكَ يَـا سَـيْـفَـهـا دَوْلَـةً وأَمْـرَكَ يَـا خَـيْرَ مَـنْ يَـأْمُـرُ

دَوَالَيْكَ: اسمٌ يُثَنَّى على سَبيْلِ المُبَالَغةِ، مَعْنَاهُ: مُدَاوَلَةٌ بَعْدَ مَدَاوَلَةٍ[7].

---

(١) ساقطة من ل.

(٢) في ف «قلبي» وهو تحريف.

(٣) في ر، ف «استودعه».

(٤) زيادة في ر، ف.

(٥) في ر، ف «ومختضب».

(٦) في ر، ف «من»

(٧) «دواليك... مداولة» زيادة في ل.

فيقولُ لِسَيْفِ الدَّولَةِ: أدِلِ الدُّوَلَ ناهِضاً بِثِقَلِها، مُنْفَرِداً بِتَدْبِيرِ أَمْرِها، ومُرْ أَمْرَكَ نَبْدُرْ إليهِ، ونَحْتَمِلْ[1] عليهِ، يا خَيْرَ آمرٍ يَأْمُرُ، وأَفْضَلَ مَلِكٍ يُذْكَرُ.

٩ ـ أَتَانِي رَسُولُكَ مُسْتَعجِلاً فَلَبَّاهُ شِعْرِي الذي أَذْخَرُ

ذَخَرْتُ الشَّيءَ: إذا أَعْدَدتَهُ لِمُهِمِّكَ[2].

ثُمَّ قالَ: أَتَانِي رَسُولُكَ مُسْتَعْجِلاً في إجَازَةِ البَيْتَيْنِ اللَّذَيْنِ وَجَّهتَ بِهما، فَلَبَّاهُ شِعْرِي الذي أَذْخَرُهُ[3]، وإجَابَهُ قَوْلِي الذي أَتَخَيَّرُهُ.

١٠ ـ وَلَوْ كَانَ يَوْمَ وَغىً قَاتِماً لَلَبَّاهُ سَيْفِيَ والأَشْقَرُ

الوَغَى: الحَرْبُ، سُمِّيتْ بذلكَ لِكَثْرَةِ الأصواتِ فيها، والقاتِمُ: المُظْلِمُ لكثرة الرَّهَجِ، والقَتَامُ: الغُبَارُ[4].

فيقولُ[5]، وهو يخاطِبُ سَيْفَ الدَّولَةِ[6]: ولو كانَ إتيانُ كتابِكَ[7] إليَّ[8] يَوْمَ[9]

---

(١) في ف «ويحتمل» وفي ر «تَبْدُر... وتحتمل».

(٢) «دخرت... لمهمك» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ادخرته».

(٤) «الوغى... الغبار» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «ثم قال».

(٦) «وهو يخاطبُ سيف الدولة» زيادة في ل.

(٧) في ر، ف «اتيانه».

(٨) ساقطة من ر، ف.

(٩) يلاحظ أن الأفليلي متفق مع ابن جني على إضمار اسم كان، وتقديره عند ابن جني «ولو كان ما نحن عليه من الحال، أو لو كان دعاؤك أتاني في يوم وغى قاتماً للباه سيفي والأشقر، وفي كتاب أبي زكريا الخطيب تقديره ولو كان اليوم يوم وغى ويجوز أن يكون المضمر ولو كان إتيان الرسول لأنهم يضمرون المصادر التي لا يدل عليها الكلام، فتكون مرة في النية، ومرة يستدل عليها بالحروف، قال المبارك بن أحمد: ليس هذا الموضع من المواضع التي تضمر فيها المصادر على ما ذكر». (النظام ج ١ ورقة ٧١).

وغىً قَائِماً، لَلبَّاهُ سَيْفِي أَضْرِبُ به، وفَرَسِي[1] أَحمِلُ عليهِ، يُشِيرُ إلى مُسَارَعَتِهِ في نُصْرَتِهِ، وما هُوَ عَلَيْهِ من مُسْتَحْكِمِ طَاعَتِهِ.

١١ - فَــلا غَـفَــلَ الـدَّهْـرُ عَـنْ أَهْــلِهِ فــإنَّــكَ عَــيْنٌ بِهَــا يَــنْـظُرُ

ثُمَّ قالَ داعياً لَهُ: فلا غَفَلَ الزَّمانُ عن أَهْلِهِ بِعَدَمِهِمْ لَكَ، يُشِيرُ إلى الموتِ، فإنَّكَ عَيْنُهُ التي بها يَنْظُرُ، وضِيَاؤُهُ الذي به يُبْصِرُ.

(١) في ر «وفرب» وفي ف «ورب».



- ٤٩ -

واسْتَبْطَأَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ مَدْحَهُ، وعَاتَبَهُ مُدَّةً، ثُمَّ لَقِيَهُ في المَيْدَانِ، فأَنْكَرَ أبو الطَّيِّبِ تَقْصِيرَهُ عمَّا كَانَ عَوَّدَهُ من الإِقْبَالِ إليه، والسَّلامِ عليْهِ، فَعَادَ إلى مَنْزِلِهِ، وكَتَبَ إليه بهذه الأَبْيَاتِ من وَقْتِهِ:

١ - أَرَى ذَلِكَ القُرْبَ صَارَ ازْوِرَارا ... وَصَارَ طَوِيلُ السَّلاَمِ اخْتِصَارا

الازْورارُ: المَيْلُ والانحِرافُ[1].

فيقولُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ: أَرَى ما عَهِدتُهُ من اسْتِقْرَابِكَ لي قد صَارَ بُعْداً عَنْكَ، وطُولَ سَلاَمِك وإِقْبَالِكَ عَليَّ قَدْ صَارَ اخْتِصَاراً مِنْكَ.

٢ - تَرَكْتَنِي اليومَ في خَجْلَةٍ ... أَمُوتُ مِرَاراً وأَحْيَا مِرَارَا

ثُمَّ قالَ: تَرَكْتَنِي اليومَ في خَجْلَةٍ بإِعْرَاضِكَ، وما حُرِمْتُهُ من كَرِيمِ إِقْبَالِكَ، تَارَةً أَموتُ لإِشْفَاقِي من صَدِّكَ، وتَارةً أَحْيَا باخْتِلاَسِي النَّظَرَ إلى وَجْهِكَ.

٣ - أُسَارِقُكَ اللَّحْظَ مُسْتَحِيَاً ... وأَزْجُرُ في الخَيْلِ مُهْرِي سِرَارَا

(١) «الازورار... والانحراف» زيادة في ل.

ثُمَّ[1] يقولُ: أُسارِقُكَ اللَّحظَ في الجَماعَةِ مُسْتَحِيِاً لما حُرِمْتُهُ من بِرِّكَ، وأَزْجُرُ مُهْري مُسْتَسِرّاً لما أَنْكَرْتُهُ مِنْ أَمْرِكَ.

٤ ـ وأَعْلَمُ أنِّي إذا مَا اعتَذَرْتُ إليكَ أَرَادَ اعتِذَارِي اعتِذَارا

ثُمَّ قالَ: وأَعْلَمُ أنِّي إذا[2] تعرَّضْتُ لِلعُذْرِ، وبَسَطتُ فيه شَيْئاً من القَوْلِ، قَابَلْتَ ذلكَ بالإنْكَارِ والرَّدِّ، فأُوَاصِلُ العُذْرَ بما لا تَقْبَلُهُ، وأُكْثِرُ القَوْلَ بما[3] لا تَسْمَعُهُ[4].

٥ ـ كَفَرْتُ أَيَادِيكَ[5] البَاهِرا تِ إنْ كَانَ ذلكَ مِنِّي اختيارا[6]

الباهِرُ: الغالِبُ[7].

فيقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: كَفَرْتُ[8] أَيادِيَكَ التي تَبْهَرُ الشُّكْرَ، وتَسْتَغْرِقُ النَّشْرَ، إن كَانَ ما أَنْكَرْتُهُ من تَأَخُّرِ مَدْحي عَنْكَ شَيْئاً أَرَدْتُهُ، واختياراً قَصَدْتُهُ.

---

(١) زيادة في ر، ف.

(٢) في ل «إن».

(٣) في ر، ف «في ما».

(٤) قال أبو الفتح في تفسير هذا البيت «أراد اعتذاري من غير ذنب شيء منكر ينبغي أن أعتذر منه، لأنه شيء في غير موضعه، ولولا أن هذا في سيف الدولة لجوزت أن يكون قد طواه فيه، وطواه طي هجاء ما لغز به وغالط» (النظام ج ٢ ورقة ٧١).

(٥) في رواية الواحدي والتبيان وابن المستوفي «كفرت مكارمك».

(٦) روي صاحب التبيان هذا البيت سادساً والسادس خامساً. (انظر ٢/٩٤ ـ ٩٥).

(٧) «الباهر: الغالب» زيادة في ل.

(٨) في ر، ف «ثم قال: كفرت».

٦ ـ وَلَكِنْ حَمى الشِّعْرَ إلا القليـ ـلَ همٌّ حَمَى النَّومَ إلا غِرَارَا

حَمَيْتُ الشَّيءَ: إذا مَنعْتَ منهُ، والغِرارُ: النَّوْمُ القَليلُ[1]. ثُمَّ قالَ: ولكنْ حَمى الشِّعْرَ وَمَنَعَهُ، إلا قَليلاً لا أحْفِلُ به، وَمُسْتَكْرِهاً لا أنْشَطُ لَهُ، هَمٌّ حَمى النَّومَ وطَرَدَهُ[2]، وأبْعَدَهُ وَشَرَّدَهُ، فما أطْعَمُ منه إلاَّ غِراراً لا يَنْفَعُ، وَيَسِيْراً لا يُقْنِعُ.

٧ ـ وما أنا أسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ ولا أنا أضْرَمْتُ في القَلْبِ نارا

ثُمَّ قالَ: وما أنا أسْقَمْتُ نَفْسِي بذَلِكَ الهمِّ مُخْتَاراً للسُّقْمِ، ولا آلَمْتُ نَفْسِي به مُؤْثِراً لِلألَمِ، ولا أنَا أضْرَمْتُ في قَلْبِي تلكَ الجَمْرَةَ، ولا ألْزَمْتُ نَفْسِي تلكَ اللَّوْعَةَ، ولكني دُفِعْتُ إلى ذلك على[3] غَيْرِ قَصْدٍ، وامتُحِنْتُ به على غَيْرِ عَمْدٍ.

٨ ـ فَلاَ تُلْزِمَنِّي ذُنُوبَ[4] الزَّمانِ إليَّ أسَاءَ وإيَّايَ ضَارَا

ضِرْتُ الرجُلَ وأضْرَرْتُ به: بمعنىً واحدٍ[5].

فَيَقُولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: فلا تُلْزِمَنِّي بالتَّأَخُّرِ عن الشِّعرِ ذُنُوباً أحْدَثَها الزَّمَانُ، بِتَعَاقُبِ خُطُوبِه، وَتَكَرُّرِ[6] صُرُوفِهِ، فَإليَّ أسَاءَ بِكَثْرَتِها، وإيَّايَ ضَارَ[7] بِشِدَّتِها.

(١) «حميت... القليل» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «وطرحه».

(٣) ساقطة من ر، ف.

(٤) في رواية الواحدي «صروف الزمان».

(٥) «ضرت... واحد» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «تكدُّر».

(٧) في ر، ف «ضرّ».

٩ - وَعِنْـدي لَـكَ الشُّـرْدُ السَّـائِـرَا ... تُ لا يَخْتَصِصْنَ من الأَرْضِ دَارَا

الشُّرْدُ هاهُنَا: القَصَائِدُ، واحِدَتُها شَرُودٌ، وهي التي لا تَسْتَقِرُّ في مكانٍ[1].

ثمَّ قالَ[2] لَهُ[3]: وعِنْدي لَكَ[4] بَعْدَ ذلك الأَشْعَارُ الشَّارِدَةُ بِحُسْنِها، السائِرَةُ في البلادِ بِبَرَاعَةِ نَظْمِهَا، لا تَخْتَصُّ من الأَرْضِ داراً تَأْلَفُهَا، ولا جِهَةً تَسْكُنُهَا، ولكنَّها تَسِيرُ[5] في الأَرْضِ مُنْتَقِلَةً، وَتَظْعَنُ فيها على الأَلْسُنِ[6] مُرْتَحِلةً.

١٠ - فَـإِنِّي إذا سِـرْنَ في مِـقْـوَلي[7] ... وَثَبْنَ الجبـالَ وَخُضْـنَ البِحَـارا

المِقْوَلُ: اللِّسانُ[8].

ثُمَّ قالَ: فإني إذا سَيَّرْتُها نَاطِقاً بها[9]، وأَظْهَرْتُها مُرَوِّياً لها، وَثَبَتِ الجِبَالَ غَيْرَ متوقِّعَةٍ[10]، وخاضَتِ البحارَ غَيْرَ مُتَهَيِّبَةٍ.

١١ - ولي فِـيْـكَ مـا لَمْ يَـقُـلْ قَـائِـلٌ ... وَمَـا لَمْ يَسِرْ قَـمَـرٌ حَيْـثُ سَـارَا

---

(١) «الشرد... في مكان» زيادة في ل.
(٢) في ر، ف «ثم يقول».
(٣) «له» زيادة في ل.
(٤) ساقطة من ر، ف.
(٥) في ر، ف «تسري».
(٦) في ر، ف «الانس».
(٧) كذا في رواية المبارك بن أحمد المستوفي أيضاً، وفي ل «سرن عن» وفي رواية الواحدي والتبيان: قواف إذا سرن عن مقولي.
(٨) «المقول: اللسان» زيادة في ل.
(٩) في ر، ف «باظعانها».
(١٠) في ر، ف «متوقفة».

ثمَّ يقـولُ لسيف الدَّولـةِ: ولي فيكَ من بَـدَائِعِ[1] الشِّعْـرِ، وغرائِبِ النَّظْمِ، ما لم يَقُل مِثْلَهُ قَائِلٌ، ولا تَعَاطَى نَظِيْرَهُ شَاعِرٌ، وما زَادَ في السَّيْرِ على القَمَر، وقَصَّرَ عَنْهُ جميعُ البَشَرِ.

١٢ ـ فَلَوْ خُلِقَ النَّـاسُ مِنْ دَهْـرِهِـمْ   لَكَـانُـوا الـظَّلامَ وَكُنْـتَ النَّهَـارا

ثُمَّ قالَ: فَلَوْ[2] أنَّ النَّاسَ خُلقـوا من دَهْرِهم، ورُكِّبـوا مِنْ زَمَانِهم، لكُنْتَ كالنَّهارِ في بَيَانِ فَضْلِكَ، وكانوا كالظَّلامِ في تَوَاضُعِهم عن قَدْرِكَ.

١٣ ـ أَشَـدُّهـم   في   نَـدىً   هِـزَّةً   وأَبـعَـدُهـم في عَـدُوٍّ مُـغَـارا[3]

هِزَّةُ النَّدَى: السُّرورُ به، والحِرْصُ عليهِ[4].

ثُمَّ قـالَ لَـهُ[5]: أنتَ أشـدُّهم في الكَـرَمِ هِـزَّةً، لِحِرْصِـكَ عليـهِ، وأَبْعَدُهم[6] في العدوِّ غارةً، بِتسرُّعِكَ إليهِ.

١٤ ـ سَـمَا بـكَ هَمِّـيَ فـوقَ الهُـمـومِ   فَـلَسْتُ أَعُـدُّ يَـسَـاراً يَـسَـارا

الهَمُّ والهِمَّةُ بِمَعْنًى واحدٍ، واليَسَارُ: كَثْرَةُ المالِ[7].

---

(١) في ر، ف «بديع».

(٢) في ل، «ولو».

(٣) في رواية الواحدي والتبيان وابن المستوفي «الندى».
قال المبارك بن أحمد: «وسَاعي أشدُّهم وأبعدُهم مرفوعين، أي أنت أشدهم وأبعدهم، وفي نسخة وعليه كان يعول علي بن عيسى أشدَّهم وأبعدَهم منصوبتين».
(النظام ج ٢ ورقة ٧٢).

(٤) «هزة... والحرص عليه» زيادة في ل.

(٥) زاد في ل «ثم قال لسيف الدولة».

(٦) في ر، ف «وأبعد».

(٧) «الهم... كثرة المال» زيادة في ل.

فيقولُ: سَمَتْ بك هِمَّتي[1] على الهِمَمِ[2]، وأحْرَزْتُ عِنْدَكَ أوْفَرَ النِّعَمِ، فَلَسْتُ أسْتَكْثِرُ الكَثِيرَ لِقُدْرَتي عَلَيْهِ، ولا أحْفِلُ به لِتَمَكُّني فيه.

١٥ ـ وَمَنْ كُنْتَ بَحْراً لَهُ يا عَليُّ لم يَقْبَلِ الدُّرَّ إلاَّ كِبارا

ثُمَّ قالَ لَهُ[3]: ومن كُنْتَ يا عليُّ بَحْرَهُ الذي يَغْتَرِفُ منه، وَمَوْرِدَهُ الذي يَصْدُرُ عَنْهُ، لم يَقْبَلِ الدُّرَّ إلا كِباراً غَرِيبَةً، ولم تُقْنِعْهُ إلاَّ نَفِيْسَةً جَلِيْلَةً.

(١) في ف «همي».

(٢) «على الهمم» زيادة في ر، ف.

(٣) في ل «لسيف الدولة».



- ٥٠ -

رَحَلَ سَيْفُ الدَّولةِ من حَلَبَ إلى دِيارِ مُضَرٍ(١)، لاضطِرَابِ الباديةِ بها، فَنَزَلَ حَرَّانَ(٢)، فَأَخَذَ رَهائِنَ بَني نُمَيْرٍ(٣) وقُشَيْرٍ والعَجْلاَنِ، وَحَدَثَ له رَأْيٌ في الغَزْوِ، فَعَبَرَ الفُرَاتَ إلى دَلُوكَ(٤)، إلى قَنْطَرةِ صَنْجَةَ(٥)، إلى(٦) دَرْبِ القُلَّةِ، فَشَنَّ الغَارَةَ على أَرْضِ عَرْقَةَ وَمَلَطْيَـةَ(٧). وعادَ لِيَعْـبُرَ من دَرْبِ مَوْزَارَ(٨)، فوجَدَ العَدُوَّ قَدْ ضَبَطَهُ عليهِ فَرَجَعَ، وتَبِعَهُ العَدُوُّ فَعَطَفَ عليه، فَقَتَلَ خَلْقاً من

---

(١) في ف «مصر» بصاد مهملة وهو تصحيف.

(٢) مدينة مشهورة، ذات عراقة وتاريخ، وهي قصبة ديار مضر، على طريق الموصل والشام والروم. (انظر معجم البلدان ٢٣٥/٢).وانظر شرح الأفليلي لها ص ٩١ من هذا الجزء.

(٣) كذا في شرح ابن جني ورقة ٤٣٥ .وفي شرح الواحدي ٥١٤ وديوان أبي الطيب المخطوط ورقة ١٢٧ «فأخذ رهائن عقيل وقشير وبلعجلان» وفي النظام ج ٢ ورقة ٧٣ «لما أوقع ببني عقيل وقشير والعجلان وبني كلاب».

(٤) دَلُوك: بفتح أوله وضم ثانيه بعده واو وكاف: بلد من الثغور المتصلة ببلاد الروم من نواحي حلب. (معجم ما استعجم ٥٥٥/١) وكذا في ر، ف، ل، وشرح ديوان أبي الطيب المخطوط ورقة ١٢٧ و«دُلُوكَ» بضم أوله في معجم البلدان ٤٦١/٢ وشرح الواحدي وشرح ابن جني (٤٣٥).

(٥) صنجة: موضع من الثغور الرومية متصل بدلوك.

(٦) في ل «وإلى».

(٧) عَرْقَةُ وَمَلَطْيَةُ: موضعان من ثغور مرعش من بلاد الروم، وفي ديوان أبي الطيب المخطوط ورقة ١٢٦ «مَلَطِيَّة» بكسر الطاء وتشديد الياء.

(٨) في ر، ف «موتار» ومَوْزار: درب من ثغور الشام وفي شرح ابن جني بضم الميم .



الأَرْمَن[1]، ورَجَعَ إلى مَلَطْيَةَ، وَعَبرَ قُبَاقِب، وهو نَهْرٌ[2]، حتَّى وَرَدَ المَخاضَ على الفُراتِ تَحْتَ حِصْنٍ يُعْرَفُ بالمَنْشَارِ[3]، فَعَبَر إلى بَطْنِ[4] هِنْزِيطَ وسَمْنِينَ[5]، ونزلَ حِصْنَ الرَّانِ[6]، ورحَلَ إلى سُمَيْساطَ[7]، فَوَرَدَ عليهِ بها مَنْ خَبَّرَهُ أَنَّ العَدوَّ في بَلَدِ[8] المُسْلِمينَ، فأسرعَ إلى دَلُوكَ فعَبرَها، فَأَدْرَكَهُ رَاجِعاً على جَيْحانَ[9] فَهزَمَهُ وأَسَرَ قُسْطَنْطِينَ بنَ الدُّمُسْتُقِ[10]، وجُرِحَ الدُّمُسْتُقُ في وَجْهِهِ، فقالَ أبو الطَّيِّبِ يَصِفُ الحَالَ. أَنْشَدَها في جُمادَى الآخِرَةِ سنةَ اثْنَتَيْنِ وأَرْبعينَ وثلاثمائةٍ.

لَيالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِيْنَ شُكُولُ ... طِوَالٌ وَلَيْلُ العَاشِقِيْنَ طَويلُ

الشُّكُولُ: جَمْعُ شَكْلٍ، وهو المَيْلُ[11].

---

(١) في شرح الديوان المخطوط «فقتل كثيراً من الأرمن» وفي التبيان ١٠٤/٣ «فقتل منهم خلقاً كثيراً».

(٢) في بلاد الروم.

(٣) في شرح ابن جني «الميشار».

(٤) في نخب تاريخية «نهر».

(٥) هِنْزِيطُ وسَمْنِين: من ثغور مرعش ببلاد الروم.
وسُمْنِين: بضم أوله، وكثيراً ما يروى بالفتح وسكون ثانيه ونون مكسورة (معجم البلدان ٢٥٥/٣)، وسَمْنِين: بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده نون مكسورة على وزن «فَعْلين» (معجم ما استعجم ٢/) وكذا في ل، ر، ف، وشرح ديوان أبي الطيب المخطوط ورقة ١٢٧.

(٦) الرَّانُ: حصن للروم من أرض مرعش.

(٧) سُمَيْساط: كورة من ديار ربيعة، وهي بين الجزيرة والشام.

(٨) كذا في شرح ابن جني أيضاً، وفي ر، ف «بلاد».

(٩) نهر بالمصيصة بالثغر الشامي، ومنبعه من بلاد الروم، وعليه عند المصيصة قنطرة من حجارة يدخل منها إلى المصيصة.

(١٠) في الديوان المخطوط ورقة ١٢٨ «وأسر قسطنطين وجرح ابن الدمستق».

(١١) «الكشكول.. الميل» زيادة في ل.



فيقولُ: لَيالِيَّ بَعْدَ الظَّاعنين من أَحبَّتِي مُتَشاكِلَةٌ في طُولِها، مُتَشابِهَةٌ في تَعَذُّبِي بها، ولَيْلُ العَاشِقينَ طَويلٌ عَليهم، بما يُقَاسُونَهُ من السَّهَرِ، وما يَتَجَدَّدُ لهم فيه من الفِكَرِ.

٢ - يُبِنَّ لِيَ البَدْرَ الَّذي لا أُرِيدُهُ وَيُخْفِينَ بَدْراً ما إليه سَبِيلُ

ثُمَّ قالَ: يُبِنَّ لي بَدْرَ السَّماءِ الذي لا أُريدُهُ، ويُظْهِرْنَهُ وَيُبْدِيْنَهُ ولا يَسْتُرْنَهُ، ويُخْفِينَ مِنْ أَحِبَّتِي البدرَ الذي أَحْرِصُ عليه، ولا أَجِدُ سَبِيلاً إليه.

٣ - وَمَا عِشْتُ مِنْ بَعْدِ الأَحِبَّةِ سَلْوَةً وَلَكِنَّنِي لِلنَّائِبَاتِ حَمُولُ

ثُمَّ يقولُ: وما عِشْتُ من بَعْدِ الأَحِبَّةِ سَالِياً عن ذِكْرِهم، ولا خَالِياً من حُبِّهم، ولكني حَمُولٌ للنَّائباتِ، صَبورٌ على الخُطُوبِ المُوجِعاتِ.

٤ - وإِنَّ رحيلاً وَاحِداً حَالَ[1] بَيْنَنا وفي الموتِ مِنْ بَعْد الرَّحِيل رَحِيلُ

ثُمَّ قالَ: وإِنَّ رَحِيلاً واحِداً غَيْرَ مُضاعَفٍ، ومُفْرَداً غيرَ مُرَدَّدٍ، حَالَ بَيْني وبَيْنَهم، وَأَيْأَسَنِي من قُرْبِهم، وفي المَوْتِ الذي أُباشِرُه بِفَقْدِهم، وأُشْرِفُ عليه من بَعْدِهم، رَحِيلٌ يَشْفَعُ رَحِيْلَهم، وبُعادٌ يُضاعِفُ بُعادَهم، ولا دَارَ أَبْعَدُ من القَبْرِ، ولا سببَ أَقْطَعُ من المَوْتِ.

٥ - إذا كانَ شَمُّ الرَّوْحِ أَدْنَى إليكمُ فَلا بَرِحَتْنِي رَوْضَةٌ وَقَبُولُ

الرَّوْحُ: نَسِيمُ[2] الرِّيحِ الشَّرقِيَّةِ[3].

ثُمَّ يقولُ، مُقْبِلاً بالخِطابِ على أَحِبَّتِهِ: إذا كانَ شَمُّ الرَّوْحِ أَقْرَبَ الأَشياءِ

---

(١) في ر، ف «حَلَّ».

(٢) «الرَّوْحُ: نَسِيمُ» تكملة من ت ومطموسة في ل.

(٣) «الرَّوْحُ... الشرقية» زيادة في ل.

منكم، وأَقْعَدَها[1] بالدُّنُوِّ إليكم، وَتَيَقَّنْتُ أنَّ الرِّياضَ في[2] تَبَدِّيكُمْ[3] وَمَنَازِلِكُمْ[4]، والمياهَ التي تُقَارِبُها مَوارِدُكُم، لما يُوجِبُ لكم عُلُوُّ الحالِ من الحُلولِ في كَرائِمِ الأَرْضِ، فلا بَرِحَتْني رَوْضَةٌ تُذَكِّرُني مَنْزِلَكُم، وقَبُولُ أتنسَّمُ مِنْهَا ريحَ أُفْقِكُم. وأَشَارَ بِذِكْرِ القَبُولِ إلى انَّ رِحْلَةَ أَحِبَّتِهِ كانَتْ[5] إلى جِهَةِ المَشْرِقِ.

٦ - وَمَا شَرَقي بالماءِ إلا تَذَكُّراً ... لماءٍ بِهِ أَهْلُ الحَبِيْبِ نُزولُ

الشَّرَقُ: الاخْتِنَاقُ[6].

ثُمَّ قالَ: وما أَشْرَقُ[7] بالماءِ إلا لِعِلْمِي أَنَّ أهلَ الحَبِيْبِ الرَّاحِلِيْنَ به، وَقَوْمَهُ الحَافِظِينَ لَهُ، يَعْتَمِدونَ ماءً يَنْزِلُونَهُ، وَيَسْتَقِرُّون بِمَنْهَلٍ يَحُلُّونَهُ، فَيَهِيْجُ لي[8] الماءُ تَذَكُّرَ حُلُولِهِ، وأَغَصُّ به أَسَفَاً على رَحِيْلِهِ.

٧ - يُحَرِّمُهُ لَمْعُ الأَسِنَّةِ فَوْقَهُ ... فَلَيْسَ لِظَمْآنٍ إليهِ وُصُولُ

ثُمَّ قالَ، وَاصِفاً لِمَوْضِعِ مَنْ يُحِبُّهُ من الرِّفعَةِ، وما هو بِسَبِيْلِهِ من العِزِّ والمَنْعَةِ: يُحَرِّمُ هذا الماءَ الذي يَرِدُهُ لَمْعُ أَسِنَّةِ قَوْمِهِ المُحْتَلِّينَ[9] بهِ، وامتِنَاعُ

---

(١) في ت «وأنفذها».

(٢) «في» ساقطة من ف.

(٣) في ت «وتبدلكم».

(٤) «ومنازلكم» الواو ساقطة من ر، ف، ت.

(٥) ساقطة من ت.

(٦) «الشَّرَقُ: الاختناق» زيادة في ل.

(٧) كذا في ل، ت وفي ر، ف «ثم يقول: وما شرقي».

(٨) كذا في ل، ت وفي ر، ف «إليّ».

(٩) في ف «المتحلين».



جِهَتِهِمْ، واحْتِدَادُ شَوْكَتِهِم، فَلَيْسَ لِظَمْآنٍ وُصُولٌ[1] إليه، ولا لِـوَارِدٍ طَمَعٌ فيه، وأشَارَ بِهذا إلى أنَّ مَنْ يُحِبُّه مَمْنوعٌ منه، محجُوبٌ على القُربِ والبُعْدِ عَنه.

٨ ـ أمَا في النُّجومِ السَّارياتِ[2] وغَـيْرِها لِعَيْنِي عَـلَى ضَـوْءِ الصَّبَـاحِ دَليـلُ

السُّرَى: مَشْيُ الليـلِ، فاسْتَعَـارَ ذلك لِلنُّجـومِ[3]، فيقولُ، مُشْتَكِيـاً لِسَهَرِهِ[4]، وما هو عليه من شِدَّةِ كَمدِهِ: أَمَا في النُّجومِ السَّارِيَةِ[5] وغَيْرِها مما يُعْرَفُ بِهِ أوقاتُ الليلِ، دَليلٌ لِعَيْنِي[6] على ضَوْءِ الصَّبَاحِ وتدانِيهِ، وانصِرافِ اللَّيلِ وَتَقَضِّيهِ[7].

٩ ـ ألم يَـرَ هـذا الليـلُ عَيْنيـكِ رُؤيَتِي فَـتَـظْهَـرَ فِيـهِ رِقَّـةٌ ونُـحـولُ

ثُمَّ قالَ، مُخاطِباً لِمَحْبُوبَتِهِ: ألم يَرَ هـذا الليلُ الجَليـلُ خَطْبُـهُ، المُتَّصِلُ طُولُهُ، عَيْنَيْكِ رُؤْيَتِي لَهُمَا، ويَشْهَدُ ما شَهِدْتُهُ من سِحْرِهِمَا، فَيَقِلَّ منْهُ ما كَثُرَ، ويَقْصُرَ ما اتَّصلَ، وَيَرِقَّ لمن سَحَرَتَاهُ، ولاقَى من الضُّعْفِ والسُّقْمِ ما أَلْقَاهُ.

١٠ ـ لَقِيتُ بِـدَرْبِ القُلَّةِ الفَجْـرَ لَقْيَـةً شَفَتْ كَمَـدِي واللَّيْلُ فِيـهِ قَتِيـلُ

دَرْبُ القُلَّةِ: مَوْضِعٌ في بلادِ الرُّومِ[8].

---

(١) في ر، ف «سبيل».

(٢) في ر، ف، ورواية الواحدي والتبيان «السائرات».

(٣) «السُّرى... للنجوم» زيادة في ل.

(٤) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «بسهره».

(٥) «السارية» ساقطة من ت.

(٦) في ت «يدلني».

(٧) في ت «وتقاضيه».

(٨) «درب... الروم» زيادة في ل.

فيقولُ: لَقِيْتُ بهذا الموضِعِ الفَجْرَ لَقْيَةً على حَالٍ من البَهْجَةِ، وسَبِيْلٍ من الغِبْطَةِ، شَفَت كَمَدِي بِتَطَاولِ اللَّيلِ، وأَظْهَرَتْني عَلَيهِ بالخُروجِ عنهُ، وهُوَ كالقَتِيلِ الذي قد[1] انقضَتْ مُدَّتُهُ، وسَقَطَتْ عمَّن يَحْذَرُهُ مؤُونَتُهُ.

١١ ـ وَيَوْمَاً كَأَنَّ الحُسْنَ فيه عَلاَمَةٌ بَعَثْتِ بِهَا والشَّمْسُ مِنْكِ رَسُولُ

ثُمَّ قالَ لمحبوبَتِهِ مُخَاطِباً[2]: وَلَقِيْتُ بهذا المَوْضِعِ يَوْماً تَلا هذه الليلةَ، تَنَاهَتْ بَهْجَتُهُ، وَرَاقَ مَنْظَرُهُ، حَتَّى كَأَنَّ حُسْنَهُ حُسْنُ عَلاَمَةٍ تُوَجِّهِينَها[3]، وكَأَنَّ الشَّمْسَ فيه رَسُولٌ يَقْدَمُ عَنْكِ بها، فَجَعَلَ صِفَةَ[4] هذا اليومِ سَبَباً للتَّرَفُّعِ[5] لِمَحْبُوبَتِهِ، وإِبَانَةً عن[6] جلالَةِ قَدْرِها، وعُلُوِّ مَحَلِّها. وَخَرَجَ إلى المدحِ بأَلْطَفِ سَبِيلٍ، وَوَصَلَ إليه أَحْسَنَ وُصُولٍ[7].

١٢ ـ وما قَبْلَ سَيْفِ الدَّولَةِ اثَّارَ عاشقٌ ولا طُلِبَتْ عِنْدَ الظَّلامِ ذُحُولُ

اثَّأَرَ الرَّجُلُ: إذا أَدْرَكَ ثَأْرَهُ، وهو افْتَعَلَ من الثَّأْرِ، فَأَبْدَلَ من الثَّاءِ تاءً لِتَقَارُبِ مَخْرَجِهِما من الفَمِ، ثُمَّ أَدْغَمَ إحدَى التَّائَيْنِ في الأُخْرَى، فقالَ اثَّأَرَ[8].

فيَقولُ: وما قَبْلَ سَيْفِ الدَّولةِ، وقَبْلَ ما أَبْداهُ مِنَ الفَضْلِ، وأَظْهَرَهُ من

---

(١) «قد» زيادة في ر، ف.

(٢) في ر، ف «ثم قال مخاطباً لمحبوبته».

(٣) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «توجهها».

(٤) في ر، ف «وصف».

(٥) في ر، ف «للترفيع».

(٦) في ل «من».

(٧) قال ابن جني: «وهذا المعنى من أحسن الكلام» ويلتقي بذلك الأفليلي معه في الثناء العام على البيت، ولكنه زاد عليه بما فصّل في حسن الانتقال من الغزل إلى المدح.
(انظر التبيان ٩٨/٣).

(٨) اثّار الرجل... فقال اثار» زيادة في ل.

غَرَائِبِ الفِعْلِ، أَدْرَكَ عَاشِقٌ في الحُبِّ ثَأْرَهُ[1]، ولا طَلَبَ عِنْدَ الليلِ الطَّويلِ ذَحْلَهُ[2].

١٣ - وَلـكِنَّـهُ يَـأْتي بِـكُـلِّ غـرِيْـبَـةٍ   تَـرُوقُ عـلى اسْتِغْـرَابِهـا وَتَهُـولُ

الهَوْلُ: المَخَافَةُ[3].

ثُمَّ قالَ: ولكنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ يَأْتِي بِكُلِّ غَرِيْبَةٍ في مَجْدِهِ، وبِكُلِّ نادِرَةٍ في كَرَمِهِ، فَيَرُوقُ ذلكَ وَيُعْجِبُ، وَيَهُولُ وَيُفْزِعُ، ويُسَلِّي مَنْ شَهِدَهُ عَمَّا سِوَاهُ، ويُنْسِيهِ ما لَقِيَهُ[4] وقاسَاهُ.

١٤ - رَمَى الدَّرْبَ بالجُرْدِ الجيادِ إلى العِدَى   ومـا عَلِمـوا أَنَّ السِّهـامَ خُيـولُ

الـدَّرْبُ: المَدْخَـلُ إلى أَرضِ العَدوِّ، والجُـرْدُ: الخَيْلُ القَصيـرَةُ شَعَرِ الجُلودِ، وذلكَ فيها من شَوَاهِدِ الكَرَمِ[5].

فيقولُ: إنَّ سَيْفَ الدَّولةِ رَمَى الدَّرْبَ[6]، دَرْبَ الرُّومِ، مُقْدِماً عَلَيْهم، وغـازياً[7] إليهم، بِكتَـائبِ خَيْلِهِ، وَمَواكِبِ جَيْشِـهِ، فَسَـارَتْ[8] كـالسِّهـامِ مُسْرِعَةً، وَنَفَذَتْ نَفاذَها[9] مُصَمِّمَةً، ولم تَعْلَمِ الـرُّومُ قَبْلَ ذلـك

(١) في ر، ف «أدرك عاشق ثاره».
(٢) في ف «دحله» بدال مهملة، والذَّحلُ: الثأر، أو هو العداوة والحقد.
(٣) «الهول: المخافة» زيادة في ل.
(٤) كذا في ر، ف ت، و«لقيه» ساقطة من ل.
(٥) «الدرب... الكرم» زيادة في ل.
(٦) «الدرب» زيادة في ر، ف.
(٧) في ت «غادياً».
(٨) في ت «فصارت».
(٩) في ت «منافذها» والنفاذ: مخالطة السهم جوف الرمية وخروج طرفه من الشق الآخر وسائره فيه.

أنَّ[١] مِنَ الخَيْلِ ما يَفْعَلُ مِثْلَ [٢] هذا الفِعْلِ، ولا أنَّ مِنْها من يَسِيرُ مِثل هذا السَّيرِ.

١٥ ـ شَوَائِلَ تَشْوَالَ العَقَاربِ بالقَنَا   لَهَا مَرَحٌ من تَحْتِهِ وَصَهِيلُ

الشوائِلُ: التي تَرْفَعُ أذْنابَها عِنْدَ الجَرْي، وذلكَ فيها مِنْ دلائِلِ القوَّةِ، والمَرَحُ: لَعِبٌ يَبْعَثُهُ النَّشَاطُ، والصَّهِيلُ: مَعْروفٌ[٣].

ثُمَّ قالَ: شوائلُ بالرِّماحِ عِنْدَ دَفْعِ الفُرْسانِ لها، وتَسْدِيدِهم للرِّمَاحِ عَلَيْها[٤]، تَشْوَالَ العَقَاربِ؛ يُشيرُ إلى سُرْعَةِ سَيْرِها، وكَثْرَةِ جَرْيِها[٥]، ورَفْعِها لأذْنَابِها في ذلكَ الجري، وذلكَ في الخيلِ من دَلائلِ قُوَّةِ ظُهورِهَا[٦]؛ لأنَّ ذلك التَّشْوَالَ أكثرُ ما يكونُ من الخيلِ في حينِ الجَرْي، ثُمَّ دَلَّ على نَشَاطِها بِمَرَحِها، وعلى عِزَّةِ أنْفُسِها بِصَهِيْلِهَا.

١٦ ـ وَمَا هي إلاَّ خَطْرَةٌ عَرَضَتْ لَهُ   بِحَرَّانَ لَبَّتْها قَناً وَنُصُولُ

حَرَّانُ: مَدْينَةٌ من مَدائِنِ المَوْصِلِ، والتَّلْبِيَةُ: الإجَابَةُ، والقَنَا والنُّصولُ: مَعْروفٌ[٧].

ثُمَّ قالَ: وما كانَتْ هذهِ الغَزْوَةُ إلا خَطْرَةً عَرَضَتْ لِسَيْفِ الدَّولَةِ

(١) ساقطة من ر، ف.

(٢) «مثل» زيادة في ر، ف وفي ت «يفعل فعل هذه». وفي ل «يفعل هذا الفعل».

(٣) «الشوائل... معروف» زيادة في ل.

(٤) «عند دفع... للرماح عليها» زيادة في ل.

(٥) في ف «حربها».

(٦) «ورفعها لأذنابها... قوة ظهورها» زيادة في ل، وزاد في ت «دليل على كرمها وقوة ظهورها».

(٧) «حران... معروف» زيادة في ل. والقنا: جمع قناة، وهو الرمح، والنصول: السيوف.



بِحَرَّانَ، يُشِيرُ إلى أَنَّها كَانَتْ مَعَ جَلاَلَتِها عَنْ بَدِيهَةٍ، وأَنَّهُ[1] أَنْفَذَها مَعَ احتِفَالِها عن[2] غَيْرِ رَوِيَّةٍ، فَلَبَّتْهَا القَنَا والنُّصُولُ، واقترَنَ بها الصُّنْعُ الجَميلُ.

١٧ ـ هُمَامٌ إذا مَا هَمَّ أَمْضَى هُمُومَهُ   بِأَرْعَنَ وَطْءُ الموتِ فيه ثَقِيلُ[3]

الهُمَامُ: المَلِكُ، وَهَمَّ: بِمَعْنَى أرادَ، والهُمُومُ: الإراداتُ، والأَرْعَنُ: الجَيْشُ الكثيرُ الفُضولِ، لَهُ رُعونٌ كرُعونِ الجِبَالِ، والرَّعْنُ: أَنْفُ الجَبَلِ[4].

فيقولُ لِسَيْفِ الدَّولَةِ: أَيُّها المَلِكُ الذي ما هَمَّ به فَعَلَهُ، وما أَرادَهُ أَنْفَذَهُ، بِجَيْشٍ حَافِلٍ، وجَمْعٍ غَالِبٍ، تَقْدُمُهُ[5] إلى الأَعْدَاءِ حُتُوفُهُمْ، وَيَقْصِدُهُم فيه هَلاَكُهُمْ، وَيَطَؤُهُمُ الموتُ به أَثْقَلَ وَطْأَةٍ، وَيَصْرَعُهُمْ أَشَدَّ صَرْعَةٍ.

١٨ ـ وَخَيْلٍ بَرَاهَا الرَّكْضُ في كُلِّ بَلْدَةٍ   إذا عَرَّسَتْ فِيهَا فَلَيْسَ تَقِيلُ

بَرَاها: أَهْزَلَها، والتَّعْرِيسُ: النُّزُولُ في آخرِ الليلِ، والقَائِلَةُ: معروفةٌ[6].

ثُمَّ قَالَ: وَخَيْلٍ يَتَضَمَّنُهَا ذلكَ الجَيْشُ، بَرَاهَا ما يُحَمِّلُها سيفُ الدَّولةِ من الرَّكْضِ، وما يُكَلِّفُها من السَّيْرِ في بلادٍ يَقْتَحِمُها[7] إلى العَدُوِّ، وَيُعَرِّسُ

(١) زيادة في ر، ف وفي ل «وأنفذها».
(٢) كذا في ل، ت وفي ر، ف «على».
(٣) في ر، ف «نقيل».
(٤) «الهمام... أنف الجبل» زيادة في ل.
(٥) في ر، ف «يقدمه» وفي ت «يقدّمه».
(٦) «براها... معروفة» زيادة في ل والقائلة: النزول في الهاجرة.
(٧) في ت «يفتحها».



فيها ولا يَقِيلُ، ويَسِيرُ ولا يُريحُ.

١٩ - فَلَمّا تَجَلّى مِنْ دَلُوكَ وَصَنْجَةٍ عَلَتْ كُلَّ طَوْدٍ رَايَةٌ وَرَعِيلُ

تَجَلّى: ظَهَرَ، ودَلُوكُ وصَنْجَةُ: بَلَدانِ من بلادِ الرُّومِ، والطَّوْدُ: الجَبَلُ، والرَّعِيلُ: الجَماعةُ من النّاسِ[1].

ثُمَّ قالَ: فَلَمّا طَلَعَ سيفُ الدَّولةِ من دَلُوكَ وصَنْجَةَ، انْتَشَرَتْ جُيوشُهُ[2]، وَبَدَتْ لَهُ في كُلِّ جَبَلٍ[3] رايةٌ ماثِلَةٌ تَتْلُوها جَماعةٌ ناهِضَةٌ.

٢٠ - عَلَى طُرُقٍ فيها على الطُّرْقِ رِفْعَةٌ وَفي ذِكْرِها عِنْدَ الأَنِيسِ خُمُولُ

ثُمَّ[4] يقولُ: إنَّ هذا الجيشَ سَلَكَ إلى الرُّومِ على طُرُقٍ كانَتْ مُمْتَنِعَةً لا تُسْلَكُ، ومَجْهولةً لا تُعْرَفُ، فكانَتْ مُرْتَفِعَةً على الطُّرُقِ، مُتَشَرِّفةً[5] على سائِرِ السُّبُلِ، وفي ذِكْرِها عِنْدَ النّاسِ[6] خُمولٌ، لِجَهْلِهِم بها، وقِلَّةِ سُلُوكِهم لَها.

٢١ - فَما شَعَروا حَتَّى رَأَوْها مُغِيرَةً قِباحاً وَأَمّا خَلْقُها فَجَمِيلُ

ثُمَّ قالَ: فما شَعَرتِ الرُّومُ حتى رَأَوْا هذه الخَيْلَ قاصِدَةً إليهم، ومُغِيْرَةً عَلَيْهم، قِباحاً في أَعْيُنِهم، لِصَنيعِها فيهم، وَهِيَ مَعَ ذلك مُطَهَّمَةٌ في خَلْقِها، مُتَناهِيَةٌ في تَمامِ حُسْنِها.

---

(١) «تجلى... من الناس» زيادة في ل.

(٢) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «جنوده».

(٣) في ر، ف «خيل».

(٤) زيادة في ر، ف.

(٥) في ت «مشرفة» وفي ف «منتشرة» وصوبت في هامش ر.

(٦) كذا في ل، ت وفي ر، ف «الأنيس».

٢٢ ـ سَحَائِبُ يُمْطِرْنَ الحَدِيدَ عَلَيْهِمُ   فَكُلُّ مَكَانٍ بِالسيوفِ غَسِيلُ

ثُمَّ وَصَفَها[١] بالكَثْرَةِ، فقالَ: سَحَائِبُ تُمْطِرُ الحَدِيدَ عَلَيْهم، وتُعْمِلُ السِّلاحَ فيهم، فَكُلُّ مَكَانٍ تَغْسِلُهُ السُّيُوفُ؛ بما تَسْفِكُهُ من الدَّمِ، وتَغْشَاهُ بما تُحْدِثُهُ من القَتْلِ.

٢٣ ـ وَأَمْسَى السَّبَايَا يَنْتَحِبْنَ بِعَرْقَةٍ   كَأَنَّ جُيُوبَ الثَّاكِلاَتِ ذُيُولُ

الانْتِحابُ: البُكاءُ، وعَرْقَةُ: مَوْضِعٌ في بلادِ الرُّومِ[٢].

فَيَقُولُ[٣]: وأَمْسَى سَبَايا الرُّومِ بِعَرْقَةَ؛ هذا المَوْضِعِ[٤]، يَنْتَحِبْنَ باكياتٍ، وَيُعْوِلْنَ مُتَفَجِّعَاتٍ، قد شَقَقْنَ جُيُوبَهُنَّ، وَمَزَّقْنَ[٥] ثِيَابَهُنَّ، فَعَادَتْ جُيُوبُهُنَّ ذُيُولاً تُسْحَبُ، وكانَتْ مَصُونَةً تُحْفَظُ.

٢٤ ـ وَعَادَتْ فَظَنُّوها بِمَوْزَارَ قُفَّلاً   وَلَيْسَ لَهَا إِلاَّ الدُّخُولَ قُفُولُ

مَوْزَارُ: مَوْضِعٌ في بِلادِ الرُّومِ[٦].

ثُمَّ قالَ: وَعَادَتْ خُيولُ سيفِ الدَّوْلَةِ، فَظَنَّها الرُّومُ قُفَّلاً[٧] مُنْصَرِفَةً بِمَوْزارَ[٨]، هذا المَوْضِعِ، وَلَيْسَ لها قُفُولٌ إلا الدُّخُولَ إليهم، والاقْتِحَامَ عَلَيْهِم، فَكَانَتْ عَوْدَتُها إلى مَوْزَارَ لِخِلاَفِ ما ظَنُّوهُ، ولِغَيْرِ ما احْتَسَبُوهُ.

---

(١) في ف «ثم وصف».
(٢) «الانتحاب... الروم» زيادة في ل.
(٣) في ر، ف «ثم قال».
(٤) سبق التعريف به. ص ٧٥ من هذا الجزء.
(٥) في ت «وفرّقن».
(٦) مَوْزار... الروم «زيادة في ل وسبق التعريف به. ص ٧٥ من هذا الجزء.
(٧) في ت «قافلة».
(٨) ضبطت الكلمة في ل بضم الميم.

٢٥ ـ فَخَاضَتْ نَجِيعَ الجَمْعِ خَوْضاً كَأَنَّهُ　بِكُـلِّ نَجِيْـعٍ لم تَخُضْـهُ كَفِيـلُ

النَّجعُ: الدَّمُ، والكَفِيلُ: الضَّامِنُ[١].

فيَقولُ: فَخَاضَتْ هذه الخيلُ بِمُوْزَارَ دَمَ الجَمْعِ، الذي أَوْقَعَتْ بهِ من الرُّومِ، خَوْضاً كَأَنَّهُ تَكَفَّلَ بِظَاهِرِ الغَلَبَةِ فيه[٢]، واقترانِ النَّصرِ به، بمـا[٣] خَاضَتْهُ[٤] بَعْدَ ذَلِك من دِمَائِهِمْ، وَهَزَمَتْهُ من جُيُوشِهِم.

٢٦ ـ تُسَـايِرُهَـا النِّيرانُ في كُـلِّ مَسْلَكٍ　بـه القَـوْمُ صَرْعى والـدِّيارُ طُلُولُ

المَسْلَكُ: الطَّريقُ، والطُّلولُ: ما بقيَ من آثارِ الدِّيارِ وأَشْرَفَ منها[٥].

ثُمَّ قالَ: تُسَايرُ هذهِ[٦] الخيـلَ هذه النِّيرانُ التي تُضْرِمُهـا في دِيارِ[٧] الرُّومِ في كُلِّ مَسْلَكٍ[٨] أَهْلُهُ صَرْعَى بالقَتْلِ، وَمَنَازِلُهُ طُلونٌ بالخَرَابِ. يُشِيرُ إلى ما أَحْدَثَتْـهُ هذه الخَيْـلُ في بِلادِ الـرُّومِ من إحْرَاقِ نِعَمِهِم[٩]، وهَـدْمِ دِيَارِهِم، وكَثْرَةِ القَتْلِ فيهم.

٢٧ ـ وَكَـرَّتْ فَمَـرَّتْ في دِمَـاءِ[١٠] مَلَطْيَـةٍ　مَـلَطْيَـةُ[١١] أُمٌّ لـلبنـينَ ثَـكُـولُ

---

(١) «النجيع... الضامن» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «فيهم».

(٣) في ت «ما».

(٤) كذا في ل، ت وفي ر، ف «خاضت».

(٥) «المسلك... منها» زيادة في ل.

(٦) «هذه» زيادة في ر، ف.

(٧) كذا في ر، ف، ت وفي ل «بلاد».

(٨) كذا في ر، ف، ت وفي ل «بلد».

(٩) في ت «شجرهم».

(١٠) في ر، ف «ديار».

(١١) ساقطة من ف.

مَلَطْيَةُ: مدينةٌ من مدائنِ الرُّومِ[1].

فيقولُ: وكَرَّت هذه الخيلُ، فَمَرَّت[2] في دماءِ أهلِ مَلَطْيَةَ، وأَخْبَرَ عن البَلَدِ كما يُخْبِرُ عن أَهْلِهِ، والعَرَبُ تَفْعَلُ ذلك. قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وسَئَلِ القَرْيَةِ﴾[3] يُرِيدُ أَهْلَ القَريةِ. فيقولُ: إنَّها خاضَتْ تلكَ الدِّماءَ سَافِكَةً لها، مُسْتَبلِغَةً بالقَتْلِ في أَهْلِها، ثُمَّ قَال: مَلَطْيَةُ، هذه المدينـةُ، ثَكُولٌ لِأَهْلِهـا، مُفَجَّعَةٌ بالقَتْلِ على مَنْ سَكَنَها، وأَشَارَ بالأُمِّ والبَنِينَ إلى ذلـك على سَبِيلِ الاسْتِعَارَةِ.

٢٨ ـ وَأَضْعَفْنَ مـا كُلِّفْنَـهُ من قُبَـاقِبٍ   فَـأَضْحَى كَـأَنَّ المَـاءَ فيـهِ عَلِيـلُ

قُبَاقِبُ: وادٍ في بِلادِهم[4]، والثَّكُولُ: التي تَفْقِدُ بَنِيْهَا[5].

ثُمَّ قالَ: وأَضْعَفَتْ هذه الخيلُ قُبَاقِبَ، هَذا النهرَ، عند عُبُورِهِ؛ بِشِدَّةِ تَزَاحُمِها فيه، وكَثْرَةِ تَرادُفِها[6] عليه، فأَضْحَى ماؤُهُ كالعَلِيلِ السَّاقِطِ القُوَّةِ، والمَغْلوبِ الضَّعيفِ المُنَّةِ.

٢٩ ـ وَرُعْنَ بِنَـا قَـلْبَ الفُـراتِ كَـأَنَّمـا   تَخِـرُّ[7] عَلَيْـهِ بـالـرِّجَـالِ سُيـولُ

الفُراتُ: نَهْرٌ عظيمٌ معروفٌ[8].

---

(١) «مَلَطْيَةُ... الروم» زيادة في ل، وذهب صاحب التبيان إلى أن السكون (سكون الطاء) لإقامة الوزن (١٠٢/٣). ولا أظنه كذلك، إذا ضبطت الكلمة في الشرح بالسكون وكذلك في معجم البلدان.

(٢) ساقطة من ر، ف.

(٣) سورة يوسف آية ٨٢.

(٤) يقصد بلاد الروم.

(٥) «قباقب... بنيها» زيادة في ل.

(٦) كذا في ل، ت، وفي ر «ترافدها» وفي ف «ترافها».

(٧) كذا في ل ورواية الواحدي والتبيان «تخر» بتاء فوقية. وفي ر، ف «يخر»

(٨) «الفرات... معروف» زيادة في ل.

فيقولُ: وَراعَتْ بنا هذهِ الخَيْلُ قَلْبَ الفُراتِ وذَعَرَتْهُ، وأَخافَتْهُ وأَفْزَعَتْهُ، حَتَّى كأَنَّما تَخِرُّ عليه من جَماعاتِ الرِّجالِ، ومَواكبِ الخُيولِ، سُيُولُ طارِقَةٌ، وأَمْواجُ بَحْرٍ مُتلاطِمَةٌ، وجَعَلَ للفُراتِ قَلْباً على سَبيلِ الاسْتِعارة.

٣٠ - يُطَارِدُ فيهِ مَوْجَهُ كُلُّ سَابحٍ سَواءٌ عَلَيْهِ غَمْرَةٌ وَمَسِيلُ

السَّابحُ: الفَرَسُ الذي يَمُدُّ يَدَيه فِي الجَرْي، وغَمْرَةُ الماءِ: مُجْتَمَعُهُ، والَمسيلُ: مَجْرَى ماءِ المَطرِ(١).

ثُمَّ قالَ: يُطَارِدُ مَوْجَ هَذا النَّهرِ كُلُّ سَابحٍ من الخَيْلِ(٢)، سواءٌ عِنْدَهُ منه الغَمْرَةُ والَمسِيلُ، والكثيرُ والقليلُ. يُشِيرُ إلى ما هذِهِ الخيلُ عليه من شِدَّةِ الأَسْرِ(٣)، وما بَلَغَتْهُ من قُوَّةِ الخَلْقِ.

٣١ - تَرَاهُ كَأَنَّ المَاءَ مَرَّ بِجِسْمِهِ وَأَقْبَلَ رَأْسٌ وَحْدَهُ وَتَلِيلُ(٤)

التَّلِيلُ: الْعُنقُ(٥).

ثُمَّ قالَ: تَرَى ذَلكَ السَّابحَ في الفُراتِ، بِكَثْرَةِ مائِهِ، وَتعذُّرِ خَوْضِهِ، و(٦)قد اسْتَتَرَ جِسْمُهُ، وخَفِيَ أَكْثَرُهُ، حَتَّى(٧) كأَنَّ الماءَ مَرَّ بِهِ، فلم يَبْقَ مِنْهُ إلا القَليلُ، ولا ظَهَرَ إلاّ الرَّأْسُ والتَّلِيلُ.

٣٢ - وفي بَطْنِ هِنْزِيطٍ وسَمْنِينَ لِلظُّبَا وصُمِّ القَنَا ممن أَبَذْنَ بَدِيلُ

(١) «السابح... ماء المطر» زيادة في ل.
(٢) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «الخيول».
(٣) في ت «يشير إلى ما على هذه الخيل من شدة الأمر».
(٤) في ر، ق «قليل».
(٥) «التليل... العنق» زيادة في ل.
(٦) الواو ساقطة من ت.
(٧) ساقطة من ر، ف.

هِنْزِيطُ وسَمْنينُ: مَوْضِعانِ في بلادِ الرُّومِ، والبَطْنُ: ما انخَفَضَ من الأَرْضِ[1].

فَيقولُ: وفي بَطْنِ هِنْزِيطَ وسَمْنِينَ، هـذين [المَوْضِعَـيْنِ][2]، للسُّيوفِ والرِّمَاحِ بَدِيلٌ ممن قَتَلْنَـهُ، وعِوَضٌ ممن أَتْلَفْنَـهُ[3]، يُرِيـدُ: أَنَّ وَقَائِـعَ هذه الخَيْلِ، من هذينِ المَوْضِعَيْنِ، مُتَّصِلَةٌ عـلى الرُّومِ، فَكُلَّما عَمَـرَتْهَا[4] منهم طَائِفَةٌ أَفْنَتْهَا هذه الخيلُ بوَقَائِعِها[5]، وإغارَتِها عَلَيْهم.

٣٣ ـ طَلَعْنَ عَلَيْهِـم طَلْعَـةً يَـعْـرِفُـونَها لهـا غُـرَرٌ مـا تَـنْـقَضِي وَحُجُـولُ

الغُرَرُ: مَعْروفَةٌ، والحُجُولُ: بَياضٌ في قوائمِ الخَيْلِ[6].

ثُمَّ قالَ: طَلَعَتْ هذه الخَيْلُ على مَنْ أَلِفَتْـهُ في هذين المَـوْضِعَيْنِ من الـرُّومِ طَلْعَةً قـد عرفـوا مِثْلَها[7]، وعَهِـدوا ما يُشْبِهُهَـا لها[8]، بِجَـلالَتِهـا وعِظَمِها[9]، وشُهْرَتُها غُرَرٌ لا تَخْفَى بها، وحُجولٌ لا تَسْتَتِرُ مَعَها.

٣٤ ـ تَمَـلُّ الحُصـونُ الشُّمُّ طـولَ نِـزَالِنـا فَـتُـلْقِـي إِلَـيْـنَـا أَهْـلَهـا وتَـزُولُ

(١) «هنزيط... من الأرض» زيادة في ل، وقد سبق التعريف بهما ص ٨٥

(٢) ما بين المعكوفتين زيادة اقتضاها النص، وفي ل «وفي بطن هنزيط هذا الموضع وسمنين» وفي ت «يقول في هذين الموضعين».

(٣) في ر، ف «قتلته... أتلفته».

(٤) في ت «غمرتها».

(٥) زاد في ت «بوقائعها فيهم».

(٦) «الغرر... الخيل» زيادة في ل. والغُرَرُ: جمع غُرَّةٍ، البياض الذي يكون في وجه الفرس.

(٧) في ر، ف «عرفوها».

(٨) ساقطة من ت.

(٩) في ر، ف «سعتها» وفي ت «عظمتها».



الحصونُ الشُّمُّ: المُسْتَعْلِيَةُ[1].

فَيقُولُ: تَملُّ الحُصُونُ المُمْتَنِعَةُ مُداوَمَتَنا لِقِتَالِها، ومـلازَمَتَنا لِحِصَارِهَا، فَتَسهُلُ لنا الظَّفَرَ بِأَهْلِهَا[2]، ولا تَمْتَنِعُ عَمَّا نُحاوِلُهُ من هَدْمِهَا، وتُصْبِحُ كالزَّائِلَةِ بِتغَيُّرِ بِنْيَتِهَا، واسْتِحالَةِ هَيْئَتِها.

٣٥ ـ وَبِتْنَ بِحِصْنِ الرَّانِ رَزْحَى مِنَ الوَجَى ... وَكُـلُّ عَـزِيـزٍ لـلأمـيرِ ذَلِـيـلُ

حِصْنُ الـرَّانِ: من حصـونِ الـرُّومِ، والرَّزْحَى: القـائِمَةُ عن إعيـاءٍ وكَلالٍ، والوَجَى: الحَفَى[3].

ثُمَّ قالَ: وَبَاتَت خَيْلُ سَيْفِ الدَّولَةِ بِحِصْنِ الرَّانِ رَزْحَى متوجِّئَةً، بما لاَقَتْهُ من سَفَرِها، وما[4] عَايَنَتْهُ[5] من شِدَّةِ تَعَبِها، وقد خَضَعَ مَلِكُ[6] الرُّومِ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ، فَذَلَّ عَزِيـزُهم، ودَانَ مَنِيْعُهم، واعتَرَفَ بِعُبُـودِيَّتِهِ صَغِيـرُهُمْ وكبيرُهُمْ[7].

٣٦ ـ وَفي كُـلِّ نَفْسٍ مَـا خَـلاهُ مَـلاَلَـةٌ ... وفي كُـلِّ سَـيْفٍ مـا خَـلاَهُ فُـلُولُ

ثُمَّ قـالَ: وفي كُلِّ نَفْسٍ من نُفُـوسِ الجيشِ مَلاَلَـةٌ، لِـطُولِ هـذهِ الغَزْوَةِ، وكَثْرَةِ وَقَائِعِ هذه السَّفْرَةِ، ما خَلاَ سَيْفَ الدَّولَةِ، فإنَّهُ لا يَهِنُ ولا

---

(١) «الحصون... المستعلية» زيادة في ل.

(٢) في ت «فيسهل لنا الظفر بها».

(٣) «حصن الران... الحفى» زيادة في ل.

(٤) كذا في ر، ف، ت وساقطة من ل.

(٥) في ر، ف «عانته».

(٦) في ر، ف «ملوك».

(٧) في ت «كبيرهم وصغيرهم».

يَفْـتُرُ، وَلاَ يَمَلُّ[1] ولا يَكْسَـلُ، وكَذَلِكَ كُلُّ سَيْفٍ في ذلك الجَيْشِ، فَلَهُ الضِّرابُ[2]، وأَوْهَنَهُ الجِلاَدُ، وهو السَّيْفُ الذي لا يَنْبُـو عن ضَرِيبَـةٍ، ولا يَضِيقُ بِحَمْلِ عَظِيمةٍ.

٣٧ ـ وَدُونَ سُمَيْسَـاطَ المَطَامِيـرُ والمَـلا وَأَوْدِيـةٌ مَجْهُـولَـةٌ وهُـجُـولُ

سُمَيْسَاطُ: بَلَدٌ من بلادِ الرُّومِ، والمَطَاميرُ: حُفَرٌ غائِرَةٌ في الأَرضِ، واحِدَتُها مَطْمورةٌ، والمَلاَ: الفَلاَةُ، والهُجولُ: جَمْعُ هَجْلٍ، وهو ما اطمأَنَّ من الأَرضِ واتَّسعَ[3].

فيقولُ: ودونَ سُمَيْسَاطَ التي[4] حلَّ جَيْشُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فيها؛ ما[5] اعترَضَهُم من المَطاميرِ التي سَلَكوا بَيْنَها، والفَلاَةِ التي قَطَعوا[6] بَعْدَهَا، وما سَلَكوا بَعْدَ ذلكَ من الأَوْدِيةِ المَجْهُولَةِ، والهُجُولِ المُتَّصِلَةِ.

٣٨ ـ لَبِسْنَ الدُّجَى فيها إلى أَرْضِ مَرْعَشٍ وللرُّومِ خَـطْبٌ في البِـلاَدِ جَلِيـلُ

مَرْعَشُ: حِصْنٌ من حُصونِ الرُّومِ، وَرَدَ فيه الخَبَرُ على سَيْفِ الدَّولةِ بِخُروجِ الرُّومِ إلى بلادِ الإسلامِ، فأَتْبَعَهم وأَوْقَعَ بهم[7].

---

(١) «لطول هذه... ولا يمل» ساقطة من ف.

(٢) كذا في ل.، ر، ف، وفي ت «الضرب» ولعلها الأصوب في القياس.

(٣) «سميساط... واتسع» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «الذي».

(٥) كذا في ر، ف، ت، وزاد في ل «على ما».

(٦) في ر، ف «قطعوها».

(٧) «مرعش... أوقع بهم» زيادة في ل.

ثُمَّ قال: إن خَيْلَ ذلك الجيشِ لَبِسَتِ الدُّجى في هذهِ المَواضِعِ، وهي تَسْرِي إلى العَـدُوِّ وتُسْـرِعُ، وتَخُبُّ نَحْـوَهم وتُـوضِـعُ[1]، حتَّى أَتَتْ أَرْضَ مَرْعَشَ، وخَطْبُ الرُّومِ في البِلادِ جَليلٌ مُسْتَشْنَعٌ، ومَخُوفٌ مُتَوَقَّعٌ.

٣٩ ـ فَلَمَّا رَأَوْهُ وَحْـدَهُ قَبْـلَ جَـيْشِـهِ   دَرَوْا أَنَّ كُـلَّ العـالَمِـينَ فُضُـولُ

الفُضولُ: الزَّوائِدُ[2].

فيقولُ[3]: إنَّ الرُّومَ لَمّا رَأَوا سَيْفَ الدَّوْلَةِ يَقْدُمُ جَيْشَهُ، وَيَقُودُ جَمْعَهُ، دَرَوْا[4] أنَّ العالَمِينَ بَعْدَهُ فُضُولٌ زَائِدَةٌ، وَنَوافِلُ سَاقِطَةٌ، وأَنَّه يَسْتَغْنِي بِنَفْسِهِ، ولا يَفْتَقِرُ إلى جَيْشِهِ.

٤٠ ـ وَأَنَّ رِمَـاحَ الخَطِّ عَنْـهُ قَصِـيْـرَةٌ   وَأَنَّ حَـدِيـدَ الهِنْـدِ عَنْـهُ كَـلِيـلُ

الكَليلُ: الذي لا يَقْطَعُ[5].

ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِك، فَقَالَ: وَدَرَوْا أَنَّ رماحَ الخَطِّ[6] تَقْصُرُ عَنْهُ، لإِحْجَامِ حَامِلِها عن مُوَافَقَتِهِ، وحَدِيدُ الهِنْدِ يَنْبو عَنْهُ، لِجَزَعِ الضَّارِبِينَ بِهِ عن مُجَالَدتِهِ. يُشيرُ إلى إحْجَامِ الفُرْسَانِ عَنْهُ، واعتِصَامِهِم بالفِرارِ مِنْهُ.

٤١ ـ فَـأَوْرَدَهُمْ صَـدْرَ الحِصَـانِ وَسَيْفَـهُ   فَتىً بَـأْسُـهُ مِثْـلُ العَـطَاءِ جَـزِيـلُ

(١) الخَبَبُ: ضرب من العدو فيه سرعة، والوَضْعُ: أهون سير الإبل والدواب.
(٢) «الفضول: «الزوائد» زيادة في ل.
(٣) في ر، ف «ثم يقول».
(٤) كذا في ر، ف، ت، وزاد في ل «أكد ذلك ودروا».
(٥) «الكليل: الذي لا يقطع» زيادة في ل.
(٦) الخَطّ: أرض تنسب إليها الرماح الخطيّة، واختلف في تحديدها، فقيل هي موضع باليمامة وقيل: ساحل ما بين عمان إلى البصرة، وقيل قرية على ساحل البحرين لعبد القيس (انظر معجم ما استعجم ١/٥٠٣).



الحِصَانُ: الفَحْلُ من الخَيْلِ[1].

فَيَقُـولُ[2]، مُشِيراً إلى لِحَـاقِ سَيْفِ الدَّوْلَـةِ بالـرُّومِ، وإيقاعِـهِ بهم: فَصَيَّرَهُمْ مَوْرِداً لِصَدْرِ حِصَانِهِ، وَنُهْبَةً لِحَدِّ سَيْفِهِ، فَتىً بَأْسُهُ شَدِيدٌ بَالِغٌ، كما أنَّ عَطَاءَهُ كَثيرٌ شَامِلٌ، فَبَأْسُهُ يُمَاثِلُ جُودَهُ، وإقْدَامُهُ يُشَاكِلُ فَضْلَهُ.

٤٢ ـ جَـوَادٌ على العِـلاَّتِ بـالمـالِ كُلِّهِ   وَلكِنَّـهُ بـالـدَّارِعِـينَ[4] بَـخِيـلُ

العِلاَّتُ: العَوائِقُ، والجَزِيلُ: الكَثيرُ[5].

ثُمَّ قالَ، مُشِيراً إليهِ: جَوَادٌ على العلاَّتِ المَانِعَةِ، والعَـوَائقِ المُعْتَرِضَـةِ بِضُروبِ مَالِهِ كُلِّهِ[6]، لا يَسْتَأثِرُ بِشَيْءٍ من ذَلِك ولا يَدَّخِرُهُ[7]، ولا يُمسِكُهُ ولا يَسْتَكْثِرُهُ، ولكنَّهُ ضَنِينٌ بِفُرْسَانِهِ، بَخِيلٌ أَشَدَّ البُخْلِ بأَصْحَابِهِ.

٤٣ ـ فَـوَدَّعَ قَتْـلاَهُـمْ وَشَيَّـعَ فَـلَّهُـمْ   بِضَـرْبٍ حُزُونُ البَيْضِ فيـهِ سُهُولُ

الحُزونُ: جَمْعُ حَزْنٍ، وهو مـا غَلُظَ من الأَرْضِ، والفَلُّ: المُنْهَـزِمُ، والبَيْضُ: مَعْروفَةٌ[8].

فيقولُ، مُخبِراً عن سَيْفِ الدَّولَةِ[9]: فَوَدَّعَ قَتْلَى[10] الرُّومِ عِنْدَ تَرْكِهِم،

---

(١) «الحصان... الخيل» زيادة في ل.

(٢) في ل «فقال» وفي ر، ف «ثم يقول» وما أثبته هو ما جرى عليه نسق الشرح.

(٣) في ت «إعطاءه».

(٤) في ل «الذارعين» والدارع: هو الذي عليه الدرع.

(٥) «العلات... الكثير» زيادة في ل.

(٦) «كله» ساقطة من ر، ف.

(٧) كذا في ل، ت وفي ر، ف «يردُّه».

(٨) «الحزون... معروفة» زيادة في ل، والبَيْض: جمع بَيْضة، والبَيْضَةُ ما ستر الرأس من حديد.

(٩) في ر، ف «ثم قال مخبراً عنه».

(١٠) في ف «قتل».



وَشَيَّعَ فَلَّهُمْ عند طَلَبِهم، بِضَرْبٍ شَديـدٍ، وجِلاَدٍ وَكيـدٍ، يَكْسِرُ البَيْضَ في رؤُوس الفُرْسانِ[١] ويَسْحَقُها، ويَحُطُّها ويَبْسُطُهـا، ويَجْعَلُ مـا نَتَأَ[٢] منهـا[٣] وارْتَفَعَ، كما انْخفَضَ واتَّضَـعَ. وطَابَقَ بَـيْنَ التَّوْدِيـعِ والتَّشْيِيعِ، والحُـزونِ والسُّهولِ[٤]، واسْتَعَارَ الحُزونَ والسُّهولَ من البَيْضِ، مُبْدِعاً بِجَميعِ ذَلك.

٤٤ ـ عَلَى قَلْبِ قُسْطَنْـطينَ مِنْـهُ تَعَجُّبٌ وإِنْ كـانَ في سـاقَيْـهِ منـه كُبُـولُ

ثُمَّ قَالَ: على قَلْبِ قُسْطَنْطينَ بنِ الدُّمُسْتُقِ، أميرِ[٥] جَيْشِ الرُّومِ، من ذَلكَ الضَّربِ تَعَجُّبٌ شاغِلٌ، وتَروُّعٌ غَالِبٌ، وإِنْ كَانَ لا يُسْتَنْكَرُ[٦] ذلـكَ مِنْه، وهوَ الذي أَصارَهُ إلى الأَسْرِ، وأَوْدَعَ سَاقَيْهِ حَلَقَ الكَبْلِ.

٤٥ ـ لَعَلَّكَ يـومـاً يـا دُمُسْتُـقُ عـائِـدٌ فَـكَـمْ هَـارِبٌ ممـا إليـه يَـؤُولُ

ثُمَّ[٧] يقـولُ للدُّمُسْتُقِ؛ صَـاحبِ جَيْشِ الـرُّومِ: لَعَلَّك عَـائِـدٌ إلى مُوَاقَفَةِ[٨] سَيْفِ الدَّوْلَةِ، فَيُورِدَكَ القَتْلَ الذي فُتَّهُ بِهَرَبِك، وَيَحِيقَ بكَ الهَلاكُ الذي اسْتَدْفَعتَهُ بِفِرَارِكَ، فَرُبَّ هَاربٍ مِمَّا يَؤُولُ إليه، ومُتَخَلِّصٍ مِمَّا يُورِطُهُ الحَيْنُ[٩] فيه.

---

(١) «في رؤوس الفرسان» زيادة في ل، ت.

(٢) في ر «قنا» وفي ف «فتا» وفي ت «علا».

(٣) كذا في ل، ت وساقطة من ر، ف.

(٤) «الحزون والسهول» ساقطة من ر، ف.

(٥) في ر، ف «أسير».

(٦) في ر، ف «يستكثر».

(٧) زيادة في ر، ف.

(٨) في ت «مواقعه» وفي ر، ف «موافقة» وهو تحريف والمواقفة: أن تقف معه ويقف معك في حرب أو خصومة.

(٩) الحَيْنُ: الهلاك والمِحْنَةُ.

٤٦ ـ نَجَوْتَ بإحْدَى مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً وَخَلَّفْتَ إحدى مُهْجَتَيْكَ تَسِيلُ

ثُمَّ قَالَ، مُخاطِباً للدُّمُسْتُقِ: أنت وابْنُكَ كالشَّيءِ الوَاحِدِ[1]، ومُهْجَتَاكما[2] كالمُهْجَةِ المُفرَدَةِ، فإن كُنْتَ نَجَوْتَ بِمُهْجَتِكَ بعد الجُرحِ الذي نَالَكَ، وخِزْيِ الفِرارِ الذي لَحِقَكَ، فَقَدْ تَرَكْتَ مُهْجَتَكَ الثَّانِيَةِ في قَبْضِ الأَسْرِ سَائِلةً، ولِحَقِيقَةِ الهَلاكِ مِبَاشِرَةً، فَمَا أَدْرَكَ ابْنَكَ فقد أَدْرَكَكَ، وما لَحِقَهُ فقد لَحِقَكَ.

٤٧ ـ أَتُسْلِمُ لِلْخَطِّيَّةِ ابْنَكَ هَارِباً وَيَسْكُنُ في الدُّنْيا إليكَ خَلِيلُ

ثُمَّ يقولُ للدُّمُسْتُقِ: أَتُسْلِمُ ابْنَكَ للرِّمَاحِ هَارِباً عَنْهُ، وتَتْرُكُهُ في قَبْضَةِ الأَسْرِ مُتَبَرِّئاً مِنْهُ، وَيَسْكُنُ بَعْدَ ذَلِك إليكَ خَلِيلٌ تَأْلَفُهُ، وَتُسَرُّ بِعَيْشٍ تَسْتَأْنِفُهُ؟

٤٨ ـ بِوَجْهِكَ ما أنْسَاكَهُ من مُرِشَّةٍ نَصِيرُكَ مِنْهَا رَنَّةٌ وَعَوِيلُ

المُرِشَّةُ: [الجِرَاحَةُ][3] التي يَنْدَفِعُ منها الدَّمُ، والرَّنَّةُ: رَفْعُ الصَّوتِ بالبُكاءِ، والعَوِيلُ: البُكاءُ[4].

ثُمَّ قالَ، زَارِياً عَلَيْهِ: بِوَجْهِكَ من الجِرَاحَةِ[5] المُرِشَّةِ التي لَحِقَتْكَ، والآلامِ المُوجِعَةِ[6] التي لازَمَتْكَ ما أَنْسَاكَ فَقْدَهُ، وَسَهَّلَ عَلَيْكَ أَمْرَهُ، ونَصِيرُكَ من ذلكَ الإعْلاَنُ بالرَّنِينِ، والمُلاَزَمَةُ للعَوِيلِ.

---

(١) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «شيء واحد».

(٢) كذا في ر، ف، ت وفي ل «مُهجاتِكما».

(٣) ما بين معكوفتين زيادة اقتضاها السياق، وفي شرح البيت ما يدل عليها. وجاء في شرح الواحدي ص ٥٢١: «يعني جراحة ترش الدّم إرشاشاً».

(٤) «المرشّة... والعويل» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «الجراح».

(٦) في ر، ف «المتوجعة».

٤٩ ـ أغَـرَّكُمْ طُولُ الجيـوشِ وَعَـرْضُهـا! عَـلِيٌّ شَروبٌ لـلجيـوشِ أَكُـولُ

يقولُ[١]، مُخاطِباً للرُّومِ: أغَرَّكُم احتِفَالُ جُيُوشِكُم، وكَثْرَةُ عَدَدِكُمْ[٢]، والجُيُوشُ[٣] لِعَلِيٍّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، كالغِذَاءِ الذي يَتَقَوَّتُ بِهِ، وَيَتَحَكَّمُ في اسْتِعْمَالِهِ لَهُ[٤]، فهو يَشْرَبُ الجُيُوشَ وَيَأْكُلُها، وَيُتْلِفُهـا[٥] ويُهْلِكُها. وذَكَرَ الشُّرْبَ والأكْلَ على سَبيلِ الاسْتِعَارَةِ.

٥٠ ـ إذا لم تَكُنْ[٦] لِلَّيْثِ إلاَّ فَرِيسَةً غَذاهُ ولم يَنْفَعْكَ أَنَّكَ فِيلُ

الفَريسَةُ: ما اختَلَسَهُ الأَسَدُ من الحيوانِ، فَدَقَّ عُنُقَهُ، والفَرْسُ: دَقُّ العُنُقِ، واللَّيْثُ والفِيْلُ: مَعْروفانِ[٧].

ثُمَّ قالَ: إذا كُنْتَ فَرِيْسَةً للَّيْثِ يَأْكُلك، وَيَتَقَوَّتُ بكَ، وكُنْتَ فِيلاً من عِظَمِكَ، غَذاهُ[٨] أنكَ فِيلٌ وأَشْبَعَهُ، وسَرَّهُ ضِخَمُكَ وَوافَقَهُ، ولم يَنْفَعْكَ أَنْتَ عِظَمُ خَلْقِكَ، ولا عَصَمَكَ من الأكْلِ ضَخامَةُ جِسْمِكَ، وإنَّما ضَرَبَ هذا مَثَلاً للرُّومِ، وما كانوا عَلَيْهِ من الكَثْرَةِ، وَغَلَبَةِ[٩] سَيفِ الدَّولَةِ لهم مَعَ القِلَّةِ.

٥١ ـ إذا الطَّعْنُ لم تُدْخِلْكَ فيه شَجَاعَةٌ هي الطَّعْنُ لم يُدْخِلْكَ فيه عَذُولُ

(١) في ر، ف «ثم قال».
(٢) في ر، ف «عدوكم».
(٣) الواو زيادة في ت.
(٤) ساقطة من ت.
(٥) في ر، ف «ويبلعها».
(٦) في رواية الواحدي «يكن».
(٧) «الفريسة... معروفان» زيادة في ل.
(٨) غذاهُ: صار له غذاء، والضمير (الهاء) راجع إلى الليث.
(٩) في ر، ف «وعليه».

ثُمَّ قالَ: إذا الطَّعْنُ لم يَحْمِلْكَ عَلَيْهِ، ولا[1] يُدْخِلُكَ فيهِ، شَجاعَةٌ هي الطَّعْنُ، وبِهَا يَكُونُ البَطْشُ والفِعلُ، لم يُدْخِلْكَ فيه عَاذِلٌ يَعْذُلُكَ على الجُبْنِ، ويَسْتَقْصِرُكَ[2] في قَبيحِ الفِعْلِ؛ لأَنَّ الخَلْقَ[3] غالِبَةٌ، والطَّبَائِعَ[4] للإنسانِ لازِمَةٌ.

٥٢ ـ فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ أَبْصَرْنَ صَوْلَـهُ   فَقَـدْ عَلَّمَ الأَيَّـامَ كَيْفَ تَصُـولُ

الصَّوْلَةُ: حَمْلَةُ البَاطِشِ[5].

فيقولُ: فإن تَكُنِ الأَيَّامُ أَبْصَرْت بَطْشَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَصَوْلَهُ، وَوَقَائِعَهُ وَفِعْلَهُ، فقد عَلَّمَها مِنْ ذَلكَ ما لم تَعْلَمْهُ، وكَشَفَ لَهَا ما لم تَعْرِفْهُ، ونَهَجَ لَهَا سَبِيلَ الصَّولِ والقُدْرَةِ، وَنَبَّهَهَا على حَقَائِقِ الغَلَبَةِ، مَعَ أَنَّ هذهِ الأَحْوالَ إلى الأيَّامِ تُنْسَبُ، وآثَارَهَا فيها تُمْتَثَلُ[6].

٥٣ ـ فَدَتْكَ مُلوكٌ لم تُسَمَّ[7] مَـواضِيـاً   فَـإِنَّـكَ مـاضي الشَّفْـرَتَـيْنِ صَقِيـلُ

المواضِي: السُّيوفُ[8].

ثُمَّ قَالَ لِسَيْفِ الدَّولَةِ: فَدَتْكَ مُلُوكٌ تَرُومُ مُشَابَهَتَك، ولم تُسَمَّ سُيوفاً مَوَاضِيَ[9]، فَتُمَاثِلُكَ في اسمِكَ، وتُعادِلُك في قَدْرِكَ، فإنَّك السَّيفُ اسْماً

---

(١) «لا» ساقطة من ر، ف.

(٢) في ت «ويستقسرك».

(٣) في ت «الخُلُق غالب والطّباع للإنسان لازمة».

(٤) في ت «والطباع».

(٥) «الصولة: حملة الباطش» زيادة في ل، ت.

(٦) في ت «تمثل».

(٧) في ل «تُشَمَّ».

(٨) «المواضي: السيوف» زيادة في ل.

(٩) في ر، ف «مواضيا».

وحَقِيْقَةً، وَتَلَقُّباً وخِبْرَةً[1]، ماضِي[2] الشَّفْرَتين، صَقيلُ الصَّفْحَتَين.

٥٤ ـ إذا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفاً لِدَوْلَةٍ   ففي النَّاسِ بُوقَاتٌ لها وَطُبُولُ

البُوقَاتُ والطُّبولُ: مَعْروفةٌ[3].

ثُمَّ قالَ: إذا كَانَتْ صِفَاتُ النَّاسِ مُعْرِبَةً[4] عنهم، وأسْمَاؤُهم مُبِيْنَةً لهم، وَنُسِبُوا إلى الدَّوْلَةِ بِحَسَبِ مَوَاضِعِهم منها، وأَقْدارِهم فيها، فَسَيْفُها في أَرْفعِ مَنَازِلِها، وأَجَلِّ مَراتِبِها[5]، ومنهم لا مَحَالَةَ من يَحُلُّ فيها مَحَلَّ البُوقَاتِ والطُّبولِ التي تُتَّخَذُ للتَّهويلِ والشُّنْعَةِ[6]، ولا حَظَّ لها في العُلوِّ والرِّفْعَةِ. يُشِيرُ إلى مَحَلِّ المُتَصَرِّفين في الدَّولةِ من عَليِّ بنِ حَمْدانَ، مَحَلَّ البُوقاتِ والطُّبولِ من السَّيْفِ الصَّارِمِ الصَّقيلِ، واسمُهُ على ذلك دَليلٌ قاطعٌ، وشاهِدٌ صَادِقٌ.

٥٥ ـ أنا السَّابقُ الهادِي إلى ما أَقُولُهُ   إذ القَوْلُ قَبْلَ القَائِلينَ مَقُولُ

ثُمَّ[7] يقولُ: أنا السَّابِقُ إلى ما أَبْدِعُهُ في القَوْلِ، الهادي إلى ما أُغْرِبُ بهِ من الشِّعْرِ، لا اهتَدِي[8] في ذلكَ بِمَنْ سَبَقَني بِعُمُرِهِ، وفاتَني بِتَقَدُّمِ عَصْرِهِ، إذ كان غَيْري من القَائِلينَ لا يَخْرجُ عمَّا قِيْلَ قَبْلَهُ، ولا يُورِدُ إلاَّ ما قَدْ قَالَهُ غَيْرُهُ[9].

---

(١) ساقطة من ت.

(٢) زاد في ت «وحدُك ماضي».

(٣) «البوقات والطبول: معروفة» زيادة في ل.

(٤) في ف «معرفة».

(٥) في ر، ف «مرابها» ومطموسة في ل.

(٦) الشُّنْعَة: الفظاعة.

(٧) زيادة في ر، ف.

(٨) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «ولا أقتدي».

(٩) زاد في ت «قاله قبله غيره».

٥٦ ـ ومـا لِكَلاَمِ (١) النَّـاس فيـما يَـرِيْبُني   أُصُـولٌ ولا لِلْقـائِليـهِ(٢) أُصُـولُ

ثُمَّ قالَ: وما لِكَلامِ حَاسِدي من النَّاسِ فيما اسْتَرِيبُهُ منهم، وَيَتَّصِلُ بي عَنْهُمْ، أُصُولٌ ثابِتَةٌ في الصِّدْقِ، كما أَنَّ ما لِلْقائلينَ بذلكَ(٣) أصولٌ ثابِتَةٌ في الفَضْلِ، فَسُقُوطُهُم في أَقْوَالِهِم كَسُقوطِهِم(٤) في أَحْوَالِهِم. وهذه العِبَارَةُ وإنْ زَادَت على لَفْظِهِ، فهي مَفْهُومَةٌ من حَقِيقَةِ قَصْدِهِ.

٥٧ ـ أُعَـادَى عَلَى مَـا يُـوجِبُ الحُبَّ لِلْفَتَى   وأَهْـدَأُ والأَفْـكَـارُ فِيَّ تَجُـولُ

ثُمَّ يَقولُ، مُخْبِراً عن نَفْسِهِ، ومُتَشَكِّياً للمُغْتَرِّينَ(٥) بِحَسَدِهِ: أُعَادَى على مـا أَنفَرِدُ بـهِ من الفَضْلِ، وأُبْـدِعُهُ في صِنَـاعَةِ الشِّعْـرِ، مَـعَ الإنصـافِ(٦) [الذي](٧) يُوجِبُ الحُبَّ، ويُكْسِبُ المُصَافَاةَ والـودَّ، وأَهْدَأُ مُنْطَوِياً(٨) عـلى سَلاَمةِ الصَّدْرِ، ومُجَانَبَةِ الحَسَدِ والضِّغْنِ، وأفكارُ حَاسِدي فِيَّ جَائِلَةٌ، وأَنْفُسُهم مُتَشَاغِلَةٌ.

٥٨ ـ سِـوَى وَجَـعِ الحُسَّـادِ داوِ فـإِنَّـهُ   إذا حَـلَّ في قَلْبٍ فَلَيْسَ يَحُـولُ (٩)

ثُمَّ قالَ على سَبيلِ المَثَلِ: غَيرَ ما يَصْطَنِعُهُ الحَاسِدُ، فَداوِهِ بِلُطْفِك(١٠)،

---

(١) في ر، ف «وما في كلام».
(٢) في ت «لقائليه» والوزن مستقيم.
(٣) «بذلك» ساقطة من ل.
(٤) «في أقوالهم كسقوطهم» ساقطة من ف.
(٥) في ر، ف «للمعترضين».
(٦) في ف «الانصراف».
(٧) زيادة اقتضاها النص.
(٨) في ف «منطياً».
(٩) في ر، ف «ليس يزول».
(١٠) كذا في ت وفي ر، ف «بلفظك».

وتَعَلُّقَهُ[١] بحِلمِكَ، وأَمَّا وَجَعُ الحُسَّدِ فلا طَمَعَ فيه، ولا سَبيلَ للعِلاجِ عَلَيه؛ لأَنَّه إذا حَلَّ في قلبِ المُتَخلِّقِ[٢] بِهِ، ثابِتٌ لا يَحُولُ، ودَائِمٌ لا يَزولُ.

٥٩ - ولا تَطْمَعَنْ من حَاسِدٍ في مَوَدَّةٍ وإنْ كُنْتَ تُبْدِيها لـه وَتُنِيـلُ

ثُمَّ قالَ[٣]: ولا تَطْمَعَنَّ، مِمَّن[٤] تَتيَقَّنُ حَسَدَهُ، في صدقِ مَوَدَّةٍ، وخُلوصِ مَحبَّةٍ[٥]، وإن أَظْهَرْتَ ذلك والتَزَمْتَهُ، وأَبْدَيْتَهُ واعتَقَدْتَهُ، وَبَذَلْتَ[٦] لهُ مَعَ ذلكَ النَّيْلَ والمُشارَكَةَ، والبِرَّ والمُكَارَمَةَ، فالحَسَدُ دَاءٌ لا يُبْرَأُ منه، وخُلُقٌ لا يَنْفَصِلُ صَاحِبُه عَنْهُ.

٦٠ - وإنا لَنَلْقَى الحادِثَاتِ بأَنْفُسٍ كَثيرُ الرَّزَايا عِنْدَهُنَّ قَليلُ

يَقُولُ، مُخبِراً عمَّا هو عَلَيْهِ من الصَّبْرِ، وقِلَّةِ الجَزَعِ لِحَوادِثِ الدَّهر: وإنَّا لَنَلْقَى الحادِثاتِ بأَنْفُسٍ صابِرَةٍ[٧]، وعزائمَ ثَابِتَةٍ، تَسْتَقِلُّ[٨] الرَّزَايا الكثيرةَ، وتَحْتَقِرُ[٩] الخُطوبَ الجَليلَةَ.

٦١ - يَهونُ[١٠] عَلَيْنا أَنْ تُصَابَ جُسُومنا وَتَسْلَمُ أَعْرَاضٌ لنا وعُقُولُ

ثُمَّ قالَ: يَهُونُ عَلَيْنا أن تُصابَ جُسُومُنَا في الحَرْبِ[١١]، وأن تَتَعَرَّضَ

(١) في ت «وتلقه».
(٢) في ر «المختلق».
(٣) ساقطة من ف.
(٤) ساقطة من ف.
(٥) في ت «لا تطمعنَّ في صدق مودة، وخلوص محبة، من أتقن حسده».
(٦) في ف «بدلت» وهو تصحيف.
(٧) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «صابرات».
(٨) في ر، ف «تستقبل».
(٩) في ف «ويحتقر».
(١٠) في ف «يهان».
(١١) كذا في ر، ف، وفي ل «للحرب».

للجِراحِ والقَتْلِ، إذا كانت أعْرَاضُنا وافِرَةً، وعُقُولُنا من الخَطَإِ سَالِمَةً.

٦٢ - فَتِيْهِـاً وَفَخْـراً تَغْلِبَ ابنَـةَ وائِـلٍ فـأنْتِ لخـيرِ الفَـاخِـرينَ قَبِيـلُ

تَغْلِبُ وَبَكْرٌ ابنَا وائلِ بنِ قَاسِطٍ، ومن وَلَدَيْهِما الجمهورُ الأَعْظَمُ من رَبِيْعَةَ بنِ نزارٍ، وأَنَّثَ تَغْلِبَ؛ لأَنَّها قَبِيْلَةٌ، ومنهم رَهْطُ سَيْفِ الدَّولةِ[١]. فيقولُ لِتَغْلِبَ؛ هذهِ القَبيلَةِ: فَتِيْهي تَيْهاً، وافخَري فَخْراً، فَأنتِ لِسَيْفِ الدَّولةِ قَبيلٌ، وهو خَيْرُ الفَاخِرِينَ، وأَكْرَمُ مَنْ يُرْفَعُ به من الأَكْرَمِيْنَ. وحَذَفَ الفِعْلَيْنِ في قَوْلِهِ: «فَتِيْهاً وفَخْراً»؛ لِدَلالَةِ المَصْدَرَيْنِ عليهما.

٦٣ - يَـغُـمُّ عَـلِيَّـاً أنْ يَمُـوتَ عَـدُوُّهُ إذا لَمْ تَـغُـلْهُ بـالأسِـنَّـةِ غُـولُ

الغَوْلُ: الإِهْلاكُ، والغَوْلُ: المَنِيَّةُ[٢].

ثُمَّ قالَ[٣]: يَغُمُّ عَلِيَّاً، يُريدُ: سَيْفَ الدَّوْلَةِ، أن يَمُوتَ عَدُوُّهُ حَتْفَ أَنْفِهِ[٤]، مَعَ ما في ذلك لَهُ من الكِفَايَةِ[٥]، وبُلُوغِ الرَّغْبَةِ، وسُقوطِ المُؤونَةِ، إذا لم تَغُلْهُ أسِنَّتُهُ، وتُحيطُ[٦] به مَقْدِرَتُهُ، وتُهْلِكُهُ وقائِعُهُ؛ لأَنَّهُ على يَقِينٍ من الظَّفَرِ به، فإذا أَفَاتَهُ[٧] الموتُ سَاءَهُ ذلك، وَظَنَّهُ شَيْئاً سُبِقَ[٨] إليه، وَمُنِعَ من بُلوغِ المُرَادِ فيهِ.

---

(١) «تغلب وبكر... رهط سيف الدولة» زيادة في ل.

(٢) «الغول... المنية» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم يقول».

(٤) مات حتف أنفه: أي مات على فراشه من غير قتل ولا ضرب ولا غرق ولا حرق، وخصّ الأنف؛ لأنه أراد أن روحه تخرج من أنفه بتتابع نفسه، أو لعلهم كانوا يتخيلون أن المريض تخرج روحه من أنفه والجريح من جراحته.

(٥) في ر، ف «مع ما في ذلك من الكفاية له» وفي ت «مع ماله في ذلك من الكفاية».

(٦) في ت «وتحط».

(٧) في ت «فاته».

(٨) كذا في ل، ت وفي ر، ف «يسبق».

٦٤ - شَرِيْكُ المَنَايَا والنُّفوسُ غَنِيْمَةٌ فَكُلُّ ممَاتٍ لم يُمِتْهُ غُلُولُ

الغُلُولُ: ما أُخِذَ على سَبِيْلِ الخِيانَةِ من الفَيْءِ[١].

ثُمَّ قالَ: هو شَرِيكُ المَنايا بكَثْرَةِ ما يُحْدِثُهُ من القَتْلِ، ويُتْلِفُهُ من النُّفوسِ في الحَرْبِ، والنُّفوسُ له كالغَنَائِمِ المُحْتَازَةِ[٢]، والأَنْهَابِ المُتَمَلَّكَةِ. فَكُلُّ ممَاتٍ لا يَشْرَكُ المَنَايا فيه، فهو كالغُلولِ المَأْخُوذَةِ[٣] على غَيْرِ وجوهِها[٤]، والأُمورِ المقصودَةِ على غَيْرِ سَبيلِها. يُشيرُ إلى كَثْرَةِ وَقَائِعِهِ، واتِّصَالِ مَلاَحِمِه.

٦٥ - فإن تكُن الدَّوْلاَتُ قِسْماً فإنَّها[٥] لِمَنْ وَرَدَ الموتَ الزُّؤَامَ تَدُولُ

الدَّولةُ: مُدَّةُ الظَّفرِ، ودَوْلَةُ السُّلطانِ من ذلكَ، وهي بِمَعْنَى المَصدرِ، ويُقالُ دَالَتْ لِفُلانٍ دَوْلَةٌ فهي تَدولُ. والموتُ الزُّؤامُ: العاجِلُ[٦].

فيقولُ: فإن تَكُنِ الدَّوْلاَتُ أَقْسَاماً تُسْتَحَقُّ، وحُظُوظاً تُسْتَوْجَبُ، فإنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَتْ[٧] له فَتَمَلَّكَها، وَأَسْعَدَتْهُ[٨] فانفرَدَ بها، مَنْ وَرَدَ الموتَ الزُّؤَامَ غَيْرَ[٩] مُتَهَيِّبٍ، وَأَقْدَمَ عليه غَيْرَ مُتَوَقِّعٍ.

---

(١) «الغلول... الفيء» زيادة في ل.

(٢) كذا في ل، ر، وفي ف، ت «المختارة».

(٣) كذا في ر، ف، ت «المأخوذة» وفي ل «المأخود».

(٤) في ت «وجهها» وفي ل «وجوهه».

(٥) في ر، ف «فإنما».

(٦) «الدولة... العاجل» زيادة في ل.

(٧) كذا في ل، ت، وفي ر، ن «دالت».

(٨) في ف «أو استعدته» وفي ت «وأسعدنه».

(٩) ساقطة من ف.

٦٦ - لِـمَنْ هَوَّنَ الدُّنيا على النَّفْسِ سَاعَةً وَلِلْبِيضِ في هَـامِ الكُمَـاةِ صَلِيـلُ

الكُمَاةُ: الشُّجعَانُ، والبِيْضُ: السُّيوفُ، والصَّلِيلُ: امتدادُ الصَّوْتِ[1].

ثُمَّ أكَّدَ ذلكَ، فَقَالَ: لِمَنْ هَوَّنَ الـدُّنيا عـلى نَفْسِهِ سَـاعَةً، والأَبْـطَالُ تَتَجَـالَدُ، وكُؤُوسُ المـوتِ تُتَنَازَعُ، وأَحْكَـامُ السُّيُوفِ بَـيْنَ الفُرْسَـانِ نَافِـذَةٌ، وأَصْوَاتُها في رُؤُوسِ الشُّجْعَانِ عَالِيَةٌ.

---

(١) «الكماة... الصوت» زيادة في ل.

- ٥١ -

ودَخَلَ عليه يَوْماً[١] يَعُودُهُ من عِلَّةٍ وَجدَها، وَقَدْ[٢] كَانَ عَاتِباً عليه لِتَأَخُّرِ مَدْحِهِ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ.

١ ـ بِأَدْنَى ابْتِسَامٍ مِنْكَ تَحْيَا القَرَائِحُ   وَتَقْوَى مِنَ الجِسْمِ الضَّعِيفِ الجَوارِحُ

القَرِيحَةُ: العَقْلُ[٣].

فيقولُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ: بأَدْنَى ابْتِسَامٍ مِنْكَ تَحْيَى العُقولُ الطَّائِشَةُ، وَتَسْكُنُ النُّفُوسُ الخَائِفَةُ، وبأيسرِ شَواهِدِ رِضَاكَ تَقْوَى جَوارِحُ الجِسْمِ الضَّعيفِ، ويُؤْمَنُ من[٤] مَكارِهِ الأَمْرِ المَخُوفِ.

٢ ـ وَمَنْ ذَا الَّذي يَقْضِي حُقُوقَك كُلَّها   وَمَنْ ذَاالذي يُرْضِي سِوَى مَنْ تُسَامحُ

ثُمَّ قالَ: وَمَنْ ذَا الذي يَقُومُ بِقَضَاءِ حُقُوقِكَ، وَيَسْتَقِلُّ بِشُكْرِ نِعَمِكَ، وَيَبْلُغُ ما يُرْضِي في ذلك، سِوَى مَنْ تَسْمَحُ[٥] له في ما أَغْفَلَ، وتَتَجاوَزُ عَنْهُ فيما قَصَّرَ[٦].

---

(١) في ر، ف «ودخل يوماً علي بن حمدان أبو الطيب».

(٢) زيادة في ر، ف.

(٣) «القريحة: العقل» زيادة في ل.

(٤) ساقطة من ر، ف.

(٥) في ر، ف «ويسمح».

(٦) في ر، ف «ويتجاوز له عما أهمل».

٣ ـ وَقَـدْ تَقْبَـلُ العُـذْرَ الخَفِيَّ تَكَـرُّمـاً فـما بَالُ عُـذْري وَاقِفـاً وَهْـوَ واضِـحُ

ثُمَّ[١] يقـولُ لِسَيْفِ الدَّولـةِ[٢]: وقد تقبَـلُ بِسَعَـةِ فَضْلِكَ، وَمَشْهـورِ كَرَمِكَ، العُذْرَ الذي يَخْفَى فيه الصِّدْقُ، ولا يَسْتَتِرُ عَلَيْه الحقُّ[٣]، فـما بَالُ عُذْري وَاقِفاً لَدَيْكَ لا يُسْمَعُ، وهو مَعَ ذلكَ واضِحٌ لا يُدْفَعُ؟

٤ ـ وإنَّ مُحالاً ـ إذ بكَ العَيْشُ ـ أن أرى وَجِسْمُـكَ مُعْتَـلٌ وَجِسْمِيَ صَـالِـحُ

ثُمَّ قَالَ: وإنَّ من المُحَالِ إذْ كانَ عَيْشِي بكَ، ونَفْسِي خَالِصَةً لكَ، أنْ يَصْلُحَ جِسْمِي وَيَعْتَلَّ جِسْمُكَ، وتَسْلَمَ حالي وتَخْتَلَّ حالُكَ، بَلْ آلَمُ لِأَلَمِكَ، وأشْكو أَضْعَافَ ما تَشْكُوهُ من وَجَعِكَ.

٥ ـ وَمَـا كَـانَ تَـرْكُ[٤] الشِّعْـرِ إلاَّ لأَنَّــهُ تُقَصِّرُ عَنْ وَصفِ الأَمِـيرِ المـدائِـحُ

ثُمَّ قالَ: وما تَرَكْتُ الشِّعْرَ مُغْفِلاً لِمَدْحِكَ، ولا تَأَخَّرْتُ بهِ مُفَرِّطاً في شُكْـرِكَ، ولكنَّ الشِّعْرَ يُقَصِّرُ عن حَقِيْقَـةِ وَصْلِكَ[٥]، وَيَتَواضَـعُ دونَ رِفْعَةِ قَدْرِكَ، وَيَبْعُدُ فيه ما يَليقُ بِكَ، وَيَتعذَّرُ مِنْهُ ما ارتَضِيهِ لكَ.

---

(١) زيادة من ر، ف.

(٢) في ر، ف «يقول له».

(٣) ساقطة من ر، ف.

(٤) في رواية التبيان «تركي».

(٥) في ل «قصدك».



وقالَ أيضاً في عِلَّتِهِ:

١ - أَيَـدْرِي مَـا أَرَابَـكَ مَـنْ يُـرِيـبُ ... وَهَـلْ تَـرقَى إلى الفَلَكِ الخُـطُوبُ

رَابَ الشيءَ وأَرابَ: بِمَعْنًى واحِدٍ، إذا أَوْجَبَ الرِّيبَةَ[1].

فيقولُ لِسَيْفِ الدَّولَةِ: أَيَدْرِي هذا الأَلَمُ الْمُطِيفُ بِكَ، وهذا[2] الوَجَعُ العَارِضُ لَكَ، مَنْ يُرِيبُهُ مِنْكَ فيُؤْلِمُهُ[3]، ويُشْكِيهِ ويُمْرِضُـهُ، ولو تَبَيَّنَ ذلك لأَعْظَمَهُ، ولو دَرَاهُ لَتَهَيَّبَهُ، فالفَلَكُ لا تَرْقَى إِلَيْهِ[4] الخُطُوبُ لِرِفْعَتِهِ، وقَدْرُكَ من العُلُوِّ في أَبْعَدِ غَايَتِهِ.

٢ - وَجِسْـمُـكَ فَـوْقَ هِمَّـةِ كُـلِّ دَاءٍ ... فَـقُـربُ أَقَـلِّهَـا مِـنْـهُ عَـجِـيـبُ

ثُمَّ قالَ: وهِمَمُ[5] الأَدْوَاءِ تَتَقَاصَرُ عن جِسْمِكَ، وتَتَوَاضَعُ عن قَدْرِكَ، فَقُرْبُ أَقَلِّها منكَ غريبٌ مُسْتَنْكَرٌ، وَعَجِيبٌ مُسْتَعْظَمٌ.

٣ - يُجَمِّشُـكَ الـزَّمَـانُ هَـوىً وَحُبّـاً ... وَقَـدْ يُـؤْذَى مِـنَ المِقَـةِ الحَبِـيـبُ

---

(١) «راب الشيء... الريبة» زيادة في ل.

(٢) زيادة في ر، ف.

(٣) زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «لا ترقى الخطوب إليه».

(٥) في ف «وهم».



التَّجْمِيشُ: المُغَازَلَةُ والمُلاَعَبَةُ، والمِقَةُ: المَحَبَّةُ[1].

ثُمَّ قالَ: و[2] يُجَمِّشُكَ الزَّمَانُ فِعْلَ المُعْجَبِ بكَ، وَيُغَازِلُكَ فِعْلَ المُتَحَبِّبِ إليك، وقد يُؤْذِي المُحِبُّ حَبِيْبَهُ غيرَ عَامِدٍ، ويُصِيْبُهُ بالألَمِ غَيْرَ قَاصِدٍ.

٤ - وَكَيْفَ تُعِلُّكَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ   وَأَنْتَ بِعِلَّةِ الدُّنْيَا طَبِيبُ

ثُمَّ يقولُ: وكَيْفَ تُعِلُّك[3] الدُّنيا بِطَائِفٍ يُمْرِضُكَ، وشَكِيَّةٍ تُوجِعُكَ، وأَنْتَ طَبِيبُ الدُّنيا مِنْ عِلَلِها، والمُجيرُ من مَخُوفِ أَلَمِها؟ فبالإخْصَابِ في فَضْلِكَ يُسْتَدْفَعُ مَحْلُها، وبالتَّصَرُّفِ في فَضْلِكَ[4] يُسْتَكَفُّ ضَرُّها.

٥ - وَكَيْفَ تَنُوبُكَ الشَّكْوَى بِدَاءٍ   وَأَنْتَ المُسْتَغَاثُ لِمَا يَنُوبُ

ثُمَّ قالَ: وكيفَ تَنُوبُك الشَّكْوَى بِدَائِها، وَتَعْتَمِدُك بِأَلَمِها، وأَنْتَ المُسْتَغَاثُ في الحَوَادِثِ الطَّارِقَةِ، والمُنْتَصَرُ بهِ في النَّوائبِ العَارِضَةِ؟

٦ - مَلِلْتَ مُقَامَ يَوْمٍ لَيْسَ فيهِ   طِعَانٌ صَادِقٌ ودَمٌ صَبِيبُ

ثُمَّ قالَ: مَلِلْتَ إقَامَتَكَ على حالِ دَعَةٍ، وتَأَخُّرَكَ عن شَنِّ غَارَةٍ، وانْصِرَامِ يَوْمٍ من أَيَّامِكَ دُونَ وَقْعَةٍ على أَعْدَائِكَ، تُعْمِلُ فيها الطِّعَانَ الصَّادِقَةَ، وتُكَثِّرُ فيها الدِّمَاءَ الجَارِيةَ.

---

(١) «التجميش... المحبة» زيادة في ل.

قال أبو العلاء: زعم قوم أن التجميش كلمة مولدة، وإنما يراد به قرص غير مؤلم. (النظام ج ١ ورقة ١٦٩ وانظر التبيان ١/٧٣).

(٢) الواو زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «يُعلِّل».

(٤) في ر، ف «ظلك».



٧ ـ وأَنْتَ المَلْكُ[1] تُمْرِضُهُ الحَشَايَا لِهِمَّتِهِ وَتَشْفِيهِ الحروبُ

الحَشَايا: الفُرُشُ[2].

ثُمَّ قالَ: وأنتَ المَلِكُ الجَلْدُ[3] الصَّارِمُ، القَويُّ النَّافِذُ، الذي يُمْرِضُهُ تَمَهُّدُ الفُرُشِ الوَثيرةِ، فَيُوحِشُهُ[4] لُزُومُ القُصورِ المَشِيْدَةِ، لِبُعْدِ هِمَّتِهِ، وكَرَمِ نِيَّتِهِ، وسُرُورِه في الحُروبِ بالإقْدَامِ على شَدَائِدِها، وتَشْفِيهِ بِتَقَدُّمِهِ في وَقَائِعِها.

٨ ـ وما بِكَ غيرُ حُبِّكَ أَنْ تَرَاهَا وَعَثِيرُهَا لأَرْجُلِها جَنِيبُ

العَثِيْرُ: الغُبارُ، وجَنِيبٌ: فَعِيلٌ، من جَنَبْتُ الدَّابةَ: إذا قُدْتَها[5].

فيقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ[6]: وما يُشْكِيكَ إلاَّ تَأَخُّرُكَ عن الغَزْوِ، وبُعْدُ عَهْدِك بِطِرَادِ الخَيْلِ، وأَنْ تَرَى ما تُثيرُهُ من الرَّهَجِ في الغَارَاتِ، جَنِيْباً[7] لِأَرْجُلِهَا، يَقْفُوها وَيَتْبَعُهَا، وَيَتْلُوهَا وَيَصْحَبُهَا.

٩ ـ مُجَلِّحَةً[8] لها أرضُ الأَعَادي ولِلسُّمْرِ المَنَاخِرُ والجُنُوبُ

(١) في رواية ابن المستوفي والتبيان «وأنت المرء».
(٢) «الحشايا: الفرش» زيادة في ل.
(٣) في ر، ف «الجاد».
(٤) في ر، ف «وتوحشه».
(٥) «العثير... الغبار» زيادة في ل.
(٦) في ر، ف «ثم يقول له».
(٧) في ف «جنيب» وهو لحن
(٨) كذا في رواية ابن جني، وفي رواية الواحدي «مُحَجِّلَة». والتحجيل: بياض في قوائم الفرس كلها، وروى الخوارزمي «محلّلة» أي قد حلت لها أرض الأعداء فهي تطؤها.
قال المبارك بن أحمد: «وفي قوله مُجَلِّحة زيادة ليست في قوله محجلة، على أن لفظة المجلِّحة وحشية نافرة» (النظام ج ١ ورقة ١٦٩).



المجَلِّحَةُ: المُصَمِّمَةُ[1].

ثُمَّ قالَ، يُريدُ الخَيْلَ: مُجَلِّحَةً فيما تَقْصِدُهُ، مُصَمِّمَةً فيما تَعْتَمِدُهُ، لها أرْضُ الأعادي تَطَؤُها، وَديارُهم تَتَمَلَّكُها، وَلِرِمَاحِكَ مَناخِرُ فُرْسانِهم تَطْعَنُهَا، وَجُنُوبُ شُجْعَانِهِم تَخْتَرِقُهَا.

١٠ - فَقَرِّطْها الأَعِنَّةَ[2] راجِعَاتٍ فإنَّ بَعِيدَ ما طَلَبْتَ قَريبُ

تَقْريطُ الفَرَسِ عِنَانَه: إمكانُهُ منهُ في الجَرْيِ، حَتَّى يَحُلَّ منه مَحَلَّ القُرْطِ مِنَ العُنُقِ[3].

ثُمَّ قالَ: فَداوِ شَكِيَّتَكَ[4] بِتَقْرِيطِ[5] هذهِ الخَيْلِ أَعِنَّتَهَا، فإنَّ ذلكَ مَقْرُونٌ بِبِرْئِكَ، وبَعِيْدُ ما تَطْلُبُه قَرِيبٌ مَعَ سَعْدِكَ.

١١ - إذا داءٌ هفَا بُقْراطُ عَنْهُ فَلَمْ يُعْرَفْ لِصَاحِبِهِ ضَرِيبُ

هَفَا: بِمَعْنَى زَلَّ، والضَّريبُ: النَّظيرُ[6].

فيقولُ: إذا عَرَضَ داءٌ[7] مُعْضِلٌ، يُعْجِزُ بُقْراطَ عِلاَجُهُ، وأمرٌ مُشْكِلٌ،

---

(١) «المجلحة: المصممة» زيادة في ل. قال أبو الفتح: مُجَلِّحة أي مصممة ماضية، مأخوذة من الذئب الأجلح وهو أحسنها، وقيل من الذئب المجلح: ، الذي لج في الطلب (النظام ج ١ ورقة ١٦٩).

(٢) يروى «يقرطها» وروى الخوارزمي «فقرّطها الأسنة» (النظام ج ١ ورقة ١٧٠).

(٣) «تقريط الفرس... العنق» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «تشكيتك».

(٥) في ف «التقريط».

(٦) «هفا... النظير» زيادة في ل.

(٧) ساقطة من ف.



لا يَسْتَبِينُ لأَهْلِ المَعْرِفَةِ صَوَابُهُ، ولم يُعْرَفْ لِصَاحِبِ ذلك الدَّاءِ نَظِيرٌ، ولا عُهِدَ لِذَلِكَ الأمرِ شَبِيْهٌ.

١٢ ـ بِسَيْفِ الدَّولَةِ الوَضَّاءِ تُمْسِي جُفُونِي تَحْتَ شَمْسٍ مَا تَغِيبُ

فإني[١] أَقْتَدِرُ على عِلاجِ ذلك وكَشْفِهِ، بإقْبَالِ سَيْفِ الدَّولةِ وَسَعْدِهِ[٢]، وتُمْسِي جُفُونِي بِوَجْهِهِ الوَضَّاءِ، وشَخْصِهِ المَيْمونِ[٣]، تحتَ شَمْسٍ مُنِيرَةٍ ما[٤] تَغْرُبُ، و[٥] في أنوارٍ قَرِيبَةٍ لا تُحْجَبُ.

١٣ ـ فَأَغْزُو مَنْ غَزَا وبِهِ اقْتِدَارِي وأَرْمِي مَنْ رَمَى وبِهِ أُصِيبُ

ثُمَّ قالَ: فَأَغْزُو من غزاهُ[٦] مُقْتَدِراً بِقُدْرَتِهِ، وأَرْمِي مَنْ رَمَاهُ مُصِيْباً له بِسَعَادَتِهِ.

١٤ ـ وَلِلْحُسَّادِ عُذْرٌ أَنْ يَشُحُّوا عَلَى نَظَرِي إليهِ وأن يَذُوبُوا

ثُمَّ[٧] يقولُ: وللحاسِدينَ لي فيهِ عُذْرٌ بَيِّنٌ، وحِجَاجٌ بالِغٌ، في أن

---

(١) في ر، ف «ثم يقول».

(٢) هذا تقدير جواب «إذا» في البيت السابق، ويلاحظ أن الأفليلي أضرب صفحاً عن تقدير ابن جنى جواب إذا «لم يوجد» أي فليس يوجد لصاحبه شبيه، وأعرض كذلك عن مذهب الواحدي في قوله «واستعمل لم في موضع ليس».
(انظر النظام ج ١ ورقة ١٧٠ وشرح الواحدي ص ٥٢٤ والتبيان ١/ ٧٤).

(٣) «شخصه الميمون» زيادة في ر، ف.

(٤) في ل «لا».

(٥) الواو ساقطة من ف.

(٦) في ل «من غزا».

(٧) زيادة في ر، ف.

يَشْحُوا[1] بالنَّظَرِ إليهِ، ويَذُوبوا غَيْرَةً مِنْهُمْ عليهِ[2].

١٥ ـ فـإنِي قَـدْ وَصَـلْتُ إلى مَـكـانٍ   علَيْـه[3] تَحْسُـدُ الحَـدَقَ الـقُلوبُ

فإنِّي قد وَصَلْتُ، بِحُسْنِ رَأْيِهِ، وكريمِ إقْبالِهِ، إلى مكانٍ من اسْتَقرابِهِ، تُنافِسُ القلوبُ الحَدَقَ[4] فيهِ، وتَحْسُدُ النفوسُ الأبصارَ عليهِ[5].

(١) في ف «يحشوا».

(٢) في ر، ف «عليه منهم».

(٣) في رواية التبيان «إليه».

(٤) الحَدَقُ: جمع حَدَقةٍ، وهي السواد المستدير وسط العين.

(٥) شرح هذا البيت ساقط من ر، ف.

- ٥٣ -

وقال أيضاً:

١ - إذا اعْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ اعْتَلَّتِ الأَرْضُ   وَمَنْ فَوْقَها والبَأْسُ[١] والكَرَمُ المَحْضُ

المَحْضُ: الخَالِصُ[٢].

فيقولُ: إذا اعتَلَّ سَيْفُ الدَّولةِ اعْتَلَّتِ الأَرْضُ بِعِلَّتِهِ، واخْتَلَّتْ لاخْتِلاَلِ[٣] حالَتِهِ، وكذلكَ مَنْ فَوْقَها مِنَ النَّاسِ، وخالِصُ الكَرَمِ والبأسِ، كُلُّ ذلك بِأَلَمِهِ، وَيَشْكُو ما يَشْتَكِيهِ مِنْ وَجعهِ؛ لأَنَّه وَلِيُّ النِّعَمِ، والمُتَفَرِّدُ بالبَأْسِ والكَرَمِ.

٢ - وكَيْفَ انْتِفَاعي بالرُّقَادِ وإِنَّمَا   بِعِلَّتِهِ يَعْتَلُّ في الأَعْيُنِ الغُمْضُ

ثُمَّ قالَ: وكَيْفَ انتَفِعُ بالرُّقَادِ مَعَ ما شَكَاهُ، وآلَمُهُ مَعَ ما عَراهُ، وعِلَّتُهُ تَطْرُدُ النَّوْمَ بالسَّهرِ، وتَبْعَثُ في القَلْبِ شَوَاغِلَ الفِكَرِ.

٣ - شَفَاكَ الَّذي يَشْفِي بِجُودِكَ خَلْقَهُ   فَإِنَّكَ[٤] بَحْرٌ كُلُّ بَحْرٍ لَه بَعْضُ

ثُمَّ قالَ، داعياً لِسَيْفِ الدَّولةِ، ومخاطباً لَهُ: شَفَاكَ الذي جَعَلَ جُودَكَ شِفَاءً لِلْخَلْقِ، وَمَادَّةً من مَوَادِ الرِّزْقِ، فإِنَّكَ بَحْرٌ من الكَرَمِ، كُلُّ بَحْرٍ جُزْءٌ مِنْهُ، وكُلُّ مَجْدٍ مَحْمولٌ عنهُ.

(١) في رواية الواحدي «والناس».
(٢) «المحض: الخالص» زيادة في ل.
(٣) في ر، ف «باختلال».
(٤) في رواية التبيان «لأنك»



- ٥٤ -

وعُوفِيَ سَيْفُ الدَّولةِ، فقالَ:

١ - المجدُ عُوفِيَ إذْ عُوفِيْتَ وَالكَرَمُ   وَزَالَ عَنْكَ إلى أعْدَائِكَ الألَمُ

يَقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: المَجْدُ عُوفِيَ بِعَافِيَتِكَ، والكَرَمُ صَحَّ بِصِحَّتِكَ، وَزَالَ ألَمُكَ إلى أعْدَائِكَ[١] الذين كَانَ[٢] تَأخَّرَ عَنْهُم غَزْوُكَ، وأغْمِدَ دُونَهم سَيْفُكَ.

٢ - صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الغَارَاتُ وابْتَهَجَتْ   بِهَا المَكَارِمُ وانهلَّتْ بِهَا الدِّيَمُ

الانهِلالُ: الانْسِكابُ، والدِّيَمُ: السَّحابُ[٣].

ثُمَّ قالَ: صَحَّتِ الغَارَاتُ بِتَمَامِ صِحَّتِكَ، وانْتَظَمَتِ الجُيوشُ بانتظامِ قُوَّتِكَ، وابْتَهَجَتْ بِذلكَ[٤] المَكَارِمُ، وأشْرَقَ حُسْنُها، وانْهَلَّتِ الدِّيَمُ، واتَّصَلَ[٥] صَوْبُها[٦].

٣ - وَرَاجَعَ الشَّمْسَ نُورٌ كَانَ فَارَقَها   كَأنَّما فَقْدُهُ في جِسْمِها سَقَمُ

---

(١) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «أعدائه».

(٢) ساقطة من ت.

(٣) «الانهلال... السحاب» زيادة في ل.

(٤) كذا في ر، ف، ت. وفي ل «بك».

(٥) ساقطة من ف.

(٦) في ر، ف «صوتها» والصوب: انصباب المطر.

ثُمَّ قالَ: وراجَعَ الشَّمْسَ بِصِحَّتِك، وعَاوَدَها بزوالِ عِلَّتِك نُورٌ، كان فَقْدُهُ كالسُّقْمِ في جِسْمِهَا، وعَدَمُهُ كالنُّقْصَانِ الْمُقَصِّرِ بِحُسْنِها.

٤ - وَلاَحَ بَـرْقُـكَ لي مِنْ عَـارِضَيْ مَلِكٍ   مـا يَسْقُطُ الغَيْثُ إلاَّ حِـيْنَ[١] يَبْتَسِمُ

العَارِضَانِ: شِقَّا الفَمِ[٢].

فيقولُ لسيف الدَّولة[٣]: وَلاَحَ لي بِبِشْرِكَ، وبَـدَا لي بِتَبَسُّمِكَ، بَـرْقٌ لاَمِعٌ، ونُورٌ سَاطِعٌ، لا يَسْقُطُ الغَيْثُ إلاَّ في أثرِهِ، ولا يُوْجَدُ إلا في مَوْضِعِهِ. يُشِيرُ بذلك[٤] إلى العَطَاءِ الذي يَتْلو بِشْرَهُ[٥]، والنَّوالِ[٦] الذي يَقْفُو تبَسُّمَهُ.

٥ - يُسْمَى الحُسَامَ وَلَيْسَتْ مِنْ مُشَـابَهَةٍ   وَكَيْفَ يَـشْتَبِـهُ المخـدُومُ والخَـدَمُ

يقال: سَمَّيْتُهُ وأَسْمَيْتُهُ بِمَعْنًى، وَتُسْمَى: يُفْعَلُ، من أَسْمَيْتُ[٧].

ثُمَّ قالَ: يُسْـمَى الحُسَامُ، والحُسَامُ لا يُشْبِهُهُ، ويُوصَفُ[٨] بهِ، وهو لا يَعْدِلُهُ، وكيفَ يَشْتَبِهُ المَخْدُومُ بِخَادِمِهِ، وَيُعْدَلُ[٩] المَلِكُ بِبَعْضِ آلَتِهِ؟

٦ - تَفَــرَّدَ العُـرْبُ في الـدُّنيـا بِمَحْتِـدِه   وَشَـارَكَ العُرْبَ في إحسـانِـهِ العَجَمُ

(١) كذا في ل، وفي ر، ف، ورواية التبيان «حيث» وأشير إلى هذه الرواية في هامش ل.
(٢) العارضان... الفم» زيادة في ل.
(٣) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «ثم قال: ولاح».
(٤) «بذلك» زيادة في ل.
(٥) في ر، ف «بسرّه».
(٦) في ر، ف «والتوال».
(٧) «يقال... أسميت» زيادة في ل.
(٨) في ف «ويصف».
(٩) في ت «ويعدم».

المَحْتِدُ: الأَصْلُ[1].

فيقولُ: إنَّ سَيْفَ الدَّولةِ تَفَرَّدَتِ[2] العَرَبُ بِنَسَبِهِ وأَصْلِهِ، وشَارَكَتْهَا العَجَمُ في عَطَائِهِ وَبَذْلِهِ.

٧ ـ وأَخْلَصَ اللَّهُ لِلإسْلاَمِ نُصْرَتَهُ وإن تَقَلَّبَ في آلائِهِ الأُمَمُ

الآلاءُ: النِّعَمُ[3].

ثُمَّ قالَ: وَجَعَلَ اللَّهُ نُصْرَتَهُ خَالِصَةً للإسلامِ، وإنْ كَانَ قد شَمِلَ الأُمَمَ بالتَّفَضُّلِ والإحسَان[4].

٨ ـ وما أَخُصُّكَ في بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ إذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِموا

ثُمَّ قالَ، مُخَاطِباً الدَّوْلَةِ: وما أَغْبِطُكَ مُفْرَداً بِصِحَّتِكَ، ولا أَخُصُّكَ في التَّهْنِئة بِبرْئِكَ[5]، [بل][6] سَلامَةُ النَّاسِ مَوْصُولَةٌ بِسَلاَمَتِكَ، وكِفَايَةُ اللهِ لهم مُتَمَكِّنَةٌ بِكِفَايَتِكَ.

---

(١) «المحتد: الأصل» زيادة في ل.

(٢) في ف «تفرد».

(٣) «الآلاء: النعم» زيادة في ل.

(٤) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «والامتنان».

(٥) كذا في ر، ف وساقطة من ل.

(٦) ما بين معكوفتين زيادة في ت.

وقَالَ في انسِلاخِ شَهْرِ رَمَضانَ، يُهَنِّئُهُ بالْفِطْرِ[١].

١ - الصَّــوْمُ والفـطْرُ والأَعْيَــادُ والعُصُرُ مُنِيـرَةٌ بِـكَ حَتَّى[٢] الشَّمْسُ والقَمَـرُ

العُصُرُ: الدُّهُورُ، واحِدُها عَصْرٌ، كما يُقَالُ سُقُفٌ، واحِدُها سَقْفٌ[٣].

فَيَقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ[٤]: الصَّومُ وَحِيْنُـهُ، والفِطْرُ وقُـدُومُهُ، والأَعْيَـادُ المُنْتَـظَرَةُ، والعُصُرُ المُتصَرِّفَـةُ، مُنِيْرَةٌ بِسَعْـدِكَ، مُتَلأْلِئَـةٌ بإِقْبَـالِ جَدِّك، حَتَّى الشَّمْسُ والقَمَـرُ؛ فإن ضِيَـاءَهُمَا يَـتَزَايَـدُ[٥] بِحُسْنِ أَيَّـامِـكَ، وَيَتَمَكَّنُ بِيُمْنِ سُلْطَانِكَ.

٢ - تُــرِي الأَهِلَّةَ[٦] وَجْهــاً عَمَّ نَــائِلُهُ فَــما يُخَصُّ بِــهِ مِــنْ دُونِها الــبَشَرُ

---

(١) «يهنئه بالفطر» زيادة في ل.

(٢) «حتى» حرف عطف في هذا البيت لتحقق شروط العطف بها أو بمعنى الواو. قال أبو الفتح بن جنى: «رفع الشمس والقمر، لأنه جعل حتى حرف عطف، أي قد عمّ نورك كل شيء حتى الشمس والقمر» (النظام ج ٢ ورقة ٧٢) والعطف بحتى قليل، والكوفيون ينكرونه ويجعلونها ابتدائية.

(٣) «العصر... سقف» زيادة في ل.

(٤) «لسيف الدولة» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «يتزيد».

(٦) كذا ضبطت في ل، ر، ف ويروى كذلك «تَرَى الأهلةُ» برفع الأهلة. (أنظر النظام ج ٢ ورقة ٧٢).



ثُمَّ قالَ: تَرى الأَهِلَّةُ مِنْكَ وَجْهاً يُنِيْرُ[1] حُسْنُهُ، وَيَشْمَلُ[2] العَالَمِينَ فَضْلُه، فَتَنَالُ الأَهِلَّةُ من التَّأَيُّدِ في الضِّيَاءِ بِحُسْنِهِ، كالذي يَنَالُ النَّاسُ من الارتِفَاقِ[3] بِفَضْلِهِ.

٣ ـ ما الدَّهْرُ عِنْدَكَ إلاَّ رَوْضَةٌ أُنُفٌ   يَا مَنْ شَمَائِلُهُ في دَهْرِهِ زَهَرُ

الأُنُفُ من الرِّياضِ: التي لم تُرْعَ، والزَّهَرُ: النُّوَّارُ[4].

ثُمَّ قالَ مخاطباً له: ما الدَّهْرُ عِنْدَكَ إلاَّ كالرَّوْضَةِ الأُنُفِ؛ حُسْناً وَبَهْجَةً، وإشْرَاقاً وَنُضْرَةً، يا مَنْ خَلاَئِقُهُ في دَهْرِهِ كالزَّهَرَاتِ المُونِقَةِ، وأَنْوَارِ الرِّيَاضِ المُعْجِبَةِ!

٤ ـ ما يَنْتَهي لَكَ في أَيَّامِهِ كَرَمٌ   فلا انْتَهى لَكَ في أَعْوَامِهِ عُمُرُ

٥ ـ فإن حظَّك من تَكْرَارِها شَرَفٌ   وَحَظُّ غَيْرِكَ مِنْهُ الشَّيْبُ والكِبَرُ[5]

ثُمَّ[6] يقولُ: ما يَتَنَاهى كَرَمُك في أَيَّامِهِ، ولا يَنْحَسِرُ قَدْرُكَ[7] في مِقْدَارِهِ؛ فلا انتَهى عُمُرُكَ ولا انقَطَعَ، ولا انقَضَتْ أَعْوامُهُ ولا انْصَرَمَ، فإنَّ

(١) في ف «يبين».

(٢) في ف «ويشتمل».

(٣) الارتفاق: الانتفاع، وارتفق: توكأ.

(٤) «الأنف... النوار» زيادة في ل.

(٥) هذا البيت ساقط من ر، ف، وفي الشرح ما يدل على روايته.

(٦) زيادة في ر، ف.

(٧) زيادة في ر، ف.

حَظُّكَ من تَكْرارِ الأعوامِ عَلَيْك، شرفٌ تَسْتَجِدُّهُ وتَبْنِيهِ، وكَرَمٌ تَشْمَلُ[1] به وَتُوليه، إذا كَانَ حَظُّ غَيْرِك من تَرَاخي عُمُرِهِ، وتَكْرَارِ أعْوَامِهِ، شَيْبٌ يَلْحَقُهُ، وكِبَرٌ يُهْرِمُهُ[2].

---

(١) في ف «تشتمل».

(٢) في ر، ف «يهره».

ومَدَّ قُوَيقٌ[١]، وهو نهرٌ بحلَب، فَأَحاطَ بدارِ سَيْفِ الدَّولةِ، فَخَرَجَ أبو الطَّيِّبِ مِنْ عِنْدِهِ، فَبَلَغَ الماءُ إلى صَدْرِ فَرَسِهِ، فقالَ:

١ ـ حَجَّبَ ذا البحرَ بِحَارٌ دُونَهُ[٢] يَذُمُّها قَوْمٌ وَيَحْمَدُونَهُ

حَجَّبَ: إذا ثُقِّلَ، تَكْثيرُ حَجَبَ إذا خُفِّفَ[٣].

فيَقولُ، مُشِيراً إلى سَيْفِ[٤] الدَّوْلَةِ: حَجَّبَ ذا البَحْرَ مِنَ النَّهْرِ الذي فَاضَ حَوْلَ قَصْرِهِ بِحَارٌ تَمنَعُ مِنْهُ، وَتَصُدُّ[٥] قاصِديهِ عَنْهُ، فهي تُذَمُّ لأَنَّها تَعُوقُ عن قَصْدِهِ، وهو يُحْمَدُ لما يَبْذُلُهُ مِنْ فَضْلِهِ.

٢ ـ يَا مَاءُ هَلْ حَسَدْتَنَا مَعِينَهُ أم اشْتَهَيْتَ أَنْ تُرَى قَرِينَهُ

المَعينُ: الماءُ الجَاري[٦].

ثُمَّ قالَ: يا مَاءُ هل حَسَدتَنَا في بَذْلِهِ، أم ارْتَجَيْتَ[٧] أن تُقَارِنَهُ في جَلاَلَةِ

---

(١) في ر، ف «فويق» وهو تصحيف، وقُوَيقٌ بضم أوله وفتح ثانيه كأنه تصغير قاق ؛ صوت الضفدع، وهو نهر مدينة حلب.

(٢) هذه القصيدة من مشطور الرجز، ويسمى ذا الوجهين إذا تطلق قافيته أو توقف، وقد قيدت في ر، ف، وأطلقت في ل.

(٣) «حجّب... خفف» زيادة في ل.

(٤) في ل «لسيف».

(٥) في ر، ف «تقصد».

(٦) «المعين... الجاري» زيادة في ل.

(٧) في ر، ف «اشتهيت».

قَدْرِهِ؟ وكَنَى بالَمعِينِ عن[1] البَذْلِ، على سَبِيْلِ الاستعَارَة.

٣ - أَمِ انتَجعْتَ لِلْغِنَى يَمِيْنَهُ ... أَمْ زُرْتَهُ مُكْثِراً قَطِيْنَهُ

الانْتِجاعُ: الارْتِحَالُ في طَلَبِ المَرْعَى، والقَطِيْنُ: أَهْلُ الرَّجُلِ وماشِيَتُهُ المُقِيْمونَ مَعَهُ[2].

فيقولُ: أَمِ انتَجَعْتَ أَيُّها الفَيْضُ يَمِيْنَ هذا المَلِكِ، لتُفِيْدَ الغِنَى بجُودِهِ، أَمْ جِئْتَهُ مُكْثِراً لِحَاشِيَتِهِ وَعَدِيْدِهِ[3].

٤ - أَمْ جِئْتَهُ مُخَنْدِقاً حُصُونَهُ ... إنَّ الجِيَادَ والقَنَا يَكْفِيْنَهُ

ثُمَّ قالَ: أم جِئْتَهُ مُخَنْدِقاً[4] لِحِصْنِهِ، وَحَارِساً لِقَصْرِهِ، فإن كنتَ أَرَدتَ ذلك، فَجِيَادُهُ وَرِمَاحُهُ يَكْفِينَهُ ما[5] تَقْصِدُهُ، وتُغْنِيهِ عمَّا تَفْعَلُه[6].

٥ - يا رُبَّ لُجٍّ جُعِلَتْ سَفِيْنَهُ ... وَعَازِبِ الرَّوضِ تَوَفَّتْ عُونَهُ

اللُّجُ: البَحْرُ، والعَازِبُ من الرَّوضِ: البَعِيدُ، والعُوْنُ: جَمْعُ عانةٍ، وهو القَطِيعُ من حُمُرِ الوَحْشِ، وتَوَفَّتْ: أَمَاتَتْ، وهو تَفَعَّلَتْ: من الوَفَاةِ[7].

فيقولُ: يا رُبَّ قَفْرٍ كاللُّجِّ في إِشْفَاقِ عَابِرِه، وَشِدَّةِ مَخَافَةِ سَالِكِه،

---

(١) في ل «على».
(٢) «الانتجاع... معه» زيادة في ل.
(٣) في ر، ف «وعدده».
(٤) الخَنْدَق: كجعفر: حفير حول أسوار المدينة، مُعَرَّب كُنْدَه، وخَنْدَقَهُ: حفره.
(٥) في ر، ف «تكفيه فيها».
(٦) «عما تفعله» ساقطة من ف.
(٧) «اللّج... الوفاة» زيادة في ل.

جُعِلَتْ هذه الخيلُ سَفِينَهُ التي تُقَرِّبُ عُبُورَهُ، وَتُسَهِّلُ على الْمُقْتَحِمِ لَهُ رُكُوبَهُ؛ ثُمَّ قالَ: وَرُبَّ رَوْضٍ عازبٍ، ومكانٍ من أرضِ العَدوِّ مُمْتَنِعٍ، قد نَزَلَتْ هذهِ الخيلُ فيهِ[1] مُسْتَبِيْحَةً له، وَحَلَّتْهُ[2] مُطْمَئِنَّةً بـه، فَصَادَتْ[3] وَحْشَـهُ، وعَقَرَتْ عُونَهُ[4].

٦ - وَذِي جُنُـونٍ أَذْهَبَـتْ جُنُـونَـهُ   وَشَـرْبِ كَـأْسٍ أَكْثَـرَتْ رَنِينَـهُ

الشَّرْبُ: اسمٌ لِلجَماعةِ الذين يَشْرَبونَ، وأَخْبَرَ عنهُ مُفْرَداً على لَفْظِهِ؛ لأنَّ لفظَهُ لفظُ الإفرادِ، وإن كـانَ مَعْنَاهُ معنى الجَمْعِ، والرَّنِينُ: امتدادُ الصَّوتِ بالبكاءِ[5].

وربَّ ذي جُنُونٍ من الأَعْدَاءِ، مُدلٍّ بِنَفْسِهِ، مُغْتَرٍ بِحَالِهِ، قد أَوْقَعَتْ هذه الخيلُ بهِ فَوَعَظَتْهُ، وَصَيَّرَتْهُ تَحْتَ المَخافَةِ فَقَوَّمَتْهُ، وَرُبَّ شَرْبٍ من الأَعْدَاءِ وَطِئَتْهُم هذه الخَيْلُ فَنَقَلَتْهُم من الفَرَحِ والأَمْنِ إلى الرَّنينِ والحُزْنِ، وأَبْدَلَتْهُم بالغِنَاءِ أَنِيْناً، و[6] بالحرَكَاتِ سُكُوناً، يُشيرُ إلى القَتْلِ الذي نَالَهم، والجِراحِ التي عَمَّتْهُم.

٧ - وَأَبْـدَلَـتْ غِنَـائَـهُ أَنِيـنَـهُ[7]   وَضَـيْـغَـمٍ أَوْلَجَـهـا عَـرِيْـنَـهُ

---

(١) في ر، ف «نزلت فيه هذه الخيل».

(٢) ساقطة من ر، ف.

(٣) في ل «وصادت».

(٤) في ر، ف «عوقه».

(٥) «الشرب... بالبكاء» زيادة في ل.

(٦) الواو ساقطة من ف.

(٧) ضمن الأفليلي شرح هذا الشطر في شرح البيت السابق. وكذلك فعل الواحدي في شرحه انظر ج ٢ / ٥٢٨.



٨ - وَمَلِكٍ أوْطأَهَا جَبِينَهُ يَقُودُها مُسَهَّداً جُفُونَهُ

الضَيْغَمُ: الأَسَدُ، والعَرِيْنُ: الغَابَةُ التي يَسْتَتِرُ فيها. والسُّهادُ: ذَهَابُ النَّوم، والشؤونُ: جَمْعُ شَأنٍ، وهو المَذْهَبُ[١].

ثُمَّ قالَ: وربَّ عَدُوٍّ لِسَيْفِ الدَّولةِ[٢]، أوطَأَ هذهِ الخَيْلَ أرْضَهُ، وَأَوْلَجَهَا دَارَهُ، وهو كالأَسَدِ في شِدَّتِهِ، ومَوْضِعُهُ كالعَرينِ في مَنْعَتِهِ، وربَّ مَلِكٍ من أَعْدَائِهِ قَتَلَهُ فَأَوْطَأَ هذه الخَيْلَ وَجْهَهُ، وفرَّق بها جَمْعَهُ. وأشار بِجَبِيْنِهِ إلى ذلك[٣]، ثمَّ قالَ[٤]: يَقُودها قَوِيّاً لا يَكْسَلُ، ويَقْظَانَ[٥] لا يَغْفَلُ، مُسَهَّدَ الجُفُونِ، لا يَسْكُنُ ولا يَتَأَيَّدُ بِظَهِيرٍ، ولا يَتَّكِلُ على غَيْرِه في مُهِمِّ[٦] الأُمورِ.

٩ - مُبَاشِراً بِنَفْسِهِ شُؤُونَهُ مُشَرِّفاً بِطَعْنِهِ طَعِيْنَهُ

ثُمَّ يقولُ: إنَّ سَيْفَ الدَّولةِ يُشَرِّفُ[٧] مَنْ طَعَنَهُ، ويَرْفَعُ شَأْنَ مَنْ قَتَلَهُ؛ لأنَّ الطَّعْنَ إنما يكونُ في أَغْلَبِ الأَحْوَالِ بَعْدَ مُجَاوَلَةٍ، والقَتْلُ بَعْدَ مُواقَفَةٍ[٨]، وقَليلٌ[٩] في الفُرْسَانِ مَنْ يُجَاوِلُهُ[١٠]، وَمَعْدُومٌ فيهم مَنْ يُوَاقِفُه[١١].

---

(١) «الضيغم... وهو المذهب» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ثم يقول لسيف الدولة».

(٣) في ر، ف «وأشار إلى هذه العبارة بما ذكره».

(٤) ساقطة من ر، ف.

(٥) في ر، ف «يقظاناً».

(٦) في ر، ف «جميع».

(٧) كذا في ر، ف، وفي ل «وأنه يشرف».

(٨) في ر، ف «موافقه» وهو تصحيف.

(٩) في ر، ف «من».

(١٠) في ف «يحاوله».

(١١) في ر، ف «يوافقه» وهو تصحيف.

١٠ - عَفِيفَ مَا في ثَوْبِهِ مَأمونَهُ   أَبْيَضَ ما في تاجِهِ مَيْمُونَهُ

ثُمَّ وَصَفَهُ بأنَّه[1] عَفِيفُ فَرْجُهُ، مَأْمُونُ أَمْرُهُ، وأَشَارَ بما في الثَّوْبِ إلى ذلك، وأَنَّهُ[2] أَبْيَضُ الوَجْهِ، مَيْمُونُ الشَّخْصِ، وأَشَارَ بما في التَّاجِ إلى ذلك، وسَمَّى ما كَانَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجاً، على سَبيل الاسْتِعَارَةِ والتَّرْفيعِ.

١١ - بَحْرٌ يكونُ كُلُّ بَحْرٍ نُونَهُ[3]   شَمْسٌ تَمَنَّى الشَّمْسُ أن تَكُونَهُ

النُّونُ: الحُوتُ[4].

ثُمَّ قالَ: إنَّهُ البَحرُ الذي يَغْمُرُ البِحَارَ بجُودِهِ، ويفِيضُ عَلَيْها بِبَذْلِهِ[5]، فَتَغِيْبُ البِحَارُ في فَضْلِهِ[6]، وتَصْغُرُ وَتَقِلُّ في كَرَمِهِ، وتُحْتَقَرُ كما يَغِيبُ النُّونُ في البَحْرِ، وَيَسْتَتِرُ في الماءِ الغَمْرُ[7]، وهو[8] الشَّمْسُ الذي أَضَاءَتْ مَكَارِمُهُ، وَزَيَّنَتِ الأَيَّامَ مَحَاسِنُهُ، حَتَّى تَمَنَّتِ الشمسُ قَدْرَهُ، وَنَفَسَتْ عَلَيْهِ فَضْلَهُ، وَوَدَّتْ أن تَكُونَ شَخْصَهُ.

١٢ - إن تَدْعُ يا سَيْفُ[9] لِتَسْتَعِينَهُ   يُجِبْكَ قَبْلَ أَنْ تُتِمَّ سِينَهُ

---

(١) كذا في ر، ف، وفي ل «فيقول إن سيف الدولة».

(٢) كذا في ر، ف، وفي ل «ثم قال إنه».

(٣) في ر، ف «دونه».

(٤) «النون: الحوت» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «يفيض على البحار بجوده، ويعمرها ببذله».

(٦) في ل «جوده».

(٧) الغمر في الأصل: الماء الكثير، والمقصود الشيء المغمور.

(٨) زاد في ل «ثم قال».

(٩) في ف «بالسيف» وهو تحريف.

يَقولُ[1]: إنَّ مَنْ دَعَا سَيْفَ الدَّولةِ مُسْتَعِيْناً به، ونَادَاهُ مُسْتَغِيثاً له[2]، أَجَابَهُ قَبْلَ اسْتِكْمَالِ ذِكْرِهِ، وأَغَاثَهُ[3] قبلَ أَنْ يَلْفِظَ بالسِّينِ من اسْمِهِ.

١٣ ـ أَدَامَ مِنْ أَعْدَائِهِ تَمْكِينَهُ   مَنْ صَانَ مِنْهُمْ نَفْسَهُ وَدِيْنَهُ

ثُمَّ دَعَا لَهُ، فقالَ: أَدَامَ اللَّهُ[4] تَمْكِينَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ[5]، ونُصْرَتَهُ عليهم، ومُوَاصَلَةَ ما فَعَلَ له فيهم، مَنْ[6] صَانَ منهم نَفْسَهُ بِحِفْظِهِ[7]، أَمَدَّ دِيْنَهُ بتَأْيِيدِهِ ونَصْرِهِ.

(١) في ر، ف «ثم قال».
(٢) في ر، ف «مستغنياً له».
(٣) في ر، ف «وأعانه».
(٤) «الله» ساقطة من ر، ف.
(٥) في ر، ف «الأعداء».
(٦) في ر، ف «رب».
(٧) في ف «يحفظه».



وقالَ يَمْدَحُهُ، وَيُهَنِّئُهُ بالعِيْدِ، أَنْشَدَها إِيَّاهُ في ذي الحِجَّةِ سَنَةَ اثنَتَيْنِ وأَرْبَعينَ وثَلاثِمائَةٍ.

١ - لِكُلِّ امرِىءٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا وَعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ في العِدَا

يَقُولُ: لِكُلِّ امرىءٍ أن يُحَاوِلَ في دَهْرِهِ ما عَهِدَهُ، وأن يُطَالِبَ ما تَعَوَّدَهُ، وعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ في أَعَاديهِ، والظُّهورُ على مَنْ يُعَارِضُهُ وَيُنَاوِئُهُ.

٢ - وأن يُكْذِبَ الإِرْجَافَ[1] عَنْهُ بِضِدِّهِ وَيُمْسِي بِمَا تَنْوي أَعَادِيهِ أَسْعَدَا

وأن يُكْذِبَ ما يُرْجِفُ به حَاسِدُهُ، من التَّرَبُّصِ بِضِدِّهِ من صُنْعِ اللهِ لَهُ، وَيُمْسِي أَسْعَدَ مِنْهُمْ بالظُّهورِ الذي يَنْوونَهُ، والظَّفرِ الذي يَتَمَنَّوْنَهُ.

٣ - ورُبَّ مُرِيدٍ ضَرَّهُ ضَرَّ نَفْسَهُ وَهَادٍ إِلَيْهِ الجَيْشَ أَهْدَى وَمَا هَدَى

ثُمَّ[2] يقولُ: وربَّ مَنْ رَامَ ضَرَّهُ، فَضَرَّ نَفْسَهُ، وخَالَفَ أَمْرَهُ، فَذَمَّ[3] رَأْيَهُ، وَرُبَّ من هَدَى[4] إليه جَيْشاً فَأَظْفَرَهُ[5] اللَّهُ بهِ، وقَادَهُ نَحْوَهُ فَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَصَارَ مُهْدِياً إليه غَنِيمةً بِهِدَايَتِه، وَمُقَرِّباً[6] له أَمَلاً بِدَلالَتِهِ.

---

(١) الإرجافُ: واحد الأراجيف، وهي الأخبار المضطربة الفاسدة.

(٢) زيادة في ر، ف.

(٣) في ف «فدم».

(٤) في ف «هذا».

(٥) في ر، ف «فاظهره».

(٦) في ر. ف «ومقوماً».

٤ ـ وَمُسْتَكْبِرٍ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ سَاعَةً   رَأى سَيْفَهُ في كَفِّهِ فَتَشَهَّدا

ثُمَّ قالَ: وربَّ مُسْتَكْبِرٍ في نَفْسِهِ، مُسْتَبْصِرٍ في كُفْرِهِ، لم يَعْرِفِ اللَّهَ ولا وَحَّدَهُ، ولا أَقَرَّ بِهِ ولا عَظَّمَهُ، رأى سَيْفَ سَيْفِ الدَّولَةِ في كَفِّهِ فَأَسْلَمَ وَوَحَّدَ، وأَشْرَفَ على القَتْلِ فَعَظَّمَ اللَّهَ وَتَشَهَّدَ.

٥ ـ هُوَ البَحْرُ غُصْ فيه إذا كَانَ سَاكِناً[١]   على الدُّرِّ واحْذَرْهُ إذا كَانَ مُزْبِدَا

ثُمَّ[٢] يقولُ: إنَّ سَيْفَ الدَّولَةِ هو البَحْرُ في جَلاَلَةِ قَدْرِهِ، وفي كَرَمِهِ وَفَضْلِهِ، فإذا أَطَعْتَهُ وَيَاسَرْتَهُ[٣]، أَصَبْتَ مِنْهُ غَايَةَ الفَضْلِ، كَمَا أَنَّ الذي يَغُوصُ في البحرِ عِنْدَ سُكُونِهِ، قَدْ يَظْفَرُ منه بِأَنْفَسِ الدُّرِ، واحذَرْهُ عند سَوْرَةِ غَضَبِهِ، كما يُحْذَرُ البَحْرُ عند تَهَيُّجِهِ وَرَمْيِهِ بِزَبَدِهِ.

٦ ـ فَإِنِّي رَأَيْتُ البحرَ يَعْثُرُ بالفَتَى   وَهَذا الَّذي يَأْتي الفَتَى مُتَعَمِّدَا

ثُمَّ أَبَانَ أنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ أَحَقُّ من البَحْرِ بِالْهَيْبَةِ، فَقَالَ: فإني رَأَيْتُ البَحْرَ إنما يُرْدِي رَاكِبَهُ عَاثِراً به، وَيَسُوءُهُ غَيْرَ مُتَعَمِّدٍ لَهُ، وسَيْفُ الدَّوْلَةِ يُرْدِي مَنْ عَاقَبَهُ على قَصْدٍ، وَيَنَالُهُ بالَمكْرُوهِ على مَعْرِفَةٍ وعَمْدٍ.

٧ ـ تَظَلُّ مُلُوكُ الأَرْضِ خَاشِعَةً لَهُ   تُفَارِقُهُ هَلْكَى وَتَلْقَاهُ سُجَّدَا

الخاشِعُ: الذي تَغُضُّ الهَيْبَةُ بَصَرَهُ، وهَلْكَى: جَمْعُ هالكٍ على غَيْرِ قياسٍ من لِفْظِهِ، ولكنَّهُ لَّما كانَ الهالِكُ مَحْمولاً على الهَلاَكِ، صارَ بمعنى مَفْعُولٍ فَجُمِعَ جَمْعَ قَتيلٍ وجَريحٍ، لأَنَّ كلَّ واحدٍ منهما بِمَعْنَى مَفْعولٍ، فقيلَ هالِكٌ

---

(١) في رواية التبيان «راكداً».

(٢) زيادة في ر، ف.

(٣) في ر، ف «وباشرته».



وهَلْكى، كما قِيلَ: جَريحٌ وجَرْحَى، وقَتِيلٌ وَقَتْلَى[1].

فيقولُ: تَظَلُّ ملوكُ الأرضِ خَاشِعَةً لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ، تُفَارِقُهُ هَلْكَى من مَخافَتِهِ، وَتَلْقَاهُ بالسُّجودِ خَاضِعَةً لِهَابَتِهِ.

٨ - وَتُحْيِي لَـهُ المَـالَ الصَّـوارِمُ والقَنَـا   وَيَقْتُـلُ مَـا يُحْيِي التَبَسُّمُ وَالجَـدَا

الجَدَا: الإعْطَاءُ[2].

ثُمَّ قالَ: وتُحْيِي لَهُ المالَ سيوفُهُ ورماحُهُ بالبِلادِ التي يَفْتَحُها، والطَّوائفِ التي يَتملَّكُهَا، فَتَجْمَعُ[3] لهُ السيوفُ والرِّماحُ[4] من المَالِ ما تُحْيِيهِ بِكَثْرَتِهِ، وَتُظْهِرُهُ بتَتَابُعِ فائِدَتِهِ، وَيَقْتُلُ ما تُحْيِيهِ مِنْ ذلكَ بِشْرُ سَيْفِ الدَّولةِ بالقَاصِدينَ، وَجَزيلُ عَطَائِهِ للزَّائرينَ.

٩ - ذَكـيٌّ تَـظَنِّيـهِ طَـلِيْعَـةُ عَـيْـنِـهِ   يَـرَى قَلْبُـهُ في يَـوْمِـهِ مـا تَـرَى غَـدَا

الذَّكيُّ: الفَطِنُ، والتَّظَنِّي: إعمالُ الظَّنِ، وطَلِيْعَةُ القَوْمِ: الذي يَرْقُبُ لهم أمْرَ العَدوِّ[5].

فيقـولُ: إنَّ سَيْفَ الدَّولـةِ ذَكِيُّ النَّفْسِ، صَادِقُ الحَـدْسِ[6]، ظَنُّـهُ كالطَّلِيْعَةِ لِعَيْنِهِ، تُبْدِي لَهُ الشَّيءَ قَبْلَ رُؤْيَتِهِ، وَتُمَثِّلُهُ قَبْلَ مُشَاهَـدَتِهِ[7] عـلى

---

(١) «الخاشع... وقتل» زيادة في ل.
(٢) «الجدا: الإعطاء» زيادة في ل.
(٣) في ر، ف «فيجمع».
(٤) في ر، ف «الرماح والسيوف».
(٥) «الذكي... العدوّ» زيادة في ل.
(٦) الحدس: الظن والتخمين.
(٧) في ر، ف «المشاهدة».

حَقِيْقَتِهِ، فَيَرَى قَلْبُهُ بِصَادِقِ الظَّنِّ في يَوْمِهِ، كالذي تَرَاهُ عَيْنُهُ بِحَقِيْقَةِ النَّظَرِ في غَدِهِ.

١٠ - وَصُـولٌ إلى الْمُسْتَصْعَبَـاتِ بِخَيْلِهِ فَلَوْ كَـانَ قَـرْنُ الشَّمْسِ مَـاءً لأَوْرَدَا

قَرْنُ الشَّمسِ: أعلى قُرْصِها[1].

ثُمَّ قـالَ: إنَّـهُ[2] وَصُـولٌ بِخَيْلِهِ إلى الْمُسْتَصْعَبَاتِ، مُقْدِمٌ بها على الْمُمْتَنِعَاتِ، فَلَوْ كانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لأَوْرَدَهُ خَيْلَهُ، ولو كان مَنْهَلاً لأَوْطَأَهُ جَيْشَهُ.

١١ - لِـذَلِـكَ سَمَّى ابنُ الـدُّمُسْتُقِ يَـوْمَـهُ ممـاتَـاً وسَمَّـاهُ الـدُّمُسْتُقُ مَـوْلِـدا

ثُمَّ قالَ: بِمِثْلِ[3] ذلك مِنْ أفْعَالِهِ أَسَرَ قُسْطَنْطِينَ بنَ الدُّمُسْتُقِ، فسَمَّى يَوْمَ أَسْرِهِ مَمَاتاً، وَسَمَّاهُ الدُّمُسْتُقُ أَبُوهُ لِخَلاَصِهِ فيه من القَتْلِ مَوْلِدا، فَأَوْسَعَهُ الدُّمُسْتُقُ بِمَا أَمْكَنَهُ فيه من الفِرارِ غَايَةَ الحَمْدِ، وأَوْسَعَهُ قُسْطَنْطِينُ بما نالَهُ فيه من الأَسْرِ[4] غايَةَ الذَّمِّ.

١٢ - سَـرَيْتَ إلى جَيْحَـانَ من أَرْض آمـدٍ ثَـلاَثـاً لَقَـدْ أَدْنَـاك رَكْضٌ وأَبْعَـدا

جَيْحانُ: نَهْرٌ في بلادِ الرُّومِ، وآمِدُ: مَدِيْنَةٌ مِنْ مَدائِنِ الْمَوْصِلِ[5].

فيقولُ لِسَيْفِ الدَّولـةِ، مُشيراً إلى إسْرَاعِـهِ نَحْوَ الـرُّومِ: سَرَيْتَ من

(١) «قرن الشمس: أعلى قرصها» زيادة في ل.

(٢) ساقطة من ف.

(٣) في ر، ف «المثل».

(٤) في ر، ف «الألم».

(٥) «جيحان... الموصل» زيادة في ل.

أَرْضِ آمدَ إلى جَيْحَانَ في ثَلاثِ لَيَالٍ، لَشَدَّمَا أَدْنَاكَ رَكْضُكَ من مَطْلَبِك، وَلَشَدَّما[1] أَبْعَدَكَ عن مُسْتَقَرِّكَ.

١٣ ـ فَـوَلَّى وأَعْـطَاكَ ابْنَـهُ وجُيُـوشَـهُ جَميعاً ولم يُعْطِ[2] الجميعَ لِتَحْمَـدا[3]

ثُمَّ أَشَارَ إلى الدُّمُسْتُقِ، وَوَقِيْعَـةِ سَيْفِ الدَّولـةِ عَلَيْهِ، فقَـالَ، مخاطبـاً لِسَيْفِ الدَّولَةِ: فَوَلَّى الدُّمُسْتُقُ عَنْكَ فارّاً بِنَفْسِهِ، مُبْقِياً على حَيَاتِهِ، وَتَرَكَ ابْنَهُ في أَسْرِك، وجَيْشَـهُ تَتَصَرَّفُ فيـه على حُكْمِـكَ، ولم يَفْعَلْ ذَلِـكَ مُخْتَاراً لـه لِتَحْمَدَهُ، ولكنَّهُ فَعَلَهُ مُضْطرّاً مخافَةَ أَنْ تُهْلِكَهُ.

١٤ ـ عَـرَضْتَ لَـهُ دُونَ الحيـاةِ وَطَـرْفِـهِ وأَبْصَرَ سَـيْـفَ اللهِ مِـنْـكَ مُجَـرَّدا

ثُمَّ[4] يقولُ: عَرَضْتَ للدُّمُسْتُقِ ما بَيْنَ بَصَرِهِ وحَيَاتِهِ، وأَشْرَفْتَ بِهِ على هَلَكَتِهِ، وأَبْصَرَ مِنْكَ سَيْفَ اللهِ مُجَرَّداً صَارِماً، مَسْلُولاً على أَعْدَائِهِ مَاضِياً.

١٥ ـ وَمَـا طَـلَبَتْ زُرْقُ الأَسِنَّـةِ غَيْـرَهُ وَلَكِنَّ قُسْطَنْطِينَ كـان لَـهُ الفِـدَا

ثُمَّ قالَ: وما طَلَبَتْ زُرْقُ الأَسِنَّةِ[5] غَيْرَ الدُّمُسْتُقِ، ولكِنَّهُ فَدَى نَفْسَهُ بِقُسْطَنْطِينَ ابْنِهِ، واسْتَدْفَعَ الهلاكَ بما أَصابَهُ من أَسْرِهِ.

١٦ ـ فـأَصْبَـحَ يَجْتَـابُ المُسـوحَ مَخَـافَـةً وَقَـدْ كَانَ يَجْتَـابُ الـدِّلاَصَ المُسَـرَّدَا

الاجتِيَابُ: التَّصرُّفُ، والمُسوحُ: ثِيابٌ سُودٌ من شَعْرٍ يَلْبَسُها الرُّهبانُ،

---

(١) في ر، ف «وشدّما».

(٢) في ر «تعط».

(٣) في رواية التبيان «ليحمدا»

(٤) زيادة في ر، ف.

(٥) في ر، ف «الرماح».



واحدها: مَسْحٌ، والدِّلاصُ: الدِّرعُ المَلْسَاءُ، والمُسَرَّدُ: المُداخَلُ المَنسوجُ[1].

فيقولُ عن الدُّمُسْتُقِ: إنَّهُ لِحُزْنِهِ على أَسْرِ قُسْطَنْطِينَ ابْنِهِ، وعَجْزِهِ عن مُقَاوَمَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَحَرْبِهِ[2]، عَدَلَ إلى المُسوحِ فَتَرَهَّبَ وَلَبِسَهَا، وَرَغِبَ عن الدُّروعِ فاطَّرَحَهَا وَنَبَذَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ صُحْبَةَ الرُّهبانِ أَسْلَمُ له من مُطَاعَنَةِ الأَقْرَانِ.

١٧ - وَيَمْشِي بِهِ العُكَّازُ فِي الدَّيْرِ تَائِباً ... وَمَا كَانَ يَرْضَى مَشْيَ أَشْقَرَ أَجْرَدَا

العُكَّازُ: عَصاً في أَسْفَلِها زُجٌّ، والدَّيْرُ: مَعروفٌ[3]، والأَجْرَدُ من الخَيْلِ: القَصِيرُ الشَّعَرِ، وذلكَ من شَواهِدِ العِتْقِ والكَرَمِ.

ثُمَّ قالَ: وَيَمْشِي به العُكَّازُ تَائِباً في دَيْرِهِ، مُطَّرِحاً لآلاتِ مُلْكِهِ، وَقَدْ كَانَ يَحْتَقِرُ عِتَاقَ الخَيْلِ لِقَدْرِهِ، وَيَسْتَقِلُّ منها الشُّقْرَ[4] الجُرْدَ مَعَ كَرَمِها لِنَفْسِهِ.

١٨ - وَمَا تَابَ حَتَّى غَادَرَ الكَرُّ وَجْهَهُ ... جَرِيحاً وَخَلَّى جَفْنَهُ النَّقْعُ أَرْمَدَا

النَّقعُ: الغُبَارُ، والرَّمَدُ: معروفٌ[5].

ثُمَّ قالَ: وما تَابَ حَتَّى أَعْذَرَ في المُدافَعَةِ، وكَرَّ بَعْدَ انهِزَامِ الرُّومِ، فَغَادَرَ الكَرُّ وَجْهَهُ جَرِيحاً، وابْنَه أَسِيْراً، وبَاشَرَ الموتَ وشَافَهَهُ، وأَيْقَنَ به وقَارَبَهُ، وأَرْمَدَ أَجْفَانَهُ رَهَجُ خَيْلِ المُنْهَزِمينَ من أَصْحَابِهِ، والمُعْتَصِمينَ بالفِرَارِ

(١) «الاجتياب... المنسوج» زيادة في ل.

(٢) في ل «وحرته» والحرت: الدلك الشديد والقطع.

وفي ف «حزبه» وهو تصحيف.

(٣) الدَّير: خان النصارى، وصاحبه الذي يسكنه ويعمره ديّار وديراني، نسب على غير قياس.

(٤) «الشقر» ساقطة من ر، ف.

(٥) «النقع... معروف» زيادة في ل، والرَّمد: مرض يصيب العين بالهيجان.



من فُرْسَانِهِ، ولم يُغْنِهِ الكَرُّ في آثارِهِم، والْمدَافَعَةُ عن[1] أعْقَابِهِم.

١٩ ـ فـإن[2] كَانَ يُنْجِي مِنْ عَـلِيٍّ تَـرَهُّبٌ   تَـرَهَّبَتِ الأَمْـلاَكُ مَثْنَى وَمَـوْحَـدا

مَثْنَى وَمَوْحَدَ، كَأَنَّهُ قالَ: اثْنَينِ اثْنَيْنِ وواحِداً واحِداً[3].

فيقولُ[4]: فإن كان يُنجي من عَليٍّ؛ سَيْفِ الدَّولَةِ، إظهارُ التَّرهُّبِ، واستِعْمالُ التَّنَسُّكِ، فَستَتَرَهَّبُ الأَمْلاَكُ مُسْتَجِيرينَ بِذَلِكَ مِنْهُ، مَثْنَى وآحاداً، وجَمَاعَةً وأفراداً.

٢٠ ـ وَكُلُّ امرِىءٍ في الشَّرْقِ والغَرْبِ بَعْدَها   يُعِـدُّ لـه ثَـوْبـاً من الشَّعْـرِ أَسْـوَدَا

ثُمَّ قالَ: وَكلُّ امرىءٍ منهم في الشَّرْقِ والغَرْبِ يَسْتَجِيرُ بِمَسْحٍ يَلْبَسُهُ، وضَرْبٍ من التَّرهُّبِ يُظْهِرُهُ، يُشيرُ بذلك[5] إلى الدُّمُسْتُقِ وفِعْلِهِ، وما أَظْهَرَهُ من اسْتِخْذائِهِ[6] وذُلِّهِ.

٢١ ـ هَنِيئـاً لَـكَ العِيْـدُ الـذي أَنْتَ عِيـدُهُ   وَعيـدٌ لِمَنْ سَمَّى وضَـحَّى وَعـيَّـدَا

هَنِيْئَاً لكَ: دُعَـاءٌ لَهُ بـالتَّهْنِئَةِ والتَّسويغِ، وهي صِفَـةٌ جَرَتْ مَجْرى المَصْدَرِ، وَجُعِلَتْ بَدلاً من اللَّفْظِ بالفِعْلِ، كأنَّك قُلْتَ: هَنَّأَكَ اللَّهُ، فَنَصَبْتَ

---

(١) كذا في ر، ف وفي ل «على».

(٢) في رواية الواحدي والتبيان «فلو».

(٣) «مثنى. . . واحداً» زيادة في ل.

(٤) ساقطة من ل.

(٥) «بذلك» زيادة في ل.

(٦) في ف «استحداثه».

والاستخذاء في الأصل: صفة للأذن في استرخائها وخفة سمعها، وتستعار لذلة الإنسان وانكساره.

هذهِ الصِّفَةَ على هذا المَعْنَى[1].

فيقولُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ: هَنِيئاً لكَ العِيْدُ الذي أَنْتَ عِيْدُهُ ورِفْعَتُهُ، وَزِيْنَتُه وَبَهْجَتُهُ، كما أَنَّكَ عِيْدُ من سَمَّى اللَّهَ فيه بالتَّعْظِيمِ آخِذاً بِسُنَّتِهِ، وضَحَّى مُحْتَمِلاً على شَرِيعَتِهِ، وَعَيَّدَ مُتَمَسِّكاً بِمِلَّتِهِ. فَأَشارَ[2] بهذا إلى عَامَّةِ المُسْلِمينَ، وأَرَادَ: أَنَّ سَيْفَ الدَّولةِ لَهُمْ كالعِيْدِ الذي يُجَدِّدُ مَسَرَّتَهم، ويَشْمَلُ بالفَضْلِ جَمَاعَتَهم.

٢٢ - وَلاَ زَالتِ الأَعْيَادُ لُبْسَكَ بَعْدَهُ   تُسَلِّمُ مَخْرُوقاً وَتُعْطِي مُجَدَّدا

ثُمَّ قالَ، دَاعِياً لَهُ: ولا زَالَتِ الأعيادُ لكَ كاللُّبْسِ بعد هذا العِيْدِ، تَفِدُ إليكَ، وَتَتَعَاقَبُ عليك، فَتُسَلِّمُ مُتَصَرِّمَهَا مُخْلِقاً لِبَهْجَتِهِ، وتَلْقَى مُجَدَّدَهَا مُسْتَبْشِراً بِسَعَادَتِهِ[3].

٢٣ - فَذا اليوم في الأَيَّامِ مِثْلُكَ في الوَرَى   كما كُنْتَ فِيْهِمْ أوحداً كَانَ أَوْحَدا[4]

يقولُ[5] مُشِيْرَاً إلى العِيْدِ، وَمُخَاطِبَاً لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ: فَهَذا اليومُ في أَيَّامِ العَامِ، وما خُصَّ به من شَرَفِ الإِسْلاَمِ، مِثْلُكَ في أَبْنَاءِ عَصْرِكَ، وَجُمْلَةِ أَهْلِ دَهْرِكَ، الذينَ عَمَمْتَهُمْ بِسَعَةِ فَضْلِك، وَتَقَدَّمْتَهم بِمَشْكُورِ سَعْيِكَ، فَكَمَا أَنَّ العِيدَ أَوْحَدُ في أَيَّامِ العامِ، فكَذَلِكَ أَنْتَ أَوْحَدُ في جميعِ الكِرامِ.

---

(١) «هنيئاً... هذا المعنى» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «وأشار».

(٣) في ف جاء شرح هذا البيت في الهامش.

(٤) جاء هذا البيت في هامش ف.

(٥) في ر، ف «ثم قال».



٢٤ ـ هُـوَ الجَدُّ حَتَّى تَفْضُـلَ العَـيْنُ أُخْتَهـا وحَتَّى يَكُـونَ[١] اليومُ لليَـوْمِ سَيِّـدا

ثُمَّ قالَ: هو الجَدُّ الذي يَرْفَعُ من يُسِّرَ لَهُ، والسَّعْدُ الذي يُقَدِّمُ مَنْ اقْتَرَنَ به، حَتَّى تَفْضُلَ العَيْنُ العَيْنَ وهما مُتَجَاورتَانِ، ويَفْضُلَ اليومُ اليومَ وهما مُتَوَاليانِ.

٢٥ ـ فَـوَاعَجَبـاً[٢] مِنْ دَائِـلٍ أَنْتَ سَيْفُـهُ أَمَــا يَـتَــوَقَّى شَـفْــرَتَيْ مَــا تَقَـلَّدَا

قَوْلُهُ «فواعجبا من دائلٍ»[٣]: وا: كَلِمَةٌ[٤] تُسْتَعْمَـلُ في النِّداءِ عِنْـدَ الاسْتِغَاثَةِ والتَّعَجُّبِ، فوَاعَجَبا: كَلِمَةٌ أُدْخِلَ عليها حَرْفُ النِّداءِ، وأُبْدِلَتْ فيها الأَلِفُ من يَـاءِ الإِضَافَـةِ، لِمَا ذَهَبَ إليـه المُتَكَلِّمُ من مَدِّ الصَّـوْتِ بِلَفْظِ[٥] التَّعَجُّبِ، والدَّائِلُ: الذي يُصَرِّفُ الدَّولةَ[٦].

فيقـولُ لسيفِ الدَّولـةِ: فَوَاعَجَبـاً من ذي دَوْلَةٍ أَنْتَ سَيْفُـهُ، والسَّيْفُ مَحْمولٌ مُسْتَقْرَبٌ، ومَصْحُوبٌ مُسْتَعْمَلٌ، أما يَتَوَقَّى[٧] حامِلُك شَفْرَتَي ما حَمَلَهُ، ويَتَوقَّعُ[٨] مُسْتَعْمِلُكَ سَطْوَةَ ما يَسْتَعْمِلُهُ، يُرِيدُ: أَنَّه يَرْتَفِعُ عن هذا الاسمِ مَعَ جَلاَلَتِهِ، ويَكْبُرُ عَنْهُ مَعَ فَخَامَتِهِ.

---

(١) في رواية التبيان «حتى يصيرَ».
وفي ر، ف، ورواية الواحدي والتبيان «حتى تفضلَ» بالنصب و«حتى يكونَ» بالنصب أيضاً ـ وفي ل «حتى تفضلُ» و«حتى يكونُ» بالرفع، وفيه وجه من صواب.

(٢) في رواية التبيان «فيا عجباً».

(٣) «قوله: فواعجباً من دائل» زيادة في ر.

(٤) في ف «كلة» وهو تحريف.

(٥) في ر، ف «بمد».

(٦) «والدائل: الذي يصرف الدولة» زيادة في ل.

(٧) في ر، ف «فما يتوقع».

(٨) في ر، ف «ويحذر».



٢٦ ـ ومَنْ يَجْعَل الضِّرْغَامَ في الصَّيْدِ بـازَهُ تَصَيَّـدَهُ الضِّـرْغَـامُ فِيـما تَصَيَّـدا[١]

الضرغَامُ: الأَسَدُ[٢].

ثُمَّ قالَ: ومَنْ يَتَّخِذُ الأَسَدَ بَازاً يَصِيْدُ بِهِ، كَانَ الأَسَدُ غَيْرَ مَأْمُونٍ على أَكْلِهِ، وأَن يَجْعَلَهُ مِنَ الصَّيْدِ الذي يَقْصِدُ لِخَتْلِهِ[٣].

٢٧ ـ رَأَيْتُـكَ مَحْضَ الحِلْمِ في مَحْضِ قُدْرَةٍ وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الحِلْمُ[٤] مِنْكَ الُمهَنَّدَا

ثُمَّ[٥] يَقُولُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ: رَأَيْتُكَ مَحْضَ الحِلْمِ[٦] مَعَ تَمَكُّنِ قُدْرَتِكَ، واسِعَ العَفْوِ عنـد تَوَقُّـعِ[٧] عُقُوبَتِـكَ، ولو شِئْتَ كـانَ السَّيْفُ عِوَضـاً من حِلْمِكَ، والعِقَابُ بَدَلاً من عَفْوِكَ، ولكنَّكَ تَأخُذُ بأَرْفَعِ[٨] الأَمْرَيْنِ، وتَحْتَمِلُ على أَكْرَمِ الحَالَيْنِ.

٢٨ ـ ومـا قَتَـلَ الأَحْـرَارَ كـالعَفْـو عَنْهُمُ وَمَنْ لَـكَ بالحُـرِّ الـذي يَحْفَظُ اليَـدَا

ثُمَّ قَالَ: وما قَتَلْتَ الحُرَّ بِمِثْلِ عَفْوِكَ عن ذَنْبِهِ، ولا اسْتَعْبَـدْتَهُ بِمِثْـلِ تَجَاوُزِكَ عن جُرْمِهِ، ولكنَّ الأَحْرارَ قَليلٌ، وأَهْلُ الشُّكْرِ من النَّاسِ يَسيرٌ، ومَنْ لَكَ بالحُرِّ الذي يَشْكُرُ على الفَعْلَةِ الصَّالِحَةِ، ويَعْتَرِفُ بالنِّعْمَةِ السَّالِفَةِ؟

(١) كذا في رواية الواحدي «في الصيد». أيضاً.
وفي رواية التبيان: ومن يجعل الضرغام بازاً لصيده يصيده الضرغام.

(٢) «الضرغام: الأسد» زيادة في ل.

(٣) خَتَلَ الصيدَ: تخفّى له ليخدعه.

(٤) في ر، ف «المحض».

(٥) زيادة في ر، ف.

(٦) محض الحلم: خالصه.

(٧) في ل «تمكن».

(٨) في ر، ف «بأحد»

٢٩ ـ إذَا أَنْتَ أَكْـرَمت الكـرِيمَ مَلَكْتَـهُ   وإنْ أَنْـتَ أَكْـرَمْتَ الـلَّئيـمَ تَمَـرَّدا

التَّمَرُّدُ: الإقدامُ على الشَّرِّ[١].

فيقولُ[٢] لِسَيْفِ الدَّولَةِ، بعدما قَدَّمَ من شُكْرِهِ على الحِلْمِ، وسَعَةِ العَفـوِ: إذا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكـريمَ ارتَهَنْتَ شُكْرَهُ، واستـوجَبْتَ مِلْكَهُ؛ لأَنَّـهُ يَعْتَـرِفُ بِفَضْلِكَ، ولا يَدْفَـعُ وجُوبَ حَقِّـكَ، وإذا أنتَ أكرَمْتَ اللَّئيمَ زَادَ إكْرَامُكَ لَهُ في تَمَرُّدِهِ، وأَطْغَاهُ ما تُحَاوِلُهُ من تَأَلُّفِهِ.

٣٠ ـ وَوَضْعُ النَّدَى في مَوْضِعِ السَّيْفِ بالعُلاَ   مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ في مَوْضِعِ النَّدَى

ثُمَّ أَكَّدَ ذلكَ، فقالَ[٣]: وَوَضْعُ العَفْوِ في مَوْضِعِ العُقُوبَةِ، والنَّدَى في مَوْضِعِ السَّيفِ، مُخِلٌّ بالسِّيَادَةِ، وَمُضِرٌّ بالرِّئَاسَةِ؛ كما يُخِـلُّ[٤] بذلـكَ وَضْعُ العُقُوبة في مَوْضِعِ العَفْوِ، ووَضْعُ الكرمِ في مَوْضِعِ السَّيْفِ، وإنما الصَّوابُ في وَضعِ الأَشْيَاءِ مَوَاضِعَهَا، وحَمْلِهَا على حَقِيْقَةِ مَقَاصِدِها، لِتَحُلَّ الصَّنَائِعُ في مَحَلِّها، وتُوْضَعُ النِّعَمُ عِنْدَ أَهْلِها، ويُعْدَلُ بها، عَمَّن لا يَقُومُ بِشُكرِها.

٣١ ـ وَلكِنْ تَفُوقُ النَّـاسَ رَأْيـاً وحِكْمَـةً   كَـمَا فُقْتَهُمْ حَـالاً وَنَفْسـاً وَمَحْتِـدا

المَحْتِدُ: الأَصْلُ[٥].

فَيَقُولُ[٦] لِسَيْفِ الدَّولَةِ: ولَيْسَ ما تُظْهِرُهُ من صَوَابِ الرَّأْيِ، وَمَشْكُورِ

---

(١) «التمرد: الإقدام على الشر» زيادة في ل.
(٢) في ر، ف «ثم يقول».
(٣) في ف «ثم قال».
(٤) في ف «يحمل».
(٥) «المحتد: الأصل» زيادة في ل.
(٦) في ر، ف «ثم يقول».

الفِعْلِ، بِغَرِيبٍ مِنْكَ، ولا مُسْتَنْكَرٍ لكَ؛ لأَنَّكَ تَفُوقُ النَّاسَ بِصَوَابِ رَأْيِكَ، وحِكْمَةِ فِعْلِكَ، كما تَفُوقُهُمْ بِشَرَفِ نَفْسِكَ، وَكَرَمِ أَصْلِكَ، فَخُلُقُكَ[1] يُمَاثِلُ نَسَبَكَ، وأَفْعَالُكَ تَنْصُرُ شَرَفَكَ.

٣٢ ـ يَدِقُّ عَلَى الأَفْكَارِ ما أَنْتَ فَاعِلٌ فَيُتْرَكُ مَا يَخْفَى وَيُؤْخَذُ مَا بَدَا

ثُمَّ قالَ: تَدِقُّ عَلَى الأَفْكَارِ حَقَائِقُ سِيَاسَتِكَ[2]، وَتَقْصُرُ عَنْ سَعَةِ إِحَاطَتِكَ، فَيَأْخُذُ النَّاسُ ظَاهِرَ ذلكَ مُرْتَضِينَ بِكَ، ويُعْرِضُونَ عَمَّا خَفِيَ عَنْهُم[3] منه[4] مُسَلِّمينَ لَكَ. فقد تَيَقَّنَ[5] الجميعُ أَنَّ اللَّهَ يَمُدُّكَ بِموادِّ تَوْفِيقِهِ، ولا يُخْلِيكَ من إِرْشَادِهِ وتَأْييدِهِ.

٣٣ ـ أَزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذي صَيَّرْتَهُمْ لي حُسَّدَا

الكَبْتُ: الخَيْبَةُ والخَسَارُ[6].

فيقولُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ[7]: أَزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عنِّي[8]، بِكَبْتِهِم فيما ظَنُّوهُ، وَدَفْعِهِم عَمَّا رَامُوهُ، فإِحْسَانُكَ أَوْجَبَ حَسَدَهُمْ لي، وإِكْرَامُكَ حَمَلَهُمْ على

---

(١) في ل «وخَلْقُكَ».

(٢) ذهب الواحدي في تفسير «ما أنت فاعل» و«الأفكار» مذهباً آخر إذ يقول: «يعني أن ما تبتدعه من المكارم يخفى على أفكار الشعراء، فيذكرون ما ظهر منها ويتركونَ ما خفي» (انظر شرحه ٥٣٣/٢).

(٣) «عنهم» زيادة في ر، ف.

(٤) زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «تبيَّن».

(٦) زيادة في ل.

(٧) «لسيف الدولة» زيادة في ل.

(٨) كذا في ر، ف، وفي ل «أزل عني حسد الحساد».

الاغْتِرَارِ بي، وأَنْتَ جَدِيرٌ بِحِفْظِ ما أَسْدَيْتَ، وَتَتْمِيمِ[1] ما أَوْلَيتَ.

٣٤ ـ إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِي يَدِي ضَرَبْتُ بِنَصْلٍ يَقْطَعُ الهامَ مُغْمَدا

الزَّنْدُ: أَحَدُ عَظْمَيْ الذِّراعِ[2].

ثُمَّ قالَ: إذا شَدَّ زَندي في يَدِي[3] حُسْنُ رَأْيِكَ، وأَنْهَض قُوَّتي كَريمُ اعتِنائِكَ، ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ من إِكْرَامِكَ، تَقطَعُ الهَامَ هَيْبَةُ ذِكْرِهِ، وَتَنْقَدُّ لَهُ الرُّؤوسُ في غِمْدِهِ. يُشِيرُ إلى ما هو عَلَيهِ من الاعتِزازِ به، والاستِغْنَاءِ[4] بِتَقَبُّلِهِ[5] لَهُ، واسْتَعَارَ ما نَظَمَهُ من لَفْظِهِ، لِيَدُلَّ بذلكَ على ما فَسَّرنَاهُ من قَصْدِهِ.

٣٥ ـ وَمَا أَنَا إِلاَّ سَمْهَرِيٌّ حَمَلْتَهُ فَزَيَّنَ مَعْرُوضاً وَرَاعَ مُسَدَّدَا

السَّمْهَرِيُّ من الرِّماحِ: الصَّلْبُ، أُخِذَ ذلك من قَوْلِه: اسْمَهَرَّ العُودُ؛ إذا صَلُبَ، وتَعْرِيضُ الرُّمحِ: حَمْلُهُ على عُنُقِ الفَرَسِ، وتَسْدِيدُهُ: تَهْيِئَتُهُ للطَّعْنِ[6].

ثُمَّ قالَ: وما أَنَا إلاَّ رُمْحٌ اخْتَرْتَهُ لِنَفْسِكَ، واصْطَحَبْتَهُ في حَرْبِكَ، فَزَيَّنَكَ مُعَرَّضاً بِصُحْبَتِهِ، وَرَاعَ عَدُوَّكَ مُسَدَّداً بِمَحْمُودِ خِبْرَتِهِ.

٣٦ ـ وما الدَّهْرُ إلاَّ مِنْ رُوَاةِ قَلائدِي إِذَا قُلْتُ شِعْرَاً أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا

---

(١) في ف «وتميم».

(٢) «الزند... الذراع» زيادة في ل.

(٣) «في يدي» زيادة في ر، ف.

(٤) زيادة في ر، ف.

(٥) في ر، ف «بتغلبه» وهو تحريف.

(٦) «السمهري... للطعن» زيادة في ل.

القلائِدُ: العُقودُ وما أَشْبَهَها مما يُحْمَلُ على الأَعْنَاقِ[1].

فيقولُ: وما الدَّهرُ إلاّ من رُوَاةِ أَشْعَارِي التي هي كالعُقُودِ والأَطْوَاقِ، والقلائِدِ في الأَعْنَاقِ، فإذا قُلْتُ شِعْراً، فالدَّهْرُ يُنْشِدُهُ مُعَرِّفاً به، ويَرْوِيهِ مُقَيِّداً لَهُ[2]، وَيُبْقِيهِ ما بَقِيَتِ الأَيَّامُ، ويُخَلِّدُهُ ما أُعْمِلَتِ الأَقْلامُ.

٣٧ ـ فَسَارَ بِهِ من لا يَسيرُ مُشَمِّراً وغَنَّى بِهِ من لا يُغَنِّي مُغَرِّدا

التَّشْميرُ: النَّفاذُ والاعتِزامُ، والتَّغريدُ: الصَّوتُ المُطْرِبُ[3].

ثُمَّ قالَ مُؤَكِّداً لِمَا قَدَّمَهُ: فَيَسيرُ به[4] من لا يَسْتَطيعُ السَّيْرَ نَشَاطاً[5] مُشَمِّراً، ويُغَنِّي به مَنْ لا يُحْسِنُ الغِناءَ كالنَّشْوَانِ مُغَرِّداً، يُشِيرُ إلى ما يُفيدُهُ شِعْرُهُ من الطَّرَبِ بكَثْرَةِ بدائِعِهِ، وما يُوجِبُهُ من السُّرورِ بِبَرَاعَةِ مَقاصِدِهِ.

٣٨ ـ أَجِزْنِي إِذَا أُنْشِدْتَ[6] شِعْراً فإنَّما بِشِعْرِي أَتَاكَ المادِحُونَ مُرَدَّدَا

الجائِزَةُ: الصِّلَةُ[7].

فَيَقولُ لِسَيْفِ الدَّولَةِ: أَجِزْنِي عما[8] تُنْشَدُهُ من الأَشْعَارِ، فإنَّها من أَشْعَارِي مُسْتَرقَةٌ، ومما أَبدِعُهُ فيك مُقْتَطَعَةٌ؛ لِأَنِّي قد سَبَقْتُ فيك إلى بَدَائعِ

(١) «القلائد... الأعناق» زيادة في ل.
(٢) ساقطة من ر، ف.
(٣) «التشمير... المطرب» زيادة في ل.
(٤) ساقطة من ل.
(٥) في ر، ف «نشطاناً».
(٦) في ر، ف «أُنْشَدتُ».
(٧) «الجائزة: الصلة» زيادة في ل.
(٨) في ر، ف «بما».

النَّظْمِ، وَقَصَرْتُ عليكَ مَحَاسِنَ الشِّعْرِ، فالمَادِحُ إنما يأْتِيكَ بِطَرْفٍ مِمَّا قُلْتُهُ، ومُسْتَرَقٍ مما خَلَّدْتُهُ.

٣٩ ـ وَدَعْ كُـلَّ صَوْتٍ بَعْـدَ صَوْتِي فـإِنَّنِي أَنَا الطَّائِرُ[١] المحكِيُّ والآخَرُ الصَّدَى

الصَّدَى: الصَّوْتُ من الجَبَلِ ونَحْوِهِ[٢].

ثُمَّ قالَ: وَدَعْ أَصْوَاتَ النَّاسِ بَعْدَ إنْشَادِي إيَّاكَ، فإني فيهم السَّابِقُ المُتَّبَعُ، وشِعْرِي المَحْكِيُّ به[٣] المُمْتَثَلُ، وحَالي فِيهِم حالُ الطَّائِرِ الغَرِدِ، وهُمْ كالصَّدَى الذي يَمْتَثِلُهُ وَيَتْلُوهُ، وَيَتَّبِعُهُ ويَقْفُوهُ[٤].

٤٠ ـ تَـرَكْتُ السُّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَـلَّ مَـالُـهُ وأَنْعَلْتُ أَفْـرَاسِي بِنُعْمَـاكَ عَسْجَـدا

السُّرَى: سَيْرُ اللَّيْلِ، والعَسْجَدُ: الذَّهَبُ[٥].

فيقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ[٦]: تَرَكْتُ السُّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ، أيْ[٧]: لِلْمُقِلِّينَ، وَسَلَّمْتُهُ للمُنْتَجِعينَ، واسْتَغْنَيْتُ بك عن تَكَلُّفِهِ، ولم تَبْقَ لي مَعَكَ حَاجَةٌ في تَمَوُّنِهِ، وأَحَاطَ بي من فَضْلِكَ وكَرَمِكَ، ونُعْمَاكَ وَتَوَسُّعِك، ما أَنْعَلتُ خَيْلي فيهِ بالذَّهَبِ، واسْتَغْنَيْتُ بأَقَلِّهِ عن كَدِّ الطَّلَبِ.

٤١ ـ وَقَـيَّـدْتُ نَـفْسِي في ذُرَاكَ مَحَـبَّـةً وَمَنْ وَجَـدَ الإحسانَ قَيْـداً تَقَيَّـدَا

(١) في رواية الواحدي والتبيان «أنا الصائح».
(٢) «الصدى... ونحوه» زيادة في ل.
(٣) ساقطة من ر، ف.
(٤) «وهم كالصدى.... ويقفوه» ساقطة من ر، ف.
(٥) «السرى... الذهب» زيادة في ل.
(٦) في ر، ف «ثم يقول له».
(٧) «لمن قل ماله، أي» زيادة في ل.

ثُمَّ قالَ: وَقَيَّدْتُ نَفْسِي في ذُرَاكَ[1] وأَرْضِكَ، وقَصَرْتُها على إحْسَانِكَ وفَضْلِكَ، ومَنْ وَجَدَ الإحْسَانَ قَيْداً تَقَيَّدَ به، وأَلْزَمَ نفسه إيَّاهُ، ولم يَخْتَرْ لها مَقْصُوداً سِوَاهُ.

٤٢ ـ إذَا سَـأَلَ الإنْسَـانُ أَيَّـامَـهُ الغِنَى وَكُنْتَ[2] عـلى بُعْدٍ جَعَلْنَـاكَ مَوْعِـدَا

ثُمَّ قالَ، مُخاطِباً له[3]: إذا سَأَلَ الإنْسَانُ أَيَّامَهُ الغِنَى والسَّعَةَ، والخَفْضَ والدَّعَةَ، كُنْتَ أَنْتَ المَوْعِدُ الذي تَعِدُ[4] الأَيَّامُ به، والأملُ الذي يُمَثِّلُهُ[5] لَهُ، يُرِيدُ: أَنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ غَرَضُ القَاصدينَ، والمُقَدَّمُ في جَميعِ المُحْسِنين.

(١) في ف «رضاك».
(٢) في ر، ف «وأنت».
(٢) في ل «لسيف الدولة».
(٤) في ر، ف «تعده».
(٥) في ف «يمثل».

أَنْشَدَ أبو الطَّيِّبِ هذهِ القَصِيْدَةَ سَيْفَ الدَّولةِ في المَيْدَانِ، وعَادَ إلى الدَّارِ فاسْتَعَادَها إيَّاهُ، فأَنْشَدَهَا[١]، وكَثُرَ النَّاسُ، فقالَ قائِلٌ مِنْهُمْ: إنَّ أكْثَرَ النَّاسِ ما يَسْمَعُ، فَلَوْ أَنْشَدَها[٢] قائِماً لأَسْمَعَ؛ يُريدُ بذلكَ كَيْدَ أبي الطَّيِّبِ، فقال أبُو الطَّيِّبِ: أَمَا سَمِعْتَ أَوَّلَهَا:

«لِكُلِّ امرِىءٍ مِنْ دَهْرِهِ ما تَعَوَّدَا»

فأُفحِمَ الرَّجُلُ[٣]، وضَحِكَ سيفُ الدَّولَةِ، وجَرَى ذِكْرُ ما بَيْنَ العَرَبِ والأكرادِ من الفَضْلِ، فقالَ لَهُ[٤] سيفُ الدَّوْلَةِ: ما تَقُولُ في هذا، وتَحْكُمُ[٥] به[٦]؟ فقالَ لَهُ:

١ - إن كُنْتَ عن خَـيْرِ الأَنـامِ سَـائـلاً ... فَـخَيْـرُهُـمْ أَكْثَـرُهُـم فَـضَـائِـلا

٢ - مَـنْ أَنْـتَ مِـنْهُـمْ يـا هُمَـامَ وائِـلا ... الـطَّاعِـنِـينَ في الـوَغَـى أوائِـلا

٣ - والعـاذِلِـينَ في النَّـدَى الـعَـواذِلا ... قَـد فَـضَلوا لِـفَضْـلِكَ القبـائِـلا

(١) زاد في ل «إياه».

(٢) في ر، ف «أنشد».

(٣) فَحَمَ الرجلُ: لم يطق جواباً.

(٤) ساقطة من ر، ف.

(٥) في ر، ف «ويحكم».

(٦) زيادة في ل.



وَائِلُ بنُ قاسِطٍ؛ أبو بكرِ بنِ وائل[1]، وتَغْلِبُ وبنو تَغْلِبَ: رَهْطُ سَيْفِ الدَّولَةِ، ولم يَصْرِفْ وائِلَ؛ لِأَنَّه اسمُ قَبِيْلَةٍ مَعْرِفةٍ[2].

فيقولُ، مخاطِباً لِسَيْفِ الدَّوْلَـةِ[3]: إنْ كُنْتَ تَسأَلُ عن خَـيرِ الأَنامِ، فَخيرُهُمْ أَشْهَرُهُمْ في الفَضائِلِ، وأَقْعَدُهُم بالمَكارِمِ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ كُنْتَ أَنْتَ مِنْهُمْ[4] يا هُمَامَ وائلَ؛ هذهِ القَبِيْلَةِ، فَلَهُم الفَضْلُ والرِّفْعَةُ، وفِيْهُم[5] العَدَدُ والمَنَعَةُ، الطَّاعِنِيْنَ أوائلَ في الحَـرْبِ، والمُتَسابِقـيْنَ[6] إلى الطَّعْنِ والضَّـرْبِ، والذينَ يَعْذُلُونَ من عَذَلَهُم على الكَرَمِ، وَيَتَفَضَّلُونَ بأَوْفَرِ النِّعَمِ، ثُمَّ قالَ قَدْ فَضَلُوا يأيُّها المَلِكُ القَبَائِلَ بِفَضْلِكَ، وانْفَرَدُوا بالمَكـارِمِ بما أَكْسَبْتَهُم[7] من مَجْدِكَ.

---

(١) «بن وائل» ساقطة من ر، ف وينتهي نسب بكر إلى ربيعة بن نزار.

(٢) «ولم يصرف... معرفة» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «مخاطباً له».

(٤) في ر، ف «منه».

(٥) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «ولهم».

(٦) في ت «السابقين».

(٧) في ف «كسيتهم» وفي ت «كسبتهم».

وجلَسَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ لِرَسُولِ مَلِكِ الرُّومِ وَالرَّوْذُسِ، في صَفَرٍ من سَنَةِ ثَلاثٍ وأَرْبَعينَ وثَلاثِمائَةٍ، وحَضَرَ أَبُو الطَّيِّبِ، فَوَجَدَ دونَهُ زَحْمَةً شَدِيْدَةً، فَثَقُلَ عليهِ الدُّخولُ، واسْتَبْطَأَهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ، فقالَ ارتِجالاً:

١ - ظُلْمٌ لذا[1] اليَوْمِ وَصْفٌ قَبْلَ رُؤْيَتِه   لا يَصْدُقُ الوَصْفُ حَتَّى يَصْدُقَ النَّظَرُ

يَقولُ: وَصْفِي لهذا اليومِ قَبْلَ رُؤْيَتِهِ، وإِخْباري عَنْهُ قَبْلَ مُشاهَدَتِهِ، ظُلْمٌ لَهُ، وتَقْصِيرٌ بِهِ؛ لأَنَّ الوَصْفَ إِنَّما يَصْدُقُ بالْمُشاهَدَةِ، وَيَتَصَحَّحُ بِصِحَّةِ المُعايَنَةِ.

٢ - تَـزاحَمَ الجيشُ حَتَّى لَمْ يَجِـدْ سَبَبـاً   إلى بِسَـاطِـكَ لي سَمْـعٌ ولا بَصَرُ

ثُمَّ قالَ، مُخاطِباً لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ: تَزاحَمَ الجَيْشُ وَتَكاثَرَ، وتَبادَرَ وتَضاغَطَ، حَتَّى لم أَجِدْ إلى بِساطِكَ سَبَباً مُوَصِّلاً بِسَمْعٍ ولا بَصَرٍ، ولا إِخْبارٍ ولا نَظَرٍ.

٣ - فَكُنْـتُ أَشْهَـدَ مُخْتَصٍّ وأَغْيَبَـهُ   مُعَـايِنـاً، وَعِيـاني كُلُّهُ خَبَرُ

يَقولُ[2]: فكُنْتُ لِشدَّةِ[3] اهتِبَالي بالحَالِ، أَقْرَبَ الْمُخْتَصِّينَ مِنْكَ، وبما

(١) في ف «لذي».
(٢) زيادة في ر، ف.
(٣) في ل «بشدة».



مَنَعَنِي من مُشَاهَدَتِها[1]، أَثْبَتَهُمْ مُغَيَّباً عَنْكَ، وصار عِيَاني كُلُّهُ أَمْرُكَ[2]؛ ما أَحَدَّثُ به من جَلاَلَةِ حَفْلِكَ، وما يُنْقَلُ إليَّ من فَخَامَةِ قَدْرِكَ[3].

٤ ـ اليَـومَ يَـرْفَـعُ مَلْكُ الـرُّومِ نَـاظِـرَهُ   لأَنَّ عَـفْـوَكَ عَـنْـهُ عِـنْـدَهُ ظَـفَـرُ

ثُمَّ[4] يقولُ: اليومَ يَرْفَعُ مَلِكُ الرُّومِ نَاظِرَهُ، بِمَا بَذَلْتَ له من السِّلْمِ، وَتَسْكُنُ مَخَافَتُهُ، بما شَمِلْتَهُ بـه من العَفْوِ، فَعَفْوُكَ عَنْهُ ظَفَرٌ يَنالُهُ، وإمْسَاكُكَ عن حَرْبِهِ أَمَلٌ يَبْلُغُهُ.

٥ ـ وإنْ أَجَبْـتَ بِشَيْءٍ عَـنْ رِسَـالَـتِـهِ   فَـمَا يَـزَالُ عَـلَى الأَمْـلاَكِ يَفْتَخِـرُ

ثُمَّ قالَ: وإنْ أَجَبْتَهُ بأَيْسَرِ جَوَابٍ عن رِسَالَتِهِ، فما يَزَالُ مُفْتَخِراً على الأَمْلاكِ بِمُكَاتَبَتِكَ ومُتَشَرِّفاً بما رَبَّيْتَهُ من مُرَاسَلَتِكَ.

٦ ـ قَـدِ اسـتَرَاحَتْ إلى وَقْتٍ رِقَـابُهُـمُ   من السُّيُوفِ وَبَاقي النَّاسِ[5] يَنْتَظِرُ

---

(١) في ر، ف «مشاهدته» وكلاهما صحيح؛ لأن الحال يذكر ويؤنث.

(٢) «كله أمرك» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «أمرك».

قال ابن جني في شرح هذا البيت «أي كنت حاضراً للوقف والجمع، إلا أنني لم أشاهد نفس الحال، وإنما كنت أخبره ولا أنظر».

(النظام ج ٢ ورقة ٧٢).

(٤) زيادة في ر، ف.

(٥) كذا في ل ورواية ابن المستوفي أيضاً، وفي ر، ف «وباقي القوم» وكذلك في رواية الواحدي والتبيان.

قال ابن المستوفي «ويروى كل القوم، وهو سماعي»

(النظام ج ٢ ورقة ٧٢).

ثُمَّ[1] يقولُ لِسيفِ الدَّولةِ[2]: قد[3] اسْتَرَاحَت رقابُ الرُّومِ[4] مِن سُيُوفِكَ بِصُلْحِكَ لهم، وأَمِنُوا مَعَرَّةَ جُيوشِكَ بِعفوِكَ عَنْهم، وَغَيْرُهم من الأَعْدَاءِ يَنْتَظِرونَ ما صَرَفْتَ عنهم من سَطْوَتِك، وَيَحْذَرُونَ ما أَمَّنْتَهم من عُقُوبَتِك.

٧ - وقد تُبَدِّلُها[5] بالقومِ غَيْرِهِمُ[6] لكي تَجِمَّ رؤوسُ القَوْمِ[7] والقَصَرُ

القَصَرُ: أُصولُ الأَعْنَاقِ[8].

ثُمَّ قالَ: وقد تُبَدِّلُ سُيُوفَك في الرّومِ بِغيرِهِمْ[9]، وَتُعَوِّضُها[10] مِنْهُمْ

---

(١) زيادة في ر، ف.

(٢) كذا في ل، وفي ر، ف «يقول له».

(٣) ساقطة من ل.

(٤) ساقطة من ف، وفي ل «القوم».

(٥) في ر، ف «تُبَدِّلُها».

(٦) كذا في ل ورواية الواحدي، وفي ر، ف «غيرَهم» بالنصب وكذلك رواه ابن جنى وابن المستوفي وصاحب التبيان.

فمن روى بالنصب فلأنه المفعول الثاني للتبديل، ومن روى «غيرهم» بالكسر فهو على نعت القوم، وصوّب الواحدي رواية الكسر على أساس صحة اللغة وصحة المعنى، «فليس في اللغة بدلته: أعطيته، إنما معنى بدلته جعلت شيئاً مكانه كقوله تعالى:

﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ (انظر شرح الواحدي ٥٣٧/٢).

(٧) كذا في ر، ف، ورواية الواحدي والتبيان، وفي ل «رؤوس الناس» وفي رواية ابن المستوفي «رقاب القوم».

(٨) «القصر: أصول الأعناق» زيادة في ل.

(٩) على الرغم من جواز رواية النصب والكسر في «غيرهم» عند الأفليلي، فقد وافق ابن جني في عود ضمير «تبدلها» على السيوف، قال ابن جني: « والهاء في تبدلها تعود على السيوف، أي: تبدل السيوف رقاب القوم، أي تأخذ قوماً وتدع آخرين».

(النظام ج ٢ ورقة ٧٢).

(١٠) في ر، ف «تقوضها».



بِسِوَاهُمُ، لكي تَجُمَّ[1] رؤوسَهُم وقَصَرَهُمْ، ويَكْثُرَ للسَّبْي أَهْلُهُم وَوَلَدُهُم.

٨ - تَشْبِيــهُ جُـودِكَ بــالأَمْـطَارِ غَــادِيـةً جُـودٌ لكفِّـكَ ثَــانٍ نَــالَـهُ المَــطَرُ

ثُمَّ[2] يقولُ لسيفِ الدَّوْلَـةِ: تَشْبِيهُ جُـودِكَ بالأَمْـطَارِ الغَادِيـةِ، وَتَمْثِيْلُهُ بالغُيومِ السَّاجِمَةِ[3]، جُودٌ ثَانٍ من كَفِّكَ على المَطَرِ، بمُمَاثَلَتِهِ إِيَّاهـا، وَفَضْلٌ ظَاهِرٌ عليه، بمُقَارَبَتِهِ مَعْنَاها.

٩ - تَكَسَّبُ الشَّمْسُ مِنْـكَ النُّورَ طَـالِعَـةً كَـمَا تَكَسَّـبُ مِنْهـا نُـورَهُ الـقَمَـرُ

ثُمَّ قالَ: تَكَسَّبُ[4] الشَّمْسُ النورَ في طُلُوعها من ضِياءِ وَجْهِكَ، كما يَكْتَسِبُ القَمَرُ من الشَّمْسِ نُورَهُ، ويَسْتَعِيرُه منها[5] ضِيَاءَهُ وحُسْنَهُ.(*)

---

(١) تجم: تكثر.

(٢) زيادة في ر، ف.

(٣) الغيوم الساجمة: السُّحب التي ينصبُّ منها المطر.

(٤) في ر، ف «تكتسب».

(٥) في ر، ف «منه».

(*) الى هنا ينتهي السفر الأول من نسخة ل

- ٦٠ -

وَقَالَ أَيْضاً، يَصِفُ دُخولَ الرَّسُولِ:

١ - دُرُوعٌ لِمَلْكِ الرُّومِ هَذي الرَّسَائِلُ يَـرُدُّ بهـا عَنْ نَفْسِـهِ وَيُشَـاغِـلُ

يقولُ[1] لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ: رَسَائِلُ مَلكِ الرُّومِ إليكَ دُرُوعٌ تَمْنَعُهُ، وحُصُونٌ تَكْتَنِفُهُ، لأنه يَرُدُّ بها جُيُوشَكَ عَنْ أَرْضِهِ، ويَشْغَلُ[2] بها عَزَائِمَكَ عن نَفْسِهِ.

٢ - هِيَ الـزَّرَدُ الضَّـافي عَلَيْـهِ وَلَفْـظُهـا عَلَيْـكَ ثَنـاءٌ سَـابِـغٌ وَفضـائـلُ

ثُمَّ قالَ: هي عَلَيْهِ كالزَّرَدِ الذي يَشْمُلُهُ، والسِّلاحِ الـذي يَعْصِمُهُ، ولكنَّ أَلْفَاظَ تلكَ الرَّسَائِلِ فَضَائِلُ لك، وثَنَاءٌ يَتَخَلَّدُ[3] عليكَ، لأَنَّها خُضُوعٌ منه يَرْتَفِعُ به قَدْرُكَ، واسْتِسْلاَمٌ إليكَ يَجِلُّ مَعَهُ أَمْرُكَ.

٣ - وَأَنَّى اهْتَـدَى هَذا الـرَّسُولُ بـأَرْضِـهِ وما سَكَنَتْ مُذْ سِرْتَ فيها القَسَـاطِلُ

ثُمَّ يَقُولَ: وأَنَّى لهذا الرَّسُولِ بالهِدَايَةِ في أَرْضِهِ، والتَّحَقُّقِ[4] لِطَرِيقٍ يَسْلُكُهُ في قَصْدِهِ، وما سَكَنَتْ في تلكَ البلادِ عَجاجَاتُ خَيْلِك، ولا فَتَرَتْ فيها قَسَاطِلُ[5] جَيْشِكَ؟

---

(١) في ر، ف «ثم يقول».

(٢) كذا في ر، ف، ت، وفي ف «يشتغل».

(٣) كذا في ر، ف، وفي ت «مخلد».

(٤) كذا في ر، ف، وفي ت «والتحق».

(٥) القساطل: جمع «قَسْطل» وهو الغبار الساطع.

٤ ـ وَمِنْ أيِّ مَـاءٍ كَـانَ يَسْقِي جِيَـادَهُ ولم تَصْفُ من مَزْجِ الدِّمَـاءِ المَناهِـلُ

ثُمَّ قالَ: وعلى أيِّ مِيَاهِ البِلاَدِ كانَ يَنْزِلُ؟ ومِنْ أَيِّها كانَ يَسْقِي؟ وهي بما سَفَكْتَ عليها من الدِّمَاءِ مُمْتَزِجَةٌ، وبما عَمَّمتَها[١] بـه من ذلك آجِنَـةٌ[٢] مُتَغَيِّرَةٌ. يُشِيرُ بجميعِ هذا إلى قُرْبِ عَهْدِ سَيْفِ الدَّولَةِ بِغَزْو الرُّومِ، وتَدْوِيخِهِ لأَرْضِهم[٣]، وسَفْكِهِ لِدِمَائِهِم.

٥ ـ أَتَـاكَ يَكَـادُ الـرَّأْسُ يَجْحَـدُ عُنْقَـهُ وَتَنْقَـدُّ تَحْتَ الـذُّعْـرِ مِنْـهُ المَفَـاصِـلُ

ثُمَّ يقـولُ لِسَيْفِ الـدَّوْلَـةِ: أَتَـاكَ مَلِكُ الـرُّومِ مُتَخَـاضِعَـاً لِهَيْبَتِـكَ، مُتَضَائِلاً[٤] لِجَلاَلَتِكَ، قـد صَيَّرَ[٥] رَأْسَـهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْـهِ، وهي فِعْلَةُ المُتَخَوِّفِ لِلْقَتْـلِ، كَأن عُنُقَـهُ لامْتِثَالِـهِ[٦] وقوعَ السَّيْفِ عليـهِ يَكَادُ يَجْحَـدُ رَأْسَـهُ، وَيُغَيِّبُهُ[٧] بالجُمْلَةِ خَوْفُهُ، وتَكَادُ مُفَاصِلُهُ يَقُدُّها ذُعْرُهُ، وَيَقْطَعُها فَرَقُهُ.

٦ ـ يُقَـوِّمُ تَقْـويمُ السِّمَـاطَـيْنِ[٨] مَشْيَـهُ إليـك إذا ما عَـوَّجَتْـهُ الأَفَـاكِـلُ

---

(١) كذا في ت، وفي ر، ف «عممها».

(٢) في ت «جيفة».

والآجن: الماء المتغير الطعم واللون.

(٣) داخ البلادَ يَدُوخها: قهرها واستولى على أهلها، ودوَّخ المكان: جال فيه.

(٤) في ر، ف «متخاضع... متضائل» وهو لحن.

(٥) في ت «صبر».

(٦) في ت «لتمثاله»، والتِّمْثَال: التمثيل، والامتثال: التصور.

(٧) في ت «يغشيه».

(٨) كذا في رواية الواحدي أيضاً «تقويمُ» بالرفع فاعلاً، وفي رواية التبيـان بالنصب، جعله مصدراً.

والسماطان: الصفان، سِمَاطُ القوم: صفُّهم.

ثُمَّ قالَ: إنَّ ذلك[1] الرَّسُولَ لِهَيْبَتِهِ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ، كان لا يَسْتَقِيمُ مَشْيُهُ، ولا تَسْتَقِرُّ نَفْسُهُ، فكانت الأَفَاكِلُ[2] إذا عَدَلَتْ به قَوَّمَتْهُ الصُّفُوفُ المائِلَةُ، وإذا عوَّجتْ مِشْيَتَهُ صَرَفَتْهُ الجَمَاعَاتُ القَائِمَةُ.

٧ - فَقَاسَمَكَ العَيْنَيْنِ مِنْهُ وَلَحْظَهُ سَمِيُّكَ[3] والخِلُّ الَّذي لاَ يُزَايِلُ

ثُمَّ يقولُ لَهُ: فَقَاسَمَكَ عَيْنَيْ رَسولِ الرُّومِ ولَحْظَهُ، سَيْفُكَ الذي تُدْعَى باسْمِهِ، وخِلُّكَ الذي تَأْنَسُ بِقُرْبِهِ، الذي تَأْلَفُهُ فما يُزَايِلُكَ، وَتَصْحَبُهُ فما يُفارِقُكَ. أرادَ[4]: أنَّ رَسولَ الرُّومِ مَلكَهُ من هَيْبَةِ سَيْفِ الدَّولةِ، ما مَلكه من هَيْبَةِ سَيْفِهِ، واسْتَعْظَمَ من أمْرِ المَلِكِ[5] كالذي استَعْظَمَ من أمْرِ السَّيْفِ، فَأَجَالَ لَحْظَهُ مُتَهَيِّباً للحالَيْنِ، وقَسَمَ نَظَرَهُ مُتَعَجِّباً بَيْنَ الأَمْرين.

٨ - وَأَبْصَرَ مِنْكَ الرِّزْقَ والرِّزْقُ مُطمِعٌ وأَبْصَرَ مِنْهُ المَوْتَ والموتُ هَائِلُ

ثُمَّ قالَ: وَأَبْصَرَ منكَ بِعُمومِ جُودِكَ الرِّزْقَ المُحْيِي[6] فَأَطْمَعَهُ، وأَبْصَرَ من سَيْفِكَ الموتَ الهائِلَ فَأَفْزَعَهُ، فَلاَحَظَكَ بَيْنَ اليأسِ[7] والطَّمَعِ، وقَسَّمَ عَيْنَيْهِ بَيْنَ التَّأْمِيلِ والفَزَعِ.

٩ - وَقَبَّلَ كُمَّا قَبَّلَ التُّرْبَ قَبْلَهُ وَكُلُّ كَمِيٍّ وَاقِفٌ مُتَضَائِلُ

ثُمَّ قالَ: وقَبَّلَ التُّرَبَ قَبْلَ تَقْبِيْلِهِ لِكُمِّكَ، وخَضَعَ فيهِ قَبْلَ وُصُولِهِ إلى

---

(١) في ف «إن هذا».

(٢) الأفاكل: جمع أفكل وهي الرِّعدة التي تعرض عند الفزع.

(٣) في ف «سمنك» وهو تحريف.

(٤) في ت «فأراد».

(٥) في ت «واستعظم من أمره».

(٦) في ر، ف «المحي».

(٧) كذا في ت، وفي ر، ف «الناس».

قُـرْبِكَ[1]، والكُمَـاةُ من أَبْطَالِ رِجَـالِكَ وُقُـوفٌ مُتَضَائِلونَ، والـرُّؤَسَاءُ من خُدَّامِكَ مُثُولٌ مُتَهَيِّبُونَ.

١٠ ـ وَأَسْعَـدُ مُشْتَـاقٍ وأَظْفَـرُ طـالِـبٍ　　هُمَـامٌ إلى تَقْبِيـلِ كُمِّـكَ وَاصِـلُ

ثُمَّ يقولُ: إن[2] أَسْعَدَ مُشْتَاقٍ بِنَيْلِ ما أَمَّلَهُ، وأَظْفَرَ[3] طَالِبٍ ببلوغِ ما حَاوَلَهُ، مَلِكٌ رَفِيْعُ الهِمَّةِ، وَصَلَ إلى تَقْبِيل كُمِّكَ، ومَلِكٌ[4] جَليلُ الرُّتْبَةِ، خَضَعَ فَتَشَرَّفَ بِقُرْبِكَ.

١١ ـ مَـكَـانٌ تَمَـنَّـاهُ الـشِّـفَـاهُ وَدُونَـهُ　　صُدورُ المَذَاكي والرِّماحُ الـذَّوابِلُ[5]

ثُمَّ قالَ، مُرَفِّعاً بِتَقْبِيْلِ كُمِّهِ: [كُمُّكَ][6] مَكانٌ تَمَنَّاهُ الشِّفَاهُ، وتَتَنَافَسُ فيه الأَفْوَاهُ، وَدُونَ[7] الوُصُولِ إليـه، والتَّشَرُّفِ بـالإِكْبَابِ[8] عَلَيْـهِ، خيولُ جُيوشِهِ الغَالِبَةِ[9]، وأَطْرَافُ رِمَاحِهِ الذَّابِلَةِ.

١٢ ـ فـما بَـلَّغَـتْـهُ مـا أَرَادَ كَـرامَـةٌ　　عَلَيْـكَ وَلَكِنْ لم يَخِبْ لَـكَ سَـائِـلُ

يقولُ: فَمَا بَلَّغَتْ رَسولَ الرُّومِ إلى ما بَذَلْتَ لَهُ من سِلْمِكَ، وما شَرَّفْتَهُ

---

(١) في ت «قبل خضوعه له».

(٢) ساقطة من ت.

(٣) ساقطة من ت.

(٤) في ت «ورئيس» وهو الأنسب.

(٥) المذاكي من الخيل: التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان، الواحدة مُذَكٍّ، والذوابل من الرماح: اليابسة العوالي.

(٦) زيادة في ت، ويقتضيها السياق.

(٧) كذا في ت، وفي ر، ف «دون».

(٨) في ت «الانكباب».

(٩) في ت «العالية».



به من تَقْبِيلِ كُمِّكَ، كَرَامَتُهُ عَلَيْكَ، ولا مَنْزِلَتُهُ الرَّفِيْعَةُ عِنْدَكَ، ولكِنَّهُ سَأَلَكَ وأَنْتَ لا تُخَيِّبُ سَائِلَكَ، وأَمَّلكَ وأَنْتَ لا تُضَيِّعُ من أَمَّلَكَ[1].

١٣ ـ وأَكْـبَرُ[2] مِنْـهُ هِمَّـةً بَعَثَـتْ بِـهِ إليـكَ العِدَى واسْتَنْـظَرَتْهُ الجَحَـافِلُ

ثُمَّ قالَ: وأَكْبَرُ مِنْ هذا الرَّسولِ هِمَّةً، وَأَرْفَعُ[3] مَنْزِلَةً وَرُتْبَةً، بَعَثَتْ به إليكَ طَوَائِفُ الأَعْدَاءِ الذين يَطْلُبونَ سِلْمَكَ، وَيَتَوَقَّعُونَ سَطْوَتَك وحَرْبَكَ، واسْتَنْظَرَتْهُ جُيُوشُهم، القدومُ[4] بِجَوابِكَ، واسْتِعْلاَمُ حَقِيْقَةِ رَأْيِكَ.

١٤ ـ فَـأَقْبَلَ مِنْ أَصْحَـابِـهِ وَهـو مُـرْسَـلٌ وعَـادَ إلى أَصْحَـابِـهِ وَهــو عَـاذِلُ

ثُمَّ قالَ: فَأَقْبَلَ من أَصْحَابِهِ، وهو رَسُولٌ[5] مُعَظَّمٌ لهم، وعَادَ إليهم وهو عَاذِلٌ[6] يُزْرِي بهم، لِمَا يَتَبَيَّنُهُ من جَلاَلَتِكَ، وَعِظَمِ شَأْنِكَ، وَيَتَيَقَّنُهُ من ضَعْفِ المُراسِلينَ[7] لكَ على مُقَاوَمَتِكَ، وَلِمَا لَهُمْ من الحَظِّ في الخُضُوعِ لِطَاعَتِكَ.

١٥ ـ تَحَـيَّرَ في سَيْـفٍ رَبِـيْعَـةُ أَصْـلُهُ وَطَـابِعُـهُ الـرَّحْمنُ والمَجْـدُ صَـاقِـلُ

ثُمَّ يقولُ: تَحَيَّرَ ذلكَ الرَّسولُ في سَيْفٍ من سُيُوفِ اللهِ، رَبِيْعَةُ؛ هذهِ القَبِيْلَةُ، أَصْلُهُ، واللَّهُ تَعَالى[8] طَابِعُهُ وصانِعُهُ، والمَجْدُ صَاقِلُهُ ومُظْهِرُ حُسْنِهِ،

(١) كذا في ر، ف، وفي ت «لا تضيّع آملك» ولعلّها الأصوب لتناسبها مع سائلك.
(٢) في رواية الواحدي والتبيان «وأكبر» بالنصب بفعل مضمر تفسيره ما بعده.
(٣) زاد في ت «وأرفع منه».
(٤) في ت «للقدوم».
(٥) في ت «وهو رسول لهم».
(٦) «وهو عاذل» ساقطة من ت.
(٧) في ت «لما تبيّن له من جلالك، وعظم شأنك، وتيقنه من ضعف المرسلين لك».
(٨) في ت «والله عز وجل».



وحَافِظُهُ ورَافِعُ قَدْرِهِ.

١٦ ـ ومـا لَـوْنُـهُ مِمَّـا تُحَصِّـلُ مُـقْـلَـةٌ   ولا حَـدُّهُ ممـا تَجُسُّ الأَنَـامِـلُ

ثُمَّ أَكَّدَ ما قَدَّمَهُ، من تَفْضِيْلِهِ عَلَى السَّيْفِ[١]، فَقَالَ: وما لَوْنُهُ مِمَّا تُحَصِّلُهُ المُقَلُ؛ لأَنَّها مَغْضُوضَةٌ عَنْهُ لِهَيْبَتِهِ، ولا حَدُّهُ مما تَجُسُّهُ الأَنامِلُ، وَلكِنَّهُ سَيْفٌ عِنْدَ سَطْوَتِهِ.

١٧ ـ إذا عَـايَنَتْكَ الـرُّسْلُ هَـانَتْ نُفُوسُهـا   عَلَيْهـا ومـا جَـاءَتْ بـه والمُـرَاسِـلُ

ثُمَّ قالَ، مُخاطِباً لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ: إذا عَايَنَتْكَ الرُّسُلُ، وَعَايَنَتْ جلاَلَتَكَ، وأَبْصَرَتْ وَشاهَدَتْ مَهَابَتَكَ[٢]، تَصاغَرَتْ أَنْفُسُها[٣]، وهَانَتْ عليها رسائِلُها، واسْتَقَلَّتِ المُلوكَ المُرْسِلينَ لها، والرؤساءَ المُوَجِّهينَ بها، وَعَلِمَتْ أَنَّ السَّعَادَةَ في التَّسْلِيمِ لأَمْرِكَ، وحَقِيْقَةَ التَّوفيقِ في التَّمَسُّكِ بِحَبْلِكَ.

١٨ ـ رَجَا الرُّومُ مَنْ تُـرْجَى النَّوَافِـلُ كُلُّها   لَـدَيْـهِ ولاَ تُـرْجَى لَـدَيْـهِ الـطَّوائِـلُ

ثُمَّ يقولُ: رَجا الرُّومُ من سَيْفِ الدَّولـةِ، في إجابَتِهم[٤] إلى الصُّلْحِ الذي رَغِبُوه، مَنْ تُـرْجَى لِمَسْئَلَتِهِ[٥] نَـوَافلُ الخَـيْرِ، وتَرْتَهِنُ بِـطَاعَتِهِ ضُروبُ الفَضْلِ، ولا يَرْجُو مَنْ عَصَاهُ أن يُدالَ عليه، فَيَأْخُذَ بِـطَائِلَتِهِ[٦]، ويَـظْفَرَ

---

(١) «ثم أكد... على السيف» الحقت في ت في شرح البيت السابق.

(٢) في ت «إذا عانيت الرسل جلالتك، وشاهدت مهابتك».

(٣) في ت «تصاغرت عندها أنفسها».

(٤) في ت «إجابته».

(٥) في ت «ممن يرجى بمسئلته».

(٦) في ت «فيأخذه بعداوته».
والطائلة: العداوة والتِّرة.



بإدْرَاكِ تِرَتِهِ[١]، لأنَّ سعادتَه تَمْنَعُ مِنْهُ، وإقْبَالُهُ يُيْئِسُ الأَعْدَاءَ منه[٢].

١٩ ـ فَإِنْ كَانَ خَوْفُ الأَسْرِ والقَتْلِ سَاقَهُمْ   فَقَدْ فَعَلوا ما الأَسْرُ والقَتْلُ فاعِلُ[٣]

ثُمَّ قالَ، مخاطباً له: فإن كَانَ خوفُ القَتْلِ سَاقَ الرُّومَ إليك، مُسْتَجِيرينَ[٤] بما رَغِبُوهُ من السِّلْمِ، فقد فَعَلوا بأَنْفُسِهم بما أَظْهَرُوهُ من الذِّلَةِ، وأَبْدَوْه من الخُضُوعِ والاسْتِكَانَةِ، ما هو كالقَتْلِ في شِدَّتِهِ، ولا يَفْعَلُ القَتْلُ أكثَرَ مِنْهُ في حَقِيْقَتِهِ.

٢٠ ـ فَخَافُوكَ حَتَّى ما لِقَتْلٍ زِيَادَةٌ   وَجَاؤُكَ[٥] حتى ما تُزَادُ[٦] السَّلاسِلُ

ثُمَّ قالَ: فأَبْدَوْا من مَخَافَتِك ما لا يَزِيدُ عليه القَتْلُ[٧]، وفَعَلوا بالاسْتِسْلامِ لك ما لا يَفْعَلُ مِثْلَهُ الأَسْرُ، وأَشَارَ إلى الأَسْرِ بِذِكْرِ السَّلاسِلِ.

٢١ ـ أرَى كُلَّ ذي مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ   كَأَنَّكَ بَحْرٌ والمُلُوكُ جَدَاوِلُ

ثُمَّ يَقولُ: أَرَى كُلَّ ذِي مُلْكٍ مَصِيْرُهُ إلى الخُضُوعِ لَكَ، وغَايَةُ أَمَلِهِ أن يَعْتَلِقَ[٨] بِكَ، فلا مَلِكَ إلا وهوَ وَاقِعٌ تَحْتَ مُلْكِكَ، ولا رَئِيسَ إلاَّ وهو

---

(١) التِّرَة: الثأر.

(٢) كذا في ت، وفي ر، ف «عنه» وما أثبته هو الأصوب.

(٣) في رواية الواحدي والتبيان:

فإن كان خوف القتل والأسر ساقهم   فقد فعلوا ما القتل والأسر فاعل

ولا تباين في الوزن بين الروايتين غير أن خوف القتل سابق على خوف الأسر غالباً.

(٤) في ت «متخيرين لما».

(٥) في ف «وجاءك».

(٦) كذا في رواية التبيان أيضاً، وفي رواية الواحدي «تراد» براء مهملة.

(٧) في ت «ما يزيد على القتل».

(٨) كذا في ت، وفي ر، ف «يعتق» ولعل ما أثبته الصواب.



مُتَصَرِّفٌ على حَسَبِ أَمْرِكَ، كأَنَّكَ في مَصيرِ الممالِكِ إليكَ[1]، وتَزاحُمِ أَرْبَابِها عَلَيْكَ، البَحْرُ الذي إليه مَآلُ الجَداولِ الجاريةِ، وفيه مُسْتَقَرُّ جميعِ الأَنْهَارِ السَّائِلةِ.

٢٢ ـ إذا مَطَرَتْ مِنْهُم ومِنْكَ[2] سَحَائِبُ   فَوَابِلُهُم طَلٌّ وَطَلُّكَ وَابِلُ

ثُمَّ قالَ: فَأَنتَ والمُتَشَبِّهُونَ بكَ من المُلُوكِ، إذا سَاجَلوكَ في جُودِكَ، وتَشَبَّهوا بكَ في فِعْلِكَ، فَأَمْطَروا وأَمْطَرْتَ، وفَعَلوا وَفَعَلْتَ، عفوُكَ[3] يُعْجِزُ جَهْدَهُم، وَطَلُّ عَطَائِكَ يَسْتَغْرِقُ وَبْلَهُم[4]. وَذَكَرَ السَّحائِبَ والطَّلَّ والوابِلَ على سَبيلِ الاسْتِعَارَةِ، وما أَبْدَعَ به من لَطِيْفِ الإِشَارَةِ.

٢٣ ـ كَرِيمٌ مَتَى اسْتُوْهِبْتَ ما أَنْتَ رَاكِبٌ   وَقَدْ لَقِحَتْ[5] حَرْبٌ فإِنَّكَ نَازِلُ[6]

ثُمَّ يَقولُ: إنَّ سَيْفَ الدَّولةِ كَريمٌ، لا يَمْنَعُ من سَأَلَهُ، وجوادٌ لا يَبْخَلُ على من اسْتَوْهَبَهُ، فلو سُئِلَ في حَرْبٍ لاقِحٍ[7] مُقْتَبِلَةٍ، شَدِيْدَةٍ مُشْتَعِلَةٍ، ما يَرْكَبُهُ، لَسَمَحَ به لِسَائِلِهِ، وما يَحْمِلُهُ لما بَعُدَ فيه على طَالِبِهِ، وأَشَارَ بِهذا إلى أَنَّه لا يَمْنَعُ شَيْئاً لِحَاجَتِهِ إليه، ولا يَبْخَلُ به وإن حَلَّتْ عَائِدَتُه عَلَيْهِ.

٢٤ ـ أَذَا الجودِ! أَعْطِ النَّاسَ ما أنتَ مَالِكٌ   ولا تُعْطِيَنَّ النَّاسَ ما أَنا قَائِلُ

---

(١) في ر، ف «المماليك إليه» وفي ت «مصير الملوك وتزاحمها لديك» وما أثبته أقرب إلى المعنى.

(٢) كذا في رواية الواحدي والتبيان، وفي ر، ف «منك ومنهم» والوزن مختل بذلك.

(٣) كذا في ر، ف، والأصوب «فعفوك».

(٤) في ت «وابلهم».

(٥) في ر، ف «لحقت» وهو تحريف.

(٦) كذا في رواية الواحدي أيضاً، وفي رواية التبيان «باذل».

(٧) الحرب اللاقح: الشديدة، على المثل بالناقة التي بدأ الحمل بها.



ثُمَّ قالَ، مُخاطِباً لَهُ: أذا الجودِ! سَامِحِ النَّاسَ فيما تَبْذُلُ لهم من مَالِكَ، ولا تَسْمَحْ لهم بما أَخَلِّدهُ من مَدْحِكَ[1]، يُشيرُ بهذا القولِ إلى تأكيدِ بَصِيْرَتِهِ في تَشْفِيعِ[2] نِعَمِهِ عِنْدَهُ، ومُواصَلَةِ إحْسَانِهِ قِبَلَهُ.

٢٥ ـ أفي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِبْني[3] شُوَيْعِرٌ ضَعِيفٌ يُقَاوِيني قَصِيرٌ يُطَاوِلُ

ثُمَّ يقولُ: أفي كلِّ يَوْمٍ يَمْرُسُ[4] في شُوَيْعرٍ ضَعيفٍ في صِنَاعَتِهِ، قَصِيْرٍ في مَعْرِفَتِهِ، يُقَاوِيني[5] وهو ضعيفٌ لا قُوَّةَ به، يُطَاوِلُني وهو قصيرٌ لا بَسْطَةَ[6] له؟

٢٦ ـ لِسَاني بِنُطْقِي صَامِتٌ عنه عَادِلٌ وَقَلْبِي بِصَمْتِي ضَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلُ

ثُمَّ قالَ: لِساني إذا نَطَقْتُ مُعْرِضٌ عَنْهُ[7]، عَادِلٌ عن مُخَاطَبَتِهِ، وَقَلْبِي إذا صَمَتُّ ضَاحِكٌ منه، هَازِلٌ بِجَهَالَتِهِ. وأشَارَ بهذا إلى الذين[8] كانوا يُنَازِعُونَهُ الشِّعْرَ عِنْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، وما كانَ[9] مِنْ تَقْصِيرِهِمْ عَنْهُ، وبُعْدِهم في الحَقِيْقَةِ منه.

---

(١) قال الواحدي في شرحه «لا تحوجني إلى مدح غيرك» (ج ٢ ص ٥٤٠).

(٢) التشفيع: الزيادة.

(٣) الضِّبن: ما تحت الإبط إلى الكشح والخاصرة.

(٤) كذا في ف، ت، وفي ر «يتمرس».

(٥) يقاويني: يباريني في القوة.

(٦) البسطة: الفضيلة، وفي العلم التوسع، وفي الجسم: الطول والكمال قال تعالى عن طالوت: ﴿إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ (البقرة آية ٢٤٧).

(٧) في ت «إذا نطقت فلساني معرض عنه».

(٨) كذا في ت، وفي ر، ف «الذي».

(٩) في ر، «كانوا» والصواب ما أثبته.



٢٧ ـ وأَتْعَبُ من نَادَاكَ مَنْ لاَ تُجِيْبُهُ   وأَغْيَظُ مَن عَادَاكَ مَنْ لاَ تُشَاكِلُ[١]

ثُمَّ يَقُولُ، على سَبيلِ المَثَلِ: وَأَتْعَبُ حَاسِدِيْكَ بِنِدَائِهِ لَكَ، مَنْ كُنْتَ مُرْتَفِعاً عن مُجَاوَبَتِهِ، وأَشَدُهم تَعَذُّباً[٢] بك، من كُنْتَ مُتَنَزِّهاً عن مُخَاطَبَتِهِ، وأَغْيَظُ أَعْدَائِكَ عليكَ من لا تُشَاكِلُهُ[٣]، وأَكرَمُهُمْ لكَ مَنْ لا تُمَاثِلُهُ.

٢٨ ـ وَمَا التِّيهُ طِبِّي فيهِمُ غَيْرَ أَنَّني   بَغِيضٌ إِليَّ الجَاهِلُ المُتَعَاقِلُ

ثُمَّ قالَ: وما أُعْرِضُ عَنْهُم مُدَاوِياً[٤] بالتِّيهِ لِحَسَدِهم، ولا مُقَارِضاً[٥] بالكِبْرِ لِسَفَهِهِمْ، ولكِنِّي أُبْغِضُ تَعَاقُلَهُمْ مَعَ جَهْلِهم، وما يَتَعَاطَوْنَ من التَّمَامِ مَعَ نَقْصِهِم، ومَنْ كَانَتْ هذه حَالَتُهُ فأنا أُبْغِضُهُ، ومن كَانَ على هذا السَّبِيل فأنا أَكْرَهُهُ.

٢٩ ـ وأَكْثَرُ[٦] تِيْهِي أَنَّني بِكَ وَاثِقٌ   وأَكْثَرُ مَالِي أَنَّني لَكَ آمِلُ

ثُمَّ قَالَ، مُخَاطِباً لِسَيْفِ الدَّولةِ: وأَكْثَرُ ما ارتَفِعُ به ما أُظْهِرُهُ[٧] من الثِّقَةِ بكَ، وأَنْفَسُ مَالٍ[٨] ادَّخِرُهُ ما اعتَقِدُهُ من التَّأْميلِ لك، فإنَّما أَتِيْهُ بِجَمِيْلِ رَأْيكَ[٩]، واسْتَغْنِي بِجَزِيلِ عَطَائِكَ.

---

(١) كذا في رواية الواحدي والتبيان، وفي ر، ف «يشاكل».
(٢) كذا في ت، وفي ر، ف «تعدياً» وهو تحريف.
(٣) في ر، ف «يشاكله» وفي ت «يشاكلك»
(٤) كذا في ت، وفي ر، ف «مدارياً».
(٥) في ت «معارضاً».
والمقارضة: المجازاة.
(٦) كذا في رواية الواحدي أيضاً، وفي رواية التبيان «أكبر».
(٧) في ت «وأكبر ما أترفع به ما أضمره».
(٨) كذا في ت، وفي ر، ف «ما».
(٩) في ت «آرائك».



٣٠ - لَعَلَّ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ القَرْمِ [١] هَبَّةً يَعِيْشُ بها حَقٌّ ويَهْلِكُ باطِلُ

ثُمَّ يقولُ: لَعَلَّ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ انتِبَاهاً يَتَأَمَّلُ به مُغَالَطَةَ هؤلاءِ المُقَصِّرينَ في شِعْرِهِمْ[٢]، المُتَأَخِّرينَ في مَدْحِهِم، فَيَحْيَا بذَلِكَ التَّأَمُّلِ ما أُهدي إليه من الحقِّ[٣]، ويَهْلِكُ مَعَهُ ما يَتَزَيَّنونَ به من البَاطِلِ والإِفْكِ [٤].

٣١ - رَمَيْتُ عِدَاهُ بالقَوافي وَفَضْلِهِ وَهُنَّ الغَوازي السَّالِماتُ القَواتِلُ

ثُمَّ قالَ: رَمَيْتُ عِدَاهُ بما قَيَّدَتْهُ أَشْعَاري من مَدْحِهِ، وما خَلَّدَتْهُ من مَكَارِمِهِ وَفَضْلِهِ، وَهُنَّ الغَوازي السَّالِمَاتُ في غَزْوِهِنَّ، القَاتِلاتُ للأَعْداءِ بِعَفْوِهِنَّ[٥]؛ لأَنَّهُنَّ يُسْرِعْنَ في السَّيرِ[٦] دونَ تكلُّفٍ، ويَقْتُلْنَ مَن اعتَمَدْنَهُ بِغَيْرِ تَخَوُّفٍ.

٣٢ - وقَدْ زَعَموا أن النُّجومَ خَوالِدٌ ولَوْ حَارَبَتْهُ نَاحَ فيها الثَّواكِلُ

ثُمَّ يقول: وَقد زَعَموا أنَّ النُّجومَ لا تَحْيَا وتَهْلَكُ، وتُعْدَمُ وتُوجَدُ، وأَنَّها خَوالِدُ إلى أن تَفْنَى جُمْلَتُها، وتَنْتَقِصُ باقترابِ السَّاعَةِ بُنْيَتُها[٧]، ولو حَارَبَتْ سيفَ الدَّولةِ لانْقَلَبَتْ أَحْوالُها بِسَعْدِهِ، ولَنَالَها[٨] القَتْلُ بإِقْبالِ جَدِّهِ، وأَشَارَ بِنَوْحِ الثَّواكِلِ [٩] إلى ذلكَ.

---

(١) في ف «القوم».

(٢) في ت «أشعارهم».

(٣) «من الحق» ساقطة من ت.

(٤) في ت «الأفك والباطل».

(٥) ساقطة من ت.

(٦) في ت «بالنصر».

(٧) في ت «منها».

(٨) في ت «وأزالها».

(٩) الثواكل: جمع ثاكل، وهي التي فقدت ولدها.

٣٣ ـ وَمَا كَانَ أَدْنَاهَا لَهُ لَو أَرادَهَا   وأَلْطَفَهَا[١] لَوْ أَنَّهُ المُتَنَاوِلُ

ثُمَّ قالَ: وما كانَ أَدْنَاهَا له لو قَصَدَها، وأَلْطَفَها لو حاوَلَ[٢] تناوُلَها؛ يُرِيدُ: أنَّ سَعْدَهُ يُقَرِّبُ لَهُ ما لا يَقْرُبُ مِثْلُهُ، ويُبَلِّغُهُ إلى[٣] ما [لم][٤] يَبْلُغْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ، وهذا من تَزَيُّدِ الشُّعَراءِ الذين يَسْتَجِيزونَ فيه الكَذِبَ، لما يحاوِلُونَهُ من بُلُوغِ غاياتِ[٥] المَدْحِ، وَيَرُومُونَهُ[٦] من استِيْفَاءِ أَرْفَعِ مَنَازِلِ الوَصْفِ.

٣٤ ـ قَرِيبٌ عَلَيْهِ كُلُّ نَاءٍ عن[٧] الوَرَى   إذا لَثَّمَتْهُ بالغُبَارِ القَنَابِلُ

ثُمَّ يقولُ: إنَّ سيفَ الدَّولَةِ إذا قَادَ جَيْشَهُ، وتَقَلَّدَ نَحْوَ العَدوِّ خَيْلَهُ، وَلَثَّمَتْهُ كَتَائِبُهُ، بما تُثِيرُهُ من الغُبَارِ، وما تَبْعَثُهُ من الرَّهَجِ، فكُلُّ ما يَبْعُدُ على غَيْرِهِ، قَرِيبٌ عليه مُرَادُهُ[٨]، وغيرُ بَعيدٍ منه مَكَانُهُ.

٣٥ ـ يُدَبِّرُ[٩] شَرْقَ الأَرْضِ والْغَرْبِ كَفُّهُ   وَلَيْسَ لَهَا وَقْتاً عن الجُودِ شَاغِلُ

ثُمَّ قالَ: يُدَبِّرُ كَفُّهُ المَشَارِقَ والمَغَارِبَ، والدَّوَانِيَ من الأَرضِ والقَوَاصي، ولَيْسَ يَشْغَلُهُ مَعَ ذلك وَقْتاً من الدَّهْرِ شَاغِلٌ عما يُحَاوِلُهُ من أَمْرِهِ، ولا يَعُوقُهُ

(١) كذا في رواية الواحدي والتبيان، وفي ر، ف «أقربها» والصواب ما أثبته، وفي شرح البيت ما يشير إليه.
(٢) في ف «حال».
(٣) ساقطة من ت.
(٤) زيادة في ت ويقتضيها السياق.
(٥) في ف «الغايات».
(٦) في ف «ويرمونه».
(٧) في رواية الواحدي والتبيان «على».
(٨) في ت «مرامه».
(٩) كذا في رواية التبيان أيضاً، وفي رواية الواحدي «تُدَبِّرُ» والكف تذكر وتؤنث.

عَائِقٌ عَمَّا يَبْذُلُهُ من فَضْلِهِ.

٣٦ ـ يُتَبِّـعُ هُـرَّابَ الـرِّجَـالِ مُـرَادُهُ   فَمَنْ فَـرَّ حَرْبـاً عَـارَضَتْـهُ الغـوائِـلُ

يقولُ: إنَّه من إسْعَادِ جَدِّهِ، وما يُمَكِّنُهُ اللَّهُ من أَمْرِهِ، يُتَبِّعُ مَنْ هَرَبَ عَنْهُ من الرِّجَالِ ما يُرِيْدُه بهِ، وَيَعْتَرِضُهُ ما يَعْتَقِدُهُ لهُ، فَمَن فَرَّ عَنْهُ في حَرْبِهِ أَدْرَكَتْهُ[1] في مَأْمَنِهِ[2] غوائِلُ[3] حَتْفِهِ.

٣٧ ـ وَمَنْ فَـرَّ مِنْ إِحْسَـانِـهِ حَسَـداً لَـهُ   تَلَقَّـاهُ مِنْـهُ حَيْثُـمَا سَـارَ[4] نـائِـلُ

ثُمَّ قالَ: وَمَنْ فَرَّ عن إِحْسَانِهِ، فَأَظْهَرَ مُشَارَكَتَهُ، وأَبْعَدَهُ عَنْهُ الحَسَدُ، فاعْتَقَدَ مُجَانَبَتَهُ، تَلَقَّاهُ من سَيْفِ الدَّوْلَةِ حَيْثُما سَارَ، نَائِلٌ يَشْمُلُهُ، وأَدْرَكَهُ منه إِحْسَانٌ يَغْمُرُهُ. يُشِـيرُ إلى أنَّ فَضْلَهُ يَشْمُلُ الحَـاسِدَ والـوَلِيَّ، ويَعُمُّ المُحْسِنَ والمُسِيءَ.

٣٨ ـ فَتىً لا يَـرَى إِحْسَـانَـهُ وهـو كـامِـلٌ   لَـهُ كـامِـلاً حَتَّى يُـرَى وَهـوَ شَـامِـلُ

ثُمَّ[5] يقـولُ مُخْبِراً عَنْـهُ: إِنَّهُ فَتًى لا يَـرَى جليلَ إِحْسَـانِهِ، وكَثِيْرَ[6] إِفْضَالِهِ، وإِنْ بَلغَ فيه أَبْلَغَ غاياتِه، مُسْتَكْمَلاً مُتَمَّماً، حَتَّى يكـونَ شَامِـلاً في ذاتِه، عَامّاً في حَقِيقَتِهِ.

(١) في ف «أركته» وهو تحريف.
(٢) كذا في ف، ت، وفي ر «منامه».
(٣) الغوائل: جمع غائلة، وهي الدواهي.
(٤) كذا في رواية الواحدي والتبيان، وفي ر، ف «كان» وفي شرح البيت ما يدل على صواب ما أثبته.
(٥) ساقطة من ف.
(٦) في ت «كامل».



٣٩ ـ إذَا العَـرَبُ العَرْبَـاء رَازَتْ نُفُـوسَهَـا فـأَنْتَ فَتَاهَـا والمليـكُ الحُـلاحِـلُ

ثُمَّ قَـالَ: إذا العَرَبُ العَـرْبَاءُ الصُـرَحَاءُ، والجِلَّةُ[١] منهم الكُـرَمَـاءُ، رَازوا[٢] أَنْفُسَهُم، وحَصَّلوا [أَمْرَهُمْ][٣]؛ عَلِموا أَنَّك فَتَاهُم جُـوداً ونَجْدَةً، ومَليكُهم[٤] الحُلاَحِل[٥] إقداماً ورِفْعَةً.

٤٠ ـ أَطَـاعَتْـكَ في أَرْواحِهـا وَتَصَـرَّفَتْ بـأَمْـرِكَ والتَفَّتْ عَلَيْهـا القَبـائـل

ثُمَّ قالَ: أَطَاعُـوكَ في[٦] أَرْوَاحِهم وأَنْفُسِهم، وَتَصَرَّفوا عـلى أَمْرِكَ في إيـرَادِهِم وإصْدَارِهم[٧]، والتَفَّتْ قَبَائِلُهمُ على نُصْـرَتِكَ، ودَانَـوا أَجْمَعِين[٨] بالخُضوعِ لِطَاعَتِكَ.

٤١ ـ وَكُـلُّ أَنَـابِيبِ الـقَنَـا مَـدَدٌ لَـهُ وَمَـا تَنْكُتُ الفُـرْسَـانَ إلاَّ العَـوامِـلُ

ثُمَّ يقولُ لَهُ، مُؤَكِّداً لما ذَكَرَهُ من التِفَافِ العَرَبِ عَلَيْهِ[٩]، وانقِيَادِها له: وكلُّ أَنَابِيبِ الرُّمحِ مِمَّا يَمُدُّهُ وَيُعَضِّدُه، ويُعِينُهُ وَيُؤَيِّدُهُ[١٠]، ولكنَّ العَوامِلَ[١١] منها، بها يَنْكُتُ[١٢] الفُرْسَانُ، وبها يكونُ الطِّعَانُ. فَجَعَلَ مَوْضِعَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ

---

(١) الجِلَّة: العظماء السادة.

(٢) رازوا: جربوا.

(٣) زيادة اقتضاها النص، وفي ت «تحققوا أمرهم».

(٤) في ت «علموا أنك سيدهم. . . وملكهم».

(٥) الحُلاحِل: السيد الشجاع الكثير المروءة، ليس له فعل، وجمعه حَلاحل بالفتح.

(٦) زاد في ت «في بذل» وهو الأنسب.

(٧) كذا في ت، وفي ر، ف «إفرادهم وصدرهم».

(٨) في ر، ف «أجمعون» وهو لحن.

(٩) في ت «من التحاق العرب به».

(١٠) في ت «تمده، وتعينه وتؤيده» بالتاء الفوقية.

(١١) العوامل: جمع عامل وهو صدر الرمح، مما يلي السنان.

(١٢) النكت: الطعن، وأصله أن تضرب الأرض بقضيب فيؤثر بها.



من العَرَبِ، وإن كَانَتْ مَدَداً لَهُ، وَمُثَبِّتَةً به، مَوْضِعَ الرُّمحِ الذي به يكونُ الطَّعْنُ، وإليه مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الأَنابيبِ الفِعْلُ.

٤٢ ـ رَأَيْتُكَ لَوْ لَمْ يَقْتَضِ الطَّعْنُ في الوَغَى إليكَ انْقِياداً لاقْتَضَتْهُ الشَّمَائِلُ

ثُمَّ قالَ، مُخاطِباً لَهُ: رَأَيْتُكَ لو لم يَقْتَضِ الطِّعَانُ في الحَرْبِ انقيادَ أعْدَائِكَ لك، وخُضوعَهم لأمْرِكَ، وحَاوَلُوا مُدَافَعَتِكَ بِمَبْلَغِ جَهْدِهم، ورَامُوا ذلك بِظَاهِرِ فِعْلِهم، لاقتَضَتِ[1] انقيادَهم لك شَمَائِلُهم، ولَقَصَرَتْهُم على ذلك طَبَائِعُهم؛ لأَنَّ جِبِلَّتَهُم[2] تُوجِبُ خُضُوعَهم لِطَاعَتِك، وأَنْفُسَهُم تُلْزِمُهم الاعترافَ برئاسَتِك[3].

٤٣ ـ وَمَنْ لم تُعَلِّمْهُ لَكَ الذُّلَّ نَفْسُهُ من النَّاسِ طُرّاً عَلَّمَتْهُ المَنَاصِلُ

ثمَّ قالَ: ومن لم تُعَلِّمْهُ نَفْسُهُ الذُّلَّ لَكَ، وتُرْشِدْهُ إلى[4] الاعتِلاقِ بِكَ، عَلَّمَتْهُ ذلك مَنَاصِلُك[5]، وأَجْبَرَتْهُ عليه جُيُوشُك وكَتَائِبُك، فَمَنْ لم يُطِعْكَ بالاعترافِ والرَّغْبَةِ، أَطَاعَكَ بالاقْتِدَارِ والغَلَبَةِ.

---

(١) في ف «لا نفضت».

(٢) الجِبِلَّة: الخلقة والطبيعة.

(٣) في ت «لرئاستك».

(٤) في ت «وترشده سعادته الاعتلاق».

(٥) في ف «مناصله» والمناصل: جمع منصل: وهو السيف.

وورَدَ عليه رسولُ سَيفِ الدَّولةِ برُقْعَةٍ فيها هذا البيت[١]:

رَأى خَلَّتي من حيثُ يَخْفَى مكانُها ... فكانَتْ قَذَى عَيْنَيهِ حتى تَجَلَّتِ[٢]

وَسَأَلَهُ إجازَتَه، فَأَثْبَتَ تَحْتَهُ في الرُّقْعَةِ[٣]:

١ - لَنا مَلِكٌ ما يَطْعَمُ النَّومَ هَمُّهُ ... مَماتٌ لِحَيٍّ أو حَياةٌ لِمَيِّتِ[٤]

٢ - وَيَكْبُرُ أنْ تَقْذَى بِشَيءٍ جُفُونُهُ ... إذا ما رَأَتْهُ خَلَّةٌ بِكَ فَرَّتِ[٥]

٣ - جَزَى اللَّهُ عَنِّي سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ ... فإنَّ نَدَاهُ الغَمْرَ[٦] سَيْفِي ودَوْلَتِي

---

(١) في شرح الواحدي «وأنفذ سيف الدولة إلى أبي الطيب قول الشاعر»:

سأشكر عمراً إن تراخت منيتي ... أياديَ لم تمنن وإن هي جلّتِ
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلّتِ
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلّتِ

وسأله إجازته.

(ديوان أبي الطيب شرح الواحدي ٢/٥٤٢).

(٢) البيت مع أبيات ثلاثة، فيها البيتان السابقان لعبدالله بن الزبير الأسدي انظر ديوانه ص ١٤٢.)

ونسبت الأبيات لمحمد بن سعيد الكاتب في معجم الشعراء ص ٣٥٩.

(٣) لم تشرح هذه الأبيات في ر، ف.

(٤) معنى البيت: «ما يشتغل بالنوم، إنما همته الحرب والجود، فهو يميت بقتاله الأعداء، ويحيي بنواله أولياءه».

(٥) هو أكبر من أن يتأذى بشيء، يعني أن الأشياء تصغر عن اجتلاب كراهته، فما خالف إرادته عدم» (شرح الواحدي ٢/٥٤٣).

(٦) الغَمْر: الماء الكثير، ومن الناس: الكريم الواسع الخلق.

- ٦٢ -

وَلَّما وافَى رَسُولُ ملكِ الرُّومِ، رأى سيفَ الدَّولةِ يَتَشَكَّى، فقالَ: أَتَراهُ يفرحُ بِعِلَّتِنا، فقالَ أبو الطَّيِّب:

١ - فُـديتَ بِمـاذا يبشِّر[1] الـرَّسـولُ   وأَنْتَ الصَّحيـحُ بـذا لا العَلِيْـلُ

٢ - عَـوَاقِبُ هـذا تَسـوءُ الـعَـدوَّ   وتَـثْـبُـتُ فـيـك وهـذا يَـزولُ

(١) في رواية الواحدي «يُسَرُّ».

أَحْدَثَتْ بَنو كِلابٍ حَدَثاً بِنَواحي بَالِسَ، وَسَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ خَلْفَهُمْ وأبو الطَّيِّب مَعَهُ، فَأَدْرَكَهُم بَعْدَ لَيَالٍ[1] بَيْنَ مائَيْنِ يُعْرَفانِ بالغُبَارَاتِ[2] والخَرَّارَاتِ من جَبَلِ البِشْرِ[3]، فَأَوْقَعَ بهم[4] فَقَتَلَ، ومَلَكَ الحَرِيْمَ فَأَبْقَى عليهِ، وأَحْسَنَ إليه[5]، فَقالَ أبو الطيِّبِ في ذلك بَعْدَ رُجُوعِهِ من هذهِ الغَزَاةِ، أَنْشَدَها إِيَّاهُ في جُمَادَى الآخِرةِ سَنَةَ ثلاثٍ وأَرْبَعينَ وثَلاثِمائَةٍ.

١ - بِغَيْرِكَ رَاعِيَاً عَبِثَ الذِّئَابُ ... وَغَيْرَكَ صَارِمَاً ثَلَمَ الضِّرَابُ

يقولُ، مُخاطِباً لِسَيْفِ الدَّولةِ: بِغَيْرِكَ من الأُمَراءِ، وقَادَةِ النَّاسِ الرُّؤَسَاءِ، عَبِثَتْ ذِئَابُ المُخالِفِينَ، وعلى غَيْرِ رَعَاياكَ أَقْدَمَ شِرَارُ العُصَاةِ المُتَمَرِّدِينَ، وغَيْرَكَ من السُّيُوفِ ثَلَمَهُ[6] الضَّرْبُ، وأَكَلَّهُ الحَرْبُ.

---

(١) كذا في شرح ابن جني ورقة ٣٤ ومعجز أحمد أيضاً.
وديوان أبي الطيب المخطوط ورقة ١٣٦، وفي ر، ف «ليل» وما أثبته الأصوب، إذ في البيت الخامس ما يدل عليه.

(٢) في ف «بالعبرات». والغُبَارات: جمع غُبارة: وهو القطعة من الغبار، اسم موضع، ولعل في الجمع بين الغبارات والخرارات ما يشير إلى قلة ماء الموضع الأول وتناقصه وكثرة ماء الموضع الثاني وتدفقه. وفي معجز أحمد «الغيارات».

(٣) جبل البِشْر: بكسر أوله ثم السكون وهو اسم جبل يمتد من عُرْض إلى الفراتِ من أرض الشام من جهة البادية، وهو من منازل بني تغلب بن وائل (معجم البلدان ١/٤٢٦).

(٤) زاد في الديوان المخطوط «ليلاً».

(٥) في الديوان المخطوط ومعجز أحمد «فأبقى وأحسن إلى الحرم».

(٦) في ر، ف «ثمله» وهو تحريف.

٢ ـ وَتَمْلِكُ أَنْفُسَ الثَّقَلَيْنِ طُرّاً فَكَيْفَ تَحُوزُ أَنْفُسَها كِلَابُ

ثمَّ قالَ، مُخاطِباً له: وَتَمْلِكُ أَنْفُسَ الثَّقَلَيْنِ[1] بِجلالَةِ سُلْطانِكَ، وشُمُولِ إحْسَانِك، فَكَيْفَ تَخْتارُ كِلابُ، هذه القَبِيْلَةُ، أَنْفُسَها عنكَ من بَيْنِ سَائِرِ الثَّقَلَيْنِ، فَتُخَالِفَ أَمْرَكَ، وتُنْكِرَ فَضْلَكَ، هذا أَمْرٌ لا يُمْكِنُ، ومُحَالٌ لا يَحْسُنُ.

٣ ـ وَمَا تَرَكُوكَ مَعْصِيَةً وَلَكِنْ يُعَافُ الوِردُ والموتُ الشَّرَابُ

ثمَّ قالَ: وما تَرَكُوكَ في فِرَارِهم مَعْصِيَةً لكَ، ولا رَحَلُوا من بَيْنِ يَدَيْكَ جَهَالَةً بكَ، ولكنَّهم حَذِروا مِطْوَعَتَكَ، وَمَلَكَتْهُمْ هَيْبَتُكَ، فَعَادوا بالزَّوالِ، واعتَصَموا بالفِرارِ، ويُكْرَهُ الوِرْدُ إذا كانَ الموتُ شَرَابَهُ، ويُحْذَرُ إذا كانَ الحَتْفُ مَآلَهُ.

٤ ـ طَلَبْتَهُمْ[2] على الأَمْوَاهِ حَتَّى تخَوَّفَ أن تُفَتِّشَهُ السَّحَابُ

ثُمَّ يَقُولُ له: طَلَبْتَ بني كِلابٍ على الأَمْوَاهِ التي هي مَظَانُّ الأَعْرابِ في ارْتِحالِها، ومَنَازِلُها عِندَ انْتِقالِها، فَبَلَغْتَ غَايَاتِ تلكَ الفَلَواتِ النَّائِيَةِ، ودَوَّخْتَ[3] أَقاصِيَ[4] تلكَ الرِّمالِ الشَّاسِعَةِ، وَقَرُبَ عليكَ منها ما يَقْرُبُ مِثْلُهُ، وَفَعَلْتَ في التَّوَصُّلِ إليها ما لا يُمْكِنُ غَيْرُكَ فِعْلَهُ، ونِلْتَ من ذَلِكَ ما لَيْسَ السَّحَابُ بِأَبْعَدَ مَنالاً منه، ولا يَخْرُجُ بِشِدَّةِ الامْتِناعِ عنه. وَدَلَّ بِقَوْلِهِ:

---

(١) الثقلان: الإنس والجن، قال أبو زكريا الخطيب «ولو تؤول أنهما العرب والعجم كان وجهاً، لأن الجن لا يظهرون للناس» (النظام ج ١/١٧١).

(٢) في ر، ف «طلبتم».

(٣) دوّخ: أذل وقهر.

(٤) في ر، ف «أقاصر».



«تَخَوَّفَ أَنْ تُفَتِّشَهُ السَّحَابُ» على هذه العِبَارةِ.

٥ - فَبِتَّ لَيَالِياً لا نَوْمَ فِيهَا   تَخُبُّ بِكَ المُسَوَّمَةُ العِرَابُ

ثمَّ قالَ: فبتَّ لَيالياً في طَلَبِكَ لَهُمْ، وأَنْتَ سَاهِرٌ لا تَرْقُدُ، ورَاحِلٌ لا تَسْكُنُ، تَخُبُّ[١] بك وبِمَنْ مَعَك الخَيْلُ المُسَوَّمَةُ[٢]، والعِرَابُ الفُرْهُ المُطَهَّمَةُ[٣].

٦ - يَهُزُّ الجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبَيْهِ   كَمَا نَفَضَتْ[٤] جَنَاحَيْهَا العُقَابُ

ثُمَّ يَقُولُ، مُخَاطِباً له، ومُشِيْراً إلى قُوَّةِ طَلَبِهِ لِبَني كِلابٍ: يَهُزُّ الجَيْشُ مُجَنَّبَتَهُ[٥] حَوْلَكَ، امتِثالاً لِسَيْرِك، واقتِدَاءً بِفِعْلِكَ[٦]، كما هَزَّتِ العُقَابُ جَنَاحَيْهَا طَائِرَةً، ونَهَضَتْ[٧] بهما إلى ما تَعْتَمِدُهُ قَاصِدَةً.

٧ - وَتَسْأَلُ عَنْهُمُ الفَلَواتِ حَتَّى   أَجَابَكَ بَعْضُهَا[٨] وَهُمُ الجَوَابُ

---

(١) الخبب: ضرب من العدو كالرَّمَل، أو أن ينقل الفرس أيامنه جميعاً وأياسره جميعاً، أو أن يراوح بين يديه.

(٢) المُسَوَّمة: الخيل المعلمة.

(٣) العراب: الخيل السليمة من الهجنة - قال أبو الفتح: «العراب: العربيات - قال القتال الكلابي:

جياد بني أبي بكر تسامى   على كل المسوّمة العراب

(النظام ج١ ورقة ١٧٢). والفُرْهُ: جمع فاره وهي النشيطة الحادة القوية، وفي إطلاق الفاره على الفرس خلاف في صوابه (انظر اللسان مادة فره).
والمطهمة: التامة القامة، البارعة الجمال.

(٤) في رواية المعري «كما هزت».

(٥) في ف «مجنبة».

(٦) في ف «لفعلك».

(٧) في ف «نهت».

(٨) في ر، ف «بعضهما».



ثُمَّ قالَ: وَتَسْأَلُ الفَلَواتِ عنهم بِطَلَبِكَ لَهُم، وَيَكْشِفُهَا فيهم تَهَمُّمُكَ بهم، حَتَّى أَجَابَكَ بَعْضُ تلكَ الفَلَواتِ بالإِظْهَارِ عليهم، وأَسْعَدَكَ بالإرشادِ إليهم، وهو الجَوَابُ الذي أَقْنَعَكَ سَمَاعُهُ، والمطلوبُ الذي أَرْضَاكَ بُلُوغُهُ.

٨ ـ فَقَاتَلَ عَنْ حَرِيمِهِم وَفَرُّوا   نَدَى كَفَيْكَ والنَّسَبُ القُرَابُ

ثُمَّ يقولُ: فَقَاتَلَ عن حَرِيمِ[١] بني كَعبٍ لَمَّا فَرُّوا عنك، ولم يَكُنْ لَهُمْ قِبَلٌ بِكَ[٢]، نَدَى كَفَّيكَ[٣] الذي حَسَّنَ لكَ الإعراضَ عن أَمْوَالِهِمْ، وخَفَّفَ عَلَيك تَعْوِيضَ الجُنْدِ من أَنْهَابِهِم، ونَسَبُهم القَريبُ الذي رَاعَيْتَ حُرْمَتَهُ، وَحَفِظْتَ ذِمَّتَهُ.

٩ ـ وَحِفْظُكَ فِيهِم سَلَفَيْ مَعَدٍّ   وأَنَّهُمُ العَشَائِرُ والصِّحَابُ

ثُمَّ قالَ، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ: وَقَاتَلَ عَنهم حِفظُكَ فيهم لِلسَّلَفَيْنِ[٤] من مَعَدٍّ؛ وهما رَبِيْعَةُ وَمُضَرُ، رَبِيْعَةُ جَدُّ سَيْفِ الدَّولةِ، ومُضَرُ أَخُوهُ، وبنو كِلابٍ أَعْقَابُهُ.

فَيَقولُ لسيفِ الدَّولةِ: إنَّه حَفِظَ فيهم هذه القَرَابَةَ القَرِيْبَةَ، وإِنَّهم عَشَائِرُهُ وأَهْلُهُ وأَنْصَارُهُ وحِزْبُهُ، وأَصْحَابُهُ في وَقَائِعِهِ، وأَجْنَادُهُ في مَلاَحِمِهِ.

---

(١) في ف «حريمهم».

(٢) ساقطة من ف.

(٣) «قال أبو الفتح: لم يكن ثَمَّ قتال، وإنما أراد أن ندى كفيك وقرب النسب قاما لهم مقام من يذب عنهم ويقاتل دونهم، لأنهما هما اللذان يرداه عنهم... قال المبارك بن أحمد: لم أرهم تعرضوا لبيان قوله «ندى كفيك» كأنه أراد أنه لم يغنمهم، وكأنه سمح لهم بغنيمة أنفسهم» (النظام ج ١ ورقة ١٧٢) وشرح ابن جنى ورقة ٣٤.

(٤) في ر «للسالفين».



١٠ - تُكَفْكِفُ عَنْهُمْ صُمَّ العَوَالي ... وَقَدْ شَرِقَتْ بِظُعْنِهِمُ الشِّعَابُ[١]

ثُمَّ يقولُ لَهُ: تَدْفَعُ عن بني كِلابٍ صُمَّ الرِّمَاحِ، إبقاءً عليهم، وتَحَرُّجاً من الإيقاعِ بهم، قد شَرِقَتِ الشِّعَابُ بِنَسَائِهِمْ[٢]، وعَجِزُوا عن حِمَايَةِ حَرِيْمِهم.

١١ - وَأَسْقِطَتِ الأَجِنَّةُ[٣] في الوَلاَيا ... وأُجْهِضَتِ الحَوَائِلُ والسِّقَابُ

ثُمَّ قالَ، مؤكِّداً لما ذَكَره من شِدَّةِ حَالِهم: وأَسْقَطَتْ نِسَائُهم الأَجِنَّةَ في وَلاَيا[٤] الرِّحَالِ، مُهْمَلاتٍ لا يُحْفَظْنَ، ومُعْجَلاتٍ عن أن يَنْزِلْنَ[٥]، وأَجْهَضَتِ النَّوْقُ ما في بُطُونِها من الإناثِ الحَوَائِلِ، والذُّكُورِ السِّقَابِ[٦]. يُشِيرُ بهذه الحَالِ في النِّسَاءِ والنَّوْقِ إلى ما صَارَ إليه بنو كِلابٍ من الفِرَارِ الشَّديدِ، ومُطَالَبَةِ الشَّأْوِ البَعِيدِ، وأَنَّ ذلكَ مَعَ إسْرَافِهم فيه لم[٧] يَعْصِمْهُم، وأَنَّ فِرَارَهُمْ مَعَ شِدَّتِهِ لم يَنْفَعْهُم.

١٢ - وَعَمْرٌو وفي مَيَامِنِهِمْ عُمُورٌ ... وَكَعْبٌ في مَيَاسِرِهِمْ كِعَابُ[٨]

---

(١) الظعن: جمع ظعينة، وهي المرأة ما دامت في الهودج، ثم كثر حتى قيل للمرأة ظعينة وإن تكن في هودج.

(٢) شرقت الشعاب بنسائهم: ضاقت كما يضيق حَلْقُ الشَّرِقِ بما فيه.

(٣) زاد في ف «وأسقطت الجناية الأجنة».

(٤) الولايا: جمع الولاية: وهي البرذعة أو ما تحتها، أو الكساء الذي يطرح على ظهر البعير.

(٥) في ف «ينزل».

(٦) الحوائلُ: جمع حائل؛ وهي الأنثى من أولاد الإبل، والسِّقاب: جمع سَقْب وهو ولد الناقة أو ساعة يولد، أو خاص بالذكر.

(٧) ساقطة من ف.

(٨) عمرو وكعب: بطنان هما: عمرو بن كلاب، وكعب بن ربيعة.
(النظام ج ١ ورقة ١٧٢).

ثمَّ يقولُ: إنَّ سَيْفَ الدَّولةِ لَحِقَ بَني كِلابٍ، وهم على ما ذَكَرُوهُ من الرُّعْبِ، والاجْتِهَادِ في الفِرارِ، والتَّنَاهي في سُوءِ الحَالِ، وإنَّ بني عَمْروٍ كانوا مُتَيَامِنِينَ مِنْهُم في حِيْنِ هَرَبِهم، وهم[1] عُمُورٌ. يُشيرُ إلى افتِرَاقِهم وتَقَطُّعِهم، وأنَّ البَطْنَ مِنْهُم صَار بُطُوناً، بِمَا لَحِقَهُمْ من الخَوْفِ، ونَالَهُم من الذُّعْرِ، وكَذَلِكَ كانت بَنُو كَعْبٍ مُتَيَاسِرينَ منهم، لَحِقَهُمْ من الافتِرَاقِ والخَوْفِ كالذي لَحِقَهُمْ، فَصَارُوا كُعُوباً. يُشِيرُ إلى انصِداعِ جَمْعِهم، وافتراقِ شَمْلِهِم. وأنَّ[2] القَبِيْلَةَ منهم صَارَتْ قَبَائِلَ؛ بتَحَزُّبِهم في هَرَبِهم، وتَقَطُّعِهم في سَيْرِهم.

١٣ ـ وَقَدْ خَذَلَتْ أَبُو بَكْرٍ بَنِيْهَا وَخَاذَلَهَا قُرَيْطٌ[3] والضِّبَابُ

ثُمَّ أَكَّدَ ذلكَ، فَقَالَ: إنَّ أَبَا بَكرٍ، هذا البَطْنَ[4]، تَخَاذَلَ فَضَيَّعَ الآباءُ منهم أبنَاءَهم، والرُّؤوسُ المُرْتَفِعَةُ فَضَائِلَهُم، وكذلك خَذَلَتْهُم ضِبَابٌ وَقُرَيْطٌ، وهم إخْوَتُهُم وعَشَائِرُهُم.

١٤ ـ إذا مَا سِرْتَ في آثَارِ قَوْمٍ تَخَاذَلَتِ الجَمَاجِمُ والرِّقَابُ

ثُمَّ أَكَّدَ ما قَدَّمَهُ، فيما أَحَاطَ بهذهِ القَبَائِلِ من مَخَافَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، فَقَالَ مُخَاطِباً له: إذا ما سِرْتَ في طَلَبِ قَوْمٍ يَهْرُبونَ عَنْكَ، تَخَاذَلَتْ[5] أَعْضَاؤُهم

---

(١) في ف «وهو».

(٢) ساقطة من ف.

(٣) كذا في رواية الواحدي أيضاً، وفي رواية ابن المستوفي والتبيان «قريظ» بالظاء.

(٤) «قال أبو الفتح بن جنى: «جعل أبا بكر قبيلة» فلذلك أنَّث.

(٥) (التبيان ٧٧/١، النظام ج ١ ورقة ١٦٩).

(٦) لم يفسر الأفليلي مقصود التخاذل، وقد اختلف الشراح في ذلك اختلافاً بيناً؛ فأصل التخاذل عند ابن جني: التأخر، وإذا تأخرت الجمجمة والرقبة فقد تأخر الإنسان. وعند أبي الفضل العروضي قطع السيوف للجماجم والرقاب، ويراه الواحدي في تبرىء الرؤوس من الأعناق، وهو الضعف عند المعري.

(انظر التبيان ٧٨/١ والنظام ج ١ ورقة ١٧٣).

المُتَّصِلَةُ، فكَيْفَ تَظُنُّ بِعَشَائِرِهِم المُقْتَرِبَةُ؟ وأشَارَ بما ذَكَرَهُ من تَخاذُلِ الجَماجِمِ والرِّقَابِ إلى هذهِ الحَالِ، ودَلَّ على أنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ قَادِرٌ عَلَى مَنْ يَطْلُبُهُ، مُؤَيَّدٌ في جَميعِ ما يَقْصُدُهُ.

١٥ - فَعُدْنَ كَمَا أُخِذْنَ مُكَرَّمَاتٍ عَلَيهِنَّ القَلائِدُ والمَلاَبُ

ثُمَّ يقولُ: إنَّ نِسَاءَ بني كِلابٍ عُدْنَ إليهم بَعدَ ظُهُورِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ عليهم، مُكَرَّمَاتٍ بما أَحَاطَ ببني كِلابٍ من عَفْوِهِ، لم تَنَلْهُنَّ مَعَرَّةُ الجَيْشِ، ولا لَحِقَهُنَّ امتِهَانُ السَّبْيِ، بل عُدْنَ إليهم، لم يُنْهَبْ حَلْيُهُنَّ، ولا تَغَيَّرَ[1] طِيبُهُنَّ. وأَشَارَ إلى هذا بِذِكْرِهِ القَلائِدِ والمَلاَبِ[2]، ودَلَّ على ما كانَ عليه هَؤُلاءِ النِّسَاءِ من الصِّيَانَةِ وظَاهِرِ الكَرَامَةِ.

١٦ - يُثِبْنَكَ بالَّذي أَوْلَيْتَ شُكْراً وأَيْنَ مِنَ الَّذي تُولي الثَّوَابُ

ثُمَّ قالَ، يُخَاطِبُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ، ويُخْبِرُ عَنْ هَؤُلاءِ النِّسْوَةِ: يُثِبْنَكَ في رُجُوعِهِنَّ شُكْراً عن عَفْوِكَ، وثَنَاءً جَمِيلاً عن فَضْلِكَ، وأَيْنَ ثَوَابُ شُكْرِهِنَّ من جَليلِ إنْعَامِكَ، وما أَحَاطَ بِهِنَّ من تَطَوُّلِكَ وإحْسَانِكَ؟

١٧ - وَلَيْسَ مَصِيرُهُنَّ إِلَيْكَ سَبْياً[3] ولا في صَوْنِهِنَّ لَدَيْكَ عَابُ

ثُمَّ يَقُولُ: وَلَيْسَ مَصِيرُ هؤلاءِ النِّسْوَةِ إليكَ سَبْياً نَالَهُنَّ، ولا مَكْرُوهاً حَلَّ بِهِنَّ، لأَنَّكَ سَيِّدُ العَرَبِ، والمُنْفَرِدُ عَلَيْهِم بالنِّعَمِ، ومِثْلُكَ لا يُخَافُ على تَضْييعِ حُرَمِهِمْ، ولا يُظَنُّ به تَنَاهي ذِمَمِهِم، وَلَيْسَ في صَوْنِكَ لِنسائِهِم،

---

(١) في ف «تغيرت».

(٢) الملاب: ضرب من الطِّيب أو العطر أو الزعفران، وهو فارسي معرَّب.

(٣) كذا في رواية ابن جني وابن المستوفي أيضاً.
وفي رواية الواحدي «شيناً» وفي رواية التبيان «شيئاً».

وتَغَلُّبِكَ على حَرِيْمِهِم ما يُعَابون به، ولا يَأْلَـمُونَ له، لِأَنَّك سَيِّدُ عَشَائِرِهِمْ، ومُشَيِّدُ فَضَائِلِهِم.

١٨ ـ ولا في فَـقْـدِهِـنَّ بـني كِـلاَبٍ إذا أَبْـصَـرْنَ غُـرَّتَـكَ اغْـتِرَابُ

ثُمَّ قالَ: ولا في فَقْدِ هؤلاءِ النِّسْوَةِ لِبَني كلابٍ، الذين هم حَرَمُهُم، اغـترابُ يَلْحَقُهُنَّ، إذا أَبْصَرْنَ غُـرَّتَـكَ، وَتَبَـوَّأْنَ محلَّكَ؛ لأنهنَّ مَشْمُـولاتٌ بكرامَتِك، محْفُوظاتٌ بِصِيَانَتِك.

١٩ ـ وَكَيْفَ يَـتِمُّ بَـأْسُـكَ في أُنَـاسٍ تُـصِـيبُـهُـمْ فَـيُؤْلِمُـكَ الْمُـصَـابُ

ثُمَّ قالَ: وكَيْفَ يَتِمُّ بَأْسُكَ في بَني كِلابٍ، ومُصَابُهُم يُؤْلِمُكَ، وما تَنالُهم به من العِقَابِ يُوجِعُكَ؛ لِأَنَّ لهم إليك مَاتَّةَ[1] القَرَابَـةِ، ويتوَسَّلُونَ بِحُـرْمَةِ الصَّنِيْعَةِ، فإن أَغْضَبُوكَ بِمَعْصِيَتِهم لك، فَسَيَعْطِفُكَ عليهم اسْتِحْكَامُ ثِقَتِهم بِكَ.

٢٠ ـ تَـرَفَّـقْ أَيُّهـا الْمَـوْلَى عَـلَيْـهـم فـإن الـرِّفْـقَ بـالجـاني عِـتَـابُ

ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: تَرَفَّقْ أَيُّها الْمَوْلَى بِبني كِلابٍ صَنَائِعِكَ، فإِنَّ الرِّفْقَ يَكْشِفُ للجاني مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ، كالذي يَكْشِفُ له العِتَابُ الذي يُوَبَّخُ فيه بِذَنْبِهِ.

٢١ ـ وإِنَّهمْ عَـبِـيْـدُكَ حَـيْـثُ كَـانُـوا إذا تَـدْعُـو[2] لِحَـادِثَـةٍ أَجَـابُـوا

ثُمَّ قالَ: وَهُمْ حَيْثُ كانوا عَبيدُ نِعْمَتِكَ، وأَنْصَارُ دَعْوَتِكَ، إذا دَعَوْتَهُمْ أَسْرَعوا نَحْوَكَ، وإذا أَمَرْتَهُمْ امْتَثَلوا أَمْرَكَ.

---

(١) الماتة: الحرمة والوسيلة.

(٢) في ف، ت «تدعوا».



٢٢ ـ وَعَـيْنُ المُخْطِئِـينَ هُمُ[٢] وَلَيْسُـوا ... بِـأَوَّلِ مَـعْشَرٍ خَـطِئُـوا فَـتَـابُـوا

ثُمَّ يَقولُ لَهُ: وَبنو كِلابٍ عَيْنُ المُخْطِئِينَ في الإِقْدامِ على مَعْصِيَتِكَ، مَعَ الإِقْرَارِ بِسَالفِ نِعْمَتِكَ، ولَيْسُوا بأَوَّلِ مَنْ أَثِمَ فَتَابَ عن إِثْمِهِ، وغَوَى فاسْتَبْصَرَ وَرَجَعَ عن غَيِّهِ.

٢٣ ـ وأَنْتَ حَيَـاتُهُـمْ غَضِبْتَ عَـلَيْـهِـمْ ... وَهَـجْـرُ حَيَـاتِهِم لَهُـمُ عِـقَـابُ

ثُمَّ قَالَ لَهُ: وأَنْتَ لهم كالحَيَاةِ التي لها يَسْعَونَ، وبها يَعِيشُونَ، وهَجْرُ حَيَاتِهِم لهم عِقَابٌ عَمَّا جَنَوْهُ، وجَزَاءٌ بَالِغٌ فيما أَتَوْهُ.

٢٤ ـ ومـا جَهِلَتْ أَيَـادِيـكَ الـبَـوَادِي ... وَلـكِـنْ رُبَّـمَـا خَـفِـيَ الـصَّـوَابُ

ثُمَّ قالَ لَهُ: وما جَهِلَ أَهْلُ البَادِيَةِ من الأَعْرَابِ فَضْلَكَ عليهم، وآثَارَكَ المَشْكُورَةَ فيهم، ولَكِنْ حُرِمُوا الصَّوَابَ في فِعْلِهِم، والسَّدَادَ في أَمْرِهِم، وقد يَخْفَى الصَّوَابُ على قَاصِدِهِ، وَيَبْعُدُ السَّدَادُ على طَالِبِهِ.

٢٥ ـ وَكَـمْ ذَنْـبٍ مُـوَلِّـدُهُ دَلاَلٌ[١] ... وكَـمْ بُـعْـدٍ مُـوَلِّـدُهُ اقـتِرَابُ

ثُمَّ قَالَ، مُشيراً إلى ثِقَةِ بَني كِلابٍ بتَجاوزِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ عَنْهُم، أَخْرَجَهُم إلى ما أَنْكَرَهُ منهم: ورُبَّ ذَنْبٍ قَادَ الدَّلاَلُ إليهِ، وقُرْبٍ ضَرَّ صَاحِبَهُ فَأَحْدَثَ البُعْدَ عليه.

٢٦ ـ وَجُـرْمٍ جَـرَّهُ سُـفَـهَـاءُ قَـوْمٍ ... وَحَـلَّ بِـغَـيْرِ جَـارِمِـهِ العَـذَابُ

(١) هذه هي الرواية الشائعة، ويروى «وعين الخاطئين هم» ليوافق خطئوا.
(النظام ج ١ ورقة ١٧٤).

(٢) في ر، ف «ذلال» بدال معجمة وهو تصحيف.



ثُمَّ قالَ: ورُبَّ جُرْمٍ أَحْدَثَهُ سُفَهَاءُ قَوْمٍ عَلَى سَادَاتِهم، وخَالَفُوا فيه رَأْيَ جَمَاعَتِهم، فَطُولِبَ رُؤَسَاؤُهم بما جَنَاهُ سُفَهَاؤُهم، فَنَالَهُم العَذَابُ مَعَ البَرَاءَةِ، وَحَلَّ بهم العَذَابُ مَعَ السَّلامَةِ، وأَشَارَ إلى أَنَّ القَوْمَ الذينَ أَوْقَعَ بهم سَيْفُ الدَّوْلَةِ من رُؤَسَاءِ بني كِلاب لم يَشْرَكوا السُّفَهَاءُ مِنْهُم في خُرُوجِهم من طَاعَتِهِ، وإِظْهَارِهِمْ الإقدامَ على مَعْصِيَتِهِ.

٢٧ ـ فَـإِنْ هَـابُـوا بِـجُـرْمِهِم عَـلِيًّـاً فَـقَـدْ يَـرْجُـو عَلِيًّـاً مَـنْ يَهَـابُ

ثُمَّ يَقولُ: فإن هَابَ بنو كلابٍ عَلِيَّاً؛ سَيْفَ الدَّوْلَةِ، بِذَنْبِهم الذي أَتَوْهُ، وجُرْمِهِم الذي جَنَوْهُ، فَلَيْسَ ذلك مما يَقْطَعُ رَجَاءَهُم فيه، وَيَرُدُّ وَسَائِلَهم إليه، فَسَائِرُ رَعَايَاهُ يَرْجُونَهُ ويَهَابُونَهُ، وَيُؤَمِّلُونَهُ ويَخَافُونَهُ.

٢٨ ـ وإِنْ يَـكُ سَيْفَ دَوْلَـةِ غَـيْرِ قَيْسٍ فَـمِـنْـهُ جُلُودُ قَـيْسٍ والـثِّـيَـابُ

ثُمَّ قالَ: وإِنْ كانَ سَيفُ الدَّولةِ مَنْسُوباً إلى بني العَبَّاسِ بالخِدْمَةِ، ومآلُهم إلى خِنْدِفَ[1]، وإلى بني تَغْلِبَ بالنِّسْبَةِ، ومآلُهم إلى رَبِيْعَةَ، وقَيْسٌ بَيْنَ القَبِيْلَتَيْنِ[2] فقد قَرُبَتْ منه قَيْسٌ بإِحْسَانِهِ إِلَيْهِم، واتَّصَلُوا به بِمَا أَسْلَفَهُ من صَنَائِعِهِ الجميلةِ فيهم، فَجُلُودُهم من نِعَمِهِ، وَثِيَابُهم من هِبَاتِهِ وخِلَعِهِ.

٢٩ ـ وَتَحْتَ رَبَـابِـهِ نَـبَـتُـوا وأَثُّـوا[3] وفي أَيَّـامِـهِ كَـثُروا وَطَـابُـوا

---

(١) خِنْدِف: بكسر الخاء وسكون النون وكسر الدال، هي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة، سميت بذلك لأن إبل زوجها الياس بن مضر نفرت من أرنب فخرجت تمشي الخندفة، وهي مشية تبختر، أو هي الخندفة مشية كالهرولة، إذا قال لها زوجها أين تخندفين. (انظر الأنساب للسمعاني ج ١/٤٦٥ ـ ٤٦٦).

(٢) قيس قبيلة من كلاب.

(٣) الرباب: السحاب الأبيض، أو هو غيم يتعلق بالغيم من تحته أسود قليلاً.
وأثَّ النبت يئثُّ أثَّاً، إذا كثر، ولما استعار الرباب للإحسان جعل الذين مطروا نبتوا به. (النظام ج ١ ورقة ١٧٤).



ثمَّ يقولُ: إنَّ بَني كِلابٍ صَنائِعُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، أَنْبَتَتْهُم سَحَائِبُ نِعَمِهِ، [وعَمَّتْهُم][1] سَوَالِفُ سُنَنِهِ، فكَثُرَ عَدَدُهُم في أَيَّامِهِ، وطَابَ خَبَرُهُم بما شَمَلهُم من إنْعَامِهِ.

٣٠ ـ وتَحتَ لِـوائِـهِ ضَرَبـوا الأَعَـادي   وَذَلَّ لَهُـمْ من الـعَـرَبِ الصِّعَـابُ

ثُمَّ قالَ، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ، من ذِكْرِ اتِّصَالِهم به: وتَحْتَ لِوَائِهِ ضَرَبوا مِنْ أَعَادِيه مَنْ خَالَفَهُ وعَصَاهُ، وأَذَلَّ بهم مِنَ العَرَبِ مَنْ استَصْعَبَ عَلَيهِ ونَوَاهُ.

٣١ ـ وَلَـوْ غَـيْرُ الأَمِـيرِ غَـزَا كِـلاَبـا   ثَـنَـاهُ عَن شُـمُـوسِـهِـمُ ضَبَـابُ

ثمَّ يقولُ: وَلَو غَـيْرُ سَيْفِ الدَّوْلَـةِ غَزَا كِـلاَبَا؛ هـذه القَبِيْلَةَ، لأَعْيَاهُ أَمْرُهُم، وَلأَفْزَعَهُ بَأْسُهُمْ، وَلَثَنَـاهُ عن الاسْتِضَاءَةِ بِشُمُـوسِ بلادِهم عَجَـاجُ كَتَائِبِهم، وسَاطِعُ رَهَجِ مَوَاكِبِهم، وجَمَعَ الشَّمْسَ علـى التَّجوُّزِ، كَـأَنَّهُ جَمَـعَ شَمْسَ كلِّ يَوْمٍ شَمْساً على حِيالِها، وأَشَارَ بالضَّبَابِ إلى الرَّهَجِ[2].

٣٢ ـ وَلاَقـى دُونَ ثَـأيِهِـمُ[3] طِـعَـانَـاً   يُـلاَقي عِنْـدَهُ الـذِّئْـبَ الغُـرَابُ

ثُمَّ قالَ: وَلاَقى دونَ بُيوتِهم، وأَشَار إليها بالثَّأْي[4]؛ لأنَّها إنما تكونُ

---

(١) زيادة اقتضاها النص، وفي ر، ف فراغ.

(٢) أجرى الأفليلي لفظ الشمس والضباب على الحقيقة، مخالفاً أغلب الشراح الذين منهم من عدَّ الشمس كناية عن النساء أو وجوه القوم في صباحتهم وكرمهم، أو الديار التي تطلع الشمس عليها، والضباب كناية عن المحامين دون النسـاء، ومنهم من جعل الشمس مثلاً للسادة والضباب مثلاً للرعاع. (انظر شرح الواحدي ٥٤٧/٢، النظام ج ١ ورقة ١٧٤ ـ ١٧٥).

(٣) في ر، ف «تأيهم» وهو تصحيف.

(٤) قال أبو الفتح: الثأي جمع ثاية، وهي الحجارة حول البيوت يأوي الراعي إليها ليلاً (النظام ج ١ ورقة ١٧٥ وشرح ابن جنى ورقة ٣٧.)



بِقُرْبِها، قتالاً صَادقاً، وطِعَاناً نَافِذاً، يَكْثُرُ القَتْلُ به، وتَعْظُمُ[1] الوَقَائِعُ فيه، ويلتقي عنده الذِّئَابُ والغِرْبَانُ، يُشِيرُ إلى ما كان يَعْتَمِدُ القَتْلَى من سِباعِ البَرِّ وطيورِ الجوِّ.

٣٣ ـ وَخَيْلاً تَغْتَدي ريحَ المَوامِي[2] وَيَكْفِيها مِنَ الماءِ السَّرَابُ

ثُمَّ قالَ: ويُلاقي من خيولهم خَيْلاً، لا تُمَاثَلُ في سُرْعَتِها، ولا تُقَاوَمُ في شِدَّتِها، تَغْتَدي في الفَلَواتِ بِرِيَاحِها، وتَرْتَوي في الهَوَاجِرِ بِسَرَابِها. يُشِيرُ إلى أنَّها تَجْتَزِئُ بألْبَانِ الإبلِ عن العَلَفِ والماءِ، وكذلك تَكُونُ خَيْلُ الأَعْرَابِ.

٣٤ ـ وَلَكِنْ رَبُّهُمْ[3] أَسْرَى إليهم فَما نَفَعَ الوُقُوفُ ولا الذَّهَابُ

ثُمَّ يَقُولُ، مُشِيراً إلى سَيْفِ الدَّوْلَةِ؛ وَلَكِنْ بَنو كِلابٍ مَعَ مَنَعَتِهم، لما أَسْرَى إليهم مَالِكُهم، خَضَعوا لأَمْرِهِ، وعَجِزُوا عَنْ حَرْبِهِ، فلم يَنْفَعِ الواقفَ وقُوفُهُ؛ لِلْغَلَبَةِ المحِيْطَةِ به، ولا نَفَعَ الذَّاهِبَ ذَهَابُه؛ للطَّلَبِ المُدْرِكِ لَهُ.

٣٥ ـ ولا لَيْلٌ أَجَنَّ ولا نَهَارٌ وَلاَ خَيْلٌ حَمَلْنَ وَلا رِكَابُ

ثُمَّ يقولُ، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ: ولا اللَّيلُ أَجَنَّ[4] من حَاوَلَ الاسْتِتَارَ به، ولا النَّهارُ نَفَعَ من رَامَ الفِرَارَ فيه، ولا الخَيْلُ حَمَلَتْ مَنْ رَكِبَها لِسُرْعَتِها، ولا الرِّكَابُ أَقَلَّتْهُ لِقُوَّتِها، يريدُ: أنَّ جَيْشَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ أَدْرَكَ جَميْعَهُم، ومَلَكَ حَرِيْمَهُم.

---

(١) في ر، ف «ويعظم».

(٢) في ف: «الموالي» الموامي: جمع موماة، وهي الفلاة.

(٣) في ر، ف «ريهم» وهو تصحيف.

(٤) جَنَّ عليه الليل وأَجَنَّه: ستره بظلمته.

٣٦ ـ رَمَيْتَهُمْ بِبَحْرٍ مِنْ حَدِيدٍ   لَهُ في البَرِّ خَلْفَهُمُ عُبَابُ[١]

ثُمَّ يَقُولُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ: رَمَيْتَهُم من جَيْشِكَ بِبَحْرٍ من حَدِيدٍ؛ لِكَثْرَةِ السِّلاَحِ فيه، أَحَاطَ بهم أَوَّلُهُ، وزَخَرَ خَلْفَهُمْ مُعْظَمُهُ.

٣٧ ـ فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمُ حَرِيرٌ   وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمُ تُرَابُ

ثُمَّ قَالَ: فَأَتَاهُم أَوَّلُ الجَيْشِ مَسَاءً، والحَرِيرُ بُسْطُهُم، والرَّفَاهِيَةُ حَالُهُم، وَوَافَتْهُمْ جُمْلَتُهُ نَهاراً؛ وهم أَسَارَى مَنْهُوبونَ؛ التُّرابُ بُسْطُهم، والخُضُوعُ شَأْنُهم.

٣٨ ـ وَمَنْ في كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ   كَمَنْ في كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ[٢]

ثُمَّ أَكَّدَ ذلكَ، فقالَ: ومَنْ يَحْمِلُ قَنَاةً لِلْقِتَالِ من رِجَالِهِم، كَمَن يَسْتَعْمِلُ خِضَاباً للزِّينَةِ من نِسَائِهِم، قد تَسَاوَوا بالتَّحكيم في أَنْفُسِهِم، وتَمَاثَلُوا في الإلقاءِ بأَيْديهِم، وصَارَ رِجالُهُم كنِسَائِهِم، وأَشِدَّاؤُهم كضُعَفَائِهِم[٣].

٣٩ ـ بَنُو قَتْلَى أَبِيكَ بِأَرْضِ نَجْدٍ   وَمَنْ أَبْقَى وَأَبْقَتْهُ الحِرَابُ

ثُمَّ يقولُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ: إِنَّ بني كِلابٍ الذين أَوْسَعْتَهُم عَفوَكَ، قد أَوْقَعَ أَبُوكَ[٤] بِأَرْضِ نَجْدٍ بآبائِهم، وَعَفَا بالقُدْرَةِ عن أَسْلاَفِهِم، فَفَعَل فيهم

---

(١) العُبابُ: كثرة الماء، والمطر الكثير، وعباب السيل معظمه وارتفاعه وموجه.

(٢) روى المبارك بن أحمد المستوفي هذا البيت قبل البيت السادس والثلاثين.
انظر النظام ج ١ ورقة ١٧٥.

(٣) قال أبو الفتح في شرح هذا البيت: يحتمل وجهين: أحدهما: أنه شبههم بالنساء اللائي في أكفهن خضاب، والثاني: أنه قتلهم فخضب أكفهم بالدم.
(النظام ج ١ ورقة ١٧٥).

(٤) يريد: أبا الهيجاء والد سيف الدولة، إذ أوقع ببني كلاب (القرامطة) لما هم بالحج، أو بعد =



كفِعْلِكَ، وبذلَ لهم كالذي بَذَلْتَهُ من فَضْلِكَ.

٤٠ ـ عَفَا عَنْهُمْ وَأَعْتَقَهُمْ صِغَاراً[١]   وفي أَعْنَاق أَكْثَرِهِمْ سِخَابُ

ثُمَّ قالَ: شَمَلَهُم عفوُكَ، ونَالَ جَمِيْعَهُم عِتْقُهُ[٢]، وهم صِغَارٌ في أَسْنَانِهِم، أَطْفَالٌ في أَحْوَالِهِم، تُتَخَذُ لهم السِّخَابُ[٣] والتَّمائِمُ، وَتُعلَّقُ عليهم المَعَاذاتُ والقلائِدُ.

٤١ ـ وَكُلُّكُمُ[٤] أَتَى مَأْتَى أَبِيهِ   فَكُلُّ فِعَالِ كُلِّكُمُ عُجَابُ

ثُمَّ يقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: وكُلُّكُم حَكَى أَبَاهُ في فِعْلِهِ، وتَلاَهُ فيما أَسْلَفَهُ من فَضْلِهِ، فَكُلُّ أَفْعَالِ كُلِّكُم عَجِيْبٌ عِنْدَ سَامِعِهِ، جَلِيلٌ عِنْدَ ذاكِرِهِ.

٤٢ ـ كَذَا فَلْيَسْرِ مَنْ طَلَبَ الأَعَادِي   وَمِثْلَ سُرَاكَ فَلْيَكُنِ الطِّلاَبُ

ثُمَّ قالَ، مخاطباً له: [كذا][٥] فَلْيَسْرِ مَنْ طَلَبَ أعادِيه، وحَاوَلَ عِقَابَ مُخَالِفيه، ومِثْلَ سُراكَ على بني كِلابٍ، فَلْيَكُنِ الطَّلَبُ والعَزْمُ، ومِثْلَ نفَاذِكَ فيهم فَلْيَكُنِ النَّفَاذُ والحَزْمُ.

= أن فرغ منه. (انظر الفسر ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

قال أبو العلاء العري: «وكان الظفر في هذا اليوم للعرب، فادعى أبو الطيب أن الظفر كان لأبي الهيجاء» (النظام ج ١ ورقة ١٧٥).

(١) في ر، ف «قديماً».

(٢) الضمير يرجع إلى أبي الهيجاء والد سيف الدولة.

(٣) السِّخَابُ: قلادة من قرنفل ومَحْلَب بلا جوهر، تلبسها المرأة والصبيان، جمعها سُخُبٌ.

(٤) في ف «وكلُّهم».

(٥) ما بين معكوفتين زيادة اقتضاها النص.



وسَارَ سَيْفُ الدَّولةِ نَحْوَ ثَغْرِ الحَدَثِ[١] لِبنائِها، وكانَ أَهلُها أَسْلَمُوهَا[٢] بالأَمَانِ إلى الدُّمُسْتُقِ سَنَةَ سَبْعٍ وثَلاثِينَ وثَلاَثِمِائةٍ، فنزَلها سَيْفُ الدَّوْلَةِ يَومَ الأَرْبعاءِ لاثنَتَي عَشرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ من جُمَادَى الآخِرَةِ من سَنَةِ ثَلاثٍ وَأَرْبَعِينَ وثَلاثِمائَةٍ، فَبَدَأَ في يَوْمِهِ فَخطَّ[٣] الأَسَاسَ، وَحَفَرَ أَوَّلَهُ بِيَدِهِ ابْتِغَاءَ ما عِنْدَ اللهِ[٤]، فلمّا كان يَوْمُ الجُمُعَةِ نَازَلَهُ ابنُ الفُقَاسِ؛ دُمُسْتُقِ النَّصرانِيَّةِ، في خَمْسِينَ أَلْفِ فَارِسٍ وراجِلٍ، من جُموعِ الرُّوم والأَرْمَنِ والرُّوسِ والبُلْغرِ وَالصَّقْلَبِ والجَزْرِيَّةِ[٥]. وَوَقَعت المُصافَّةُ يومَ الاثْنَيْن، انسلاخَ جُمادَى الآخِرةِ، من أَوَّلِ النَّهَارِ إلى وَقْتِ العَصْرِ، وأَن سَيْفَ الدَّوْلَةِ حَمَلَ عليه بِنَفْسِهِ في نَحْو خَمْسِ مائَةٍ من غِلْمَانِهِ، وأَصْنَافِ رِجَالِهِ، فَقَصَدَ مَوْكِبَهُ وهَزَمَهُ، وأَظْفَرَهُ[٦] اللَّهُ

---

(١) هو قلعة حصينة بين ملطية وسُمَيْسَاط ومَرعش من الثغور.
وقلعتها على جبل يقال له الأحيدب، ومختلف في أمر بنائه، إلا أن سيف الدولة بن حمدان كان له بها وقعات، وخربته الروم في أيامه، وخرج لعمارته، فعمره، وردّ الروم عنه منهزمين (انظر معجم البلدان ٢/٢٢٧ - ٢٢٨).

(٢) في ت «قد سلموها» وفي الديوان المخطوط ورقة ١٣٧ «وقد كان أهلها أسلموها إلى الدمستق بالأمان».

(٣) في ت والديوان المخطوط «فحط» وفي شرح ديوان المتنبي لابن جني «فخط».

(٤) زاد في ت «عند الله تعالى» وزاد في الديوان المخطوط «تعالى ذكره» وفي شرح ابن جني عز وجل».

(٥) في ر، ف «الجرزية» وفي نخب تاريخية «والخزريّة» وفي الديوان المخطوط ورقة ١٣٨ «والجذريّة» ولعل ما أثبته الصواب (انظر تاريخ ابن خلدون ٣/٤٩٣ وشرح ابن جني ورقة ٢٨٥).

(٦) كذا في ت والديوان المخطوط وفي ر، ف «وأظهره».

بـهِ، وقَتَـلَ نحـوَ ثـلاثـةِ[1] آلافِ رَجُـلٍ من مُقَـاتِلَتِه، وأَسَرَ خَلْقَـاً من اسْخِلارِيَّتِهِ[2] وأَرَاخِنَتِهِ[3] فَقَتَلَ أَكْثَرَهُم، واسْتَبْقَى البَعْضَ[4]، وأَقَامَ [عـلى الحَدَثِ][5] حَتَّى بَناها، وَوَضَعَ بيدِهِ آخِرَ شُرَّافةٍ منها، يـومَ الثُّلاَثَـاءِ لِثلاثَ عَشَرَةَ ليلةً خلَتْ من رَجَبٍ، فقالَ أبو الطيبِ، أَنْشَدَها سَيْفَ الدَّولةِ بَعْـدَ الوَقْعَةِ بالحَدَثِ:

١ ـ عَـلَى قَدْرِ أَهْـلِ العَزْمِ تَـأْتِي العَزَائِمُ وَتَـأْتِي عَـلَى قَـدْرِ الكِـرَامِ المَكَـارِمُ

يَقولُ: على قَدْرِ العَزْمِ منَ المُلوكِ، وما يكونون عليهِ من نَفَاذِ القُدْرَةِ، وتَظَاهُرِ العُلُوِّ والرِّفْعَةِ، تكونُ عَزَائِمُهُم في نَفَاذِها، وبَصَائِرُهم في قُوَّتِها وثَبَاتِها، وعـلى قَدْرِ الكِـرامِ في مَنَازِلهم، واسْتِبَـانَةِ فَضَـائِلِهم، تكـونُ مُكَـارِمُهم في جَلاَلَتِها، وأَفْعَالُهُم في قُوَّتِها وفَخَامَتِها.

٢ ـ وَتَعْـظُمُ في عَـيْنِ الصَّغِـيرِ صِغَـارُهـا وَتَصْغُـرُ في عَـيْنِ العَـظِيمِ العَـظَائِمُ

---

(١) في ف «ثلاث».

(٢) في ر، ف «اسخلاويته» والاسخلاريّة قسم من أقسام الفرسان، إذ ينقسمون إلى أربعة أقسام في الدولة البيزنطيّة، أولها: الاسخلاريّة، وصاحبها الدمستق الكبير.

(٣) كذا في ر، ف والديوان المخطوط ورقة ١٣٨ وفي شرح ابن جنى ورقة ٢٨٥ أراخيته بالياء، ولعلها الأصوب، لأن الأرخاي رتبة عسكرية في الدولة البيزنطية، يكون صاحبها مسؤولاً عن فرقتين من الجيش (انظر الدولة البيزنطية ص ١٧٧).

(٤) كذا في ر، ف وفي ت «فقتل بعضهم واسْتبقى البعض» وفي الديوان المخطوط ورقة ١٣٨ «واستبقى بعضهم» وفي شرح ابن جني «واستبقى البعض وأسر قورش الأعور وبطريق سمندو، ولقندرا وهو صهر الدمستق».
وزاد في ت (٣٧٩/٣) وفي الديوان المخطوط ورقة ١٣٨ «وأسرَ قُودِس (وفي ت تودس) الأعور بطريق سَمَنْدوا ولَقنْدُوا وهو صهر الدمستق على ابنته، وأسر ابن ابنة الدمستق (وفي ت وأسر ابن الدمستق) وأقام على الحدث إلى أن بناها».

(٥) زيادة من ت ومن الديوان المخطوط ويقتضيها السياق.



ثمَّ قالَ: وَبِحَسَبِ ذَلِكَ، يَعْظُمُ في عَيْنِ الصَّغيرِ صَغيرُ ما يَفْعَلُهُ، ويَكْبُرُ عِنْدَهُ قَليلُ ما يُدْرِكُهُ، وتَصْغُرُ في عَيْنِ العَظيمِ الأُمُورُ العَظِيمَةُ، والأَفْعَالُ الجليلةُ. يُشِيرُ إلى سَيْفِ الدَّوْلَةِ، وما أَبانَتْهُ الوَقْعَةُ التي ذَكَرَهَا من نَفَاذ عَزْمِهِ، وجَلاَلَةِ قَدْره[1].

٣ ـ يُكَلِّفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الجيشَ هَمَّهُ   وَقَدْ عَجزَتْ عَنْهُ الجُيوشُ الخَضَارِمُ

ثمَّ يقولُ: يُكَلِّفُ سَيْفُ الدَّولةِ جَيْشَهُ استيْفَاءَ[2] ما تَبْلُغُهُ هِمَّتُهُ، وتَنْعَقِدُ عَلَيْهِ نِيَّتُهُ، والجُيوشُ الخَضَارِمُ[3] تَعْجَزُ عن ذلكَ ولا تُدْرِكُهُ، وتَقْصُرُ عَنْهُ ولا تَلْحَقُهُ.

٤ ـ وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ   وَذَلِكَ مَا لاَ تَدَّعِيهِ الضَّرَاغِمُ

ثمَّ قالَ: ويَطْلُبُ أَصْحَابُهُ وأَتْبَاعُهُ ما[4] عِنْدَهُ من البَأْسِ والنَّجْدَةِ، والإقدامِ والشِّدَّةِ، وذلك ما لا تَبْلُغُهُ[5] الأُسودُ العَادِيَةُ، ولا تَدَّعيهِ الضَّراغِمُ البَاسِلةُ.

٥ ـ تُفَدِّي[6] أَتَمُّ الطَّيْرِ عُمْراً سِلاحَهُ   نُسُورُ المَلاَ أَحْدَاثُها والقَشَاعِمُ

---

(١) في ر «قده».

(٢) في ف «استفاء».

(٣) الخضارم: جمع خِضرم، وهو الكثير من كل شيء.

(٤) في ت «بما».

(٥) في ت «ما لا تطيقه».

(٦) في رواية المعري والواحدي والتبيان «يُفَدى» بالياء.

قال أبو العلاء في معجز أحمد: «روى ابن جني «تفدى» بالتاء، قال أراد النسور فكأنه قال تفدى النسور سلاحه، والأظهر في العربية يفدى بالياء، لأن فاعله أتم وهو مذكر وهذا أجمل على الظاهر».



ثُمَّ يقولُ: يُفَدِّي سِلاحَ سَيْفِ الدَّولةِ أَطْوَلُ الطَّيْرِ مُدَّةً[1]، وأَكْثَرُهَا للدَّهْرِ خِبْرَةً، وَبَيَّنَ هذا الصِّنْفَ، فقالَ: أَصَاغِرُ النُّسورِ وأَكَابِرُهَا، وأحداثُها وقَشَاعِمُها[2]، لما هي عَلَيهِ من الخِصْبِ في وَقَائِعِهِ، والاستِبْشَارِ في كَثْرَةِ[3] مَلاَحِمِهِ.

٦ - وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخَالِبِ وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ والقَوائِمُ

ثمَّ يقولُ: وما كان يَضُرُّها أَنْ تُخْلَقَ بِغَيْرِ مَخالبٍ، تَسْتَعْمِلُها فيما تَأْكُلُهُ، وتُصَرِّفُها فيما تَنْشَبُهُ[4]؛ لأَنَّ سُيُوفَهُ تُبْلِغُهَا في ذلِكَ ما تَرْغَبُه، وتَفْعَلُ لها مِنْه ما تُريدُهُ[5] وتَطْلُبُه. وأَشَارَ إلى مُداوَمَةِ سَيْفِ الدَّولةِ للقِتَالِ والقَتْلِ، ومُواصَلَتِهم[6] لِلْوَقائِعِ والحَرْبِ.

٧ - هَلْ الحَدَثُ الحمراءُ تَعْرِفُ لَوْنَها وَتَعْلَمُ أَيُّ السَّاقِيَيْنِ الغَمَائِمُ

ثمَّ يقولُ: هل الحَدَثُ الحَمْراءُ، بما سَفَكَ سيفُ الدَّولةِ فيها من الدَّمِ، تَعْرِفُ لَوْنَها، وَتَتَيَقَّنُ حَالَها؟ جَعَلَ صِفَتَها الحُمْرَةَ[7]، إشارةً إلى ما أَحْدَثَ فيها سَيفُ الدَّولةِ من هذهِ الوَقْعَةِ، وهل تَعْرِفُ هذه المدينةُ أَيُّ[8] سَاقِيَيْهَا الغَمامُ؟ وهل تَنْفَصِلُ عِنْدَها؟ فَرْقٌ ما بَيْنَ المطرِ السَّاقي لها، والدِّماءِ المَسْفُوكَةِ بها،

(١) في ت «يفدي أحوال الطير عمراً سلاح سيف الدولة».
(٢) القشاعم: جمع قشعم، وهن المسنُّ من النسور، الطويل العمر.
(٣) في ت «والاستبشار بكثرة».
(٤) كذا في ف، ت، وفي ر «تنهشه».
(٥) في ت «وتفعل لها ما تريده».
(٦) كذا في ر، ف، والأنسب «ومواصلته».
(٧) في ر، ف «بالحمرة» والصواب ما أثبته، لأن جعل تعدى إلى مفعولين دون حرف الجر.
(٨) في ر، ف «التي» والأصوب ما أثبته.



يُشيرُ إلى كَثْرَةِ ما أَجْرَى فيها سيفُ الدَّولةِ من دماءِ الرُّومِ، وأَنَّها سَاجَلَتْ بِكَثْرَتِها الأَمْطَارَ الوابِلَةَ، وشَاكَلَتِ الغُيوثَ السَّاجِمَةَ.

٨ ـ سَقَتْهَا الغَمَامُ الغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتْهَا الجَمَاجِمُ

ثُمَّ قالَ: سَقَتْهَا الغَمامُ الغُرُّ قَبْلَ نُزولِ سَيْفِ الدَّولةِ بها، وَجادَتْها[١] قَبْلَ حُلُولِهِ فيها، فلما احتَلَّها[٢] أَوْقَعَ فيها بالرُّومِ الذين حَاولوا مَنْعَهُ من بُنْيَانِها، وَدَفْعَهُ عن تَسْكِيْنِها، فَقَتَلَتْهُم جُيُوشُهُ، وفَلَّقَتْ هَامَهُم سُيُوفُهُ، فَسَفَكَ فيها من دِمَائِهم، ما مَاثَلَ المَطَرَ الذي جَادَهَا[٣] به السَّحَابُ في كَثْرَتِهِ، وقَاوَمَهُ في جُمْلَتِهِ.

٩ ـ بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا يَقْرَعُ القَنَا وَمَوْجُ المَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلاَطِمُ

ثُمَّ يقولُ: بَنَى سيفُ الدَّوْلَةِ مَدِيْنَةَ الحَدَثِ على الرُّومِ، وقد أَذَلَّهم بالإِيقاعِ بهم، وَقَهَرَهُم بالاستيلاءِ عليهم، بَعْدَ أن تَقَارَعَ القَنَا من حَرْبِهم، وتلاَطَمَ مَوْجُ الموتِ في حِيْنِ مُنَازَلَتِهِ لهم[٤]. يُشيرُ إلى أَنَّه بَنَى هذه المدينةَ بَعْدَ الوَقْعَةِ التي أَثخَنَتِ الرُّومَ بالقَتْلِ، وأَلْبَسَتْهُم ثِيابَ الذُّلِ.

١٠ ـ وكَانَ بِهَا مِثْلَ الجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ وَمِنْ جُثَثِ القَتْلَى عَلَيْهَا تَمَائِمُ

ثُمَّ قالَ: وكَانَ بهذهِ المدينةِ، في حينِ خَلاءِ أَهلِها، وامتِناعِ المسلمينَ من البُنْيَانِ لها، كالجُنونِ لِمَخَافَةِ الرُّومِ، وتَهَيُّبِ أَمْرِهم، وكَرَاهَتِهم، والفَرَقُ من مُلْكِهم، فَسَكَّنَ سَيْفُ الدَّولةِ تلكَ المَخافَةَ، وأَذْهَبَ تلكَ المَهَابَةَ، وتَرَكَ

---

(١) في ت «سقاها... وجادها».

(٢) في ت، «حلّها».

(٣) في ت «جاد بها».

(٤) في ت «منازلتهم».



حَوْلَ هذه المدينةِ من جُثَثِ قَتْلَى[1] الرُّومِ ما قَامَ لها مَقَامَ التَّمَائِمِ[2]، وأَمَّنَها جَمِيعَ المَحَاذِيرِ[3].

١١ ـ طَـرِيـدَةُ دَهْـرٍ سَـاقَهـا فَـرَدَدْتَهَـا عـلى الدِّين بـالخَطِّيِّ والـدَّهْـرُ رَاغِمُ

ثمَّ قالَ، مخاطباً لِسَيْفِ الدَّولَةِ: وكَانَت هـذه المدينـةُ طَرِيْـدَةَ دَهْرٍ، أَخْرَجَهَا عن مُدنِ الإسلامِ، وأَزْعَجَها من بَيْنِها بِعَدَمِ[4] العِمْرَان، فَرَدَدتَها على الاسمِ بِتَسْكِيْنِكَ[5] لها، واغتَصَبْتَهَا من الرُّومِ بِدَفْعِهم عنها، وغَالَبْتَ الدَّهْرَ الذي أَسْعَدَهُم[6] عليها فَغَلَبْتَهُ، وَقَارَعْتَهُ دُونَها فَأَرْغَمْتَهُ.

١٢ ـ تُفِيتُ اللَّيَـالي كُـلَّ شَيءٍ أَخَـذْنَـهُ[7] وَهُنَّ لِمـا يَـأْخُـذْنَ مِنْـكَ غَـوارِمُ

ثمَّ يَقُولُ لَهُ: أَنْتَ لِسَعَادَةِ جَدِّك، وَتأْيِيدِ اللهِ لَكَ على أَمْرِكَ، لا تَنْقُضُ اللَّيالي عليكَ ما تَفْعَلُهُ، ولا تَسْتَرِدُّ مِنْكَ ما تَأْخُذُهُ، وَهُنَّ يُصَرِّفْنَ ما أَخَذْنَهُ منك، وَيَغْرَمْنَ ما فَوَّتْنَهُ عَنْكَ.

١٣ ـ إذَا كَـانَ مـا تَنْـوِيـه فِعْـلاً مُضَـارِعَـاً مَضَى قَبْـلَ أن تُلْقَى عَلَيْـهِ الجَـوازِمُ

---

(١) في ف «قتل».

(٢) التمائم: جمع تميمة وهي العوذ التي تعلق في العنق.

(٣) في ت «المحاذر».

(٤) في «بينهم لعدم».

(٥) في ت «بتعميرك لها».

(٦) في ت «ساعدهم».

(٧) كذا في ر، ف ورواية المعري والواحدي أيضاً، وفي رواية التبيان «أخذته» بالتاء.
قال الخطيب وابن القطاع: من رواه بالنون أفسد المعنى، ويروى أن أبا الطيب سئل كيف قلت؟ فقال: قلت أخذته بالتاء، لأني لو قلت بالنون لأفسدت المعنى والإعراب».
انظر تفصيل ذلك في التبيان ٣/٣٨٢).



ثُمَّ أَكَّدَ ما ذَكَرَهُ من سَعْدِهِ، وإِظْهَارِ اللهِ لَهُ على قَصْدِهِ، فقالَ، مُخاطباً لَهُ: إذا كَانَ ما تَنْويهِ فِعْلاً مُسْتَقْبَلاً، ولَفْظُ المُسْتَقْبَلِ يَشْتَرِكُ ما بين الدَّائمِ الذي لم يَنْقَطِعْ، والمُتَأَخِّرِ الذي لم يَقَعْ، صَارَ ذلكَ الفِعْلُ مَاضِياً بوقُوعِهِ مِنْكَ، ومُتَصَرِّفاً[1] بِتَمَكُّنِهِ لَكَ، قَبْلَ أَنْ تَلْحَقَهُ[2] الجَوَازِمُ، فَتُثْبِتُهُ فيما لم يَجِبْ، وتَدْخُلُ عليه فَتُخَلِّصُهُ لما[3] لم يَقَعْ. وأَشَارَ بهذا إلى أَنَّ ما يَنْويه فاللَّهُ يُيَسِّرُهُ لَهُ، وما يُريدُهُ فالأَيَّامُ لا تَمْطُلُهُ به.

١٤ ـ وَكَيْفَ تُرَجِّي الرُّومُ والرُّوسُ هَدْمَها   وَذَا الطَّعْنُ أَسَاسٌ لَها وَدَعَائِمُ

ثُمَّ يَقولُ لَهُ: وكيفَ تُرَجِّي الرُّومُ والرُّوسُ هَدْمَ هذهِ المَدِيْنَةِ، وقد أَسَّسْتَهَا على الطَّعْنِ الذي أَعْمَلْتَهُ فيهم، وَدَعَمْتَها[4] بالقَتْلِ الذي سَلَّطتَهُ عليهم، فَكَيْفَ يَرُومونَ[5] هَدْمَها، وهذه صورةُ بِنْيَتِها، وكَيْفَ يُحاوِلُونَ إِخلاءَهَا، وهذه حَقِيْقَةُ مَنَعتِها.

١٥ ـ وَقَدْ حَاكَمُوها وَالمَنَايا حَوَاكِمٌ   فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ ولا عَاشَ ظَالِمُ

ثُمَّ قالَ: وقَدْ حَاكَمُوها ظَالِمِينَ، بما تَعَرَّضوا له من الحَرْبِ، وحَاوَلُوها مُتَعَدِّينَ، بما تَكَلَّفُوهُ من الجَمْعِ، فما عَاشوا مَعَ ما حَاوَلُوهُ من الظُّلمِ لها، ولا مَاتَ ذِكْرُ هذه المدينةِ مَعَ ما أَرادُوه من الخَرابِ بها[6]، بل نَصَرَ اللَّهُ فيها سيفَ الدَّولةِ، فَهَزَمَ جُيُوشَهُم، وأَظْهَرَهُ عليهم، فَفَرَّقَ جُمُوعَهم.

---

(١) في ف «منصرفاً».
(٢) كذا في ت، وفي ر، ف «يلحقه».
(٣) في ت «فيما».
(٤) في ت «وادعمتها».
(٥) كذا في ر، ت وفي ف «يرون».
(٦) في ت « لها».



١٦ ـ أَتَــوْكَ يَجُــرُّونَ الحَـدِيـدَ كـأَنَّهُمْ سَــرَوْا بِـجِـيَـادٍ مَـا لَهُـنَّ قَـوَائِـمُ

ثُمَّ يقولُ لِسَيْفِ الدَّولَةِ، وهو يُخْبِرُ عن الرُّومِ: أَتَوْكَ قد لَبِسوا الدُّروعَ، وَلَبِسَتْ خَيْلُهم التَجَافِيفَ(١)، فَصاروا يَجُرُّونَ الحديدَ، وقد سَتَرَتِ التَّجَافِيفُ قوائِمَ خَيْلِهم، وشَمَلتِ السِّلاحُ جَميعَ جَيْشِهم، حتى كَأَنَّهم سَرَوا بجيادٍ لا قَوائمَ لها، لِكَثْرَةِ ما تَكَلَّفُوهُ من تَشَبُّثِ التَّجَافِيْفِ بها.

١٧ ـ إِذَا بَـرَقُـوا لَمْ تُعْـرَفِ البِيْضُ مِنْهُمُ ثِـيَـابُهُمُ مِـن مِثْلِهـا والعَـمَـائِـمُ

ثُمَّ أَكَّـدَ ذلكَ، فقـالَ: إذا زَحفَتْ كَتَـائِبُ جَمْعِهِم، وبَـرَقَتْ أَسْلِحَـةُ جَيْشِهم، لم تُعْرَفَ السُّيُوفُ المُصْلَتَةُ بَيْنَهُم؛ لأنَّ عَمَائِمَهُم البَيْضُ، والمَغَافِرُ(٢) ثِيَابُهم، وما يَشْمُلُ خَيْلَهم الدُّروعُ والتَّجافِيْفُ، وكلُّ ذلكَ يُمَاثِلُ السُّيوفَ، ولا يَبْعُدُ عنها، ويُشَاكِلُها ولا يَنْفَصِلُ منها. وأَشَارَ بما وَصَف من كَثْرَةِ سِلاحِ هذا الجَيْشِ إلى قُوَّتِهِ، وبما ذَكَرَهُ من هذه الهَيْبَةِ(٣) إلى شِدَّتِهِ.

١٨ ـ خَمِيسٌ بِشَرقِ الأَرْضِ والغَربِ زَحْفُهُ وفي أُذُنِ الجَـوْزَاءِ مِـنْـهُ زَمَـازِمُ

ثُمَّ يقولُ: إنَّ هذا الخميسَ لِعِظَمِ أَمْرِهِ، وكَثْـرَةِ أَهْلِهِ، يَمْلأُ مـا بَيْنَ الشَّرْقِ والغَرْبِ، وَيَعُمُّهُمَا زَحْفُهُ، ويكونُ فِيهما سَيْرُهُ. وفي أُذُنِ الجَوْزَاءِ من أَصْوَاتِ أَهْلِهِ زَمَازِمُ(٤) لا تَتَفَسَّرُ، وأَخْلاَطٌ لا تَتَبَيَّنُ(٥). وقال: أُذُنُ الجَوْزاءِ؛

---

(١) التجافيف: جمع تجفاف وهي آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقيه في الحرب.

(٢) المغافير: جمع مِغْفَر، هو زرد من الدرع يلبس تحت القَلَنْسَوة أو حَلَقٌ يتقَنَّعُ بها المتسلح.

(٣) في ت «الهيئة» ولعلها الأصوب.

(٤) الزمازم: جمع زمزمة، وهي الصوت البعيد، له دوي، ولا يفهم لتداخله. وأراد به في البيت أصواتهم وصليل الحديد وصهيل الخيل.

(٥) في ت «لا تفسر، وأخلاط لا تبين».



على سَبيلِ الاسْتِعَارَةِ، وأَشَارَ بِذِكْرِها إلى أَنَّ هذه الأَصْوَاتِ تَبْلُغُ السَّمَاءَ بِكَثْرَتِها، وتَقْطَعُ أَبْعَدَ المسافَاتِ بِشِدَّتِها.

١٩ ـ تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وأُمَّةٍ فما تُفْهِمُ الحُدَّاثَ إلاَّ التَّرَاجِمُ

ثُمَّ قالَ: تجمَّعَ في هذا الجَيْشِ كُلُّ لِسْنٍ[1] من الأُمَمِ المُخْتَلِفَةِ، والطَّوائِفِ المُفْتَرِقَةِ، فما تَتَفَاهَمُ[2] الحُدَّاثُ منهم إلاَّ بِتَراجِمَ تُتَكَلَّفُ[3] لهم، وتَفاسِيرَ تُسْتَعْمَلُ بَيْنَهُم، وأَشَارَ بهذا إلى عِظَمِ الجَيْشِ وحَفْلِهِ، وكَثْرَةِ ما تَضَمَّنَ من حَشْدِهِ.

٢٠ ـ فَلِلّهِ وَقْتٌ ذَوَّبَ الغِشَّ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ صَارِمٌ أو ضُبَارِمُ

ثُمَّ يقولُ: فَلِلّهِ وَقْتُ تلكَ الوَقْعَةِ التي أَذْهَبَتْ شِدَّةُ الحَرْبِ فيها تَمْويهَ الفُرْسَانِ، وَذَوَّبَتْ نَارُهُ غِشَّهُم، وَتَبَيَّنَتْ أَمْرَهُم، فلم يَبْقَ من السُّيوفِ إلاَّ الصَّارِمُ، ومن الرِّجالِ إلا الضُّبَارِمُ[4] يريدُ: أَنَّ السُّيوفَ الكَلِيْلَةَ تَقَطَّعَتْ، وجَمَاعَةُ الرِّجَالِ الجُبَنَاءِ تَفرَّقَتْ، فَلَمْ يَبْقَ من السُّيوفِ إلا مَا كَرُمَ، ومن الرِّجالِ إلا مَنْ قَوِيَ وشَجُعَ.

٢١ ـ تَقَطَّعَ ما لا يَقْطَعُ الدِّرْعَ والقَنَى[5] وَفَرَّ مِن الفُرْسَانِ مَنْ لاَ يُصَادِمُ

ثمَّ أكَّد ذلكَ، فقالَ: أُكْرِهَتِ السُّيوفُ بِشِدَّةِ الضَّربِ، فَتَقَطَّعَ[6] مِنْها

(١) اللسن: اللغة.

(٢) في ت «يتفاهم».

(٣) في ف «يتكلف».

(٤) الضُّبارم: الأسد الشديد الغليظ، والرجل القوي الجريء.

(٥) في رواية الواحدي والتبيان «والقنا».

(٦) في ف «فيقطع».



ما لا يَقْطَعُ الدِّرعَ والفَتَى اللابسَ له، وَيَفْرِي[1] الحديدَ والشُّجَاعَ المُسْتَتِرَ به، وَفَرَّ من الفُرْسَانِ من لا يُصَادِمُ لشِدَّتِهِ، ويُعَانِقُ الأَبْطَالَ مُدِلاً بِقُوَّتِهِ.

٢٢ ـ وَقَفْتَ وَمَا في المَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ   كَأَنَّكَ في جَفْنِ الرَّدَى وَهوَ نَائِمُ

ثُمَّ يقولُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ: وقفْتَ غيرَ مُتَهَيِّبٍ، وأَقْدَمْتَ غيْرَ مُتَوَقِّعٍ، والموتُ لا شَكَّ فيهِ[2] عِنْدَ مَنْ وقفَ مَوْقِفَكَ، وتَقَدَّمَ تَقَدُّمَكَ، كأَنَّكَ من الرَّدَى في أَمْكَنِ[3] مَوَاضِعِهِ، وهو مُعْرِضٌ عنكَ فيما يَتَكَلَّفُ مِنْ شَدَائِدِهِ[4]. وأَشَارَ بِجَفْنِ الرَّدَى إلى عَظِيْمِ ما اقتحَمَ سَيْفُ الدَّولةِ، وَبِنَوْمِهِ إلى إعْرَاضِهِ مَعَ ذلكَ عَنْهُ، فَأَلْطَفَ الإِشارَةَ، وأَحْسَنَ الاستِعَارَةَ.

٢٣ ـ تَمُرُّ بِكَ الأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً   وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ

ثُمَّ قالَ مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ: تَمُرُّ بك الأَبْطَالُ جَرْحَى مُنْهَزِمينَ[5]، وكَلْمَى مُسْتَسْلِمينَ، وذلكَ لا يَثْنِي عَزْمَكَ، ولا يُضْعِفُ نَفْسَكَ، بل كُنْتَ حِيْنَئِذٍ ضَحَّاكاً غيرَ مُتَوَقِّعٍ[6]، وَبَسَّاماً غَيْرَ مُتَضَجِّرٍ، قد وَثِقْتَ مِنَ اللهِ بِعَاجِلِ نَصْرِهِ، وَتَيَقَّنْتَ ما وَصَلَهُ منكَ بِجَمِيلِ صُنْعِهِ.

٢٤ ـ تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ والنُّهَى   إلى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بالغَيْبِ عَالِمُ

ثُمَّ يَقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: تَجَاوَزْتَ في شَجَاعَتِكَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ، وفي

(١) في ر، ف «تفري» والفري: القطع.
(٢) في ت «وأقدمت غير متوقع الموت، وهو لا شك فيه».
(٣) في ت «أنكر».
(٤) في ت «فيما تتكلفه من شدائد».
(٥) في ت «تمر بك الجرحى من الأبطال».
(٦) في ت «بل كنت حينئذٍ وضاحاً غير متخوف».

عَقْلِكَ وَمَعْرِفَتِكَ مِقْدَارَ الفِعْلِ والمَعْرِفَةِ، وأَظْهَـرْتَ من إقْدَامِـكَ وَجُرْأَتِـكَ، وسَمَاحَتِكَ بِمُهْجَتِكَ ما سبق مَعَهُ إلى [قَوْلِ](١) قَوْمٍ فيكَ؛ إنَّكَ عَلِمْتَ غَيْبَ مَآلِ أَمْرِكَ في الظَّفَرِ، فَلَم تَحْفِلْ بِشِدَّةِ الحَرْبِ، وَتَيَقَّنْتَ ما خَتَمَ اللهُ به لكَ من التَّأْييدِ(٢)، فَأَمِنْتَ مَخَاوِفَ القَتْلِ.

٢٥ - ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِمْ على القَلْبِ ضَمَّةً   تَمُـوتُ الخَـوَافِي تَحْتَهـا وَالْقَـوَادِمُ

ثُمَّ قَالَ: ضَمَمْتَ جَنَاحَي جَيْشِ الرُّومِ، على القَلْبِ منه ضَمَّةً مُنكَرَةً، وشَدَدتَ في الجَيْشِ شَدَّةً صَادِقَةً، مَاتَ بها من الرُّومِ مَنْ كانَتْ مَنْزِلَتُهُ في إنْهاضِ تلكَ الجِهَتَـيْنِ، والاسْتِقْلاَلِ بِتِلْكَ النَّـاحِيَتَيْنِ، بِمَنْـزِلَةِ(٣) الخَـوَافي(٤) والقَوَادِمِ(٥) من الجَنَاحَيْنِ، والأَوَائِلِ والأَوَاخِرِ من هذين العُضْوَيْنِ(٦). ولَمَّا اسْتَعارَ الجَنَاحَـيْنِ لِمُجْنَبَتَيِّ الجَيْشِ، وصَلَ الاستعـارَةَ في الخوافي والقَـوَادِمِ، فَـأَشارَ بهـا إلى فُرْسَـانِ المُجْنَبَتَيْنِ الـذين بـاتـوا يُقِلُّون الجِهَتَـيْنِ، ويُنْهِضُـونَ النَّاحِيَتَيْنِ.

٢٦ - بِضَرْبٍ أتى(٧) الهاماتِ والنَّصْرُ غَائِبٌ   وَصَـارَ إلى اللَّبَّـاتِ والنَّصرُ قَـادِمُ

ثُمَّ قَالَ، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَـهُ، من شِدَّةِ حَمَلاَتِ سَيْفِ الدَّوْلَـةِ: بِضَرْبٍ

(١) ما بين معكوفتين زيادة يقتضيها النص. وفي ت «ما صدق قول قوم فيك».
(٢) في ت «ما ختم الله لك به من التأييد».
(٣) في ت «منزلة».
(٤) الخوافي: هي الريشات الأربع بعد المناكب، إذا ضمّ الطائر جناحيه خفيت.
(٥) القوادم: أربع ريشات في أول جناحي الطائر.
(٦) في ت «العضدين».
(٧) في ف «إلى».



قَرَعَ[1] رؤوسَ الرُّومِ، والحربُ مُتَكافِئَةٌ، والكتَائِبُ مُتَزَاحِفَةٌ، والنَّصْرُ مُتَأخِّرٌ عن الفِئَتَيْنِ، والصَّبْرُ قد أُفْرِغَ على الطَّائِفَتَيْنِ، وقَدَّ ذلكَ الضَّرْبُ أرْؤُسَ الرُّومِ، وبَلَغَ لَبَّاتِهم[2]، وتَمَكَّنَت سُيوفُ أصْحَابِ سَيْفِ الدَّولَةِ فيهم، وجَيْشُهم مَهْزُومٌ، وجَمْعُهم مَغْلُوبٌ، والنَّصْرُ الغَائِبُ قد قَدِمَ، والظُّهورُ المُنْتَظَرُ قد التَأمَ[3]. وأشَارَ بما ذَكَرَهُ إلى أنَّ هَزِيمَةَ الرُّومِ لم تَكُن إلاّ بعدَ مُجَالَدَةٍ، وغَلَبةُ سيفِ الدَّولَةِ[4] لهم لم تَكُن إلا بَعْدَ مُقَاوَمَةٍ.

٢٧ ـ حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا   وَحَتَّى كَأَنَّ السَّيْفَ للرُّمحِ شَاتِمُ

ثُمَّ يقولُ لسيفِ الدَّولَةِ: حَقَرْتَ الرِّمَاحَ، واسْتَقْلَلتَ فِعْلَها، فَطَرَحْتَها مُسْتَصْغِراً لها، ونَبَذْتَها غَيْرَ حَافِلٍ بها، وعَدَلْتَ إلى السُّيوفِ عالِماً بِفَضْلِها، واعتَمَدْتَها لِخِبْرَتِكَ بِأمْرِها، فَكَأنَّها شَتَمَتِ الرِّمَاحَ بِتَصْغِيرِها لِشَأْنِها، وأَهَانَتْها لِسَخَطِها[5] بِفِعْلِها.

٢٨ ـ وَمَنْ طَلَبَ الفَتْحَ الجَلِيلَ فَإنَّمَا   مَفَاتِيحُهُ البِيْضُ الخِفَافُ الصَّوَارِمُ

ثُمَّ قالَ: ومَنْ طَلَبَ الفَتْحَ الجليلَ وحَاوَلَهُ، وارْتَقَبَ النَّصْرَ البَيِّنَ وطَالَبَهُ، فإنما مَفَاتِيحُ ذلكَ السُّيوفُ الصَّارِمَةُ، وأسْبَابُه البِيْضُ الخِفَافُ المَاضِيَةُ.

٢٩ ـ نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الأُحَيْدِبِ كُلِّهِ[6]   كما نُثِرَتْ فَوْقَ العَرُوسِ الدَّرَاهِمُ

---

(١) في ت «فلق».

(٢) اللبَّاتُ: جمع لَبَّة: وهي المنحر أو موضع القلادة.

(٣) في ت «والظهور قد انتظم والتأم».

(٤) في ت «لم يكن إلا مجالدة وغلبة، وظفر سيف الدولة...».

(٥) في ت «تسخطاً».

(٦) كذا في رواية الواحدي أيضاً، وفي رواية المعري والتبيان «نثرة».

ثُمَّ يقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: نَثَرْتَ الرُّومَ على الأُحَيْدِبِ؛ هذا الجَبَلِ[1]، بهزيمَتِكَ لَهُم، ووَقِيْعَتِك التي أوْقَعْتَها بهم، كما تُنْثَرُ الدَّراهِمُ على العَرُوسِ لِتُنْتَهبَ[2]، وتُفرَّقُ عليها لِتُؤخَذَ وتُسْلَبَ. فَأَشارَ إلى أن سَيْفَ الدَّوْلَةِ يَحْكُمُ[3] في الرُّومِ بالقَتْلِ والأَسْرِ، ونَثرهُم فَوْقَ الأُحَيْدِبِ أَبْلَغَ النَّثْرِ.

٣٠ ـ تَدُوسُ بِكَ الخيلُ الوُكُورَ على الذُّرَى   وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الوُكُورِ المَطَاعِمُ

ثُمَّ قالَ مُخاطِباً له: تَدُوسُ[4] بك الخَيْلُ في آثارِ الرُّومِ وُكُورَ الطَّيْرِ[5] على[6] رُؤوسِ الجِبَالِ، وقُنَنِ الأَوْعَارِ، وقد كَثُرَتِ المَطَاعِمُ حَوْلَ تلك الوُكُورِ؛ بكَثْرَةِ مَنْ قَتَلَتْهُ هُنالِكَ خَيْلُكَ[7]، ومَنْ أَدْرَكَهُ[8] من الرُّومِ جَيْشُكَ. وأَشارَ بما ذَكَرَهُ إلى كَثْرَةِ الجُثَثِ حَوْلَ وُكُورِ الطَّيْرِ مَعَ انْتِزَاحِ مَواضِعِها، وامْتِنَاعِ أَمَاكِنِها، إلى ما كَانَ عَلَيْهِ الرُّومُ من شِدَّةِ الهَرَبِ، وما كَانَ أَصْحَابُ سَيْفِ الدَّولةِ عليه من شِدَّةِ الطَّلَبِ، وأنَّهم أَدْرَكُوهم على رؤوسِ الجِبالِ، وقَتَلُوهم[9] في أَبْعَدِ غَايَاتِ الأَوْعَارِ.

٣١ ـ تَظُنُّ فِراخُ الفُتْخِ أَنَّكَ زُرْتَها   بِأُمَّاتِهَا وَهِيَ العِتَاقُ الصَّلادِمُ

ثُمَّ يقولُ لسَيفِ الدَّولةِ: تَظُنُّ فِرَاخُ الفُتْخِ[10]، لكثرة ما صَيَّرتَ

(١) هو جبل الحدث (شرح الواحدي ٢/٥٥٣) أو اسم الجبل الذي عليه مدينة الحدث (معجز أحمد).

(٢) كذا في ر، ف، والأجود «تنهب» للتوازي مع تسلب في الإيقاع المقصود.

(٣) في ت «تحكّم في الروم قتلاً واسراً».

(٤) كذا في ت، ومطموسة في ر، ف.

(٥) كذا في ت، وفي ر، ف «الخيل» وهو تحريف.

(٦) في ت «في».

(٧) كذا في ف، ت، وفي ر «من قتلته خيلك هنالك».

(٨) في ت «أهلكه».

(٩) في ت «وأنهم قتلوهم في رؤوس الجبال، وأدركوهم...».

(١٠) في ت «العقبان». والفُتْخُ من العقبان: اللينة الجناح والواحد افتخ وفتخاء.

حَـوْلَها[1] من جُثَثِ قَتْلَى الرُّومِ[2]، وأنَّـك زُرْتَها بـأُمَّاتِهـا[3]، وأَمْدَدتَهـا[4] بمطاعِمِها وأَقْوَاتِها، وإنما فَعَلَ ذلـك صَلاَدِمُ[5] خَيْلِكَ، وكَـثَّرَ القَتْلَى كَتَـائِبُ جَيْشِكَ[6].

٣٢ - إذَا زَلِـقَـتْ مَـشَّـيْـتَـهـا بِـبُـطُونِها   كـما تَـتَمَشَّى في الـصَّعِـيـدِ الأَرَاقِمُ

ثُمَّ قالَ، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَـهُ، من اقتحامِ الخَيـلِ على الـرُّومِ في تلك الأَوْعَارِ، وتَسَرُّعِهَا إليهم في قُنَنِ الجِبَالِ: إذا زَلِقَتْ لِصُعُـوبَةِ مـا تُحَاوِلُـه، وكُبِتَتْ لِتَعَذُّرِ ما تَقْتَحِمُهُ، مَشَّيْتَها على بُطُونِها مُكْرَهَةً، وأَنْهَضتَهـا على تِلكَ الحالِ مُتَسَرِّعةً، كما تَتَمَشَّى الأَراقِمُ في الصَّعيدِ[7] عـلى بُطُونِها، وتَسـيرُ فيه مُتَمَكِّنَةً في مَسِيْرِها.

٣٣ - أَفي كُـلِّ يَـوْمٍ ذَا الـدُّمُسْتُقُ مُقْـدِمٌ   قَفَـاهُ عـلَى الإقْـدَامِ لِلوَجْـهِ لائِمُ

ثُمَّ يقول، زَارِياً[8] على الدَّمُسْتُقِ، وَمُوَبِّخاً له، بِتَعَرُّضِهِ لِسَيْفِ الدَّولَةِ: أَفي كُلِّ يومٍ يَقْدُمُ هذا الدُّمُسْتُقُ على الحَرْبِ مُوَاجِهاً لها، وَيقْتَحِمُها مُتمرِّساً بها، وقَفَاهُ فيها لائِمٌ لِوَجْهِهِ[9]، وأَصْحَابُهُ غيرُ مُسْتَشكِرينَ من فِعْلِهِ[10]؛ لأَنَّ

(١) كذا في ر، ف، وفي ت «حول وكورها».
(٢) في ت «جثث القتلى».
(٣) الأمات: جمع أم فيما لا يعقل وفيمن يعقل أمهات.
(٤) في ت «فأمددتها».
(٥) الصِلْدِم من الخيل: الصُلب والشديد الحافر.
(٦) في ت «وكثرة كتائب جيشك».
(٧) الأراقم: جمع الأرقم، وهي أخبث الحيات وأطلبها للناس، أو ما فيه سواد وبياض. والصعيد: التراب أو وجه الأرض.
(٨) في ف «زائراً».
(٩) في ت «وقفاه من الضرب لائم وجهه».
(١٠) كذا في ف، وفي ت «لفعله» وهي ساقطة من ر.



عَادَتَه أنْ يَفِرَّ فَيَصِيرُ قَفَاهُ وِقَايَةً لِوَجْهِهِ، وَيُهْلِكَ أَصْحَابَهُ بما يَنالُهم من مَكْرُوهِ فِعْلِهِ.

٣٤ ـ أَيُنْكِـرُ رِيـحَ اللَّيْثِ حَتَّى يَـذوقَـهُ وَقَـدْ عَـرَفَتْ رِيحُ اللّيُـوثِ البَهَـائِمُ

ثُمَّ قَالَ، مُشِيراً إلى سَيْفِ الدَّولةِ: أَيُنْكِرُ ريحَ الأَسَـدِ حَتَّى يَذُوقَـهُ، ويُبَاشِرُ بَأْسَهُ حَتَّى يَنالَـهُ، والبهائمُ تَعْـرِفُ رِيحَ اللَّيثِ فَتَحْـذَرُهُ، وتَشْعُرُ بـهِ فَتَتَوقَّعُهُ[1].

٣٥ ـ وَقَـدْ فَجَعَتْـهُ بـابْنِـهِ وابنِ صِهْـرِهِ وبـالصِّهْرِ حَمْلاَتُ الأَمِـيرِ الغَـواشِمُ

ثُمَّ قالَ: وقد فَجَعتِ الدُّمُسْتُقَ بابنِهِ وَبِصِهْرِهِ حَمَلاتُ سَيْفِ الدَّوْلَـةِ الغَوَاشِمُ[2] للأَقْرَانِ، الغَاصِبَةُ[3] لأَنْفُسِ الفُرْسَانِ، فما للدُّمُسْتُقِ لا يَكُفُّهُ عن التَّعرُّضِ لَهُ بما سَلَف لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ من الإيقَاعِ بِهِ[4]؟

٣٦ ـ مَضَى يَشْكُرُ الأَصْحَابَ في فَوْتِهِ الظُّبَا لِمَـا شَغَلَتْهَـا هَـامُهُمْ والمَعَـاصِـمُ

ثُمَّ يقـولُ: مَضَى الدُّمُسْتُقُ فارًّا بِنَفْسِـهِ، مُنْهَزِمَـاً على وَجْهِـهِ، يَشْكُـرُ أَصْحَـابَـهُ[5] الـذين شَغَلوا عنـه السُّيُـوفَ بِجَمَاجِمِهم، واتَّقَـوْهَـا دونَـهُ[6]

(١) قال الواحدي موضحاً شرح البيت: «في هذا إشارة إلى أنه أجهل من البهائم؛ لأنها إذا شمَّت ريح الأسد وقفت ولم تتقدم، وهذا على طريق التمثيل، والمعنى: أنه يسمع خبر سيف الدولة فيأتيه مقاتلاً، ثم ينهزم، ولو انهزم من غير قتال كان جزم له» (٢/٢٥٤).

(٢) الغواشم: جمع غاشم: وهو الظالم.

(٣) في ت «الغواصب».

(٤) في ت «ما أسلف سيف الدولة من الإيقاع».

(٥) كذا في ت، وفي ر، ف «أصحابك».

(٦) في ر، ف «دونهم» ولعل الأصوب ما أثبته.



بِمَعاصِمِهم، وأمْكَنَهُ مَعَ ذلكَ ما حَاوَلَهُ من الهَرَبِ، وفَاتَ ما استُعْمِلَ فيهِ من الطَّلَبِ.

٣٧ - وَيَفْهَمُ صَـوْتَ المَشْرَفِيَّـةِ[١] فِيهُمُ عَـلَى أَنَّ أَصْـوَاتَ السُّيُـوفِ أَعَـاجِمُ

ثُمَّ قـالَ: ومَضَى وهو يَفْهَمُ أَصْـوَاتَ السُّيوفِ في أَصْحَـابِـهِ، وَيَتَبَيَّنُ اسْتِعْمَالَهَا في أَشْيَاعِهِ، ويَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ الأَصْوَاتَ تُخْبِرُ عن إتلافِ أَنْفُسِهِم، واستِنْفَادِ[٢] أكثَرِهم، فَأَفَادَتْهُ أصواتُ السُّيـوفِ هذه المَعْـرِفَةَ، مَـعَ أَنَّ تِلْكَ الأَصْوَاتَ عُجْمٌ لا تُفْهَم، والسُّيوفُ خُرْسٌ لا تَتَكَلَّم.

٣٨ - يُسَرُّ بِمَـا أَعْـطَاكَ لا عَنْ[٣] جَهَـالَـةٍ وَلٰكِنَّ مَغْنُـومَـاً نَجَـا مِنْـكَ غَـانِمُ

قالَ: يُسَرُّ بما أَعْطَاكَ من نَفْسِهِ، وبما أَهْلَكْتَهُ من جَيْشِهِ، غَيْرَ جَاهِلٍ بما عليه في ذلك من عَظيمِ المُصِيْبَةِ، وجَليلِ الرَّزِيَّةِ، ولٰكِنَّ مَنْ غَنِمْتَهُ فَفَاتَك بِنَفْسِهِ، وطَلَبْتَهُ ولم تَنَلْهُ بِحَتْفِهِ، مُسْتَغْرَبٌ في دَهْرِهِ، غَانِمٌ في حَقِيقَةِ أَمْرِهِ.

٣٩ - وَلَسْتَ مَلِيكـاً هَـازِمـاً لِنَظِيـرِهِ وَلٰكِنَّـكَ التَّـوْحِيـدُ للشِّـرْكِ هَـازِمُ

ثُمَّ يقولُ مخاطباً لَهُ: ولستَ مَلِكاً يَهزِمُ مَلِكاً مِثْلَهُ، فَينالُهُ عِزُّ تلك الغَلَبَةِ في خَـاصَّتِهِ، وَيَعْتَـدُّ بها في رِفْعَتِـه، ولكنَّك سَيْفُ الإمـامِ[٤]، ومُقِيمُ أَوَدِ الإيمانِ، ومَلِكُ الرُّومِ الذي واجَهَكَ عِمَادُ أهلِ الكُفْرِ، وعَلَيْهِ فيهم مَدَارُ الأَمْرِ، فهزيمَتُكَ لَهُ هَزِيمَةُ التَّوْحيدِ للشِّركِ، وظُهورُكَ عليهِ ظهورُ أَهْلِ الحَقِّ على أهلِ الإِفْكِ.

---

(١) المَشْرَفِيَّةُ: سيوف تنسب إلى مشارف الشام، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف.

(٢) في ف «واستفاد».

(٣) كذا في رواية التبيان أيضاً، وفي رواية المعري والواحدي «لا من».

(٤) في ت «الإسلام».



وَوَرَدَ على سَيْفِ الدَّولةِ فُرْسَانُ طَرَسُوسَ وآذِنَةَ والَمصِّيصَةَ[١]، ومَعَهُمْ رسولُ مَلِكِ الرُّومِ في طَلَبِ الهُدْنَةِ، يومَ الأَحَدِ لِثلاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ من المُحرَّمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وأَرْبَعينَ وثلاثمائةٍ، فَقَالَ أبو الطَّيِّبِ، أنشَدَهُ إيَّاها بِحَضْرَتِهِم وَقْتَ دُخولِهِم:

١ - أرَاعَ كَـذَا كُـلَّ الأنَـامِ هُمَـامُ   وَسَـحَّ لـهُ رُسْـلُ المَلِيـكِ غَمَـامُ

يقـولُ: أرَاعَ، كَمِثْلِ ما نحنُ فيه، كُلَّ الأنامِ، مَلِكٌ قَبْلَ سَيفِ الدَّولةِ؟ فَخَضَعوا لَهُ واسْتَجَاروا به، وتَتَابَعَتْ[٢] رُسُلُهم عليهِ، حتى كَأَنَّ غَماماً أَمْطَرَهُمْ بِحَضْرَتِهِ، وسَحَاباً سَحَّ[٣] بهم في بَلْدَتِهِ.

٢ - وَدَانَتْ لَـهُ الدُّنْيـا فَـأَصْبَحَ جَالِسَـاً   أَيَّـامُـهَـا فِـيـمَا يُـرِيـدُ قِـيَـامُ

ثُمَّ قالَ: وَدَانَتِ الدُّنيا لِأَمْرِهِ، وبَلَغَ أَبْعَدَ غاياتِها بِعَفْوِهِ، والأَيَّامُ قَائِمةٌ فيما يَبْغِيه[٤]، مُجْتَهِدَةٌ فيها يُحَاوِلُهُ ويَنْوِيهِ.

٣ - إذَا زَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الرُّومَ غَازِياً   كَفَـاهـا[٥] لِمَامٌ لَـوْ كَفَـاهُ لِمَامُ

---

(١) في ر ضبطت «المَصِيصة» بفتح الميم وكسر الصاد الأولى، وفي ديوان أبي الطيب المخطوط ورقة ١٣٩ ضبطت «طَرْسُوس» بفتح الطاء وسكون الراء، و«المِصِّيْصَة» بكسر الميم وتشديد الصاد المكسورة.

(٢) كذا في ت وفي ر، ف «وتبايعت».

(٣) السَّح: الانصباب والسيلان من أعلى.

(٤) في ت «يبتغيه».

(٥) في ف «كهاها» وهو تحريف.



يَقولُ: إذا زَارَ سَيْفُ الدَّولةِ الرُّومَ غَازياً لِأَرْضِهم، ومُـزْمِعاً[1] عـلى حَرْبِهم، تَمَنَّوا أَنْ تكونَ مَلاَزَمَتُه لَهُم لِمَاماً، وإقَامَتُهُ في أَرْضِهم إغْبَاباً[2]، وليسَ يَكْفِيهِ مِنْ ذلكَ ما يَكْفِيْهِم[3]، ولا يُقْنِعُهُ ما يُقْنِعُهم ويُرْضِيْهم.

٤ - فَتىً يَتْبَعُ[4] الأَزْمَانُ في النَّاسِ خَطْوَهُ لِـكُـلِّ زمَـانٍ في يَـدَيْـهِ زِمَـامُ

ثُمَّ قالَ: فتىً يَتْبَعُ الأَزْمَانُ في النَّاسِ خَطْوَهُ، ولا يُخَالِفُ فيهم رَأْيَهُ وحُكْمَهُ، حتَّى كأَنَّ لِكُلِّ زمانٍ في يَدَيْهِ زِمَاماً يَمْلِكُهُ به، وخِطَاماً[5] يُذَلِّلُهُ له. يُشِيرُ إلى قُوَّةِ سَعْدِهِ، وإقْبَالِ جَدِّهِ، وما يَصِلُهُ اللَّهُ لَهُ من جَميلِ صُنْعِهِ.

٥ - تَنَامُ لَـدَيْـكَ الـرُّسْـلُ أَمْنـاً وغِبْـطةً وأَجْفَـانُ رَبِّ الـرُّسْـلِ لَيْسَ تَنَامُ

ثُمَّ يقولُ لِسَيْفِ الدَّولـةِ: تَنامُ الـرُّسلُ لَـدَيْكَ أَمْنـاً[6]، بِتَفَيُّؤِ ظِلِّكَ، مُسْتَبْشِرَةً بِمشَاهَدَةِ فَضْلِكَ، وأَجْفَانُ المُلوكِ المُوَجِّهِيْنَ لهم سَاهِرةٌ، لما يَتَوَقَّعُونَهُ من خَيْبَةِ رُسُلِهم، وأن تَتَمادَى بَصِيْرَتُك في حَرْبِهم.

٦ - حِـذَاراً لِمُعْـرَوْرِي الجِيـادِ فُجَـاءَةً إلى الـطَّعْنِ قُبْلاً[7] مـا لَهُنَّ لِجَامُ

---

(١) في ف «ومزعماً» وهو تحريف.

(٢) اللمام: الزيارة القليلة، والإغباب: أغب القوم: جاءهم يوماً وترك يوماً.

(٣) «ما يكفيهم» ساقطة من ف.

(٤) كذا في رواية التبيان أيضاً، وفي رواية الواحدي «تَتْبَعُ».

(٥) الخِطَامُ: كل ما وضع في أنف البعير ليقتاد به.

(٦) في ف «آمنة» وفي ت «الرسل تنام عندك آمنة تتفيأ ظِلّك.

(٧) القبل: المقابلة والمواجهة، وقال أبو الفتح بن جني: «هو جمع أقبل وقبلاء، وهو الذي أقبلت إحدى عينيه على الأخرى تشاوساً وعزة نفس».
(التبيان ٣٩٤/٣ وشرح الواحدي ٥٥٧/٢).

٤٠ ـ تَشَـرَّفُ عَـدْنَـانٌ بِـهِ لا رَبِيْـعَـةٌ وَتَفْتَخِـرُ الـدُّنيـا بِـهِ لا العَـوَاصِمُ

ثُمَّ قالَ: تَشَرَّفُ بكَ عَدنَانٌ، فضلاً عن رَبيعَةَ، وآلَ عدنَانٌ مآلَ قُرَيْشٍ، وسائِرِ قَبَائِلِ أَكْثَرِ العَـرَبِ، فَأَشَـارَ إلى أَنَّ جميعَ العَـرَبِ يَتَشرَّفُونَ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ، وإن بَعُدَ كَثيرٌ منهم عن نَسَبِهِ، كما أَنَّ الدُّنيا تَفْتَخِرُ به بلادُها، وإن بَعُدَ أَكْثَرُها عن بَلَدِهِ.

٤١ ـ لَـكَ الحَمْدُ في الـدُّرِّ الذي لِيَ لَفْـظُهُ فَـإِنَّـكَ مُـعْـطِيـهِ وإني نَـاظِـمُ

ثُمَّ يقولُ لَهُ: لكَ الحَمْدُ في شِعْرِي الذي هو الدُّرُّ في حُسْنِهِ، وبَرَاعَةِ وَصْفِهِ، فإنما لي لَفْظُهُ وأَنْتَ مُعْطِيه، وأَنَا أَنْظُمُه وأَنْتَ تُنْشِئُهُ؛ لِأَني إنما أَصِفُ فيه مَكَارِمَك، وأُقَيِّدُ به فَضَائِلَكَ[1]، فإن كُنْتُ نَاظِمَ لَفْظِهِ، فَمَآثِرُكَ جَوَامِعُ حُسْنِهِ.

٤٢ ـ وإني لتغـدُوني[2] عَطَايَـاك في الوَغَى فَـلا أَنَـا مَـذْمُـومٌ ولا أَنْتَ نَـادِمُ

ثُمَّ قالَ: وإني لأَرْكَبُ ما تَهَبُ لي من الخَيْلِ في الحَرْبِ، فَتَغْدُو[3] بي سَائِرَةً، وأُقْحِمُها في تلك الغَمَراتِ نَـاهِضَةً، فـما أنا مَـذْمُومٌ بما أَفْعَلُهُ من التَّقَدُّمِ، ولا أَنْتَ حِيْنَئِذٍ نَادِمٌ على ما تَخُصُّني به من التَّفَضُّلِ.

٤٣ ـ عَـلَى كُـلِّ طَيَّـارٍ إليهـا بِـرِجْلِهِ إذَا وَقَعَتْ في مِسْمَعَيْـهِ الـغَمَـاغِـمُ

ثُمَّ قالَ: على كُلِّ طيارٍ إلى الحربِ، وَجَنَاحُهُ[4] رِجْلُهُ، وطَيرانُهُ عَدْوُهُ، إذا وَقَعَتْ في مِسْمَعَيْهِ غَمَاغِمُ[5] الأبطالِ، وكَثُرَ فيها تَصَاوُلُ الأَقْرانِ. فَدلَّ

---

(١) في ت «لأني أصف مكارمك فيه، وأقيد فضائلك به».

(٢) في رواية الواحدي والتبيان «لتعدوني» وفي رواية المعري «تعدوا بي».

(٣) في ف «فتعدو».

(٤) في ف «وجناحها».

(٥) الغماغم: جمع غمغمة وهي أصوات الثورة عند الذعر والأبطال عند القتال.

بإسْرَاعِهِ إلى الحربِ على مَا لَهُ فيها من النَّهْضَةِ، وبِبِدَارِهِ نَحْوَهَا على ما به عليها من القُوَّةِ.

٤٤ ـ أَلاَ أَيُّهـا السَّيْفُ الذي لَسْتَ مُغْمَـداً   وَلاَ فِيْـكَ مُرْتَـابٌ ولا مِنْـكَ عـاصِمُ

ثُمَّ يقولُ لَهُ: ألا أَيُّها السَّيْفُ الذي لا يَنْبو لَهُ حَدٌّ، ولا يَتَضَمَّنُهُ غِمْدٌ، ولا فيه لُمِبْصِرِهِ رِيْبَةٌ، ولا يَعْصِمُ مَن اعتمَدَهُ جُنَّةٌ[1]؛ لأن مَقَاصِدَهُ مَوْصُولَةٌ بالنَّصْرِ، ومَسَاعِيهِ مَكْنُونَةٌ بِجَمِيْلِ الصُّنعِ.

٤٥ ـ هَنيئَـاً لِضَرْبِ الهـامِ والمَجْدِ والعُـلاَ   وَرَاجِيْـكَ والإِسْـلاَمِ إِنَّـكَ سَـالِمُ

ثُمَّ قالَ: هَنِيئاً لِضَرْبِ الهَامِ الذي أَنْتَ أَحْذَقُ النَّاسِ به، ولِلْمَجْدِ الذي أنتَ أَكسَبُ النَّاسِ له، وللعُلاَ الذي أنت جامِعُ شَمْلِها، ولِرَاجي مَكَارِمِكَ التي لا تُمْطَلُ بفَضْلِها، وللإسلامِ الذي أَعْزَزْتَ دَعْوَتَهُ[2]، وأَمْلَحْتَ على الأَشْرَارِ حُجَّتَهُ[3]. إنَّكَ سالِمٌ مُنْسَأٌ[4] عُمُركَ، مُمَلَّكٌ مَتْبوعٌ أَمْرُكَ.

٤٦ ـ وَلِمْ لاَ يَقِي الـرَّحْمٰنُ حَدَّيـكَ مَـا وَقَى   وَتَفْلِيقُـهُ هَـامَ العِـدى بِـكَ دائِمُ

ثُمَّ قالَ: ولِمَ لا يَقي الرَّحْمٰنُ حَدَّيْكَ ما وَقَاهُمَا من النُّبُوِّ عن ضَرَائِبِهما، والتَّأَخُّرِ عن النَفَاذِ في مَقَاصِدِهما، وتَفْلِيقُ هَامِ أَعْدَائِه دائِمٌ بهما، وإعزازُ حِزْبِ شَرِيْعَتِهِ خَالِصٌ لهما.

---

(١) في ت «ولا تعتصم منه جنة» والجُنَّةُ: الستر.

(٢) في ت «فضرب الهام أنت أحذق الناس به، والمجد أنت أكسب الناس له، والعلا أنت جامع شملها، وراجي مكارمك التي لا تمطل بفضلها، والإسلام لأنك أعززت دعوته».

(٣) في ت «وأبلجت على الإشراك حجته».

(٤) كذا في ت، وفي ر، ف «منسي» والنسيء: التأجيل، قال تعالى ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ سورة التوبة آية ٣٧، وفي الحديث: «من أراد أن ينسأ له في أجله ويوسع عليه في رزقه، فليصل رحمه».



ثُمَّ قالَ مُخاطباً لَهُ: [لا يَنامونَ](1) حِذاراً منك لِـمَلِكٍ شَديدٍ بَأْسُهُ، قَويٍّ جَيْشُهُ، تَتَسابَقُ فُرْسانُهُ إلى الحَرْبِ عِنْدَ مُفاجَأتِها لهم على أعراءِ(2) الخَيْلِ، فَيَسْتَقْبِلُونَ بها الطِّعانَ غَيْرَ مُلْجَمةٍ، ويُجالِدُون عليها الأَقْرانَ غيرَ مُسْرَجَةٍ. يُشيرُ إلى أنَّ لهم في الحَرْبِ أَعْظَمَ دُرْبَةٍ، وهم بِكَرم خَيْلهم على أَتمِّ ثِقَةٍ.

٧ ـ تُعَطَّفُ فيه والأَعِنَّةُ شَعْرُها وتُضْرَبُ فيه والسِّياطُ كَلامُ

ثُمَّ قالَ، مُؤكِّداً لما قَدَّمهُ: تُعَطَّفُ تِلْكَ الخَيْلُ عِنْدَ ذلك الطَّعنِ بِشَعْرِها(3)، فَتُطِيعُ مُثانِيةً(4)، وتُضْرَبُ في ذلكَ المَجالِ بِسِياطِ الكَلامِ، فتُسابِقُ مُتبارِيَةً. وأَشارَ بسياطِ الكلامِ إلى الزَّجْرِ على طَريْقِ الاستِعَارةِ.

٨ ـ وما تَنْفَعُ الخَيْلُ الكِرَامُ ولا القَنا إذَا لم يَكُنْ فَوْقَ الكِرَامِ كِرَامُ

ثُمَّ قالَ: وما تَنْفَعُ كِرامُ الخَيْلِ، وصُمُّ الرِّمَاحِ، إذا لم يُصَرِّفْها كِرامٌ لا يَنْكُلُونَ(5)، وأَبْطالٌ لا يَجْبُنُونَ.

٩ ـ إلى كَمْ تَرُدُّ الرُّسْلَ عَمَّا أَتوا لَهُ كَأَنَّهُمْ فيما وَهَبْتَ مَلامُ

ثُمَّ قالَ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ: إلى كَمْ تَرُدُّ الرُّسُلَ عَمّا يأْتُونَكَ؛ من اسْتِعْفَاءِ المُرْسِلِين بهم لِحَرْبكَ، وضَرَاعَتِهم فيما يُؤَمِّلُونَهُ من سِلْمِكَ، حَتَّى كَأَنَّهُمْ في إِعْرَاضِكَ عنهم مَلاَمٌ في نَوالِك، وعَذْلٌ على ما تَبْذِلُهُ من إنعَامِكَ.

---

(1) زيادة في ت واقتضاها السياق.

(2) كذا في ت وفي ر، ف «أغرار».
وعريا الخيل: هي التي لا تسرج ولا تلجم.

(3) قال الواحدي: «يريد أن خيله مؤدبة، إذا قيدت بشعرها انقادت كما تنقاد بالعنان» (شرح الواحدي ٥٥٧/٢).

(4) مثانية: تنعطف مستجيبة بقوة.

(5) لا ينكلون: لا يضعفون، والنَّاكل: الجبان الضعيف.

١٠ ـ فإنْ[١] كُنْتَ لاَ تُعْطِي الذِّمَامَ طَوَاعَةً   فَعَوْذُ الأَعَادي[٢] بالكَريمِ ذِمَامُ

ثُمَّ قالَ: فإن كُنْتَ لا تَمْنَحُ لهم ما أَمَّلُوهُ من جِوَارِك، تَقَبُّلاً لِطَاعَتِهم، وَإِسْعَافاً لِرَغْبَتِهم، فَتَعَوُّذُ[٣] الأَعَادي بالملكِ الكريمِ، جِوارٌ يَمْشُونَ بِحُرْمَتِهِ، وشَفيعٌ يَلوذونَ[٤] بِذِمَّتِهِ، وقد اسْتَعاذوا بِكَ فَتَقَبَّلْتَهُم[٥]، ورَجَوا كريمَ عائِذَتِكَ فأَسْعَفْتَهُم وأَجَرْتَهم[٦].

١١ ـ وإن نُفُوساً أَمَّتْكَ مَنِيعَةٌ   وإنَّ دِمَاءً أَمَّلَتْكَ حَرَامُ

ثُمَّ يقولُ: وإنَّ نُفوساً قَصَدَتْكَ مُسْتَجِيْرَةً بك، واعْتَمَدَتْكَ رَاجيةً لك، لَمَنُوعَةٌ[٧] مما تَحْذَرُهُ، آمنةٌ لما تَكْرَهُه، وإنَّ دماءً استَسْلَمَتْ إليك، واقتصَرَتْ بآمالِها عَليكَ، لَوَاجِبٌ حِفْظُها، حَرَامٌ سَفْكُها.

١٢ ـ إذا خَافَ مَلْكٌ مِنْ مَلِيكٍ أَجَرْتَهُ   وَسَيْفَكَ خَافُوا والجِوارَ تُسَامُ

ثُمَّ قالَ: إذا خَافَ مَلِكٌ من مَلِكٍ، أَجَرْتَ الخَائِفَ بِفَضْلِكَ، وزَجَرْتَ المُخِيْفَ بِعِزِّكَ، وسَيْفَكَ خَافَ الرُّومُ، فخضَعُوا لَكَ، والجِوارَ يَسُومُونَك[٨] لِيَعْتَصِموا بك.

---

(١) كذا في رواية الواحدي أيضاً، وفي رواية التبيان «وإن».

(٢) كذا في رواية الواحدي والتبيان، وفي ر، ف «فعوذ الكرام» وما أثبته الصواب، وفي شرح البيت ما يدل على رواية ما أثبته أيضاً.

(٣) في ت «عوذ».

(٤) في ر، ف «يذلون»، وهو تحريف. والأصوب ما أثبته.

(٥) كذا في ت، وفي ر، ف «فتقبلهم».

(٦) كذا في ت، وفي ر، ف «فأسعفهم وأجرهم».

(٧) في ت «ممنوعة».

(٨) في ت «يطلبون».

١٣ - لَهُمْ عَنْكَ بالبِيْضِ الخِفَافِ تَفَرُّقٌ وَحَوْلَكَ بالكُتْبِ اللِّطَافِ زِحَامُ

ثُمَّ قَالَ، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ: لهم عَنْكَ بالسُّيوفِ تَفَرُّقٌ في وَقَائِعِكَ، ولَهُم حَوْلَكَ بالكُتُبِ اللَّطِيفةِ ازْدِحَامٌ في مَجَالِسِكَ. يُشِيرُ إلى عَجْزِهِمْ عن مُقَاوَمَتِهِ في الحَرْبِ، وازدِحامِهم عليه رَاغِبينَ في السِّلْمِ.

١٤ - تَغُرُّ حَلاوَاتُ النُّفُوسِ قُلوبَهَا فَتَخْتَارُ بَعْضَ الْعَيْشِ وَهْوَ حِمَامُ

ثمَّ يقولُ: تَغُرُّ القُلُوبَ حَلاوةُ النُّفوسِ، والحِرْصُ على استِدَامَةِ الحَيَاةِ، فتَخْتَارُ من العَيْشِ ما هو الموتُ في حَقِيقتِهِ. يُشِيرُ إلى أنَّ إيثارَ العَزِيْزِ للذُّلِّ هو الموتُ إذا تُؤُمِّلَ، والحَتْفُ العَاجِلُ إذا تُبِيِّنَ.

١٥ - وَشَرُّ الحِمَامَيْنِ الزُّؤَامَيْنِ عِيْشَةٌ يَذِلُّ الَّذي يَخْتَارُهَا وَيُضَامُ

ثُمَّ قَالَ: وشَرُّ المَوْتَينِ المُعَجَّلَيْنِ[1]؛ يُشِير إلى مِيْتَةِ الذُّلِ، ومِيْتَةِ الحَتْفِ[2]، عِيْشَةٌ يَذِلُّ مُتخيِّرُها، ويُسْتَضَامُ[3] مُؤْثِرُها. يُرِيدُ: أَنَّ عِيْشَةَ الذُّلِّ هي شَرُّ المِيْتَتَيْنِ، وأَصْعَبُ[4] الحَالَتَيْنِ.

١٦ - وَلَوْ[5] كَانَ صُلْحاً لم يَكُنْ بِشَفَاعَةٍ ولكِنَّهُ ذُلٌّ لَهُمْ وَغَرَامُ

ثُمَّ يقولُ لِسَيْفِ الدَّولَةِ: فلو كانَ ما ابتَغاهُ الرُّومُ منك على سبيلِ المُصَالَحَةِ، وما يَتَداعى إليه المُتكافِئونَ من المُهادَنَةِ، لما تَشَفَّعُوا إليك بِفُرْسَانِ طَرَسُوسَ، الَّذينَ شَفَّعْتَهُم فيهم، وَجَعَلْتَ لهم المِنَّةَ عليهم، ولكِنَّهُ منهم

---

(١) في ت «الموتتين العاجلتين». والموتان المُعَجَّلان: تفسير للحمامين الزؤامين في البيت.

(٢) زاد في ت «المحتومة».

(٣) في ر، ف «تستضام» وفي ت «يضام».

(٤) في ت «وأضعف».

(٥) في رواية الواحدي والتبيان «فلو».



خُضوعُ ذِلَّةٍ، وعَجْزٌ وهَلَكَةٌ.

١٧ - وَمَنْ لِفُـرْسَـانِ الـثُّغُـورِ عَـلَيْهِـمُ بِتَبْلِيْغِهِم[١] مَـا لاَ يَكَـادُ يُـرَامُ

ثُمَّ قالَ: فيما أَجْبَتَ الرُّومَ إليه مَنٌّ[٢] لِفُرْسَانِ[٣] الثُّغُورِ عليهم، ويَدٌ كريمةٌ قَدَّموها فيهم؛ لأنهم بَلَّغُوهم من إمْسَاكِكَ عن غَزْوِهِمْ، إلى ما كانوا لا يَرُومُونَهُ لِتعَذُّرِهِ، ولا يَرْتَجُونَهُ لِتَمَنُّعِهِ.

١٨ - كَتَـائِبُ جَاءُوا خَـاضِعِيْنَ فَـأَقْـدَمُـوا وَلَـوْ لَمْ يَكُـونُـوا خَـاضِعِـيْنَ لَخَـامُـوا

ثمَّ يقولُ، مُشِيراً إلى الرُّومِ، والقَادِمينَ على سَيْفِ الـدَّوْلَةِ: كَتَـائِبُ جَاؤوكَ خَاضِعِينَ، فَأَقْدَموا على مُقَارَبتِك، وَقَصَدُوكَ مُسْتَسْلِمينَ، فَشَجُعُوا على مُشَاهَدَتِك، ولو لم يكونوا كَذَلِكَ لَخَاموا[٤] عنك نَاكِصِينَ. ولَتَباعَـدُوا منك هَارِبينَ.

١٩ - وَعَـزَّتْ قَـدِيمـاً في ذُرَاكَ[٥] خُيُـولُهُمْ وَعَـزُّوا وَعَامَتْ في نَـدَاكَ[٦] وعَامُـوا

ثُمَّ قالَ: وقديماً اعتزَّتْ خُيولُهم بالاسْتِجَارَةِ لِكَنَفِكَ، وأَمِنَتْ بالخُضُوعِ لأَمْرِكَ، وعامَتْ[٧] بفُرْسَانها في جُودِكَ، وفَاضَت عليهم بُحورُ فَضْلِكَ.

٢٠ - عَـلَى وَجْهِكَ المَيْمُـونِ في كُـلِّ غَـارَةٍ صَـلاَةٌ تَـوَالى مِـنْهُـمُ وَسَـلاَمُ

---

(١) في ر، ف «بتغليبهم» وهو تحريف.
(٢) ساقطة من ف.
(٣) في ر، ف «الفرسان».
(٤) خاموا: جبنوا.
(٥) في ف «دارك» وهو تحريف.
(٦) كذا في رواية الواحدي والتبيان، وفي ر، ف «ذراك».
(٧) عامت: سبحت.



ثُمَّ يقولُ لِسَيْفِ الدَّولَةِ: على وَجْهِكَ الميمونِ على الإسلامِ وأَهْلِهِ، المباركِ على الإيمانِ وحِزْبِهِ[1]، في كُلِّ غارةٍ يَشْهَدُها، وكلِّ غزاةٍ يَتَكَلَّفُها، صَلاةٌ وسَلامٌ من اللهِ المُتَكَفِّلِ بِنَصْرِكَ، المُعْلِي لِكَلِمةِ حِزْبِكَ.

٢١ ـ وَكُلُّ أُناسٍ يَتْبَعُونَ إِمامَهُمْ وأَنْتَ لأَهْلِ المَكْرُماتِ إِمامُ

ثُمَّ قالَ: وكلُّ أناسٍ لهم إمامٌ يَتْبَعُونَهُ، وإمامٌ يَؤُمُّونَهُ، وأَنتَ إمامُ أَهْلِ المَكْرُماتِ وَسَيِّدُهُم، وقُدْوَتُهم ومُعْتَمَدُهُم.

٢٢ ـ وَرُبَّ جَوابٍ عَنْ كِتابٍ بَعَثْتَهُ وَعُنْوانُهُ لِلنَّاظِرِينَ قَتامُ

ثُمَّ يقولُ: ورُبَّ جَيْشٍ بَعَثْتَهُ جَواباً[2] عن كِتابٍ وَرَدَ عليكَ، فَكانَ عُنْوانُهُ للنَّاظِرينَ إليهِ قَتامٌ[3] يَسْبِقُهُ، ورَهَجٌ يَتَقَدَّمُهُ. يُشيرُ إلى تَعْظيمِ ما حَصَلَ عليه الرُّومُ في إسْعافِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ لِكِتابِهِمْ، وإجابَتِهِ إيَّاهُمْ إلى مُسالَمَتِهِمْ.

٢٣ ـ تَضِيقُ بِهِ البَيْداءُ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ وَما فُضَّ بالبَيْداءِ عَنْهُ[4] خِتامُ

ثُمَّ قالَ، يَصِفُ جَيْشَ سيفِ الدَّولَةِ الذي يُواعِدُ الرُّومَ به: تَضِيقُ البَيْداءُ بِذلكَ الجَيْشِ قَبْلَ أَنْ تَنْتَشِرَ[5] كَتائِبُهُ، وتَغَصُّ بِجَمْعِهِ قَبْلَ أن تُغِيرَ مَواكِبُهُ[6]، ويَمْلأُ الفَضاءَ وهو مُجْتَمِعٌ لم يُفَضَّ خِتامُهُ، ولا انْتَشَرَ بالغارَةِ على

(١) في ت «المبارك على الإسلام والإيمان وحزبه».

(٢) في ف «جواب» وهو لحن.

(٣) القتام: الغبار الضارب إلى السواد.

(٤) في ف «منه».

(٥) في ت «تنشر».

(٦) في ت «مواليه».



الأعداءِ نِظَامُهُ، وأجْرَى الاسْتِعارةَ في الفَصِّ والخَاتَمِ[1]، على نَحْوِ ما تَقَدَّمَ لَهُ من ذِكرِ الجوابِ والعُنوانِ[2].

٢٤ ـ حُرُوفُ هِجَاءِ النَّاسِ فيه ثَلاَثَةٌ   جَوَادٌ وَرُمْحٌ ذَابِلٌ وَحُسَامُ

ثُمَّ وَصَلَ الاسْتِعَارةَ على ذلك، فَقَالَ: حُروفُ[3] هِجاءِ النَّاسِ في ذلكَ الجوابِ الذي هو هذا الجَيْشُ المَوْصُوفُ؛ جَوَادٌ يَنْهَضُ فَارِسُهُ، ورُمْحٌ يَتَقَدَّمُ حامِلُهُ، وحُسَامٌ يَصُولُ[4] صَاحِبُهُ.

٢٥ ـ إذَا الحربُ قَدْ أتْعَبْتَها[5] فَالْهُ سَاعَةً   لِيُغْمَدَ نَصْلٌ أو يُحَلَّ حِزَامُ

ثُمَّ يقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ إذا الحَرْبُ قد أتْعَبْتَها بطولِ استِعْمالِكَ، وأجْهَدْتَها بكَثْرَةِ اعتِنائِكَ بها، فاعرِضْ عَنها سَاعةً، لِتُغْمَدَ[6] النُّصُولُ التي قد سَلَّها[7] فُرْسانُك، وتُحَلَّ الحُزْمُ التي قد شَدَّها[8] أتْبَاعُكَ.

٢٦ ـ وإنْ طَالَ أعْمَارُ الرِّماحِ بِهُدْنَةٍ   فإنَّ الَّذي يَعْمُرْنَ عِنْدَكَ عَامُ

ثُمَّ قالَ: وإن طَالَ أعْمَارُ الرِّماحِ عند غَيْرِكَ، بِطولِ دِعَةٍ، واتِّصالِ هُدنَةٍ، فإنَّ غايَةَ أعْمارِها عِنْدَكَ عامٌ لا تَتجاوزُهُ؛ لأنَّ التَّكَسُّرَ يُسْرِعُ إليها،

---

(١) في ت «والختم»

(٢) زاد في ت «وقد أبدع في هذا غاية الإبداع».

(٣) ساقطة من ف.

(٤) واد في ت «يصول به».

(٥) كذا في رواية الواحدي والتبيان، وفي ر، ف «ألقحتها» والوزن واحد. غير أن في شرح البيت ما يدل على صواب ما أثبته.

(٦) في ر، ف «ليغمد» وفي ن «حتى تغمد».

(٧) في ت «سلتها».

(٨) في ت «شدتها».



بمداومَتِك للحَرْبِ، وما تَحْمِلُ عليه جَيْشَكَ من المُجَالَدةِ والطَّعْنِ، وأَمَدُ مُهادَنَتِك[1] للرُّومِ عامٌ[2] ثمَّ تعودُ إلى حَرْبِهم على عادَتِك، وتَكْسِرُ الرِّماحَ فيها[3] على سَجِيَّتِك.

٢٧ ـ وَمَا زِلْتَ تُفْنِي السُّمْرَ وَهيَ كَثِيرَةٌ وَتُفْنِي بِهِنَّ الجَيْشَ وَهْوَ لُهَامُ

ثُمَّ قالَ، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ، ومُخاطِباً لِسَيْفِ الدَّولةِ: وما زِلْتَ تُفْنِي الرِّماحَ في وَقائِعِكَ مَعَ كَثْرَتِها، وتُقَدِّمُها مَعَ تَمَكُّنِها، وتُفْنِي بِفَنائِها الجَيْشَ اللُّهَامَ[4]، وتُذْهِبُ بإذْهَابِكَ[5] لها الجُموعَ[6] العِظَامَ.

٢٨ ـ مَتَى عَاوَدَ الجالُونَ عَاوَدْتَ أَرْضَهُم وَفِيها رِقَابٌ لِلسُّيُوفِ وَهَامُ

ثُمَّ يقولُ لَهُ: مَتى عَاوَدَ الرُّومُ الذين أَجْلَيْتَهُم [عن][7] تِلْكَ البِلادِ بهذا السِّلمِ الذي أَجَبْتَهُم إليهِ، عاوَدْتَ أَنتَ تلكَ الأَرضَ بالغَزوِ، فأَلفَيْتَ فيها منهم جَماعَاتٍ تُعْمِلُ سُيُوفَكَ في رِقابِهم، وتُصَرِّفُها في هَامِهم.

٢٩ ـ وَرَبَّوا لَكَ الأَوْلاَدَ حَتَّى تُصِيبَهَا وَقَدْ كَعَبَتْ بِنْتٌ وشَبَّ غُلاَمُ

ثُمَّ قالَ: وتوافِقُهم هنالِكَ، وقد رَبُّوا لَكَ الأَوْلادَ، لِتَتَمَلَّكَهُم بِسَبْيِكَ[8]، وتَظْهَرَ عليهم بِجَيْشِكَ، والغُلاَمُ منهم شابٌ، والجاريةُ كاعِبٌ.

---

(١) كذا في ت، وفي ر، ف «مهاديتك».
(٢) في ت «عاماً».
(٣) في ت «فيهم».
(٤) اللهام: الكثير العدد، الذي يلتهم كل شيء.
(٥) في ت «بإذهابها».
(٦) في ف «الجموم».
(٧) زيادة يقضيها النص. وفي اللسان: «جلا القوم عن أوطانهم يجلون وأَجْلَوْا، إذا خرجوا».
(٨) في ف «بسيفك».



فَأشارَ إلى أنَّ في مُسالَمَةِ سَيْفِ الدَّولَةِ للرُّومِ ضَرْباً[1] من التَّدبيرِ عليهم؛ لأنَّهم يُعَاودون ما[2] أجلَوْهُ[3] مِنْ مَسَاكِنهم، ويَنْزلونَ عَمَّا صاروا فيه مِنْ مَعَاقِلِهم، فَيكونُ ذلك أَمْكَنَ لِقَتْلِهم، وأقربَ سبيلاً إلى سَبْيهم[4].

٣٠ ـ جَرَى مَعَك الجَارُونَ حَتَّى إذَا انْتَهوا إلى الغَايةِ القُصْوَى جَرَيْتَ وقَامُوا

ثُمَّ قالَ لِسيفِ الدَّولةِ: جَاراكَ الملوكُ فيما نَهَجْتَهُ من مكارِمِكَ، واقتَدَوْا[5] بكَ فيما عَرَضْتَ إليه من مَقَاصِدِك، فلما أَوْفَيْتَ بهم من ذلك على الغايَةِ القُصْوَى فيما يُمْكِنُ فِعْلُهُ، والمَنْزِلَةِ العُليا[6] مما يُدْرَكُ مِثْلُهُ، غيرَ ثانٍ[7] لِعِنَانِك، وتَقَدَّمْتَ مُقْبِلاً على شَأْنِك، ووقفوا عاجِزينَ عن بُلوغِ شَأْوِك، مُقِرِّين بالتَّقْصِيرِ عن إدْراكِ سَعْيِكَ.

٣١ ـ فَلَيْسَ لِشَمْسٍ مَا[8] أَنَرْتَ إنارَةٌ وَلَيْسَ بِبَدْرٍ مُذْ تَمَمْتَ[9] تَمَامُ

ثمَّ قالَ: فليس لِشَمْسٍ منهم إنَارَةٌ مَعَ ما تُنيرُ[10] من نُورِكَ، ولا لِبَدْرٍ

---

(١) في ر، ف «ضرب» وهو لحن، وفي ت «فأشار إلى أن مسالمة سيف الدولة ضرب».
(٢) كذا في ر، ت، وفي ف «من».
(٣) في ر، ف «اجلبوه» وفي ت «أخلوه» ولعل ما أثبته الأصوب.
(٤) في ت «فيكون ذلك أقرب لقتلهم، وأمكن لسبيهم».
(٥) في ت «واقتدت».
(٦) في ت «العالية».
(٧) في ف «شان».
(٨) في رواية الواحدي والتبيان «مذ أنرت».
(٩) في رواية الواحدي «مذ تممت» وفي رواية التبيان «ما تممت».
(١٠) في ت «يبدو».



مِنْهُم تمامٌ مَعَ ما أَتَمَّهُ [الله لك من][1] فَضْلِكَ، يُرِيدُ: أَنَّ المُلُوكَ صَغُرَ كُلُّ كبيرٍ منهم عِنْدَ قَدْرِ سَيْفِ الدَّولةِ، ونَقَصَ [2] كلُّ مَنْ كانَ يَتِمُّ منهم بالإضافَةِ إلى فَضْلِهِ، والتَّقْصِيرِ عَنْ مَشْكُورِ سَعْيِهِ.

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من ت، وفي ر، ف «ما أتمه فضلك».

(٢) في ت «صغير... ناقص».

تَجَمَّعتْ عامِرُ بنُ صَعْصَعَـةَ، وعُقَيْلُ وقُشَـيْرٌ والعَجْلانُ [وكِلابُ] بنُ رَبِيْعَةَ بنِ عامِرٍ ومَنْ ضَامَّها(١)، بماءٍ يُقَالُ له الزَّرقاءُ بين خُنَاصِرَةَ(٢) وسُورِيَّةَ، ونُمَيْرُ بنُ عَامرٍ بنِ دِينارٍ مِنْ دِيارِ مُضَرَ. وتَشَاكَوْا ما يَلْحَقُهم مِنْ سَيْفِ الدَّولَةِ، وتَوافَقُوا على التزامٍ(٣) فيما بَيْنَهم، وشَغْلِهِ من كلِّ نَاحِيةٍ، والتضَافُرِ(٤)، إن قَصَدَ طَائِفَةً منهم. وَبَلَغَهُ ما عَمِلُوا عليه، وَتراسَلُوا بِهِ، فـأَقَلَّ الفِكْـرَ فِيهِ، فأَطْغَاهُمْ كَثْرةُ عَدَدِهم وعُدَدِهم، وسَوَّلَتْ(٥) لهم أَنفُسُهُم الأَبَاطِيلَ، واسْتَوْلَى على تَدْبيرِ كَعْبٍ؛ عُقَيْلِيُّها وقُشَيْرِيُّها وَعجْلانِيُّها، إلى المُهَنَّأ(٦)، وتَفرَّدَ بـذلكَ مُحَمَّدُ بنُ بَزيغٍ، ونَدِي بنُ جَعْفرٍ، وحَسَّنَ لهم ذلكَ قُوَّادٌ كانـوا في عَسْكَرِ سَيْفِ الدَّولَةِ، مُتَدَوِّنينَ(٧) من كَعْبٍ في عِدَّةٍ وسُدَّةٍ(٨) وركَضوا على أَعْمَالِهِ،

(١) في شرح ابن جني ورقة ٤١٣، وفي الديوان المخطوط ورقة ١٤١: «تجمعت عامر بن صعصعة عقيل وقشير والعجلان وأولاد كعب بن ربيعة بن عامر بمروجِ سَلَمِيَّةَ وكلاب بن ربيعة بن عامر ومن ضامها.

(٢) بليدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية، وسميت بذلك نسبة إلى بانيها خناصرة بن عمرو بن الحارث بن عبد ودّ بن عوف بن كنانة ملك الشام، أو الخناصر بن عمرو خليفة الأشرم صاحب الفيل (معجم البلدان ٢/٣٩٠).

(٣) في الديوان المخطوط «التذام» وفي شرح ابن جني أيضاً «التذام بينهم».

(٤) في الديوان المخطوط «فيهم».

(٥) في ر، ف «وتسولت».

(٦) كذا في شرح ابن جني، وفي ر، ف «إلى المهيًا».
وفي نسب آل المهنا انظر (تاريخ ابن خلدون ٢/١٢ - ١٤).

(٧) التدون: الغنى التام.

(٨) السُّدَّة: بابُ الدار والمقصود أنهم في مكانة عالية مميزة.
وفي الديوان المخطوط «في عِدَّة وعُدَّة» وكذلك في شرح ابن جنى ورقة ٤١٣.



فَقَتلوا صاحِبَهُ بِنَـاحِيَةِ زَعْـرَايا[١]؛ يُعْـرَفُ بالَمـرْبُوعِ من بني تَغْلبَ، وقَتَلوا الصبَّاحَ بنَ عُمَارَةَ وَالِيَ قِنِّسْرِيْنَ[٢]، واشتَغَلَ سَيْفُ الدَّولةِ عن النُّهوضِ إليهم بِـوفُودٍ أَتَـوْهُ من طَرَسُـوسَ، مَعَهم رَسولُ مَلِكِ الـرُّومِ، في طَلَبِ الهُـدْنَـةِ والفِداءِ[٣]، فَتَمادَتْ أَيَّامُ مَسِيْرِهِ[٤]، وزادَ ذلكَ في طَمعِ البَوادي، ثم قَدَّمَ سَيْفُ الدَّولةِ مُقَدَّمَةً إلى قِنَّسْرينَ في يومِ السَّبْتِ لِلَيْلَةٍ خَلَتْ من صَفَرٍ سَنَةَ أربعٍ وأَرْبَعينَ وثَلاثِمائةٍ، فَأقامَتْ أَحَدَ عَشَرَ يوماً، تَأَنياً واستِظْهاراً في أَمْـرِ البادِيةِ، وتَقْديراً أَنْ يَسْتَقيموا فلا يَكْشِفوا لهم عَوْرَةً[٥].

وَبَرزَ سيفُ الدَّولةِ إلى ضَيْعَةٍ له يُقَالُ لها الرَّامُوسَةُ[٦]، على مِيْلَيْنِ من حَلَبَ، في يومِ الثُّلاثاءِ لإِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ من صَفَرٍ، وسَارَ عنها في يومِ الأَرْبِعاءِ، فَنَزَلَ ماءَ تَـلِّ ماسِـحٍ[٧]، وراحَ مِنْهُ فـاجْتَازَ مِيـاهَ الحِيَارِ[٨] وطَوَاها، وتَلَقَّتْهُ مَشْيَخَةُ بني كِلابٍ؛ مَطَرُ بنُ البَلَدِيِّ العُـوفيِّ، من بني أبي بكرٍ، وعبدُ اللهِ بنُ مَرْزوعٍ، وسَرارُ بنُ مُحْرِزٍ[٩] الأَشْهَبِيَّانِ من الضِّبابِ[١٠]

(١) موضع من أعمال حلب (معجم ما استعجم ٦٩٨/٢).
(٢) مدينة بالشام من جهة حمص فتحها أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه سنة ١٧ هـ.
(٣) في الديوان المخطوط «يسألونه إقامة الفداء والهدنة».
(٤) في ر، ف «ميسرة».
(٥) في شرح ابن جنى ٤١٣ وفي الديوان المخطوط ورقة ١٤١ «فلا يكشف لهم عن عورة».
(٦) الراموسة: ضيعة على ميلين من حلب، كان يبرز إليها سيف الدولة إذا أراد الغزو.
(٧) قرية من نواحي حلب على مرحلة من الراموسة ويقع بينها وبين الرقة (معجم ما استعجم ٦٢٩/٢) وذكر ياقوت أن امرأ القيس ذكرها في شعره:

يـذكرهـا أوطانها تـلُّ ماسـحٍ ... مـنازلهـا مـن بـربَـعيص وميسرا

وإليه ينسب القاسم بن عبدالله المكفوف التلّي يروي عن ثور بن يزيد (ياقوت ٤٣/٢).
(وفي الديوان ص ٧٠) يخالف صدر البيت ما رواه ياقوت:

ومـا جبنت خيـلي ولكن تـذكرت ... مـرابـطهـا من بـربعيص وميسرا

(٨) صقع من برية قنسرين وكان بينه وبين حلب مسيرة يومين.
(٩) في شرح ابن جنى «سوار بن محرز».
(١٠) الضِّباب: قبيلة، وهي إحدى فروع قريش (انظر الإيناس في علم الأنساب ٢٢٩).



وغَيْرُهم. فَطرَحُوا نُفوسَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وسألُوهُ قَبُول تَسْلِيمِهِمْ إليه، وسَارتْ خَيْلُهُم مَعَهُ، ومَدَّ إلى ماءٍ يُقَالُ لَهُ البَدِيَّهُ[١]، فَصَبَّحَهُ يَوْمَ الخميسِ لِثلاثَ عَشْرَةَ ليلةً خَلَتْ من صَفرٍ، ونَزَلَ به، وَرَاحَ مِنْهُ إلى ظاهِرِ سَلَمْيَةَ[٢]، فوجَدَ الأعْرابَ قد أجْفلوا في غَداةِ يَوْمِهِ، فَنَزَلَ بها، فلما كانَ في السَّحَرِ من يَوْمِ الجُمْعَةِ، تَجَمَّعَتْ كَعْبٌ ومن ضَامَّها[٣] من اليَمَنِ في عِدَّتها وعُدَّتها، وَحَبَسوا ظُعْنَهمْ بماءٍ يُقَالُ له حَيْرانُ[٤]، على نَحْوِ رِحْلَةٍ مِن سَلَمْيَةَ، وبَعْضُهم بماءٍ يُقالُ له الفُرْقُلْسُ[٥] وراءَهُ، ووافَتْ خُيُولُهُمْ مُشْرِفَةً على عَسْكَرِ سَيْفِ الدَّولةِ من كُلِّ ناحِيَةٍ، فَرَكِبَ لهم[٦]، ووقَعَ الطِّرادُ، ولم تَمْضِ إلاّ ساعاتٌ حَتَّى مَنَحَهُ الله أكْتافَهُم[٧]، وَوَلَّوْا واسْتَحَرَّ القَتْلُ والأسْرُ بآلِ المُهَنَّأِ[٨]، ووجوهِ عُقَيْلٍ وقُوَّادِها.

ورَحَلَ سَيْفُ الدَّولةِ ضَحْوَةَ نَهارِ يومِ الجُمْعَةِ مُتَّبِعاً لهم، ونَفَروا[٩] طائِرينَ، فَرَحَّلوا بُيُوتَهم، وأجْفَلوا فَوافَوْا الماءَ الذي يُقالُ له حَيْرَانُ بَعْدَ

---

(١) ماء يقع بين حلب وسلمية واغل في البَرِّيَّة.

(٢) بليدة في ناحية البَرِّيَّة من أعمال حماة، ويقال إنها كانت تعرف بسلم مائة نسبة إلى المائة الذين سلموا من المؤتفكة حين نزل بها العذاب.
(معجم البلدان ٣/٢٤٠).

(٣) في نخب تاريخية «ضامتها».

(٤) في الديوان المخطوط «خيران» وهو تصحيف وحيران: اسم ماء بين سلمية والمؤتفكة وقد ذكره أبو الطيب في شعره (انظر قصيدة رقم ٥٠ بيت ١٦).

(٥) في ر، ف والديوان المخطوط «قرقلس» بالقاف وفرقلس عجمي: اسم ماء قرب سلمية بالشام.

(٦) في الديوان المخطوط ورقة ١٤٢ «فَتَرَكَّب لهم» وفي شرح ابن جني «فركب اليهم».

(٧) في الديوان المخطوط «مسحه الله».

(٨) في ر، ف «بآل المُهيَّا».

(٩) في الديوان المخطوط «ونَفذوا» وفي شرح ابن جني ٤١٦ «وطاروا».



الـظُّهر، وتبِعَهُم فَـوَجَدَ آثـارَ جَفْلَتِهم[1]، وسَارَ إلى مـاءِ الفُرْقُلُس، وأَمَرَ بالنزولِ عليهِ، ثُمَّ عَنَّ لهُ رَأْيٌ في اتِّباعِهم، فَرَحَلَ لِوَقْتِهِ إلى ماءٍ يُقَـالُ لَهُ الغُنْثُرُ[2]، وقدَّمَ خَيْلاً فَلَحِقَتْ مَالَهُم وحَازَتْهُ[3]، ونَزَلَ على الغُنْثُرِ قَبْلَ نِصْفِ النَّهارِ،[4] وقد امتلأَتِ الأَرضُ من الأَغْنامِ والجِمـالِ والهوادِجِ والـرِّحالِ، وأَتَاهُ خَبَرُ اجتِماعِهم بِتَدْمُرَ[5]، فسارَ في السَّحَـرِ يومَ الأَحَدِ، فَنَزَلَ ماءً يقالُ له الجَبَاةُ[6]، وتَفرَّقتْ خَيْلُهُ في طَلَبِ الفُلولِ، فَرَدَّتْ مَـالاً، وقَتَلتْ عِدَّةً، وراحَ مِنهُ قاطِعاً الصَّحْصَحانَ[7] والمَعَاطِيسَ[8]. واجتازَ بَركايا العَوِيرِ[9] ونِهْيَا والبُيَيْضَةَ[10] وغُدْرَ والجِفارَ[11] فَوجَدَ جَمِيْعَهَا قد نَزَحَتْـهُ[12] الباديـةُ المَفْلُولَةُ، وَصَبَّحتْ أوائلُ خَيْلِهِ تَدْمُـرَ يَوْمَ الاثْنَـيْنِ، لِثلاثَ[13] عَشْـرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ من صَفَرٍ.

---

(١) في الديوان المخطوط «فوافى الماء الذي يقال له خيران بعد الظهر فوجد آثار جفلتهم».

(٢) في الديوان المخطوط «العُثر»، والغُنْثُر: واد بين حمص وسلمية بالشام.

(٣) في ر، ف «مآلهم وجازته».

(٤) في الديوان المخطوط «قبل نصف الليل» وفي شرح ابن جني كذلك.

(٥) في الديوان المخطوط «وأتاه خبر عزمهم على الاجتماع بتدمر».

(٦) في ر، ف بالهاء المحضة وفي الديوان المخطوط «الجبات» والجَبَاة: ماء بين حلب وتدمر.

(٧) الصحصحان: المكان المستوي وهو موضع بين حلب وتدمر.

(٨) في الديوان المخطوط «والمعاطش».

(٩) في ر، ف «بركايا الغُوَيْر» بعين معجمة وهو تصحيف وهي من قرى الشام أو ماء بين حلب وتدمر.

(١٠) في ر، ف «البَيْضة».

(١١) في ر، ف «الجفان» والجِفَارُ جمع جَفْر وهي في الأصل كالبئر إلا أنها لا تبلغ مبلغها لافتقارها للحبال الطوال للاستسقاء.

(١٢) في الديوان المخطوط «نزفته» ونزح البئر: استسقى ماءها حتى ينفد أو يقل.

(١٣) في ر، ف «ثلاث».



ووجَدوا جُموعَهُمْ قد كانَتْ بِظَاهِرِها للتَّشاورِ والتَّدبيرِ، وهم لا يَظُنُّونَ أنَّ سَيْفَ الدَّولةِ يَتْبَعُهُمْ، فنَذروا[1] به فَرحلُوا في نِصْفِ اللَّيلِ[2]، وتَعلَّقَتْ بهم خَيْلُهُ[3]، ووافى سَيْفُ الدَّولةِ تَدْمُرَ على نِصفِ ساعَةٍ من النَّهارِ، وعَرَفَ الخَبَرَ فَسَار لِطِيَّتِهِ في طَلبِ أكثرِ الجَماعاتِ، والشِّقّ الذي سَارَ فيه آلُ المُهَنَّا[4] وجُؤْيَةُ وعامرُ بنُ عُقَيْلٍ، وقد كانوا قَصَدوا طريقَ السَّماوَةِ قِبْلَةً وَيَمِيْناً، وَجَدَّ في الطَّلَبِ، فَلَحِقَ بالقَوْمِ وقَتَلَ وأَسَرَ، وكَانَ في مَنْ قُتِلَ عَلْوانُ بنُ نَدِي بنِ جَعْفَرٍ، وفيمن أسِرَ وأُطْلِقَ محمدُ بنُ نَدِي بنِ جَعْفرٍ، وحَوى المالَ وصَفَحَ عمَّا مَلَكَهُ من الحَريمِ. ورجَعَ من[5] طَفِّ السَّماوةِ[6] مُشْفِقاً من الإِمْضاءِ عليهم، لَمَّا وجَدَهم يَموتُ حَرِيمُهُمْ وذراريهم عَطَشاً، وتَفَرَّقوا أَيْدي سَبَأَ، فَقَصَدَتْ طائِفَةٌ منهم كَبِدَ السَّماوَةِ فَضاعَ أكثرُهَا، وطائفةٌ مَوْضِعاً من السَّماوَةِ يُعْرَفُ بالماءَتَيْنِ[7]؛ سُعادةَ ولُؤْلُؤَةَ، لا يُرْوي ماؤُهما إلا اليَسِيرَ، فَهَلَكَ كثيرٌ منهم، وطائِفَةٌ منهم قَصَدَتِ القَلْمُونَ مما يلي غُوْطَةَ دِمَشْقَ.

وعادَ سيفُ الدَّولةِ آخرَ النَّهارِ إلى مُعَسْكَرِهِ ظافِراً غانِماً، وَمَنَّ على جَماعةٍ منهم[8] عَجَزوا عن الهَرَبِ، وَبَرَّهُمْ وَزوَّدَهُمْ. وَوَجَدَ مَنْ كانَ أَنْفَذَهُ شَمالاً قد

(١) كذا في الديوان المخطوط وفي ر، ف «فبدروا».

(٢) في الديوان المخطوط «نصف النهار».

(٣) في الديوان المخطوط «خيوله».

(٤) ساقطة من الديوان المخطوط وفي ر، ف «المهيا».

(٥) في الديوان المخطوط «في».

(٦) الطَّفُّ في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، وهو من أطف على الشيء إذا أطل، والسماوة: الصحراء بين الكوفة والشام وقيل بين الموصل والشام، وهي من أرض كلب (انظر معجم ما استعجم ٧٥٤/٣ ومعجم البلدان ٢٤٥/٣).

(٧) في الديوان المخطوط ورقة ١٤٢ «بالماءين» وفي شرح ابن جنى كذلك ٤١٨.

(٨) زاد في الديوان المخطوط «أسروا وعجزوا».



حَوَى المالَ وقَتَلَ وأَسَرَ، وعَفَّ عن الحريمِ، وأقامَ بتَدْمُرَ يَوْمَيْ[1] الثلاثاءِ والأَرْبعاءِ، ورحَلَ نحو أَرَكَةَ[2]، ونزَلَها، ثم رَحَلَ نحو السُّخْنَةِ[3] فنزَلَها، ورَحَلَ فنَزَلَ عُرْضَ، ورَحَلَ فنَزَلَ الرُّصَافةَ، ورَحَلَ فنَزَلَ الرَّقَّةَ في يومِ الاثنيْنِ، فتَلَقَّاهُ أهلُهَا، وسَأَلَ عن خَبَرِ نُمَيْرٍ، فَعُرِّفَ أَنَّهُم قد اجْفَلوا[4] فلم تَسْتَقِرَّ بهم دَارٌ دونَ عَيْنِ الخَابُورِ[5]. ثم وَرَدَتْ وفودُهُم[6] يومَ الثُّلاثاءِ مُسْتَعِيذينَ[7] بِعَفوِهِ، فَعَفَا عنهم وقَبِلَهُمْ، وسَارَ نحو حَلَبَ فكانَ وصولُهُ إليها يومَ الجُمعَةِ لِسِتٍ خَلَوْنَ من شهرِ ربيعٍ الأَوَّلِ[8].

فقالَ أبو الطَّيِّبِ يَمْدَحُهُ، ويَصِفُ الحالَ:

١ ـ تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ العُذَيبِ وَبَارِقِ مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ

يَقولُ: إنَّهُ اهتاجَ لِتَذَكُّرِهِ بلادَ العِراقِ التي فيها كانَتْ نَشْأَتُهُ، وإنَّه

(١) كذا في الديوان المخطوط، وفي ر، ف «يوم».

(٢) كذا في معجم ما استعجم (١/١٣٩) موضع في ديار بني عقيل، وفي ر، ف «أراكه» وهو تحريف والإراكة موقعة في الأندلس بين المسليمن والنصارى، وفي الديوان المخطوط «أرك» قال ياقوت: «وأَرَك بفتحتين مدينة صغيرة في طرق برية حلب قرب تدمر، وهي ذات نخل وزيتون، وهي من فتوح خالد بن الوليد في اجتيازه من العراق إلى الشام» (١/١٥٣).

(٣) في ر، ف «الشحنة» بسين معجمة وهو تصحيف وهي بلدة بين أَرَك وعُرْض.

(٤) كذا في الديوان المخطوط (٤٢) وفي ر، ف «أجلفوا».

(٥) عين الخابور: الخابور اسم لنهر كبير في أرض الجزيرة، يخرج من رأس عين أو رأس العين وينتهي هذا النهر ليصب في الفرات (معجم ما استعجم ٢/٦٢٣ ومعجم البلدان ٢/٣٣٤).

(٦) في الديوان المخطوط «وفود نمير».

(٧) في ف «متعيذين» وفي شرح ابن جنى «مستعيذة».

(٨) سنة ٣٤٤ هـ (شرح الواحدي ٢/٥٥٩).



تَذَكَّرَها ما بَيْنَ هٰذَيْن المـاءَينِ؛ العُذَيبِ وبَـارقٍ[١]، وهُناكَ كـانَ مُضطَرَبُهُ ومُضْـطَرَبُ أَصْحَابِهِ، ومَجَرُّ عَـوَالِيهم عندَ تَـطارُدِهم، ومَجْرَى خُيـولِهم عِنْدَ تَسَابُقِهِم.

٢ - وَصُحْبَـةَ قَـوْمٍ يَـذْبَحُـونَ قَنِيْصَهُمْ بِفَضْلاتِ ما[٢] قَدْ كَسَّروا في المَفَارِقِ

ثُمَّ قالَ: وتذكَّرتُ صُحْبَةَ قَـوْمٍ فيما هُنالِكَ، كانَتْ حَالُهم في الفُتوَّةِ، ومَنْزِلَتُهم[٣] في الشَّجاعَةِ، أَنَّهم كانوا لا يَسْتَعْملونَ في ذَبْحِ صَيْدِهم إلاَّ ما تَكَسَّرَ بأَيْدِيهم من السِّلاحِ في حَرْبِهم، وأَنَّهم كانوا لاَ يَكْسِرونَ سيُوفَهم إلاَّ في جَماجِمِ الأَبْطَالِ، ولا يَنْقَطِعُ [ما][٤] بِأَيْدِيهِمْ إلا في مَفارِقِ الأَقْرَانِ.

٣ - وَلَيْـلاً تَـوَسَّـدْنَـا الثَّـوِيَّـةَ[٥] تَحْتَـهُ[٦] كَـأَنَّ ثَـرَاهَـا عَـنْـبَرٌ في المَـرَافِـقِ

ثمَّ قالَ: وتَذَكَّرنا ليلاً، تَوَسَّدْنا الثَّويةَ[٧] في طَلَبِهِ، واضطجَعْنا في طِيْبِ ذلكَ التُّربِ، وتَمَتَّعْنا بِتَكامُـلِ ذلك الحُسْنِ، فقـامَ ثَرَى ذلـكَ المَوْضِـعِ في

---

(١) العذيب: تصغير العذب وهو الماء الطيب، وهو ماء بين القادسية والكوفة.
وبارق: ماء بالعراق وهو الحد بين القادسية والبصرة. وعلى ذلك فالعذيب وبارق موضعان بظاهر الكوفة، ويقال إن العذيب وبارق في ديار تميم في اليمامة (انظر معجم ما استعجم ٩٢٧/٣ ومعجم البلدان ٣١٩/١).

(٢) كذا في رواية الواحدي وابن جني أيضاً، وفي التبيان «فضلة» وزاد في ر، ف «بفضلات ما بين» وهو إخلال بالوزن «قال أبو الفتح: القنيص: الصيد، والفضلات جمع فضلة، وقياسه فَضَلات، إلا أنه يجوز لضرورة الشعر أن يُسكن العين» (النظام ج ٢ / ٢٢١).

(٣) في ت «منزلهم».

(٤) زيادة يقتضيها النص.

(٥) في ر، ف «التوية» وهو تصحيف.

(٦) كذا في رواية ابن جني والواحدي والتبيان، وفي ر، ف «تحتها» وما أثبته هو الصواب.

(٧) في ر، ف «التوية» وهو تصحيف.
والثوية: موضع بقرب الكوفة على بعد ثلاثة أميال منها.



مَوَاقِعِنا مَقامَ العَنْبَرِ، نَسْتَطِيبُ رِيحَهُ، ونَسْتَلِذُّ حُسْنَـهُ. وأَشَارَ إلى تَحَـلٍّ تلكَ البلادِ من نَفْسِهِ، وتَمَثُّلِها في تَذَكُّرِهِ وفِكْرِهِ.

٤ ـ بِـلادٌ إذَا زَارَ الحِسَـانَ(١) بِغَـيْرِهَـا حَصَى تُـرْبِهـا ثَقَّبْـنَـهُ لِلْمَـخَـانِقِ

ثُمَّ قالَ: إنَّ تلكَ البلادَ التي تَذَكَّرها، إذا زارَ حِسانَ غَيرِها مِنَ البِلادِ حَصَى تُرْبِها، تَحَلَّيْنَ به لِحُسْنِهِ، وخَلَطْنَهُ بالدُّرِّ في نَظْمِهِ، وثَقَّبْنَهُ لِمَخَانِقِهِنَّ(٢)، وصيَّرْنَهُ(٣) في عُقودِهِنَّ، فَأَخْبَرَ أَنَّ تُرابَ تلكَ البلادِ يَنوبُ عن العَنْبرِ والمِسْكِ لِطِيْبِهِ، وحَصَاها(٤) مقامَ الياقوتِ والدُّرِّ في حُسْنِهِ.

٥ ـ سَـقَتْـنِي بهـا القُـطْرُ بُـلِيَّ مَلِيحَــةٌ عَلَى كَاذِبٍ مِنْ وَعْـدِهَا ضَـوْءُ صَادِقِ

ثُمَّ قالَ: سَقَتْني في تلكَ البلادِ شَرابَ قُطْرُبُلَ(٥)، وهو غايةٌ في جَوْدَتِهِ، مَوْصوفٌ بِكَرَمِ خِبْرَتِهِ، مَليحَةٌ فَتَّانَةٌ، سَاحِرَةٌ خدَّاعةٌ، على كاذبِ وَعْدِها، ضَوْءٌ من الصِّدقِ(٦)، وعلى مُخْلِفِهِ ظَاهِرٌ من الحَقِّ.

٦ ـ سُهَـادٌ لأَجْفَـانٍ، وَشَمْسٌ لِنَـاظِـرٍ وَسُقْمٌ لأَبْـدَانٍ، ومِسْـكٌ لِنَـاشِقِ

ثُمَّ قالَ، واصِفاً لِتلكَ المَلِيْحةِ(٧): هي سُهادٌ لأَجفانِ مُبْصِرِها؛ بما تَبْعَثُ

(١) الحسان مفعول به لزار، ويجوز رفعه فاعلاً، قال المبارك بن أحمد وهو أولى لوجود الحقيقة (النظام ج ٢ / ٢١١).

(٢) المخانق: العقود أو القلائد.

(٣) في ر، ف «خلطته. . . ثقبته. . . وصيرته» بالتاء الفوقية على التوالي ـ وما أثبته الأصوب.

(٤) في ت «وحصباؤها».

(٥) قُطْرُبُلّ: ضيعة من أعمال بغداد.

(٦) قال ابن جني: «تُحسِّن وعدها وتموهه، حتى كأنها تريد الوفاء به، وإن كانت تضمر غدراً» النظام ج ٢ / ٢١١، وقال الواحدي: «أي يستحسن كلامها فيقبل قبول الصدق» (٢/٥٦١).

(٧) بذلك قال ابن جنى، وقال العروضي: «البيت من صفة القطربلي» وقال المبارك بن أحمد: «في جعل العروضي هذه الصفات للخمر بُعْدٌ، وتخريجه لها على ما خرجه ممكن، إلا أنها بصفة المليحة أولى، =



عليه من الشُّغْلِ، وشَمْسٌ في عَيْنِ النَّاظِرِ إليها؛ بما يُشَاهَدُ فيها من الحُسْنِ، وسُقْمٌ لأبدانٍ؛ بما توجِبُهُ من عِشْقِها، ومِسْكٌ يَتَوَضَّعُ في أَنْفِ مُسْتَنْشِقِهـا، وهذا[1] التَّصْنِيفُ في الوَصْفِ بابٌ من البَدِيعِ يُعْرَفُ بالتَّقسِيمِ.

٧ ـ وَأَغْيَـدُ يَهْـوَى نَفْسَــهُ كُـلُّ عَــاقِـلٍ عَفِيفٍ وَيَهْـوَى جِسْمَـه كُـلُّ فَـاسِقِ

ثُمَّ يقولُ: إنَّهُ سَقاهُ مَعَ المليْحَةِ التي قدَّمَ وَصْفَها، غُلامٌ أَغْيَدُ، يَهْوى نَفْسَهُ كلُّ عَاقِلٍ عَفيفٍ يَطْرُقُهُ، ويَهوى جِسْمَهُ كلُّ فاسِقٍ خَبيْثٍ لِحُسْنِهِ.

٨ ـ أَدِيبٌ إِذَا مَـا جَسَّ أَوْتَـارَ مِـزْهَـرٍ بَـلا كُلَّ سَمْـعٍ عَنْ هَـوَاهـا بِعَـائِقِ

ثمَّ قالَ: إنَّه مَعَ ذلكَ أديبٌ في خُلُقِهِ، صَادِقٌ في تَصرُّفِهِ، إذا ما جَسَّ أَوْتَارَ مِزْهَرٍ وأَعْمَلَها، وزَيَّنَها لِغِنائِهِ وحَرَّكَهَا، عَاقَ الأَسْماعَ عمَّا سِواها، بِشِدَّةِ إصغائها إليه، وشَغَلَها عن غَيْرِهِ لِكَثْرَةِ إقبالِها عَلَيهِ.

٩ ـ يُحَـدِّثُ عَـمَّا بَـيْنَ عَـادٍ وَبَـيْـنَـهُ وَصُـدْغَـاهُ في خَـدَّيْ غُـلامٍ مُـراهِقِ

ثُمَّ قالَ: يُحدِّثُ فيما يُغَنِّي به من أشعارِهِ، وما يُرَدِّدُه[2] من أَلْحَانِهِ، عمَّا بَيْن عَادٍ وَبَيْنَهُ، يُشيرُ إلى سَعَةِ رِوايَتِهِ لأَشْعَارِ المُتقدِّمين والمُتأخِّرينَ، وصُدْغاهُ مَعَ ذلك في خَدَّيْ غُلامٍ مُرَاهِقٍ في سِنِّهِ، لم يَبْلغِ الحُلُمَ فيما انصَرَمَ عليهِ من عُمُرِهِ.

١٠ ـ وَمَـا الحُسْنُ في وَجْـهِ الفَتَى شَرَفـاً لـه إذا لَمْ يَـكُـنْ في فِـعْـلِهِ وَالخَـلائِـقِ

= لقربه منها، وهي أليق بها» (انظر النظام ج ٢ / ٢١١، شرح الواحدي ٥٦١/٢، التبيان ٣١٩/٢).

(١) في ر، ف «وهذه».

(٢) في ف «يردّه» وهو تحريف.



ثُمَّ قالَ: وما حُسنُ الوجهِ شَرَفاً لِصَاحِبِه، ورِفْعَةً للمُتَزَيِّنِ به، إذا لم يَكُنْ في الأَفْعَالِ والخلائقِ، والمذاهبِ والشَّمائِلِ. وضَرَبَ هذا المثَلَ لما قَدَّمَهُ من اقترانِ حُسْنِ الأَغيَدِ[1] الذي وَصَفَهُ بإحسانِهِ في صناعَتِهِ، وتَقَدُّمِهِ في دِرايَتِهِ.

١١ ـ وَمَا بَلَدُ الإِنْسَانِ غَيْرُ الْمُوَافِقِ ولا أَهْلُهُ الأَدْنَوْنَ غَيْرُ الأَصَادِقِ[2]

ثُمَّ قَالَ، مُبَيِّناً لِعُذْرِهِ في التَّخَلُّفِ عن البلادِ التي ذَكَرَها: وما بَلَدُ الإِنْسَانِ إلا البَلَدُ الذي يُوافِقُهُ بِكَثْرَةِ مَرافِقِهِ، ويُسْعِدُهُ[3] على الظَّفَرِ بجُمْلَةِ مَقاصِدِهِ، ولا الأَدْنونَ من أَهْلِهِ، واللاصِقونَ بِهِ من قَرابَتِهِ، إلا الأَصَادِقُ الذين يُصْفُونَهُ ودَّهُم، والأَحِبَّةُ الذين[4] لا يُؤَخِّرونَ عنه[5] فَضلَهُم. يُرِيدُ: أَنَّ بَلدَ سَيْفِ الدَّولةِ الذي استَوْطَنَهُ، هو بَلَدُهُ، لموافَقَتِهِ لَهُ، وأَهلُهُ أقارِبُهُ، لِما أَظْهَرَهُ سيفُ الدَّولَةِ من شِدَّةِ الاعْتِناءِ بِهِ.

١٢ ـ وَجَائِزَةٌ دَعْوَى المحبَّةِ وَالْهَوَى وإِنْ كَانَ لاَ يَخْفَى كَلاَمُ الْمُنَافِقِ

ثُمَّ قَالَ: وجائِزٌ أَنْ تُدَّعى المَحَبَّةُ بالقَوْلِ، وأَنْ تُنْتَحلَ بالذِّكرِ، ولكنَّ المُنافِقَ لا يَخْفى اضطرابُ لَفْظِهِ، والمُخْلِصُ لا يَسْتَتِرُ صِحَّةُ أَمْرِهِ، يُشيرُ إلى أن

(١) في ت «وضرب هذا مثلاً لما قدمه من حسن الأغيد».
(٢) في هذا البيت تصريع، قال أبو زكريا الخطيب التبريزي «هذا البيت قد ضعف بالتصريع ضعفاً بيناً، وهو كالمنقطع من معنى ما يليه، ولم تجر عادته بالتصريع في غير الأول» (النظام ج ٢ / ورقة ٢١٢).
(٣) في ت «ويساعده».
(٤) في ت «والأدنون من أهله: اللاصقون به من قرابته، الذين يصفونه ودّهم، والأحبة: الذين».
(٥) كذا في ت، وفي ر، ف «لا يدخلون عنهم».



شُكْرَهُ لسيفِ الدَّولةِ، ليسَ كَشُكْرِ مَنْ يَتَصَنَّعُ[1] له بِقَوْلِهِ، ولا يُمَحِّضُهُ[2] حَقِيْقَةَ ودِّهِ.

١٣ - بِرَأْيِ مَنِ انقَادَتْ عُقَيْلٌ إلى الرَّدَى وإشْمَاتِ مَخْلُوقٍ وإسْخَاطِ خَالِقِ؟

ثُمَّ يقولُ: بِرأيِ مَن انْقادَتْ هذه القَبيلَةُ إلى ما تَعرَّضتْ لَهُ من المَكْرُوهِ، بِخِلافِ سَيْفِ الدَّولَةِ الذي أَشْمَتَتْ فيه المَخْلوقينَ[3] بأَنْفُسِها، وأَسْخَطَتِ اللَّهَ عزَّ وجَلَّ بِسُوءِ فِعْلِها.

١٤ - أَرَادُوا عَلِّياً بالَّذي يُعْجِزُ الوَرَى وَيُوسِعُ قَتْلَ الجَحْفَلِ المُتَضَايِقِ

ثُمَّ قالَ: أرادوا سَيْفَ الدَّولةِ فيما تَمَثَّلَ[4] لهم من الظُّهورِ عَلَيْهِ، والإيقاعِ بِجَيْشِهِ، بما أَعْجَزَ الوَرَى نَيْلُهُ، وبَعُدَ عليهم فِعْلُهُ، وما مِثْلُهُ يُوسِعُ الجَحْفَلَ المتضايقَ لِكَثْرَتِهِ، بما يَشمُلُ أهلَهُ من القَتْلِ، وما يُورِدُهم أَشَدَّ مَوارِدِ[5] الحَتْفِ[6].

١٥ - فَما بَسَطوا كَفَّاً إلى غَيْرِ قاطِعٍ وَلاَ حَمَلُوا رَأْساً إلى غَيْرِ فَالِقِ

ثُمَّ قالَ: فما بَسطوا في حِيْنِ تَعَرُّضِهم لِسَيْفِ الدَّولةِ يَداً من أَيْدِيهِم، إلاَّ إلى سَيْفٍ من سيوفِهِ قَطْعُها، ولا حَمَلوا في تلك الحَرْبِ هامَةً من هاماتِهم، إلاَّ إلى فالِقٍ مِنْ أصحابِ سَيْفِ الدَّولةِ فَلْقُها. يُشيرُ إلى أنَّ بني عُقَيْلٍ كانوا في

---

(١) كذا في ت، وفي ر، ف «يتصع».

(٢) في ت «ولا يخلص له».

(٣) يقصد بالمخلوقين: أعداء سيف الدولة.

(٤) في ر، ف «يمثل».

(٥) كذا في ت، وفي ر «مواره» وفي ف «موارده».

(٦) في ت «الخسف».



تلك الحَرْبِ جَزَرَ[1] السُّيوفِ، وأغراضَ[2] الحُتوفِ.

١٦ ـ لَقَدْ أَقْدَمُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ آخِذٍ وَقَدْ هَرَبُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ لاَحِقِ

ثُمَّ يَقولُ: لقد أَقْدَموا وشَجُعُوا[3] في تلكَ الحَرْبِ؛ لو صَادَفوا غيرَ آخذٍ لهم، مُقْتَدِرٍ على الإيقاعِ بهم، وقد هَرَبوا جاهدينَ؛ لو صادَفوا مَنْ لا يُلْحِقُهم جُيوشَهُ، ويُقْحِمُ[4] في آثارِهِم جُموعَهُ. يُريدُ: أنَّهم لم يُؤْتَوا من ضَعْفٍ في حَرْبِهِم، ولا مِنْ تَقْصيرٍ في هَرَبِهِم، ولكِنَّهم ناصَبوا[5] من سَيْفِ الدَّولةِ مَنْ لا يواقَفُ[6] في حَرْبٍ، ولا يُمْتَنَعُ منه بهَرَبٍ.

١٧ ـ وَلَمَّا كَسَا كَعْباً ثِيَاباً طَغَوْا بِهَا رَمَى كُلَّ ثَوْبٍ مِن سِنَانٍ بِخَارِقِ[7]

ثُمَّ قالَ، يُريدُ سيفَ الدَّولةِ: ولَمَّا كَسَا كَعْباً، هذهِ القَبِيْلَةَ الجامعةَ لهذه البطونِ المَذْكُورَةِ، حُلَلاً، أَطْغَاهُم حُسْنُها، وأَلْحَفَهُم مِنْ رِضاهُ ثِياباً، أَبْطَرَهُم أَمْنُها، [رَمَى كُلَّ ثَوْبٍ][8] بِخارِقٍ خَرَقَها من أَسِنَّتِهِ، وهاتِكٍ هَتَكَها من عُقُوبَتِهِ.

١٨ ـ وَلَمَّا سَقَى الغَيْثَ الَّذي كَفَرُوا بِهِ سَقَى غَيْرَهُ في غَيْرِ تِلْكَ البَوَارِقِ

---

(١) كذا في ت، وفي ر، ف «حذر».

(٢) في ت «وغرض».

(٣) كذا في ر، ف وفي ت «تشجعوا».

(٤) كذا في ت وفي ر، ف «يقتحم».

(٥) كذا في ف ومطموسة في ر وفي ت «رأوا».

(٦) كذا في ت، وفي ر، ف «يوافق».

(٧) يروى «بخازق»، وهي رواية «بعيدة لأمرين: أحدهما: أن التخريق في مقابلة الكسوة أحسن، والثاني: أن الخازق يقال في السهم إذا أخذ في القرطاس» (النظام ج ٢، ورقة ٢١٢).

(٨) ما بين معكوفتين زيادة من ت ويقتضيها النص.

ثُمَّ قالَ: ولما سَقاهُم من جُودِهِ الغيثَ الذي أخصَبَتْ بهِ منازِلُهم، وتَرَوَّضَتْ بِسُقْيَاهُ مواضِعُهم، فقَابَلوا[1] ذلكَ بالكُفْرِ، وتَلَقَّوْهُ بِقلَّةِ الشُّكرِ، أرسلَ عليهم من جُيُوشِهِ غيرَ ذلك الغَيْثِ، فَبَرَقَتْ لهم[2] السُّيوفُ، وهَطَلَتْ عليهم الحُتوفُ، وعادَتِ البوارِقُ التي كانَتْ تُقَدِّمُ إليهم نِعَمَهُ، بوارقَ سِلاحٍ أفرَغَتْ عَلَيْهِم نِقَمَهُ.

١٩ - وَمَا يُوْجِعُ الحِرْمَانُ من كفِّ حَارِمٍ ... كَمَا يُوْجِعُ الحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقِ

ثُمَّ يقولُ، مُوَبِّخاً لِقبائلِ كَعْبِ بنِ رَبِيْعَةَ، بما[4] حَرَمَتْ أنفسَها من فَضْلِ سَيْفِ الدَّولةِ: وما يُوجِعُ الحِرْمَانُ من كَفٍّ من شَهُرَ بُخْلُهُ، ولا يُؤَمَّلُ فَضْلُهُ، كما يُوجِعُ من كَفِّ جَوادٍ لا يَبْخَلُ، وفاتحٍ لأسبابِ الرِّزقِ لا يَغْفَلُ. يُشِيرُ إلى أنَّ ما مَنَعوهُ أَنْفُسَهم من فَضْلِ سيفِ الدَّولةِ، إنما كانَ عادةً دائِمةً، ونِعْمَةً سَابِغَةً[5].

١٠ - أتَاهُم بِهَا حَشْوَ العَجَاجَةِ والْقَنَا ... سَنَابِكُها تَحْشُو بُطُونَ الحَمَالِقِ[6]

ثُمَّ قالَ مُشيراً إلى سَيْفِ الدَّولةِ: أَتاهُمْ من الخَيْلِ والقَنا بِكَثْرَةٍ حَشْتِ العَجاجَ الذي أَثارَتْهُ، وملأَتِ الرَّهجَ الذي أَقامَتْهُ، وسَنابِكُها تَبْعَثُ من الغُبارِ

---

(١) كذا في ت، وفي ر، ف «قابلوا».

(٢) في ف «فرقت لهم» وفي ت «فبرقت عليهم».

(٣) في ت «تقدم عليهم نعمه، بوارق سلاح أمطرت عليهم نقمه».

(٤) في ت «لما».

(٥) كذا في ت، وفي ر، ف «سابقة».

(٦) «قال أبو الفتح: الحمالق جمع حِمْلاقٍ وحُمْلاقٍ ويقال حملوق؛ وهو باطن الجفن، وقياسه: حماليق، ولكنه قصر الكلمة بحذف الياء».
(النظام ج ٢ ورقة ٢١٢).



ما تَحْتَشي[1] بِهِ أَعْيُنُ الفُرْسَانِ[2]، يُريدُ: أَنَّ سيفَ الدَّولةِ أتاهم بِخَيْلِهِ، وهي طالِبَةٌ لهم تَتَسابقُ، ومُسْرِعَةٌ تَتَبادَرُ، لم تَتَوقَّفْ عنهم مُحْجِمَةً، ولم تَتَأَخَّرْ عن الاقتِحَامِ عليهم مُتَهَيِّبَةً.

٢١ ـ عَوَابِسَ[3] حَلْيٍ يَابِسُ الماءِ حُزْمَها فَهُنَّ عَلَى أَوْسَاطِهَا كَالمَنَاطِقِ

ثُمَّ قالَ، يَصِفُ تلكَ الخَيْلَ: عوابِسُ لِمَا لَحِقَها من الرَّكْضِ، مُتَغَيِّرةُ الوجوهِ لما نالَها من شِدَّةِ الطَّلبِ، قد يَبِسَ ماءُ عَرَقِها على الحُزُمِ في أَوْسَاطِها، فصارَ كأَنَّه حُلِيٌّ قُصِدَ، وتَفْضِيضٌ[4] اعتُمِدَ، وبَدَتْ تلكَ الحُزُمُ في أَوْساطِ تلكَ الخَيْلِ، كالمَناطِقِ[5] التي يَشْمُلُها التَّزيينُ، ويحاوَلُ فيها التَّحْلِيَةُ والتَّحْسِينُ.

٢٢ ـ فَلَيْتَ أَبَا الهَيْجَا يَرَى خَلْفَ تَدْمُرٍ طِوالَ العَوَالي في طِوَالِ السَّمَالِقِ

ثُمَّ يقولُ: فَلَيْتَ أَبَا الهَيْجاءِ[6] أُنْسِيءَ عُمرُهُ، وتأَخَّرَ يومُهُ، حَتَّى يَرَى خَيْلَ سَيْفِ الدَّولةِ؛ عليٍّ ابنِهِ، وقد أَجْفَلَتِ العَرَبُ من مَخافَتِها، وتجاوَزَتْ في

---

(١) في ر، ف «يحتشي».

(٢) إلى هذا ذهب ابن جني والواحدي، وقال العروضي مخالفاً: «أحسن من هذا وأبلغ أن الخيل تطارد بين القتلى فتحشو حماليقها بسنابكها، أما أن يرتفع الغبار فيدخل في العيون فلا كبير افتخار في هذا» (النظام ج ٢ ورقة ٢١٢، وانظر مع اختلاف اللفظ: شرح الواحدي ٢/٥٦٣، التبيان ٢/٣٢٣).

(٣) في ف «عواسف» وهو تحريف.

(٤) في ت «كأنه حلي قد فضض»، وفضض الشيء: إذا كساه فضة، والمقصود بالتفضيض هنا: بياض العرق، لأنه إذا يبس ابيض.

(٥) المناطق: جمع مِنْطَقة، وهي ما يشد به الوسط من حزام أو نحوه.

(٦) أبو الهيجاء: هو عبدالله بن حمدان والد سيف الدولة.



آثارِها تَدْمُرَ، مَعَ تَعَذُّرِ الوصولِ إليها، ويَرَى طُولَ عَوَاليهِ في تلكَ السَّمالِقِ[1] الطَّويلَةِ، على أَهْلِ تلك الفَلَواتِ البعيدةِ.

٢٣ - وَسَوْقَ عَليٍّ من مَعَدٍّ[2] وَغَيْرِهَا قَبَائِلَ لاَ تُعْطِي القُفِيَّ لِسَائق

ثُمَّ قالَ: وَلَيْتَهُ[3] يَرَى سَوْقَ عليٍّ ابنهِ الأَعِزَّةَ من قَبائِلِ مَعَدٍّ وغَيْرِها من قَبائِلِ اليمانِيَّةِ[4]، وتلكَ القَبائِلُ الخاضِعَةُ لِأَمْرِهِ، الهاربةُ عن جَيْشِهِ، لا تُعْطِي أَقْفاءَها[5] مُوَلِّيَةً عن لاحِقِها، ولا تَصُدُّ أوجُهَها مُحْجِمَةً عن مُعَارِضِها، ولكنَّها لَمَّا قَصَدَها سَيْفُ الدَّوْلةِ ضَعُفَتْ عن حَرْبِهِ، ولما اعتَمَدَها وَلَّتْ هارِبَةً من مَخافَةِ جَمْعِهِ.

٢٤ - قُشَيْرٌ وَبَلْعَجْلاَنِ[6] فيها خَفِيَّةٌ[7] كَرَاءَين في أَلْفَاظِ أَلْثَغَ نَاطِقِ

ثمَّ وصفَ هذه القبائِلَ، بما كانَتْ عليهِ من الكَثْرَةِ، وأَخَذَ في ذكرِ ما كانَتْ تُعْرَفُ به من المَنَعَةِ، ثمَّ قالَ: قُشَيرٌ وبَلْعَجْلانِ، هاتانِ القَبِيلَتانِ، مَعَ كثرةِ عَدَدِهما، وشدَّةِ شَوْكَتِهما، خَفِيَّتانِ في هذه القَبائِلِ، كَخَفاءِ رائَيْنِ في

(١) والسَّمالق: جمع سَمْلَق، وهي الأرض الطويلة البعيدة من الصحارى.

(٢) في ف «صعد» وهو تحريف.

(٣) في ف «ولأنه».

(٤) في ر، ف «قبل اليمانق» والكلمتان غير واضحتين رسماً أو دلالة، ولعل الصواب ما أثبته.

(٥) في ر، ف «أقفاها» والصواب ما أثبته، لأن جمع قفا: أقفاء وأقفية وأقفٍ.

(٦) أراد بنو العجلان فحذف النون لمشابهتها اللام كما قالوا في بني الحرث بلحرث، وإذا كان الأمر كذلك فإن نون بلعجلان مكسورة، لأنه مجرور بإضافة بني إليه. ويروى بضم النون «بلعجلانُ»، وكان المتنبي ينشده تارة مكسوراً وتارة مضموماً إذ ذهب في الضم إلى جعل الاسمين اسماً واحداً، ومثل هذا ينبغي أن يحمل على الغلط.
(انظر النظام ج ٢ ورقة ٢١٣).

(٧) في ر، ف «حفية» بحاء مهملة.



ألفاظِ أَلْثغ[1]، لا يُفْصِحُ[2] بها، ولا يُمْكِنُهُ النَّفاذُ في ذِكْرِهما. فأشارَ بهذا إلى كَثْرَةِ الجُمُوعِ التي ظَهَر عليها سَيْفُ الدَّولةِ من العَرَبِ، وأَنَّهم مع ذلك إنما اعتَصَمُوا منهُ بالهَرَبِ.

٢٥ ـ تُخَلِّيهِمُ النِّسْوانُ غَيْرَ فَوارِكٍ وَهُمْ خَلُّوا النِّسْوَانَ غَيْرَ طَوالِقِ

ثُمَّ يقولُ: إنَّ فرسانَ تلكَ العَشَائِرِ[3] غُلبوا على نِسائِهم، فَفارَقْنَهم غيرَ فوارِكٍ[4] لهم، يُشِيْرُ إلى السَّبي، ويُخَلِّهِنَّ بُعُولَتُهُنَّ غيرَ طَوالِقِ[5]، يُشيرُ إلى الفِرارِ، وأنَّ خَيْلَ سيفِ الدَّولةِ غَلَبَتْهُم على حَرِيمِهِم، وحالَتْ بَيْنَهم وبَيْنَ أبنائِهم[6]، وبَيْنَ نِسائِهم.

٢٦ ـ يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ الكُمَاةِ وَبَيْنَها بِطَعْنٍ[7] يُسَلِّي حَرُّهُ كُلَّ عَاشِقِ

ثُمَّ وَصَفَ الحالَ، فقالَ: يُفَرِّقُ سيفُ الدَّولةِ بَيْنَ فُرْسَانِ تلك القَبائِلِ، وبين نِسائِهم، بِطَعْنٍ يُسَلِّي حَرُّهُ العَاشِقَ عَمَّن عَشِقَ، ويُنْسِي المَشْغوفَ الدَّنِفَ مَنْ أحبَّهُ وَوَمقَهُ. يُشيرُ إلى أنَّ شِدَّةَ ذلكَ الطَّعْنِ، وإسرافَهُ بهم على القَتْلِ، أَنْسَاهم حِياطَةَ أَحِبَّتِهم، وحَمَلَهم على إِسْلاَمِ [نسائِهم][8] وَذُرِّيَّتِهم.

---

(١) الألثغ: الذي لا يفصح في النطق في بعض الحروف، وأكثر ما يكون ذلك في الراء واللام، وذكروا غير ذلك.

(٢) في ر، ف «لا تفصح»

(٣) في ت «إن فرسان تلك القبائل، وحماة تلك العشائر».

(٤) فوارك: جمع فروك وفارك؛ والفارك من النساء: المبغضة لزوجها.

(٥) في ت «وتخلوا منهم وهن غير طوالق».

(٦) كذا في ر، ف، وساقطة من ت، وسقوطها هو الأصوب إذ لم يجر ذكر للأبناء في البيت.

(٧) تفرد صاحب التبيان برواية «بضرب».

(٨) فراغ في ر، ف وهذه الزيادة يقتضيها النص.



٢٧ ـ أتى الظُّعْنَ[١] حتَّى ما تَطِيرُ[٢] رَشَاشَةٌ مِن الخيلِ[٣] إلا في نُحورِ العَواتِقِ

ثُمَّ قالَ: أَتَى ذلكَ الطَّعْنُ الظُّعْنَ[٤]، وبَلَغَ بالرِّجالِ إليهنَّ، وقُتِلوا بحَضْرَتِهِنَّ حَتَّى ما تَطِيرُ رَشَاشَةٌ من جِراحِ تلكَ الخيلِ إلا في نَحْرِ عاتقٍ خَريدةٍ[٥]، وكَريمَةٍ مِنهنَّ مَحجوبَةٍ، فأشارَ إلى أن خَيْلَ سيفِ الدَّولةِ قَتَلَتْهُم بَيْنَ نِسائِهم، وغَلَبَتْهُم على حَريمِهم.

٢٨ ـ بِكُلِّ فَلاةٍ تُنْكِرُ الإِنْسَ أَرْضُهَا ظَعَائِنُ[٦] حُمْرُ الحُلْي حُمْرُ الأيانِقِ[٧]

ثُمَّ قالَ: بِكُلِّ فَلاةٍ لا تَعْرِفُ أرضُهَا الإنْسَ لِعَدَمِهم بها، وتعذُّرِ إدراكِهم لها، ظَعائِنُ نِساءِ هؤلاءِ الأعرابِ، الذين هَرَبوا بَيْنَ يَدَي سَيْفِ الدَّولةِ، حُمْرُ الحُلِيِّ، يريدُ: أنَّهنَّ حالياتٌ بالذَّهبِ، وهو أرفعُ الحُلِيِّ، مُتَجمِّلاتٌ على حُمْرِ الإبلِ، وهي أكْرَمُ النُّوقِ، يشيرُ بهذه الصِّفةِ إلى رِفْعَةِ هؤلاءِ النِّساءِ في قَوْمِهِنَّ، ورِفْعَةِ مَنْ تَحَمَّلَ بِهِنَّ [مِنْ][٨] بُعولَتِهِنَّ.

٢٩ ـ وَمَلْمُومَةٌ سَيْفِيَّةٌ رَبَعِيَّةٌ تُصِيحُ[٩] الحَصَا فيها صِياحَ اللَّقَالِقِ

---

(١) في رواية ابن فورجة «الطعن» وأنكر رواية ابن جنى الظُّعن.

(٢) في رواية ابن جنى وابن المستوفي «يطير رشاشه».

(٣) في رواية التبيان «من الدم».

(٤) «الظّعن» ساقطة من ف.

(٥) العاتق: الجارية أو الشابة التي قد أدركت وبلغت فخدِّرت في بيت أهلها.
والخريدة: البكر لم تمسس، أو الخفرة الطويلة السكوت.

(٦) في ف «ضعائن» وهو تصحيف.

(٧) الأيانق: جمع ناقة.

(٨) ما بين معكوفتين زيادة يقتضيها النص.

(٩) كذا في رواية ابن جني وابن المستوفي بضم التاء أيضاً، وروى الواحدي «يَصيحُ» بفتح الياء (وفي =

ثُمَّ قالَ: وفي تلكَ الفَلَواتِ التي قد وَصَفَها، كَتِيْبَةٌ مَلْمومَةٌ بكثرةِ فُرْسانِها، سَيْفِيَّةٌ رَبَعِيَّةٌ[1]، تُصِيْحُ الحَصَا باصطِكاكِها بَيْنَ أَرْجُلِ خَيْلِها، كما تَصِيْحُ اللَّقَالِقُ[2]، وهي طَيْرٌ معروفةٌ.

٣٠ ـ بَعِيْدَةُ أَطْرَافِ القَنَا مِنْ أُصُولِـهِ   قَرِيْبَةُ بَيْنَ[3] البَيْضِ غُبْرُ اليَلامِقِ

ثُمَّ قالَ واصفاً لِتلكَ الكَتِيْبَةِ: بَعِيْدَةُ أَطرافِ القَنا من أُصولِهِ، يريدُ: أَنَّ فُرْسانَها طِوالُ الرِّماحِ، شِدادُ الأَجْسَامِ، قريبةُ البَيْضِ، يريدُ: أَنَّهم متلاصِقونَ قد مَلأوا الفَضَاء لِكَثْرَتِهم، وتقارَبوا لِتكاثُفِ جماعَتِهم، وهم غُبْرُ اليَلامِقِ[4]، لما عَلاهُم من الرَّهَجِ، وأَحاطَ بهم من العَجَاجِ. فأَشارَ إلى أَنَّ تلكَ الفَلَواتِ النَّائِيَةَ التي ظَنَّ ظَعَائِنُ[5] الأعرابِ أنها تَعْصِمُهم، اقتحَمَها[6] جَيْشُ سَيْفِ الدَّولةِ عليهم، ولم يَتَهَيَّب اختِراقَها مِنْهُمْ[7].

٣١ ـ نَهَاهَا وَأَغْنَاهَا عَن النَّهْبِ جُودُهُ[8]   فَما تَبْتَغي إلاَّ حُمَاةَ الحَقائِقِ

ثُمَّ يقولُ: إنَّ جُودَ سَيْفَ الدَّولةِ نَهَى هذه الكَتِيْبَةَ عن الأَنْهابِ، وأَغْناها

= المطبوع بفتح التاء)، وفي رواية التبيان «يَصيح» بفتح الياء أيضاً، وكلا الروايتين كما يقول المبارك ابن أحمد لا تغير معنى، وإنما الرواية الشائعة «تُصِيحُ» رباعياً.

(النظام ج ٢ / ٢١٣ والتبيان ٣٢٧/٢، وشرح الواحدي ٥٦٤/٢.)

(١) سيفيّة ربيعة: سيفية: أي منسوبة إلى سيف الدولة، وربيعة منسوبة إلى ربيعة.

(٢) اللقالق: جمع لَقْلَق ولَقْلاَق، وهو طائر طويل العنق، يأكل الحيات، وصوته اللقلقة.

(٣) في رواية الواحدي «بين» بالخفض وهو أجود بإضافة قريبة إليه، والنصب جائز على تقدير ما، فإذا نصبت فهي ظرف.

(٤) اليلامق: جمع يَلْمَق، وهو القباء، فارسي معرب، أصله يَلِمَهُ واليلامق الغبراء: التي علاها الغبار.

(٥) في ت «هؤلاء».

(٦) في ت «أقحمها».

(٧) كذا في ت، وفي ر، ف «عليهم».

(٨) قال الواحدي: «روى ابن جنى سيبه» ٥٦٥/٢.

عن [التَّسريحِ][1] على الأسْلابِ، فما تَبْتَغِي غيرَ حُماةِ الحقائقِ[2] لِتُوقِعَ بهم، وأهلَ البَصائرِ الصَّادِقَةِ في الحَرْبِ لِتكونَ سَطْوَتُها عليهم.

٣٢ ـ تَوَهَّمَها الأَعْرابُ سَوْرَةَ مُتْرَفٍ تُذَكِّرُهُ البَيْداءُ ظِلَّ السُّرادِقِ

ثُمَّ قالَ: تَوَهَّمَ الأعرابُ ما أَظْهَرَ سَيْفُ الدَّولةِ في قَصْدِهم من العَزِيمَةِ، سَوْرَةَ[3] مَلِكٍ شَأْنُهُ الإترافُ والدَّعَةُ، وعادتُهُ السُّكونُ والرَّاحةُ، يَعوقُهُ عن البَيْداءِ ومُباشَرَةِ هَجِيْرِها، واقتِحامِها ومواجَهَةِ سَمُومِها، تَذَكُّرُهُ لِظلِّ السُّرادِقِ وأَبْنِيَتِهِ، وإيثارُهُ لِخَفْضِ ذلك ودَعَتِهِ[4].

٣٣ ـ فَذَكَّرْتَهُمْ[5] بالماءِ ساعَةَ غَبَّرَتْ سَماوَةُ كَلْبٍ في أُنُوفِ الحَرائِقِ

ثُمَّ قالَ، مُخاطباً لسيفِ الدَّولةِ: فَذَكَّرْتَهُم بالماءِ الذي أجْلَيْتَهُم عَنْهُ، بالرِّيِّ الذي مَنَعْتَهُم منه، حينَ أحاطَتْ بهم غَبَراتُ سَماوَةِ كَلْبٍ، وحَزائِقُهم[6] تَقْتَحِمُها هاربةً، وتَتَسابَقُ فيها مُتَهالِكَةً، يُشيرُ إلى إمعانِ سَيْفِ الدَّولةِ في طَلَبِهم، واجتهادِهم في شِدَّةِ هَرَبِهم.

٣٤ ـ وَكانُوا يَرُوعُونَ المُلُوكَ بأَنْ بَدَوْا وأَنْ نَبَتَتْ في الماءِ نَبْتَ الغَلافِقِ[7]

---

(١) كلمة مطموسة في النسختين ر، ف. والتسريح: إسامة المال السائم.

(٢) حماة الحقائق: الشجعان الذين يحمون ما يحق عليهم حمايته كالحريم وما أشبه.

(٣) السورة: الوثبة أو الثورة أو السطوة.

(٤) في ت: «تعوقه البيداء عن مباشرة هجيرها واقتحامها، ومواجهة سمومها، يذكره ظل السرادق وأبنيته، ومواصلته الإيثار لخفض ذلك ودعته».

(٥) تفرد أبو العلاء المعري برواية «فذكرنهم» بالنون، قال: «والنون في ذَكَّرْنَهم» ضمير الخيل لأنها طردتهم، ثم قال ولو روي ذكرتهم بالتاء لكان حسناً».
(النظام ج ٢ ورقة ٢١٤).

(٦) الحزائق: جمع حزيقة، وهي الجماعة من الناس وغيرهم.

(٧) الغلافق: جمع غلفق وهو الطحلب الذي ينبت في الماء.

ثُمَّ يقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: وكانت كَعْبٌ ومن استضافَ إليها من القَبَائلِ التي أوْقَعْتَ بها من الأعرابِ، يَرُوعونَ الملوكَ قَبْلَكَ، بِسُكْنَاهُم في الفَلَواتِ، وانتزاحِهم في تلكَ المَهامِهِ التَّائِهاتِ النَّائياتِ، وصَبْرِهم عن البُعْدِ على الماءِ، والانْقِطاعِ عن مواضِعِ الرِّيِّ، وأنَّ الملوكَ الذين أنْتَ منهم، كانوا يَتَهَيَّبونَهُمْ لِعَدَمِ الماءِ في المَواضِعِ التي تُسْلَكُ إليهم، وأن الملوكَ في إيثارِهم للماءِ، والقُرْبِ منه، كالطُّحْلُبِ الذي يُلازِمُهُ ولا يُفارِقُهُ، ويُباشِرُهُ ولا يُتارِكُهُ.

٣٥ ـ فَهَاجُوكَ أَهْـدَى في الفَلاَ مِنْ نُجُـومِهِ وَأَبْـدَى بُيُوتـاً من أَدَاحي[١] النَّقَـانِقِ

فَهاجوكَ، يُخاطِبُ سيفَ الدَّولةِ، أَهْدَى في الفَلاَ من النُّجومِ التي بها تُسْتَفادُ الهدايةُ، وبِمَعْرِفَتِها تكونُ الدَّلالَةُ، وأَبْنَتُ بُيوتاً في البَدْوِ، وآنسُ بالبلدِ القَفْرِ[٢] من النَّقانِقِ[٣] التي هنالكَ مَوْضِعُ نَشأَتِها، وإليه تَحِنُّ بِخِلْقَتِها.

٣٦ ـ وَأَصْبَرَ عَنْ أَمْـوَاهِـهِ من ضِبَـابِـه وَآلَـفَ مـنهـا مُـقْـلَةً لِـلْوَدَائـق[٤]

ثُمَّ قال: وَأَلْفَوْكَ أَصْبرَ عن أَمْوَاهِ القَفْرِ[٥] من ضِبَابِهِ التي تُتارِكُ الماءَ بالجُمْلَةِ، وتَسْتَغْني عنه بالحُبْلَةِ[٦]، كما أَنَّهم أَلْفَوْكَ آلَفَ منها لِلهواجِرِ، وأَشَدَّ عليها إقداماً وجُرْأَةً. فَأَشارَ إلى أَنَّ الأعرابَ قَصَّرَتْ عن مَعْرِفتِهِ باختراقِ القَفْرِ، وعَجَزَتْ عمّا أظهرَ في ذلك من الجَلَدِ والصَّبْرِ.

---

(١) الأداحي: جمع الأُدْحيّ، وهو موضع بيض النعام، والقياس في الجمع أداحيّ.

(٢) في ف «الفقر» وهو تصحيف.

(٣) النقانِق: جمع نِقْنِق، وهو ذكر النعام.

(٤) الوداثق: جمع وديقة، وهي شدّة الحر، وزاد أبو الفتح «عند دنو الشمس من سمت الرؤوس» (النظام ج ٢ ورقة ٢١٤).

(٥) في ف «الفقر».

(٦) الحُبْلَة: شجرة يأكلها الضباب.

٣٧ ـ وَكانَ هَدِيراً من فُحُولٍ تَرَكْتَهَا مُهَلَّبَةَ الأَذْنابِ خُرْسَ الشَّقائِقِ

ثمَّ قالَ لَهُ: وكانَ ما أظهَرَتْهُ العربُ من مَعْصيَتِكَ هَدِيْراً أسكتَّهُ، وإسعالاً[١] أذهبْتَهُ، وتركتَ قُرومَ[٢] تلكَ القَبائلِ، وفحولَ تلكَ العشائرِ، كَفُحولِ الإبلِ التي تُسْتَذَلُّ بِهُلْبِ[٣] أذْنَابِها، وتُسْكِتُها الْغَلَبَةُ فَتَنْقَطِعُ أصواتُ شَقَاشِقِها[٤]. يُشيرُ إلى أن سيفَ الدَّولةِ أَذَلَّ عِزَّ أولئكَ الأَعرابِ بِغَلَبَتِهِ لهم، وأَذْهَبَ تَطاوُلَهُم بإيقاعِهِ بهم.

٣٨ ـ فَما حَرَمُوا بالرَّكْضِ خَيْلَكَ رَاحةً وَلَكِنْ كَفَاهَا البَرُّ قَطْعَ الشَّوَاهِقِ

ثمَّ قالَ مخاطباً لَهُ: وما عاقوكَ بما تكَلَّفْتَهُ[٥] من اقْتِحامِ الفَلَواتِ عليهم عن لَذَّةٍ، ولاَ مَنعوا بذلك خَيْلَكَ من راحَةٍ، ولا أَخْرَجوكَ عن عادَتِكَ، ولا عَدَلُوا بِكَ عن طَريقَتِكَ[٦]، ولكِنَّ فَلَواتِهِم التي اقْتَحَمْتَها كَفَتْ خَيْلَكَ شواهقَ الجِبالِ؛ جِبَالِ الرُّومِ[٧] التي تَرَكْتَها.

٣٩ ـ وَلاَ[٨] شَغلوا صُمَّ القَنَا بِقُلُوبِهِمْ[٩] عن الرَّكْزِ[١٠] لَكِنْ عَنْ قُلوبِ الدَّمَاسِقِ[١١]

(١) هذه الكلمة أقرب ما يكون إلى الكلمة المرسومة في النسختين «واسعاً» والإسعال: النشاط.
(٢) القروم: جمع قرم وهو السّيد.
(٣) الهُلْب: الشعر ينتف من الذنب.
(٤) الشقاشِقُ: جمع شِقْشِقَة، وهي ما يخرجه البعير من فمه إذا هاج.
(٥) في ت «وما عاقوك بما كُلِّفته من اقتحام الفلاة عليهم».
(٦) في ت «طريقك».
(٧) في ت «ولكن كفت فلواتهم خيلك اقتحام شواهق جبال الروم».
(٨) في رواية المبارك بن أحمد المستوفى «وما شغلوا».
(٩) في رواية التبيان «بنحورهم».
(١٠) في ر، ف «الركض» وهو تحريف وفي شرح البيت ما يدل على ما أثبته.
(١١) الدماسق: جمع دمستق، وهو اسم أعجمي يتغير مجموعه عن مفرده.



ثُمَّ قالَ: ولا كانَتْ رماحُكَ قبلَ قِتالِهم مَرْكوزَةً غَيْرَ مُعْلَمةٍ، ومَتْروكَةً غَيْرَ مُتَصَرِّفةٍ، ولكن شَغَلُوها بِقُلوبِهم عن قُلوبِ دَماسِقِ الرُّومِ التي هَتَّكَتْها بطَعْنِها، وخَرَّقَتْها بأسِنَّتِها. فأشَارَ إلى أنَّ سيفَ الدَّولةِ وجَيْشَهُ لم يتكَلَّفْ في طَلَبِ الأعْرَابِ مؤونَةً، ولا تَجَشَّمَ مَشَقَّةً، وإنما خَرَجَ من الحَرْبِ إلى الحَرْبِ، وصَحِبَهُ ما عَهِدَ من النَّصرِ والصُّنْعِ.

٤٠ - أَلَمْ يَحْذَرُوا مَسْخَ الَّذي يَمْسَخُ العِدَى وَيَجْعَلُ أَيْدي الأُسْدِ أَيْدِي الخَرَانِقِ[١]

ثُمَّ يقولُ: أَلم يَحذَرِ الأعْرابُ[٢] سَطْوةَ سَيْفِ الدَّولَةِ التي هي على أعاديهِ، كالمَسْخِ الذي يَقْلِبُ الخَلْقَ، ويُقَبِّحُ الصُّورَ؛ لأنَّه يُعِيْدُ[٣] بها عَزِيْزَهُم ذَليلاً، وكبيرَهُم[٤] بالقَتْلِ قَليلاً، ويَجْعَلُ أيديَ الأُسْدِ من أيَاديهِ، وقد تناهَتْ في القوَّةِ، كأيدي الخَرانِقِ[٥]، مما يُكْسِبُهم إيَّاه من الذِّلَّةِ.

٤١ - وَقَدْ عايَنُوهَا في سِواهُمْ وَرُبَّما رَأَى مَارِقٌ في الحَربِ مَصْرَعَ مَارِقِ[٦]

ثُمَّ قالَ: وعايَنَتِ الأعْرابُ[٧] وقائِعَهُ في غَيْرِهِم، فما وَعَظَتْهُم تلكَ

---

(١) قال أبو الفتح: «أسكن الياء من أيدي في موضع النصب ضرورة».
(النظام ج٢ ورقة ٢١٥).

(٢) في ت «الأعدا».

(٣) في ف «بعيد» وفي ت «ويعيد».

(٤) في ت «وكثيرهم» ولعلها الأصوب لتناسبها مع القلة.

(٥) زاد في ت «كأيدي الخرانق قصيرة».
والخرانق: جمع خِرْنَق، وهي الإناث من أولاد الأرانب.

(٦) روى الواحدي والتبيان وابن المستوفي «عاينوه.... وربما أرى مارقاً».
قال أبو القاسم عبد الواحد بن علي في ترجيح رواية الرفع: «الواو واو الرباط، وربما للتكثير، ويكون التجوز بها أبلغ في التحذير» (النظام ج٢ ورقة ٢١٥).

(٧) في ت «العرب».

المَصارِعُ، ولا بَصَّرَتْهُم تلكَ الزَّواجِرُ، وكثيراً ما يَعِظُ سَيْفُ الدَّولةِ المارِقَ بِمَصْرَعِ مارقٍ مِثْلِهِ، ويَكْشِفُ له بِذلكَ عواقِبَ فِعْلِهِ.

٤٢ - تَعَوَّدَ أَنْ لا تَقْضَمَ الحَبَّ خَيْلُهُ إذا الهامُ لم تَرْفَعْ جُيُوبَ[١] العَلائِقِ

ثُمَّ يقولُ: تَعَوَّدَ سيفُ الدَّولةِ لِكَثْرَةِ وقائِعِهِ، واتِّصالِ ملاحِمِه، ألا تَقْضَمَ خيولُهُ الحَبَّ، إذا لم تَرْفَعْ أَكْداسُ الرُّؤوسِ[٢] إليها عَلائِقَها[٣]، فَتَعْطِفُ عليها جَوانِبَها، فإذا عَدِمَتْ ذلكَ، لِكَثْرَةِ انتهابِهِ، واعتِيادِها له، امتَنَعَتْ قَضِيْمَها، واضطَرَبَتْ أُمورُها.

٤٣ - وَلاَ تَرِدُ الغُدْرَانَ إلاَّ ومَاؤُها من الدَّمِ كالرَّيحانِ تَحْتَ الشَّقائِقِ

ثُمَّ قالَ: وكذلكَ تَعوَّدتْ خيلُهُ ألاَّ تُباشِرَ الغُدْرانَ واردةً، ولا تَقْتَحِمَ مياهَهَا شارِبةً، إلا وتلكَ المِياهُ تَحْتَ ما تَسْفِكُهُ[٤] من دِماءِ أعادِيهِ، كالرَّيحانِ إذا اسْتَبانَتْ تَحْتَ الشَّقائِقِ خُضْرَتُهُ[٥]، واسْتَتَرَتْ[٦] بحُمْرَتِها جُمْلَتُهُ. وأشارَ بِخُضْرَةِ الماءِ إلى صَفائِهِ وكَثْرَتِهِ، ونَبَّه بذلكَ على جُمُومِهِ ومَنَعَتِهِ، وأَنَّ هذه الخيلَ إنَّما تَأْنَسُ من الماءِ بما[٧] هذه صِفَتُهُ، وتَرِدُ منه ما هذه حَقِيْقَتُه.

(١) روى الواحدي والتبيان وابن المستوفي «جنوب» وأشار ابن المستوفي إلى هذه الرواية في الهامش (انظر النظام ج٢ ورقة ٢١٥).

(٢) المقصود ترفع رؤوس القتلى المكدسة إليها علائقها.

(٣) العلائق: جمع عليقة وهي المخلاة.

(٤) في ت «يسفكه».

(٥) في ت «كالريحان في خضرته إذا استبان تحت الشقائق».

(٦) في ت «واستولت بحمرتها على جملته».

(٧) في ت «ما».



٤٤ ـ لَـوَفْـدُ نُمَـيْرٍ كَـانَ أَرْشَـدَ مِـنْهُـمُ   وَقَدْ طَرَدُوا الأَظْعَانَ طَرْدَ الوَسَائِقِ[١]

ثُمَّ يقولُ: لَوَفْدُ[٢] نُمَيْرٍ كانَ أَرْشَدَ من هذهِ القَبائِلِ، التي انجَفَلَتْ بَيْنَ يَدَي سَيْفِ الدَّولةِ[٣].

٤٥ ـ أَعَدُّوا رِمَاحاً من خُضُوعٍ فَطَاعَنُوا[٤]   بِهَا الجَيْشَ حَتَّى رَدَّ غَـرْبَ الفَيَـالِقِ

ثُمَّ قالَ، يُرِيدُ بَنِي نُمَيْرٍ: أَعدُّوا من خُضُوعِهم لِسَيْفِ الدَّولةِ رماحاً نافِذَةً، وأَسْلِحَةً ماضِيَةً، فَطاعَنوا بذلكَ الخُضُوعِ جَيْشَهُ[٥]، وكَفُّوا بِذلكَ الاعتِرافِ خَيْلَهُ، حَتَّى رَدَّ الخُضُوعُ غَرْبَ فَيالِقِهِ[٦]، وكَفَّ[٧] حُسْنُ الإعرابِ[٨] بَأْسَ كَتَائِبِهِ، ونالَ[٩] ما استَدْفَعَتْهُ بنو نُمَيْرٍ سائِرَ بني عُقَيْلٍ؛ بِسوءِ نَظَرِهم، وقِلَّةِ تَدَبُّرِهم.

٤٦ ـ فَلَمْ أَرَ أَرْمَى مِنْـهُ غَـيْرَ مُخَاتِـلٍ   وَأَسْرَى إلى الأَعْـدَاءِ غَـيْرَ مُسَـارِقِ

ثُمَّ يقولُ: فلم أَرَ أَرْمَى من سَيْفِ الدَّولةِ، غَيرَ مُخادِعٍ في رَمْيِهِ، ولا

---

(١) الوسائق: جمع وسيقة، وهي القطيع من الإبل والحمر الوحشية، أو هي الطريدة منها.

(٢) في ر، ف «لغد».

(٣) تتمة شرح البيت ساقط في النسختين ر، ف، وتمام معنى البيت في ت: «لأنهم تعلقوا بعفوه، وخضعوا له، فسلموا من جيشه، وكانوا قد طردوا نساؤهم طرد الوسائق خوفاً منه» (التبيان ٢/٣٣١).

(٤) في رواية الواحدي «وطاعنوا».

(٥) في ف «جيشاً».

(٦) في ت «حد فيالقه».

وغرب فيالقه: الغرب: الحدُّ، والفيالق: جمع فيلق: وهي الكتيبة كثيرة السلاح.

(٧) في ر، ف «وكفّه» وفي ت «فكفّ».

(٨) في ت «جيش الأعراب».

(٩) في ت «وأصاب».

أَسْرَى[1] إلى الأعداءِ منه، غَيْرَ مُسَارقٍ من قَصْدِهِ[2].

٤٧ ـ تُصِيبُ المَجَانِيقُ[3] العِظَامُ بكَفِّهِ   دَقَائِقَ قد أَعْيَتْ قِسِيَّ البَنَادِقِ

ثُمَّ قالَ، مُنَبِّهاً على قوَّةِ سَعْدِهِ، وما يُمَكِّنُهُ اللَّهُ في الأمورِ من أَمْرِهِ: يُصِيْبُ بالمَجَانِيْقِ العِظامِ[4]، مَعَ اختِلافِ رَمْيِها، وتَعَذُّرِ ضَبْطِها، دَقَائِقَ[5] يُقَصِّرُ قِسِيُّ[6] البَنَادِقِ[7] عن مِثْلِهَا، ويَعْجَزُ عما تُحَاوِلُ من أمرِها. يُشِيْرُ إلى أَنَّه مُعَانٌ مُؤَيَّدٌ، ومَنْصورٌ مُسَدَّدٌ.

---

(١) في ر «والأسرى» وهو تحريف.

(٢) تمام الشرح في ت «يريد أنه يتناول أموره تناول قُدْرَةٍ، ويحاولها محاولة اعتزام وشِدَّةٍ» (التبيان ٢/٣٣١).

(٣) مجانيق: جمع مَنْجَنيق وبكسر الميم، آلة ترمى بها الحجارة وخلافها على الحصون في الحصار، ومن العرب من يسميه منجنوقاً وهي فارسية معربة، ونص أبو الفتح بن جني على أن الميم في منجنيق أصل وقال غيره إنها زائدة.
(النظام ج ٢ ورقة ٢١٦).

(٤) في ت «تصيب المجانيق العظام».

(٥) في ت «دقاقاً».

(٦) في ف «قصي».

(٧) في ت «البندق»
والبنادق: جمع بُنْدُقة، وهو ما يُعمل من الطين ويرمى به الطير.

قالَ أبو الطَّيِّبِ هذه القَصِيْدةَ في هذه السَّريةِ، إلا أنَّه لم يَذْكرِ المَنازِلَ، ولا وصَفَ الوَقْعَةَ؛ لأنَّه لم يَشْهَدْها، فَشَرَحها له سَيْفُ الدَّولةِ، وسأَلَهُ أنْ يَصِفَها، فقالَ:

١ - طِوالُ قَنـاً تُطَاعِنُهَا قِصَارُ وَقَطْرُكَ في نَـدىً ووغـىً بِحَـارُ

يقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: أبطالُ الفُرْسَانِ ومَشاهِيرُ الشُّجْعانِ، تَقْصُرُ رِماحُهُم عندَ تَعَرُّضِهم لِطَاعَنَتِك، ويَحْذَرُ لهم بَأْسُهم إذا أقدموا على مُخَالَفَتِكَ، والقَلِيلُ منكَ في الجودِ والحَرْبِ بحارٌ تَزْخَرُ، وكَثْرَاتٌ لا تُحْصَرُ، وكَنَى بالقَطْرِ عن القِلَّةِ، وبالبِحارِ عن الكَثْرَةِ.

٢ - وَفِـيْـكَ إذَا جَـنَى الجَـاني أَنَـاةٌ تُـظَنُّ كَـرَامَـةً وَهـيَ احتِـقَـارُ

ثُمَّ قالَ: وفيكَ إذا [جَنَى][1] الجاني عَلَيْكَ أَناةٌ يُوْجِبُها حِلْمُكَ، وتَغافُلٌ يَنبَعُثُ عليه فَضْلُكَ، فَيَعُدُّ الجاهِلُ ذلكَ إكراماً تَقْصِدُهُ، وإنما هو احتِقارٌ لِلجاني يَعْتَقِدُهُ.

٣ - وَأَخْـذٌ[2] لِلْحَـوَاضِرِ وَالْبَـوَادِي بِـضَـبْطٍ لم تُـعَـوَّدْهُ نِـزَارُ

قَوْلُهُ: «وأخذٌ للحواضِرِ والبَوادي» أخبرَ عن الحواضِرِ والبَوادي، وهو

---

(١) في ر، ف «يجنيه» وفراغ في ط وما بين معكوفتين استدراك من الشعر.

(٢) يروي «بضرب» (النظام ج ٢ ورقة ٧٤).



يريدُ أَهْلَهـا، والعَربُ تَفْعَـلُ ذلك، قـال تعالى: ﴿وَسْئَـلِ القَرْيَـةَ التي كُنَّا فيها﴾[1]؛ يريـدُ: أهلَ القَـرْيَةِ، وتقـولُ العَربُ: اجتَمَعَتِ اليَمـامَةُ، وهم يُريدونَ: أَهْلَ اليَمامَةِ، ونزارُ أبو مُضَرَ ورَبِيْعَةَ؛ الجُمهُورُ الأَعْظَمُ من العَربِ. فيقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: وفيكَ أَخْـذٌ لِأَهلِ الحـواضرِ والبَوادي من العَـرَبِ، بِضَبْطٍ يَحْصُرُهم[2]، وسُلْطَانٍ يَقْهَرُهم[3]، ولم تَعْتَدْ نِزَارُ ذلكَ؛ لأَنَّهم لَقَاحٌ[4] لم يُمْلَكوا قَبْلَكَ، ومَمَاليكُ[5] لم يَضْبِطْهم[6] غَيْرُكَ.

٤ ـ تَشَمَّمُـهُ شَمِيمَ الـوَحْشِ إِنْسَـاً   وَتُنْكِرُهُ[7] فَـيَعْـرُوهَـا نِـفَـارُ

ثُمَّ قال: يَتَشَمَّمونَ ذلكَ الضَّبْطَ كما تَتَشَمَّمُ الوَحْشُ الإِنْسَ، فَيُنْكِرُونَهُ إذ لم يَعْتَادُوه، ويَأْنَفونَ منه إذ لم يَعْهَدُوه، ويَعْرُوهُم من النِّفَارِ ما يَعْرُو الوَحْشَ عند مُقَارَبةِ الإنسِ لها، ومُحَاوَلَتِهم للاتِّصالِ بها.

٥ ـ وَمَـا انْـقَـادَتْ لِغَيْـرِكَ في زَمَـانٍ   فَـتَـدْرِي مـا المَقَـادَةُ والصَّـغارُ

ثُمَّ يقولُ لِسَيْفِ الدَّولـةِ: وما انقـادَتْ نِزَارُ لِغَيْـرِكَ في زَمانٍ من الأَزْمَـانِ الخـاليةِ، ومُـدَّةٍ من المُدَدِ المـاضِيَةِ، فَتُنْكِـرُ عليها النِّفـارَ مما أَخَـذْتَها بـه من الانقِيادِ

---

(١) سورة يوسف آية ٨٢.

(٢) في ط «يحرصهم بل يحرصهم».

(٣) «وسلطان يقهرهم» ساقطة من ف.

(٤) لقاح: الحي الذين لا يدينون للملوك، أو لم يصبهم السبي في الجاهلية.

(٥) نصف هذه الكلمة ساقط في النسخ الثلاث، ورسمها فيهن «وليك».

(٦) في ر، ف «لم تضبطهم» وفي ط «ثم يضبطهم».

(٧) يروى «ينكره» يعني الوحش، والأوجه «تنكره».
قال أبو زكريا الخطيب «والأولى أن تكون الضمائر في تنكره وما بعده لنزار لأنه جاء بها في جميع ما بعده إخباراً عنهم».
(النظام ج ٢ ورقة ٧٤).



لأمْرِكَ، والإصْغَار بِمُلْكِكَ.

٦ ـ فَـأَقْـرَحَتِ[1] المَقَـاوِدُ ذِفْـرَيَيْهَـا وَصَعَّـرَ خَـدَّهـا هَـذا العِـذَارُ

ثُمَّ قال: ولكِنَّها مَلَكَتْهَا الغَلَبَةُ، وسَكَّنَ شِمَاسَها المَقْدِرَةُ، وصارَتْ كالإبلِ المُذَلَّلةِ التي قد أقْرَحتِ المَقاوِدُ ذَفارَيْها[2]، وكالخَيْلِ المُرْتَاضَةِ التي تُصَعِّرُ اللُّجُمُ خُدُودَها. وأجْرَى هذا على سَبِيلِ الاسْتِعَارَةِ. مُشِيراً إلى ما أحاطَ بِنِزارٍ من سُلطانِ سيفِ الدَّولةِ، الذي ضَبَطَ نَافِرَهَا، وقَمَعَ مُخَالِفَهَا.

٧ ـ وَأَطْمَـعَ عـامِـرَ البُقْيَـا عَلَيْهـا[3] وَنَـزَّقَهـا احتِمَـالُـكَ وَالْـوَقَـارُ

ثُمَّ يقولُ: وأَطْمَعَ بَنِي عامِرٍ في السَّلامةِ من عُقوبَتِكَ، طولُ ابقائِكَ عليهم، وكَثْرَةُ تَحَلُّمِكَ عنهم، وأَوْجَبَ تَنَزُّقَهم في الفِتْنَةِ، احتمالُكَ وتَوَقُّرُكَ، وأَنَاتُكَ[4] وتَثَبُّتُكَ.

٨ ـ وَغَيَّـرَهَـا الـتَّرَاسُـلُ والتَّشَـاكي وَأَعْـجَـبَـهـا الـتَّـلَـبُّـبُ والمُـغَـارُ

ثمَّ قالَ مُخاطِباً له: وغَيَّرَ بني عامِرٍ، هذه القَبِيْلَةَ، عمَّا كانَتْ عليهِ من طاعَتِكَ، تَـرَاسُلُهُم بما حـاوَلوهُ من إظهـارِ مَعْصِيَتِكَ ومَعْـذِلَتِكَ، وأَعْجَبَهُم

(١) كذا في رواية المعري وابن المستوفي أيضاً، وفي رواية الواحدي «فأفرحت» بالفاء بمعنى أثقلت، وفي رواية التبيان «فقرَّحت». قال المبارك بن أحمد المستوفي مصوباً رواية «فأقرحت» «وهو أحسن لفظاً من قوله فأفرحت بالفاء، أي: أثقلت لأن المقاود لا تثقل الذفرى وقد تقرحها، وهذا ظاهر، وأفرحت بالفاء وإن كانت حروفه فصيحة، فإنها لغة غريبة في الاستعمال، بعيدة عن شرط البلاغة».

(النظام ج ٢ ورقة ٧٤ ـ ٧٥) (وانظر شرح الواحدي ٥٦٨/٢ والتبيان ١٠١/٢).

(٢) الذفارى: جمع ذفرى: العظم الشاخص خلف الأذن.

(٣) كذا في رواية المعري أيضاً، وفي رواية التبيان «عليهم».

(٤) ساقط نصف الكلمة الأول من ط.

التَّلَبُّبُ[1] في الإغارَةِ، والاقتِدارُ على ذلكَ بالكَثْرَةِ.

٩ ـ جِيَـادٌ تَعْـجِـزُ الأَرْسَـانُ[2] عنهـا وفُـرْسَـانٌ تَـضِيـقُ بهـا الـدِّيَـارُ

ثُمَّ وَصفَ مِقْدارَ عِدَّتِهم، ومَبْلَغَ جُموعِهم وكَثْرَتِهم[3]، فقال: إنَّ خُيولَهُم تَعْجِزُ الأرسَانُ[4] عن الاستِيْفاءِ لها، وفُرْسانَهم تَضِيقُ الدِّيارُ عن الإحاطةِ بها.

١٠ ـ وَكَـانَـتْ بـالتَّـوَقُّـفِ عَنْ رَدَاهَـا نُـفُـوسـاً في رَدَاهَـا تُـسْـتَـشَـارُ

ثُمَّ يقولُ: وكانَتْ نُفوسُ بني عامِرٍ بتوقُّفِ سيفِ الدَّولةِ عن الإيقاعِ بهم، وتَثَبُّطِهِ عن التَّطلُّبِ لهم، نُفوساً تُسْتَشَار في الرَّدَى الواقِعِ بها، فإن تابَتْ قَبِلَ سَيْفُ الدَّولةِ تَوْبَتَها، وإن أَبَتْ اسْتَظْهَرَ بالحُجَّةِ في عُقوبَتها.

١١ ـ وَكُنْتَ السيفَ قَـائِمُـهُ إلـيهـا[5] وَفي الأَعْـدَاءِ حَـدُّكَ والـغِـرَارُ

ثُمَّ قالَ مُخاطِباً له: وكُنْتَ السَّيفَ قائِمُهُ إلى بني عامِرٍ، بحياطَتِكَ لهم، وكَفِّكَ عنهم، وكانَ حَدُّكَ وغِرَارُكَ[6] في أَعْدَائِهم، وهم آمِنون لِسَطْوَتِك، غير مُتَوَقِّعينَ لِعُقوبَتِكَ.

---

(١) التَّلَبُّبُ: جمع الثوب والتحزّم به لحضور الحرب.
والمغار: هو الإغارة على العدو، وقيل من الإغارة: إحكام القتل.

(٢) ساقطة من ر، ف، ط.

(٣) في ط «وكثرهم».

(٤) في ر، ف، ط «الأرسيان».

(٥) كذا عند المعري أيضاً: وفي رواية الواحدي والتبيان وابن المستوفي «إليهم».

(٦) الغرار: حدّ السيف والرمح والسهم.
وجمع بين الحد والغرار لاختلاف اللفظين.

١٢ ـ فَـأَمْسَتْ بـالْبَـدِيَّـةِ شَفْـرَتَـاهُ   وَأَمْسَى خَلْقَ قَـائِـمِـهِ الْحِيـارُ

ثُمَّ قال: فَصَيَّرتَ مَعْصِيَتَهُم ذلكَ الأَمرَ بِخلافِ ذلك، فَصارَ حَدُّكَ في البَدِيَّةِ، التي هي من مَنَازِلهم، يشيرُ بذلكَ إليهم، وخَلْفَ قائِمِكَ الحِيَارُ[1]، التي هي بِمَعْزِلٍ عن مواضِعِهِم، فأشارَ بالقائِمِ والحَدِّ إلى العُقوبَةِ والعَفْوِ، على سبيلِ الاسْتِعارَةِ.

١٣ ـ وَكَـانَ بَنُـو كِـلاَبٍ حَيْثُ كَعْبٌ[2]   فَخَـافُـوا أَن يَصِـيرُوا حَيْثُ صَارُوا

ثُمَّ قالَ: وكانَ بنو كِلابٍ حَيْثُ كانَ بنو كَعْبٍ، من التَّجاوِرِ في الدَّارِ، والتَشَارُكِ في الرَّأيِ، فخافوا أن يَصيروا بِمَعْصِيةِ سَيْفِ الدَّولةِ إلى مثلِ ما صارَ إليه بنو كَعْبٍ، وأن يَنَالَهُم ما[3] نالَ به أولئِكَ من شدَّةِ الوَطْأةِ، ومُؤْلِمِ السَّطْوَةِ.

١٤ ـ تَـلَقَّـوا عِـزَّ[4] مَـوْلاَهُـم بِـذُلٍّ   وَسَـارَ إِلَى بَـنِي كَـعْـبٍ وسـاروا

ثُمَّ قـالَ، يُريـدُ بَني كِلابٍ: تَلَقـوا عِزَّ مَـوْلاَهم؛ سَيْفِ الدَّولـةِ[5]، بالتَّذَلُّلِ له، واستَجاروا منه بالتَّعَوُّذِ به، وسَارَ[6] إلى بني كَعْبٍ بِسَائِرِهم[7]، فساروا مَعَه مُكْثِرِينَ لِـجَمْعِهِ، وبادَروا مُمْتَثِلِيْنَ لأَمْرِهِ.

(١) البدية والحيار: ماءان، وقد سبق التعريف بهما.

(٢) في رواية المعري «حيث كانوا».

(٣) كذا في ر، ف، وفي ط «بما».

(٤) ضبطت في ط «عَزّ» بفتح العين وكسر الزاي المشدّدة.

(٥) في ر، ف، ط «بسيف» ولعل ما أثبته الصواب.

(٦) في ر، ف، ط «وصار».

(٧) في ر، ف «شائرهم» وفي ط «بشائرهم».

١٥ ـ فَأَقْبَلَهَا المُرُوجَ مُسَوَّمَاتٍ ضَوَامِرَ لا هِزَالَ[1] ولاَ شِيَارُ

ثُمَّ قالَ، مُشيراً إلى سَيْفِ الدَّولةِ: فأَقْبَلَها المروجَ مُغِيْرَةً في آثارِ بني كَعْبٍ، ضَوَامرَ بما اتَّصَلَ لها من الرَّكضِ، لا هِزَالَ فَيُقْعِدُها الضَّعْفُ، ولا شِيارَ[2] فيُثْقِلُها اللَّحمُ.

١٦ ـ تُثِيرُ عَلى سَلَمْيَةَ مُسْبَطِرًّا تَنَاكَرُ تَحْتَهُ لَوْلاَ الشِّعَارُ

ثُمَّ قالَ: تُثيرُ هذه الخَيْلُ على سَلَمْيَةَ؛ هذا المَوْضِعِ، من ساطِعِ عَجَاجِها، ومُتَكاثِفِ رَهَجِها، مُسْبَطِرًّا[3] مُمْتَدًّا، يَتَناكَرُ الفُرْسانُ فيه فلا يَتعارَفونَ[4] إلاّ بالشِّعارِ[5] في ظَلاَمِهِ، ولا يَتَميَّزونَ إلا بالكَلاَمِ تَحتَ قَتامِهِ.

١٧ ـ عَجَاجاً تَعْثُرُ العِقْبَانُ فِيهِ كَأَنَّ الجَوَّ وَعْثٌ أو خَبَارُ

ثُمَّ أكَّدَ وَصْفَ ذلكَ القَتام، فقالَ، مُشِيْراً إلى تكاثُفِهِ، ومُنَبِّهاً على التِحامِهِ وتَراكُمِه: عَجَاجٌ تَصيرُ العِقْبَانُ منه في الجوِّ إلى المشي بَعْدَ طَيَرانِها، فَتَعْثُرُ فيهِ سائِرَةً، ولا تَتخَلَّصُ منه ناهِضَةً، حَتَّى كأنَّه وَعْثٌ مُتَّصِلٌ، وخَبَارٌ

---

(١) ضبطت هذه الكلمة بضم الهاء «هُزال» في ر، ف، ط والأصوب ما أثبته، قال ابن فورجة «والهزال في هذا البيت بكسر الهاء لا غير، جمع هزيل، وإنما أتينا بهذا لما سمعنا قوماً يروون «لا هُزال» يظنون مصدر هزلت الدابة، ولو أتى بالمصدر لأتى معه بمصدر مثله فقال: لا هزال، ولا شوار (النظام ج ٢ ورقة ٧٥ ـ ٧٦).

(٢) الشيار: الحسن والجمال والسِّمَن، وهو من الشارة وهي حسن الهيئة.
والشيار: جمع شيرة وهو الفرس السمين الممتلىء.

(٣) المراد به: الغبار الساطع الممتد.

(٤) في ر، ف، ط «فلا يتفارقون» ولعل الصواب ما أثبته.

(٥) الشعار: العلامة التي يتعارف بها أهل كل جيش إذا اختلفوا.



مُرْتَكِمُ[1]، هذا مَعَ ارتِفاعِ مَواضِعِ العِقْبَانِ، وقُوَّتِها على الاسْتِعارَةِ[2] في الطَّيَرانِ.

١٨ ـ وَظَلَّ الطَّعْنُ في الخَيْلَيْنِ خَلْسَاً   كَأَنَّ الموتَ بَيْنَهُما اختِصَارُ

ثُمَّ يقولُ: وظَلَّ الطَّعْنُ بَيْنَ خَيْلِ الأعرابِ وخيلِ سيفِ الدَّولةِ خَلْساً، لا مُهْلَةَ[3] فيه، حتى كأَنَّ الموتَ بينهما اختِصارٌ[4]، قد سَقَطَتْ فيه الكُلْفَةُ، وقَصْدٌ قد ذَهَبَتْ عنهم مَعَهُ المؤونَةُ.

١٩ ـ فَلَزَّهُمُ الطِّرَادُ إلى قِتَالٍ   أَحَدُّ سِلاَحِهِمْ فيهِ الفِرَارُ

ثُمَّ قالَ: فَلَزَّ[5] بني كَعْبٍ الطِّرادُ إلى شِدَّةٍ من القِتالِ، وحَقِيْقَةٍ من الحَرْبِ، كانَ[6] أحدَّ سِلاحِهم في ذلك الموقفِ الاعتِصَامُ بالفِرارِ، والتَّعويلُ على تَوْلِيةِ الأَدبارِ.

٢٠ ـ مَضَوْا مُتَسَابِقي الأَعْضَاءِ فيهِ   لأَرْؤُسِهِمْ بِأَرْجُلِهِمْ عِثَارُ

ثُمَّ يقولُ: مَضَى بنو كَعْبٍ في ذلكَ القتالِ فِراراً، تتسابَقُ أَعْضاؤُهم، وتَفْصِلُ السيوفُ أجسامَهُم، بما يَتَطايرُ من رؤوسِهم عِثارٌ في أرجُلِهم؛ لأَنَّ هَوْيَ الرُّؤوسِ ساقِطَةً، تَسْبِقُ الأَرْجُلَ في المَشْيِ، وتَغْلِبُها على شِدَّةِ العَدْوِ،

---

(١) الوَعْثُ: المكان السهل الكثير الرمل والدَّهس، وتغيب فيه الأقدام.
والخَبَارُ: ما سهل ولان من الأرض. والمُرتَكِمُ: المتراكم المُجْتَمِعُ.

(٢) الاستعارة: الطلب.

(٣) في ط «مهلكة» وهو تحريف.

(٤) في ط «اختصاراً» وهو لحن.

(٥) لَزَّ: ألزم.

(٦) في ف «كان».



فالرُّؤُوسُ تَعْقِلُها[1]، والأَرْجُلُ تَتعَثَّرُ بها[2].

٢١ - يَشُلُّهُمْ بِكُلِّ أَقَبَّ نَهْدٍ[3] لِفَارِسِهِ عَلَى الخَيلِ الخِيَارُ

ثمَّ قالَ: يَشُلُّهُم سَيْفُ الدَّولةِ، بكُلِّ فرسٍ نَهْدٍ في خَلْقِهِ، ضامرٍ بِشِدَّةِ عَدْوِهِ، لِفارسِهِ الخِيارُ على الخيلِ، لِتَحَكُّمِهِ في فروسِيَّتِهِ، وتَقَدُّمِهِ في شَجَاعَتِهِ.

٢٢ - وَكُلُّ أَصَمَّ يَغْسِلُ جَانِبَاهُ عَلَى الكَعْبَيْنِ مِنْهُ دَمٌ مُمَارُ[4]

ثمَّ يقولُ؛ وَيَطْرُدُهم سَيْفُ الدَّولةِ بكلِّ رُمْحٍ أَصَمَّ، يَهْتَزُّ طَرَفاهُ على أعلى كُعُوبِهِ، وفي أَسْفَلِها دَمٌ مُرْسَلٌ، فَأَشَارَ بهذين الكَعْبَيْنِ إلى أَنَّ الرُّمحَ قد غَشِيَ جَميعَهُ الدَّمُ.

٢٣ - يُغَادِرُ كُلَّ مُلْتَفِتٍ إليهِ وَلَبَّتُهُ لِثَعْلَبِهِ وَجَارُ

ثُمَّ قالَ: يُغادِرُ[5] ذلك الرُّمحُ كلَّ من التفَتَ إليه، وحاولَ الكرَّ على مُمْسِكِهِ، ولَبَّةُ[6] ذلك المُلْتَفِتِ وَجَارٌ لِثَعْلَبِ[7] ذلكَ الرُّمحِ. يشير إلى أَنَّه يَطْعَنُ

---

(١) في ط «تعلقها».

(٢) قال أبو الفتح «وهذا غير المعهود من حال العثار؛ لأن المعهود أن تعثر الرجل لا الرأس، فاغرب فيه ووافق الصواب».
(النظام ج ٢ ورقة ٧٦).

(٣) الأقب: الضامر البطن، والنهد: المشرف.

(٤) الكعبان: طرفان في عامل الرمح يغيبان في المطعون. والدم المهار: المسال المجرى، أمرت الدم: أجريته.

(٥) في ر، ف «يعاذر».

(٦) اللبة: وسط الصدر والمنحر.

(٧) الوَجار: بفتح الواو وكسرها والفتح أفصح: بيت الضبع والأسد والثعلب.
وثعلبة الرمح: طرف الرمح الداخل في جبّة السنان.

به طَعْنَةً تُغَيِّبُ السِّنان في لَبَّتِهِ إلى آخر الجُبَّةِ[1]، فَتصيرُ[2] حِيْنَئذٍ لَبَّتُهُ وَجاراً لِثَعْلَبِ الرُّمحِ، تَسْتُرُهُ وتُغَيِّبُهُ، وتَشْمُلُه وتَتَضَمَّنُهُ[3]. وجَعَلَ اللَّبَّةَ وَجاراً على سَبِيْلِ الاسْتِعارَةِ، وأشارَ إلى ذلك بالثَّعْلَبِ.

٢٤ ـ إذَا صَرَفَ النَّهارُ الضَّوءَ عَنْهُمْ دَجَا لَيْلاَنِ: لَيْلٌ والغُبارُ

ثُمَّ يقولُ: إذا صَرَفَ النَّهارُ ضَوْءَهُ عَنْهُم[4] بِمَغِيْبه، دَجَا عليهم لَيْلاَنِ: لَيْلٌ من ظَلامٍ، ولَيْلٌ من قَتامٍ.

٢٥ ـ وَإنْ جُنْحُ الظَّلامِ انجابَ عَنْهُمْ أَضَاءَ المَشْرَفِيَّةِ والنَّهارُ

يقول[5]: وإن انكشَفَ عنهم ظلامُ اللَّيلِ بِذَهابِهِ، أَشْرَقَ لهم ضَوْءَان: لَمعانُ السُّيوفِ، وضياءُ الشَّمْسِ، فَأَشارَ إلى شِدَّةِ مِحْنَتِهم، لِتَعَذُّرِ الهُروبِ عليهم بالليلِ، وما هم بِسَبِيْلِهِ من تَمَكُّنِ الطَّلبِ عليهم بالنَّهارِ[6].

٢٦ ـ يَبْكي خَلْفَهُمْ دَثْرٌ بُكاهُ رُغاءٌ أو ثُؤَاجٌ أو يُعارُ

ثُمَّ قالَ: يَبْكِي خَلْفَ بني كَعْبٍ ما تَخَلَّفوهُ من أَمْوالِهم، وذلك دَثْرٌ[7] كثيرٌ، بُكاءُ إبلِه الرُّغاءُ، وبُكاءُ ضَأْنِه الثُّؤَاجُ، وبُكاءُ مَعْزِهِ اليُعارُ[8] يُشيرُ إلى

---

(١) في ط «الحية».

(٢) في النسخ الثلاث «فيصير».

(٣) في ط «وتضمنه».

(٤) «عنهم» ساقطة من ط.

(٥) زاد في ط «ثم يقول».

(٦) زاد في ر، ف، ط «خلفهم دثر بكاه رغاء».

(٧) الدثر: المال الكثير.

(٨) «دثر» ساقطة من ط.

اختِلافِ أَصْواتِها، واختِلافِ أَصْنافِها، وفِرارِ أَرْبابِها، وإسلامِهِم[١] لها، وعَجْزِهِم عن المَنْعِ منها[٢].

٢٧ - غطا[٣] بالغُنْثُرُ[٤] البَيْداءَ حَتّى تَحُيِّرَتِ[٥] المَتالي وَالعِشارُ

يقول غَشِي هذا الدَّثْرُ[٦] من المالِ، هذا الموضعَ من البَيْداءِ، حَتَّى تَحُيِّرتِ المَتَالي والعِشارُ[٧] من إبْلِهِ، واعتُمِدَت من جُمْلَةِ سائِرِ الإبلِ؛ لأَنَّ أَلبَانَها أكثَرُ، ونَفْعَها لمن أَخَذها أَقْرَبُ

٢٨ - وَمَرّوا بالجِبَاهِ يَضُمُّ فيها كِلا الجَيشَينِ[٨] من نَقْعٍ إزارُ

ثُمَّ يقولُ[٩]: ومَرَّ بَنو كَعْبٍ في هَرَبِهم بَيْنَ يَدَي سَيْفِ الدَّولةِ، وجَيْشُهُ يَتْلو جَمْعَهم، وَيَقْفُو أَثَرَهم، والجَيْشَانِ؛ يريدُ: الجَيْشَ الهارِبَ، والجَيْشَ الطَّالبَ، يَضُمُّهُما من النَّقْعِ المُثارِ والرَّهَجِ، ما هو كالإزارِ الذي يُحِيطُ

---

(١) في ط «واسلا» ساقط نصف الكلمة.

(٢) قوله «يشير... المنع فيها» زيادة في ط.

(٣) غَطا: يقال غَطَاه وغطاه: إذا ستره وعلاه.

(٤) كذا في رواية ابن جني وابن المستوفي، وهو واد قرب سليمه، وفي رواية الواحدي «العَثير» وهو الغبار.

(٥) كذا في رواية ابن جني أيضاً وفي رواية الواحدي «تَحَيَّرت» بالحاء غير المعجمة ورواية الواحدي هي رواية الخوارزمي، ورواية ابن جني أصح.
(انظر شرح الواحدي ٥٧١/٢، والنظام ج ٢ ورقة ٧٦).

(٦) في ط «الدير».

(٧) المتالي: جمع مُتْلٍ ومُتْليه: وهي الناقة يتلوها ولدها.
والعشار: جمع عشراء وهي التي قربت ولادتها من النوق.
وهذان الصنفان أعز أموال العرب (شرح الواحدي ٥٧١/٢).

(٨) في ف «مع».

(٩) في ط «ثم قال».



بالْمُسْتَغْمِلِ لَهُ، ويَكْنُفُ[1] الْمُسْتَتِرَ به.

٢٩ ـ وَجَاؤُوا الصَّحْصَحَانَ بِلاَ سُروجٍ وَقَدْ سَقَطَ العِمَامَةُ والخِمَارُ

ثُمَّ قال، يُريدُ: بَني كَعْبٍ: وجاءوا الصَّحْصَحانَ؛ يريدُ: هذا الموضعَ، وقد رَمَوْا سُروجَهُمْ، ليكونَ ذلك أخفَّ لِلْخَيْلِ، وأمْكَنَ فيها تَتَكَلَّفُهُ من الجَرْيِ، وقد سَقَطَتْ عَمائِمُ الرِّجالِ، وخُمُرُ النِّساءِ. يُشيرُ إلى شِدَّةِ الهَرَبِ، وقوَّةِ الطَّلَبِ، وأنَّ الحالَ ضاقَتْ برجالِهم عن صَرْفِ[2] عمائِمِهِم الْمُنْتَشِرَةِ، وبِنِسائِهِم[3] عن تَلاقي خُمُرِهُنَّ الْمُتَكَشِّفَةِ.

٣٠ ـ وَأرهِقَتِ[4] العَذَارَى مُرْدَفَاتٍ وأُوطِئَتِ الأُصَيْبِيَةُ[5] الصِّغَارُ

ثمَّ قالَ: وأُرْهِقتِ العَذارى من نِساءِ بني كَعْبٍ، فاحتَمَلَهُنَّ فُرْسَانُ سَيْفِ الدَّولةِ، وأسْلَموهُنَّ للسَّبْيِ، ولم يَمْنَعوهُنَّ من الأَخْذِ، وَوَطِئَتِ الخَيْلُ صِغَارَ صِبْيَتِهِم[6]، وأهْلكتْ أطفالَ ذُرِّيَّتِهِم.

٣١ ـ وَقَدْ نُزِحَ العُوَيْرُ فَلا عُوَيْرٌ[7] وَنِهْيَا والبُيَيْضَةُ والجِفَارُ

---

(١) في ط «ويكتنف».

(٢) الصَّرف: ردُّ الشيء عن وجهه، ومعناها هنا الجمع.

(٣) «المنتشرة وبنسائهم» ساقطة من ط.

(٤) في رواية التبيان «فأرهقت».

(٥) في ف الأصبية، وهو تحريف.
والأُصَيْبِيَةُ: تصغير أصْبِية.

(٦) في ف «صبيهم».

(٧) في رواية التبيان «الغُوَيْر، غُوَيْر» بعين معجمة وهو تصحيف.

ثُمَّ يقولُ: وقد نَزَحَتْ بنو كعبٍ العَوِيْرَ، ونَزَحتِ[1] المِيَاهَ[2] التي ذكرَها المُتَّصِلَةَ به، فلم يَبْقَ فيها ما يُرْتَفَقُ[3] بِشُرْبِهِ، ولا تَحُلُّ يُعَرَّجُ على[4] مِثْلِهِ.

٣٢ ـ وَلَيْسَ بِغَيْرِ تَدْمُرَ مُسْتَغَاثٌ وَتَدْمُرُ كَاسْمِهَا لَهُمْ دَمَارُ

ثُمَّ قالَ: وليسَ لهم مُسْتَغَاثٌ إلا بتَدْمُرَ، هذه المَدِيْنَةِ، وفيها كانَ الإيقاعُ بهم، فَصَارَتْ كالفَالِ الذي بَيَّنَ حَالَهُم، وأخبَرَ عمَّا نالَهُم، وكانَتْ لَهُمْ كاسْمِها، دَماراً عَمَّ[5] جَميعَهم، وهَلاكاً أذلَّ عِزَّهُم.

٣٣ ـ أرَادُوا أنْ يُدِيرُوا الرَّأْيَ فيها فَصَبَّحَهُمْ بِرَأْيٍ لا يُدَارُ

ثمَّ يقولُ: أرَادَ بَنو كَعْبٍ أن يُديروا في تَدْمُرَ، هذه المدينةِ، رَأياً يَمْتَنِعونَ بهِ من سيفِ الدَّولةِ، فَصَبَّحَهُم من الإيقاعِ بهم برأيٍ يُغْنِي نَفَاذُه عن إدَارَتِهِ[6]، وتَمَامُهُ عن مُحَاوَلَتِهِ.

٣٤ ـ وَجَيْشٍ كُلَّما حَاروا[7] بأَرْضٍ وَأقْبَلَ أقْبَلَتْ فيه تَحَارُ

ثُمَّ قالَ: وَصَبَّحَهُمْ بِجَيْشٍ كَثيرٍ جَمْعُهُ، جَليلٍ أَمْرُهُ، كلَّما حاروا[8]

---

(١) في ط «نزعت» وهو تحريف.

(٢) في النسخ الثلاث «المياد» وهو تحريف.

(٣) يرتفق: ينتفع.

(٤) في ط «عن».

(٥) في ط «عمّت».

(٦) معنى ذلك كما قال أبو العلاء: «إنما يفعل برأي نفسه الذي لا يشاور أحداً فيه، لأنه غني بالفطنة والحزم».
(النظام ج ٢ ورقة ٧٧).

(٧) كذا في رواية ابن جنى والمعري والواحدي وابن المستوفي، وفي ر، ف، ط «جاروا».

(٨) في ر، ف، ط «جاروا».



بِأَرْضٍ عن قَصْدِ سَبِيْلِهم، وعَجِزوا عن تَوْجِيه أَمرِهِمْ، وأَقْبَلَ ذلِكَ الجيشُ يَطْلُبُهم في تلكَ الأَرضِ، أَقْبَلَتِ الأَرْضُ تَحارُ في قُوَّتِهِ، وتَضِيقُ عن كَثْرَتِهِ.

٣٥ ـ يَحُفُّ أَغَرَّ لا قَوَدٌ عَلَيْهِ ولادِيَةٌ تُسَاقُ ولا اعتِذارُ

ثُمَّ يقولُ: يَحُفُّ ذلكَ الجَيْشُ من سَيْفِ الدَّولةِ، مَلِكاً أَغرَّ، بَهِيَّ المَنْظَرِ، جَلِيلَ القَدْرِ، لا قَوَدٌ ولا دِيَةٌ عليه فيمَنْ قَتَلَهُ، ولا اعتِذارٌ ولا تَوَقُّعٌ فيما فَعَلَهُ.

٣٦ ـ تُرِيقُ سُيُوفُهُ مُهَجَ الأَعَادي[1] كُلُّ دَمٍ أَرَاقَتْهُ جُبَارُ

ثُمَّ قالَ: تُرِيقُ سُيوفُهُ دماءَ أَعَاديه، وتَبْتُرُ[2] أعمارَ مُخَالِفيهِ، وكُلَّما يُرِيقُهُ من ذلك الدَّمِ جُبَارٌ[3] لا يُنْتَصَرُ لَهُ، وهَدَرٌ لا يُسْتَقادُ به.

٣٧ ـ فَكانوا[4] الأُسْدَ لَيْسَ لَها مَصَالٌ عَلَى طَيْرٍ وَلَيْسَ لَها مَطَارُ

ثُمَّ قالَ، وهو يُريدُ بني كَعْبٍ[5]: فكانوا الأُسْدَ في بَأْسِهم وشِدَّتِهم، إلاَّ أَنَّ غَلَبَةَ سَيْفِ الدَّولةِ لهم، غادَرَتْهُم أُسْداً غيرَ صائِلَةٍ، وكانَتْ خَيْلُهُم التي كانوا عليها طَيْراً، في كَرَمِها وسُرْعَتِها، إلا أَنَّ إدراكَ جيشِ سَيْفِ الدَّولةِ لها، صَيَّرَها طَيْراً غَيْرَ ناهِضَةٍ.

٣٨ ـ إذَا فَاتُوا الرِّمَاحَ تَنَاوَلَتْهُمْ بِأَرْمَاحٍ مِنَ العَطَشِ القِفَارُ

---

(١) كذا في ط، وفي ر، ف «الأعالي».

(٢) في ف «وتبر».

(٣) الجبار: الدم الذي لا قود فيه ولا دية.

(٤) كذا في رواية المعري أيضاً وفي رواية الواحدي والتبيان «وكانوا».

(٥) وإلى ذلك ذهب ابن جني، وقال العروضي: هذا من صفة خيل سيف الدولة» (انظر النظام ج ٢ ورقة ٧٧، شرح الواحدي ٢/٥٧٣).



ثُمَّ قالَ: إذا فاتَ بنو كَعْبٍ رماحَ جيشِ سَيْفِ الدَّولةِ، بِفِرارِهم عَنْهُ، واقتحامِهِم الفَلاةَ فَرَقاً مِنْـهُ، تناوَلَتْهُم القِفـارُ من العَطَشِ بـأَرْمَاحٍ نـافِذَةٍ، واعتَورتهُمْ[1] بِحُتوفٍ صادِقَةٍ.

٣٩ ـ يَـرَوْنَ المـوتَ قُـدَّامـاً وَخَـلْفَـاً فَـيَـخْـتَـارُونَ والمـوتُ اضْـطِرارُ

ثُمَّ قالَ: يَرَوْنَ المَوْتَ خَلْفَهم في جَيْشِ سَيْفِ الدَّولَةِ الذي[2] يَطْلُبُهم، وقُـدَّامَهم بِعَطَشِ الفَـلاةِ التي تَعْتَـرِضُهم، فَيَخْتَـارُونَ والمـوتُ يَضـطرُّهم، و[3]يفِرُّونَ وإلى الحَتْفِ مآلُهم.

٤٠ ـ إذَا سَـلَكَ السَّـمَـاوَةَ غَـيْرُ هَـادٍ فَـقَـتْـلاَهُـمْ لِـعَـيْـنَـيْـهِ مَـنَـارُ

ثُمَّ قـالَ: إذا سَلَكَ السَّماوةَ غَـيْرُ هادٍ في أَرْضِهـا، ولا خَبِيْرٍ بِحَقِيْقَـةِ طُرُقِها، فَقَتْلَى بَنِي كَعْبٍ له مَنَارٌ يَسْتَنيرُ بهدايَتِهِ، ومُرْشِدٌ يَعْتَمِدُ على دَلالَتِهِ.

٤١ ـ وَلَـوْ لم يُبْقِ[4] لم تَـعِشِ البَـقَـايـا وفي المـاضي لِمَنْ بَـقِـيَ اعـتـبـارُ

ثُمَّ يقولُ: ولو لم يُبْقِ سَيْفُ الدَّولةِ على بني كَعْبٍ، لم تَعِشِ البَقايا منهم، وفي ماضِيْهِم لِمَنْ بَقِيَ زاجِرٌ عن مَعْصِيَةِ سَيْفِ الدَّولةِ، ومُعْتَبَرٌ يَكُفُّ عن مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ، والتَّعَرُّضِ لحَرْبِهِ.

٤٢ ـ إذا لم يُـرْعِ سَـيِّـدُهـمُ عَـلَيْـهِـم فَـمَـنْ يُـرْعِـي عَـلَيْـهـم أوْ يَـغَـارُ

---

(١) في ف «وأعورتهم».

(٢) «الذي» ساقطة من ط.

(٣) الواو ساقطة من ط.

(٤) في رواية التبيان «تبق».



ثُمَّ قالَ: مُشيراً إلى ما كانَ من صَفْحِ سَيْفِ الدَّولةِ عنهم، وإبْقَائِهِ عليهم: إذا لم يُرْعِ[1] سَيِّدُهم سيفُ الدَّولةِ عليهم، فيوسِعُهم عَفْوَه، ويُجَدِّدُ[2] عِنْدَهُم فَضْلَهُ، فَمَنْ المرجوُّ للإبقاءِ عليهم، والغَيْرَةِ على حَرِيمِهِم، وكفِّ المكْروهِ المحيطِ بهم؟

٤٣ - تُفَرِّقُهُمْ وإيَّاه السَّجَايا وَيَجْمَعُهُمْ وإيَّاهُ النِّجَارُ

ثُمَّ قالَ: تُفَرِّقُهم وإيَّاه؛ تَصَاغُرُهم[3] عن شَرَفِ خَلائِقِهِ، وعَجْزُهم عن بُلوغِ مَكارِمِهِ، وتَجْمَعُهم وإيَّاهُ؛ الاشْتِراكُ في النَّسَبِ[4]، وما يَعْتَقِدُهُ من صِلَةِ أرحامِ العَرَبِ.

٤٤ - وَمَالَ بِهَا عَلَى أَرَكٍ[5] وعُرْضٍ وَأَهْلُ الرَّقَّتَيْنِ لها مَزَارُ

ثُمَّ يقولُ: ومالَ[6] سيفُ الدَّولةِ بكتَائِبِهِ، ودَلَّ عليها بما تَقَدَّمَ من ذِكرِ السِّيوفِ، على أَرَكٍ وعُرْضٍ؛ هذين المَوْضِعَيْنِ[7]، قافِلاً من غَزْوِهِ[8]، مَنْصوراً في قَصْدِهِ، والرَّقَّتانِ[9] مَزارٌ لِكَتَائِبِهِ، ومُعْتَمَدٌ لِعَساكِرِه؛ لأنَّهما على

---

(١) «قال أبو الفتح: ارعى فلان على فلان: إذا كَفَّ عنه ورقَّ له».
(النظام ج ٢ ورقة ٧٧).

(٢) في ط «ويخدد».

(٣) في ط «لصاغرهم».

(٤) يقصد انتماءهم وسيف الدولة إلى نزار.

(٥) الأصل: أركه، وحذف الهاء ضرورة.
(انظر النظام ج ٢ ورقة ٧٧، ومعجم ما استعجم ١٣٩/١).

(٦) في ط «ومات».

(٧) سبق التعريف بهما.

(٨) في ر، ف، ط «غزو».

(٩) الرّقتان: موضع على الفرات.

طَريقِ حَلَبَ[1]؛ قاعِدَةُ سُلطانِهِ، ومَوْضِعُ استِقْرارِهِ.

٤٥ ـ وَأَجْفَلَ بالفُراتِ بَنُو نُمَيْرٍ وَزَأْرُهُمُ الَّذي زَأَروا خُوارُ

ثمَّ قالَ: وأَجْفَلَ بنو نُمَيْرٍ مُجْتَهدينَ في الهَرَبِ من جَيْشِ سيفِ الدَّولةِ، وبَأْسُهم الذي كانوا يُظْهِرونَهُ قد عَادَ جَزَعاً وضَراعَةً، واستِخْذَاءً واسْتِكَانَةً، وانقلبوا من أَحْوالِ الأُسْدِ الضَّاريةِ، إلى أَحْوالِ الأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، وأَشَارَ بالزَّأْرِ والخُوَارِ[2] إلى هذه العِبَارَةِ.

٤٦ ـ فهُمْ حِزَقٌ عَلَى الخَابُورِ صَرْعَى بِهِمْ مِنْ شُرْبِ غَيْرِهِمُ خُمَارُ

ثُمَّ يقولُ: إنَّ بني نُمَيْر، هذه القَبِيلَةَ، التي أجفَلتْ بينَ يَدَي سَيْفِ الدَّولةِ، حِزَقٌ[3] على الخَابورِ[4]، وقد صَرَعَهُم كَلالُهم، وأَجْهَدَهُم هَرَبُهم، وكأنَّهم في خُمارٍ من فَرَقِهم، وفي سُكْرٍ من مَخافَتِهم وجَزَعِهم، وكان[5] ما نالَ بني كَعْبٍ من إيقاعِ سَيْفِ الدَّولةِ بهم، أَطَاشَ عُقُولَهم، وأَسْكَنَ الخَوْفَ قُلوبَهم، فَسَكِروا مِمّا بَنو كَعْبٍ الشاربون له، وأَشْفَقوا من أن يَنالَهم مِثْلُ الذين امتُحِنوا به.

٤٧ ـ فَلَمْ يَسْرَحْ لَهُم بالصُّبْحِ مَالٌ ولم تُوقَدْ لَهُم باللَّيْلِ نَارُ

ثُمَّ قالَ، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ من شِدَّةِ خَوْفِهم: فلم تَسْرَحْ لهم بالنَّهارِ

(١) في ط «حبله».

(٢) الخوار: صوت الثور وما اشتد من صوت البقر والعجل، وأطلقه ابن سيده على صوت البقر والغنم والظباء.

(٣) الحزق: جمع حِزْقة وهي الجماعة.

(٤) الخابور: من أعمال الرّقة.

(٥) في ط «وكل».



ماشِيَةٌ؛ لِشدَّةِ وَجَلِهم، ولم تُوقَدْ لهم بالليلِ نارٌ؛ لاسْتِحكامِ مَخافَتِهم وحَذَرِهم.

٤٨ ـ حِذَارَ فَتًى إذا لَمْ يَرْضَ عَنْهُمْ　　فَلَيْسَ بِنَافِعٍ لَهُمُ الحِذَارُ

ثُمَّ قالَ: حِذاراً من سيفِ الدَّولةِ، وهو الفَتَى الذي إذا لم تُرْضِهِ طاعَتُهم عنهم، فليس يَمْنَعُهُ حَذَرُهم منهم، يُرِيْدُ: أنَّ من خالَفَهُ لا يَعْصِمُهم إلا الخُضوعُ لأَمْرِهِ، ولا[1] يَدْفَعُهُ عنهم إلاَّ التَّسليمُ لِحُكْمِهِ.

٤٩ ـ تَبِيْتُ وُفودُهُمْ تَسْرِي إِلَيْهِ　　وَجَدْوَاهُ الَّذي سَأَلُوا اغْتِفَارُ

ثمَّ يقولُ: تَبِيتُ وفودُ بني نُمَيْرٍ تَسْري إلى سيفِ الدَّولةِ، بما يَبْذِلُونَهُ من طاعَتِهم، وما يُظْهِرونَهُ من خُضُوعِهم واسْتِكانَتِهم، والعَطَاءُ الذي يَسْأَلُهُ وفودُهم أن يَتَغَمَّدَ[2] سَيْفُ الدَّولةِ زَلَلَهُم، ويَغْفِرَ ما تَقَدَّمَ لهم.

٥٠ ـ فَخَلَّفَهُمْ[3] بِرَدِّ البِيْضِ عَنْهُمْ　　وَهَامُهُمُ لَهُ مَعَهُمْ مُعَارُ

ثُمَّ قالَ: فَخلَّفَهم سيفُ الدَّولةِ بكَفِّهِ السُّيوفَ عنهم، وعَفْوِهِ الذي بَذَلَهُ لهم، وهامُهُم الذي مَعَهم كالعَارِيةِ، يُشيرُ إلى أنَّه قد كانَ أَشْرَفَ على قَتْلِهم، واحتِيَازِ رُؤوسِهم، فَأَعْرَضَ عن ذلك إعراضَ الْمُغْتَفِرِ، وتَرَكَهُ تَرْكَ الْمُقْتَدِرِ، فَصارت هَامُهُم عِنْدَهُ بِعَاريةٍ بَذَلها، وعَطيَّةٍ منهُ تَفَضَّلَ بها.

٥١ ـ هُمُ مِمَّن أَذَمَّ[4] لَهُمْ عَلَيْهِ　　كَرِيمُ العِرْقِ والحَسَبُ النُّضَارُ

ثُمَّ قالَ، يُريدُ بني نُمَيْرٍ: هم من قَبائِلَ من بني عَامرِ بنِ صَعْصَعَةَ الذينَ

---

(١) في ط «ولم».

(٢) في ط «يتعمد».

(٣) يروى «فحلَّفهم» بالحاء المهملة، أي جعلهم يحلفون بذلك اليوم لهوله (النظام ج ٢ ورقة ٧٧).

(٤) في ط «أجار» وفي ر، ف كتبت فوق أذم، والروايتان من حيث الوزن مستقيمتان.

أذمَّ لهم على سَيْفِ الدَّولةِ كريمُ نَسَبِهِ في العَربِ الذي يَجْمَعُهُ بهم، وخالِصُ حَسَبِهِ الذي يَعْطِفُه عليهم. فَأشارَ إلى أنَّ حِفْظَ سَيْفِ الدَّولةِ لِقرابَتِهم[1] أوْجَبَ لهم صَفْحَهُ، ومراعاتُهُ[2] فيهم لذلك[3] ضَمِنَ لهم عَفْوَهُ.

٥٢ - فَأضْحَى[4] بالْعَواصمِ مُسْتَقِرّاً وَلَيْسَ لِبَحْرِ نائِلِهِ قَرارُ

ثمَّ يقولُ: وأضحى[5] سَيْفُ[6] الدَّولةِ مُسْتَقِرّاً في العواصم بِنَفْسِهِ، ولا قَرارَ لبحرِ نائِلِهِ وفَضْلِهِ؛ لأنَّ جُودَهُ يَعُمُّ ويَشْمُلُ، وعَطاياهُ تَسيرُ وتَظْعَنُ.

٥٣ - وَأَضْحَى[7] ذِكْرُهُ في كُلِّ أَرْضٍ تُدارُ عَلَى الغِناءِ بِهِ العُقارُ

ثُمَّ قالَ: وأضحَى ذكرُهُ في كُلِّ أَرْضٍ، لِطيبِ خَبَرِهِ، وكَرَمِ مَوْقِعِهِ، وأثَرُهُ تُدارُ الخَمْرُ على الغِناءِ به، فَيَسُرُّ وَيُطْرِبُ، ويَروقُ ويُعْجِب. يُشيرُ إلى أنَّ ألحانَ الغِناءِ تُسْتَعْمَلُ كثيراً في مدائِحِه، وتُزَيَّنُ بما يَتَضَمَّنُهُ الشِّعْرُ من مناقِبِهِ[8].

٥٤ - تَخِرُّ لَهُ القَبائِلُ ساجِداتٍ وَتَحْمَدُهُ الأَسِنَّةُ والشِّفارُ

---

(١) «كريم نسبه... لقرابتهم» ساقطة من ف.

(٢) في ط «ومن اعادته».

(٣) «فيهم لذلك» مطموسة في ر، ف.

(٤) في رواية المعري والتبيان «وأضحى» وفي رواية الواحدي «فأصبح».

(٥) ساقطة من ف.

(٦) في ف «لسيف».

(٧) كذا في رواية المعري أيضاً، وفي رواية التبيان «فأصبح».

(٨) إلى ذلك ذهب الواحدي، وقال المبارك بن أحمد: لا معنى لذلك «بل يشربون على ذكره بمحاسنه ومحامده».
(انظر شرح الواحدي ٢/٥٧٤ والنظام ج ٢ ورقة ٧٨).



ثُمَّ يَقولُ: تَخِرُّ[1] لِذكرِ سَيْفِ الدَّولةِ قبائلُ العَرَبِ ساجِداتٍ، إعظاماً لِقَدْرِهِ، وإجْلالاً لأَمْرِه، وتَحْمَدُه أسِنَّةُ الرِّماحِ، وشِفَارُ السُّيوفِ، لما يَتَضَمَّنُهُ من الأعْمالِ لها، ويُواصِلُهُ[2] من السَّطوةِ على الأعداءِ بها.

٥٥ - كَـأَنَّ شُعَـاعَ عَـيْنِ الشَّمْسِ فِيـهِ فَفِي أَبْصَـارِنَـا عَنْـهُ انْكِـسَـارُ

ثمَّ قالَ: كأنَّ[3] شُعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ في ذلك الذِّكرِ، لِضِيائِهِ وبَهْجَتِهِ، وتَلألُئِهِ ورِفْعَتِهِ، فالأبْصَـارُ مُنْكَسِرَةٌ عندما يَعِنُّ منه، لما ألْبَسَهُ اللَّهُ من الجَلالةِ، وألقَى عليه من الإعْظَامِ والمَهَابَةِ، كما يَنْكَسِرُ عن شُعاعِ الشَّمْسِ، الذي لا يُعَارِضُهُ مُتَثَبِّتُهُ[4]، ولا يُقارِبُهُ مُتَأَمِّلُهُ.

٥٦ - فَمَنْ طَـلَبَ الـطِّعَـانَ فَـذَا عـلِيٌّ وَخَـيْـلُ اللهِ والأَسَـلُ الحِـرَارُ[5]

ثُمَّ يقولُ: مَنْ طَلَبَ الطِّعَانَ، وتَعَرَّضَ لِلحَرْبِ، فهذا[6] عليٌّ وخَيْلُهُ، التي هي خَيْـلُ اللهِ المَشْمولـةُ بالنَّصرِ، المؤَيَّـدَةُ بِجَمِيْلِ الصُّنْـعِ، ورِمَـاحُـهُ العِطاشُ إلى الدِّماءِ، الحِراصُ[7] على مواقَعَةِ الأعداءِ، فمن شَاءَ فَلْيَتَعَرَّضْ[8] له، ومَنْ أقْدَمَ فَلْيَتمرَّسْ به.

٥٧ - يَـرَاهُ النَّـاسُ حَيْـثُ رَأَتْـهُ كَعْـبٌ بِـأَرْضٍ مَـا لِـنَـازِلِهـا اسْتِـتَـارُ

ثمَّ قالَ، يُريـدُ سَيْفَ الدَّولـةِ: يَرَاهُ النَّاسُ حَيْثُ رَأَتْهُ كَعْبٌ، هـذه

(١) ساقطة من ط.
(٢) في ر، ف، ط «وتواصله» بالتاء الفوقية.
(٣) ساقطة من ط.
(٤) في ط «مثبتة».
(٥) الحرار: العطاش.
(٦) في ط «فذا».
(٧) في ر، ف، ط «الخراص» وهو تصحيف.
(٨) في ف «ملبعر».

القبيلةُ، قد أَضْحَى لِلْقِتالِ، واسْتَجاشَ بالأَبطالِ، في أَرْضٍ لا يَسْتَتِرُ نازِلُها، ولا تُظَنُّ المَخافةُ بِسالِكِها. يُشيرُ إلى الفَلاةِ التي أَوْقَعَ فيها بِبَني كَعْبٍ، وإلى أَنَّهُ بارِزٌ إلى أَعْدائِهِ في مِثْلِها، لا يَعْتَصِمُ بِحِصْنٍ غَيْرَ سُيوفِهِ، ولا يُعَوِّلُ على مَوْئِلٍ غَيْرَ خُيولِهِ.

٥٨ ـ يُوَسِّطُهُ المَفاوِزَ كُلَّ يَوْمٍ طِلابُ الطَّالِبينَ لا الانتِظارُ

ثُمَّ يقولُ: إن سَيْفَ الدَّولةِ يُوَسِّطُهُ(١) كُلَّ يَوْمٍ المَفاوِزَ، طَلَبُه للطَّالِبينَ من أعدائِهِ، الذين هم أَهْلُ القُوَّةِ، والمشهورونَ بالبَأْسِ والنَّجْدَةِ، فَيَطْلُبُهم مُسْتَخِفًّا بهم، ولا يَنْتَظِرهم مُتَهَيِّئاً لهم.

٥٩ ـ تَصاهَلُ خَيْلُهُ مُتَجاوِباتٍ وَما مِنْ عادَةِ الخَيلِ السِّرارُ

ثُمَّ قالَ: وتَتَصاهَلُ خَيْلُهُ في آثارِهِمْ، في أَقطارِ تلكَ البلادِ مُتَجاوِبَةً، وتَتَسابَقُ إليهم مُتَتابِعَةً، وليسَ السِّرَارُ من عَادَةِ الخَيلِ؛ إنَّ صَهيلَها يُؤْذِنُ بها، وأصواتَها تَدُلُّ عليها(٢). وأَشارَ إلى أنَّه اقتحَمَ الفَلاةَ في طَلَبِ بني كَعْبٍ غَيْرَ مُتَهَيِّبٍ، وأَمْعَنَ في آثارِهِمْ غيرَ مُتَوَقِّعٍ.

٦٠ ـ بَنُو كَعْبٍ وَمَا أَثَّرْتَ فِيْهِم يَدٌ لم يُدْمِها إلاَّ السِّوارُ

يَقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: إنَّ بَني كعْبٍ مَعَ ما نَالَهم من سَطْوَتِكَ، وما أَصابَهم من غَلَبَتِكَ، مُتَشَرِّفونَ بِعُلوِّ قَدْرِكَ، مُتَزَيِّنونَ بِنَفاذِ أَمْرِكَ، فَهُمْ كَيَدٍ

---

(١) في ط «يوسط».

(٢) معنى ذلك كما قال ابن فورجة «إن سيف الدولة لا يباغت العدو، ولا يطلب أن ينكتم قصده العدو لاقتداره وتمكنه».

(شرح الواحدي ٥٧٥).



آلَمها السِّوارُ مَعَ أنَّه يُزَيِّنها، ويَجْرَحُها مَعَ أَنَّه يُحَسِّنُها. يُشيرُ إلى العَدوبِيَّةِ[1] التي تُوجِبُ لهم قَرابَتَهُ، وإلى الصُّحْبَةِ القَدِيْمَةِ التي تَضْمَنُ لهم كَرامَتَهُ.

٦١ - بِهَا مِنْ قَطْعِهِ أَلَمٌ وَنَقْصٌ وَفِيْهَا من جَلاَلَتِهِ افْتِخَارُ

ثُمَّ أكَّدَ ذلكَ فَقالَ: بِتلكَ[2] اليَدِ مِنْ قَطْعِ السِّوارِ لها أَلَمٌ تَجِدُهُ، واختِلالٌ لا تُنْكِرُهُ، وفيها من جَلالَةِ السِّوارِ الجانِي عليها، افتِخارٌ يُشَرِّفُها بِقَدْرِهِ، واختِيالٌ يُزْهِيْها بِحُسْنِهِ، وكذلِكَ سَيْفُ الدَّولةِ، وإن كانَ أَوْقَعَ بِبَني كَعْبٍ[3]، فقد شَرَّفَ نَسَبَهُمْ، وإن كانَ أَسْخَطَهُم فقد وَفَّرَ حَسَبَهُم.

٦٢ - لَهُمْ حَقٌّ بِشِرْكِكَ في نِزارٍ وأَدْنَى الشِّرْكِ في أَصْلٍ جِوَارُ

ثمَّ يقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: إنَّ بني كَعْبِ بن رَبِيْعَةَ يَجْمَعُهم وإيَّاكَ نِزارُ بنُ مَعَدٍّ، وهذا النَّسَبُ وإن بَعُدَ، فَحُرْمَتُهُ لا تُدْفَعُ، ورَحِمُهُ لا يُقْطَعُ، وأَدْنَى الاشتِراكِ في النَّسَبِ، جِوارٌ لا يُحْقَرُ[4]، وشَافِعٌ لا يُحْتَقَرُ.

٦٣ - لعلَّ بَنِيْهِمُ لِبَنِيْكَ جُنْدٌ فَأَوَّلُ قُرَّحِ الخَيْلِ المِهَارُ

ثُمَّ قالَ لَهُ: لَعَلَّ أولادَ بَني كَعْبٍ الذين بَعَثَهُم فَضْلُكَ، وأَبْقاهُم تجاوزُكَ وعَفوُكَ، جُنْدٌ لِبَنِيْكَ يَخْدِمونَهُم كما خَدَمَكَ آباؤُهُم، ويُغْنُونَ عنهم كما أَغْنَى عَنْكَ فُرْسانُهم، فَأَوَّلُ الخَيْلِ القارحةِ مِهارُها، كما أنَّ أَوَّلَ أبطالِ الفُرْسَانِ صِبْيَانُها وصِغَارُها.

---

(١) العدوبية والعدابة: الرَّحِمُ.

(٢) في ف «تلك».

(٣) في ط «ببني كلب بل ببني كعب».

(٤) في ط «لا يخفر».



٦٤ ـ وَأَنْتَ أَبَرُّ مَنْ لَوْ عَقَّ أَفْنَى وَأَعْفَى مَنْ عُقُوبَتُهُ البَوَارُ

ثمَّ يقولُ لَهُ: وأَنْتَ أَبَرُّ مَلِكٍ، لو قَطَعَ وعَقَّ لأَفْنَى بِقَطِيْعَتِهِ، وأَعْفَى مُقْتَدِرٍ لو عاقَبَ لأَهْلَكَ بِعُقوبَتِهِ.

٦٥ ـ وَأَقْدَرُ مَنْ يُهَيِّجُهُ انْتِصَارٌ وَأَحْلَمُ مَنْ يُحَلِّمُهُ اقْتِدَارُ

ثُمَّ قالَ، على نَحْوِ ما قَدَّمهُ، يريدُ: سَيْفَ الدَّولةِ: وأنتَ أقدرُ مَلكٍ يُهَيِّجُ غَضَبَهُ تَيَقُّنُهُ[1] بالتَّمكُّنِ من الانتصارِ، وأَحْلَمُ ظافِرٍ يُحَلِّمُهُ ما هو بِسبِيْلِهِ من الاقتدارِ، فإذا أَغْضَبَتْهُ عِزَّةُ المُلْكِ جَنَحَ به كَرِيمُ المَقْدِرَةِ إلى العَفوِ.

٦٦ ـ وَمَا في سَطْوَةِ الأَرْبَابِ عَيْبٌ وَلاَ في ذِلَّةِ العُبْدانِ عَارُ

ثُمَّ قالَ: وما في سَطْوَةِ الأَرْبابِ على عَبِيْدِهِم ما يَعِيْبُهم، ولا في ذِلَّةِ العَبِيْدِ لهم ما يَشِيْنُهم. يُشيرُ إلى أنَّ إيقاعَ سَيْفِ الدَّولةِ ببني كَعْبٍ لا يَنْقُصُهم؛ لأَنَّه سَيِّدُهم، وسَطْوَتَهُ عليهم لا تَعِيْبُهم؛ لأَنَّه مالِكُهم.

(١) «تيقنه» ساقطة من ط.



- ٦٨ -

ووَدَّعَهُ سَيْفُ الدَّولةِ إلى إقطاعٍ أَقْطَعَهُ إيَّاهُ، فَقالَ:

١ - أَيَـا رَامِيـاً يُصْمِي فُـؤَادَ مَـرَامِـهِ تُـرَبِّي عِـدَاهُ رِيشَهَـا لِسِهَـامِـهِ

يقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: يا أيُّها المَلِكُ الذي يُصيبُ عَيْنَ ما يَقْصِدُهُ، وتُمَكِّنُ له السَّعادةُ حَقِيقَةَ ما يَعْتَمِدُهُ، وتُعِيْنُهُ عِداهُ على أَنْفُسِها بما تَكِيدُهُ[1] به، وتَرِيشُ سِهامَهُ بما تَدَّخِرُهُ من العُدَّةِ له. يُشيرُ إلى أن سَعْدَهُ يُنْهِضُ سِهامَهُ بِعَدَدِ أعدائِهِ، ويُؤَكِّدُ مَقْدِرَتَهُ بما يَسْتَعْمِلُهُ مناوِئُهُ.

٢ - أَسِـيرُ إلى إقْـطَاعِـهِ في ثِـيَـابِـهِ عَـلَى طِـرْفِـهِ مِنْ دَارِهِ بِحُسَـامِـهِ

ثُمَّ قالَ، مُخْبِراً عن نَفْسِهِ: أسيرُ إلى ما أَقْطَعَني إيَّاهُ من الأرضِ، فيما خَلَعَهُ عليَّ من الثِّيابِ، مُمْتَطِياً لما حَمَلَني عليْهِ من الخَيْلِ، خارِجاً مما أَسْكَنَنِيه[2] من المنازلِ، مُمْتَنِعاً بما قَلَّدَنِيْهِ مِنَ السِّلاحِ. وأشارَ بهذا التَّصنيفِ إلى كَثْرَةِ ما أحاطَ به من إحسانِ سَيْفِ الدَّولةِ، وإلى أَنَّه رَفَعَ قَدْرَهُ، وانفَرَدَ بالفَضْلِ عِنْدَهُ.

٣ - ومـا أَمْطَرَتْنِيـهِ[3] مِنَ البِيْضِ والقَنَـا وَرُومِ العِبِدَّى هَـاطِلاتُ غَمَـامِـهِ

---

(١) في ر، ف، ط «يكيده».

(٢) كذا في ر، ف، ت، وفي ط «أسكنته».

(٣) في رواية المعري والواحدي والتبيان «وما مَطَرَتْنيه».

ثمَّ قالَ، على نحو ما قدَّمه: وأسيرُ فيها أمْطَرَتْنِي إيَّاهُ سَحَائِبُ[1] جودِهِ، وعوائِدُ فَضْلِهِ؛ من بِيْضِ السُّيوفِ، وسُمْرِ الرِّماحِ، يَحْمِلُ ذلك رومُ العَبِيْدِ، والجميعُ مما أفادَتْهُ مواهِبُهُ، وسَهَّلَتِ السَّبيلَ إليه مَكَارِمُهُ.

٤ ـ فَتًى يَهَبُ الإقْلِيمَ بـالمالِ والقُـرَى   وَمَنْ فِيـهِ مِنْ فُـرْسَـانِـهِ وَكِـرَامِـهِ

ثُمَّ يقولُ، مشيراً إلى سَيْفِ الدَّولةِ: فتىً يَهَبُ الإقليمَ بما فيه من المالِ، وما يَشْتَمِلُ عليه من الأهلِ، ويَجْعَلُ أبطالَ فُرْسانِهِ، وكِرامَ عُمَّارِهِ، خَوَلاً[2] لِلْمَوهوبِ لَهُ. وأشارَ بالفُرْسانِ والكِرامِ إلى جَلالةِ الجِهَةِ[3]، وارتِفاعِ مِقْدارِ الهِبَةِ.

٥ ـ وَيَجْعَـلُ مَـا خُـوِّلْتُـهُ من نَـوَالِـهِ   جَـزَاءً لمـا خُـوِّلْتُـهُ من كَـلاَمِـهِ

ثُمَّ قالَ، مُشِيراً إليه: ويَجْعَلُ عَظِيمَ ما يُخَوِّلُني[4] من مالِهِ جَزاءً لِعَظِيمِ ما يُخَوِّلُني من عِلْمِهِ. وأشارَ بالكَلاَمِ إلى الشِّعْرِ، وأشارَ إلى أَنَّ سَيْفَ الدَّولةِ أرشَدَهُ بما أراهُ من فَضْلِهِ إلى بَديعِ ما قَيَّدَ[5] فيه من شِعْرِهِ.

٦ ـ فَـلاَ زَالَتِ الشَّمْسُ التي في سَمَـائِـهِ   مُطَالِعَةَ الشَّمْسِ الـذي[6] في لِثَامِـهِ

ثُمَّ يَقولُ، داعياً لَهُ بِطولِ البَقَاءِ: فلا زالتِ الشَّمسُ المُنِيْرَةُ في السَّماءِ

---

(١) في ت «سحاب».

(٢) الخول: حشم الرجل وأتباعه، ويقع على العبد والأمة.

(٣) «الجهة» ساقطة من ط.

(٤) في ت «يملكني».

(٥) في ت «قيل».

(٦) في رواية المعري والواحدي والتبيان «التي».



تُطالِعُ من وَجْهِهِ المُسْتَنِيرِ[1] باللثامِ، شَمْسَاً لا يُقاوِمُ حُسْنُها، ولا يُماثِلُ[2] نُورُهَا، فهي تُطالِعُها مُتَهَيِّبَةً لحُسْنِها، وتُلاحِظُها[3] مُسْتَعْظِمَةً لأَمْرِها.

٧ - ولا[4] زَالَ تَجْتازُ[5] البُدُورُ بِوَجْهِهِ   تَعَجَّبُ من نُقْصَانِها وَتَمامِهِ

ثُمَّ قالَ: ولا زالَتْ بُدورُ الشُّهُورِ مُجْتَازةً بَوَجْهِهِ، تَتَعَجَّبُ[6] من نُقْصَانِها عن بلوغِ رُتْبَتِهِ، وتَصاغُرِها عن مُمَاثَلَةِ بَهْجَتِهِ، فَدَعا له بِطولِ البَقَاءِ[7] ودَلَّ على مَنْزِلَتِهِ من الرِّفْعَةِ والبَهاءِ.

---

(١) في ت «تراقب من وجهه المستتر».

(٢) في ت «لا تقاوم... ولا تماثل».

(٣) ساقطة من ت.

(٤) في رواية المعري والواحدي «فلا».

(٥) في ت، ف «تختار».

(٦) في ر، ف، ط «يتعجب» وفي ت «متعجبة».

(٧) في ت «بالبقاء وطوله».

- ٦٩ -

وقالَ يَرْثِي أُخْتَهُ الصُّغرَى، ويُسَلِّيهِ بِبَقاءِ الأُختِ الكُبْرَى.

أَنشدَها إِيَّاهُ يَوْمَ الأَربعاءِ للنِّصفِ من شَهْرِ رَمَضانَ سَنَةَ أَربعٍ وأَربعينَ وثلاثِمِائةٍ.

١ - إِنْ يَكُنْ صَـبْرُ ذي الـرَّزِيَّـة فَضْـلا   تَكُنِ[1] الأَفْضَـلَ الأَعَـزَّ الأَجَـلاَّ

يقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: إن يَكُنْ صَبْرُ من طَرَقَهُ الدَّهرُ لُمصِيْبَةٍ[2]، وعرَّضَتْهُ الأَيَّامُ لِرَزِيَّـةٍ، فَضْلاً فيـهِ، وتَماماً مِنْهُ، تَكُنْ[3] في ذلـك أَفضَلَ الأَفضَلِينَ وأعزَّهُم، وأكرمَ الأَكرَمِينَ وأَجَلَّهُم[4].

٢ - أَنْتَ يـا فَـوْقَ أَنْ تُعَـزَّى عن الأحْـ   ـبابِ فَـوْقَ الَّـذي يُعَـزِّيـك عَقْـلاَ

ثُمَّ قالَ، مُخاطِباً له: أَنْتَ يا أَيُّها الرَّئيسُ المُرْتَفِعُ عن أَنْ يُعَزَّى بمن فَقَدَهُ من الأحبابِ، وأُصِيبَ بِهِ من الإلأفِ[5]، فَوْقَ الذي يُعَزِّيكَ عَقْلاً ومَعْرِفَةً،

---

(١) في رواية التبيان «فكن».

(٢) في ت «بمصيبة».

(٣) في ت «فكن».

(٤) «وأجلهم» ساقطة من ط.

(٥) في ت «أنت أيها الجليل مرتفع عن أن تعزى بمن فقدت من الأحباب، وأصبت من الآلاف».

ورَأياً وتَجْرِبةً، فكيفَ يَحُضُّكَ[1] على الصَّبر من لا يُمَاثِلُكَ في دِرايَتِكَ، ويَنْدُبكَ إلى التجلُّد من لا يُقَارِنُكَ في إحاطَتِكَ؟

٣ ـ وبِأَلْفَاظِكَ اهْتَدى فإِذَا عَزْ زَاكَ قالَ الذي لَهُ قُلْتَ قَبْلا

ثُمَّ قالَ: وذلكَ المُعزِّي إنما يَهْتَدي بأَلْفَاظِكَ، ويَسْتَنيرُ بأَنْوارِكَ، فإذا عَزَّاكَ فإنما يُعَزِّيكَ بما استفادَهُ من لَفْظِكَ، وَيُخاطِبُكَ بما تَعَلَّمَهُ من قَوْلِكَ، فَقَدْرُكَ يَرْتَفِعُ[2] عن التَّعْزِيَةِ؛ لأَنَّ[3] حَقائِقَ الأُمورِ مُسْتَفادَةٌ منكَ، وجَواهِرَ الكلامِ مَأْثورَةٌ عنك، فَمُعَزِّيكَ[4] إنما يُقَابِلُكَ بما أَنْتَ أَعلَمُ به، ويُذَكِّرُكَ بما أَنْتَ أَحْفَظُ له.

٤ ـ قَدْ بَلَوْتَ الخُطوبَ مُرّاً وَحُلْواً وَسَلَكْتَ الأَيَّامَ[5] حَزْناً[6] وَسَهْلا

ثُمَّ يقولُ لَهُ: قد بَلَوْتَ طوارقَ الخُطوبِ[7] بمَعْرفَتِكَ، وخَبَرْتَ مُرَّها وحُلْوَها[8] بِتَجْرِبَتِكَ، وسِرْتَ في الأَيَّامِ[9] تَسْلُكُ منها ما صَعُبَ وسَهُلَ، وتُعَاني ما بَعُدَ وقَرُبَ، مُسْتَظهِراً[10] بِنَفْسِكَ، مُسْتَكفِياً[11] بِعِلْمِكَ.

---

(١) في ط «يخصك».
(٢) في ت «مرتفع».
(٣) في ت «فإن».
(٤) ساقطة من ت.
(٥) في رواية المعري والواحدي «وسلكت الزمان».
(٦) الحَزْنُ: ما غلظ من الأرض وخشن وارتفع.
(٧) في ت «قد بلوت طوارق الدهر بمعرفتك».
(٨) في ت «وعرفت حلوها ومرّها».
(٩) زاد في ت «مالكاً صعبها».
(١٠) في ت «ناهضاً».
(١١) في ت «مكتفياً».

٥ - وَقَتَلْتَ الزَّمَانَ عِلْماً فما يُغْـ رِبُ قَوْلاً ولا يُـجَـدِّدُ فِـعْـلا

ثمَّ قالَ لهُ: وقد قَتَلْتَ الزمانَ عِلْماً بأَمْرِهِ، وإحاطَةً بِوجُوهِ تَصرُّفِهِ، فما يُسْمِعُكَ قَولاً تَسْتَغْرِبُهُ، ولا يُجَدِّدُ لكَ فِعْلاً تَتَهَيَّبُهُ[1]، ولا يَطْرُقكَ إلا بما قَدْ أَتَتْ عليه مَعْرِفَتُك، وأَحاطَتْ بأَمْثالِهِ تَجْرِبَتُكِ[2]. وأجرى جُمْلَةَ لَفْظِهِ في البَيْتَيْنِ على سَبِيْلِ الاسْتِعارَةِ والإيماءِ والإشارَةِ، وكُلُّ ذلكَ[3] من بَديعِ الكَلامِ.

٦ - أَجِدُ الحُزْنَ فِيْـكَ حِفْظاً وَعَقْـلا وأَرَاهُ في الخَـلْقِ ذُعْـراً وَجَـهْـلا

ثُمَّ يقولُ لَهُ: أَجِدُ الحُزْنَ فيكَ على من تُصابُ به من أَحبَّتِكَ، حِفْظاً لذِمَّتِهِم، ورِعايَةً لحُرْمَتِهِم[4]، وإنصافاً وعَقْلاً، ووَفاءً وكَرَماً، وأَراهُ في عامَّةِ الخَلْقِ[5] خَوْفاً وذُعْراً[6] وجَزَعاً وجَهْلاً.

٧ - لَـكَ إِلْـفٌ يَجُـرُّه وإذا مـا كـرُمَ الأَصْـلُ كـان لـلإلْفِ أَصْـلا

ثُمَّ قالَ، مُخاطِباً لَهُ: لَكَ إِلْفٌ بِكَرَمِ[7] صُحْبَتِكَ، يَجُرُّ الحُزْنَ إليك بِمَنْ[8] تَفْقِدُهُ[9] مِنْ أَحِبَّتِكَ[10]، ويوجِبُ[11] الإشفاقَ منكَ على من تُصابُ به

(١) في ت «تهيّبه».

(٢) في ت «ولا يطرقك إلا بما قد عرفته، وأحطت بأمثاله وجربته».

(٣) في ت «على سبيل الاستعارة، ومن بديع الكلام».

(٤) كذا في ت، وفي ر، ف، ط «لحومتهم».

(٥) في ت «وأراه في غيرك».

(٦) ساقطة من ت.

(٧) في ت «لكرم».

(٨) في ت «ممن».

(٩) كذا في ط، وفي ر، ف «يفقده».

(١٠) في ط «من الأحبة بل من أحبتك».

(١١) كذا في ت، وفي ر، ف، ط «يوجبه».

من خاصَتِكَ (١)، وكذلِكَ الأصلُ إذا كان كريماً كَأَصْلِكَ، مُتمكِناً في مثلِ نِصابِ شَرَفِكَ، كان أصلاً لِكَريْم المؤالَفَةِ (٢)، وباعِثاً على مَشْكورِ المُعامَلَةِ(٣)، فَمَنْزِلَتُكَ من الشَّرَفِ تَضْمَنُ الفَضْلَ عنك، ومَحَلُّك مِنَ الكَرَمِ يُوجِبُ حُسْنَ المؤالَفَةِ مِنك(٤).

٨ - وَوَفَاءٌ ثَبَتٌ(٥) فِيهِ وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ لِلْوَفَاءِ أَهْلُكَ أَهْلا

ثُمَّ قالَ: ويَجُرُّ الحُزْنَ عَلَيْكَ(٦) بالمَفْقودةِ وَفاءٌ(٧) باشَرْتَهُ من أَبِيْكَ(٨) وعَشيرَتِكَ، كانت فيه نَشْأَتُكَ، وثَبَتٌ(٩) عليه في سالِفِ مُدَّتِكَ، ولم يَزَلْ أهلُكَ أهلَ الوَفاءِ والكَرَمِ، وأَرْبابَ الفَواضِلِ والنِّعَمِ، فأنتَ من الإنصافِ(١٠)، على وِراثةٍ سالِفَةٍ، ومن الوَفاءِ والكَرَمِ، على أَوَّلِيَّةٍ مُتَقادِمَةٍ.

٩ - إنَّ خَيْرَ الدُّمُوعِ عَيْناً(١١) لَدَمْعٌ بَعَثَتْهُ رِعَايَةٌ فَاسْتَهَلاً

ثُمَّ يقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: إنَّ خَيْرَ العيونِ الباكِيَةِ، وأَرْفَعَ الدُّموعِ

---

(١) في ت «مواصلك».

(٢) زاد في ت «لكريم المواصلة والمؤالفة».

(٣) في ت «العاملة».

(٤) «منك» ساقطة من ت.

(٥) في رواية المعري والواحدي والتبيان «نَبتٌ» وفي الثبات من البلاغة والمدح ما ليس للنبات.

(٦) في ت «ويجر عليك الحزن».

(٧) في ف «ووفاء».

(٨) في ت «ورثته من أبائك».

(٩) في ت «ونبتٌ».

(١٠) زاد في ط «من الانصاف عليك».

(١١) كذا في رواية المعري أيضاً وفي رواية الواحدي «عوناً» واستحسنها صاحب التبيان.

الجارِيَةِ [١]، دَمْعُ بَعَثَتِ الرِّعايَةُ عليه، وقادَ [٢] الوفاءُ والكَرَمُ إليه، فاسْتَهَلَّ [٣] وانسَكَبَ وتَصَبَّبَ.

١٠ ـ أَيْنَ ذي الرِّقَّةِ التي لَكَ في الحَرْ ... ب إذَا اسْتُكْرِهَ الحَديدُ وَصَلاً [٤]

ثُمَّ قالَ: أينَ ذي [٥] الرِّقَّةِ التي نَشْهَدُها لكَ، وهذه الشَّفَقَةُ [٦] التي نُبْصِرُها منكَ عند تَقَدُّمِكَ [٧] في الحربِ، واقتِحامِكَ في شَدائِدها، ونهوضِكَ بها [٨]، ونَفاذِكَ في مَضائِقِها، حِيْنَ يُسْتَكْرَهُ الحَدِيدُ في رُؤوسِ الرِّجالِ، ويَكْثُر صَليلُهُ بِتَجالُدِ الأَبْطالِ.

١١ ـ أَيْنَ خَلَّفْتَها غَداةَ لَقِيْتَ الرُّ ... ومَ والهامُ بالصَّوارِمِ تُفْلَى

ثُمَّ قالَ، مُؤكِّداً لما قَدَّمهُ [٩]: أين خَلَّفتَ هذه الرِّقةَ عند لقائِكَ الرومِ، وإيقاعِكَ بهم، وإقدامِكَ عليهم، والهامُ تُفْلَى [١٠] بالسيوفِ، والنُّفوسُ تُخْتَرمُ بالحُتوفِ.

١٢ ـ قَاسَمَتْكَ المَنونُ شَخْصَيْن جَوْراً ... جَعَلَ القَسْمُ نَفْسَهُ فيه [١١] عَدْلا

(١) في ت «إن خير الدموع الجارية، وأرفع العيون الباكية».
(٢) في ت «وأشار».
(٣) في ت «فانحدر».
(٤) صلَّ الحديد يَصِلُّ: إذا صوَّت.
(٥) في ت «هذه».
(٦) في ت «والشفقة».
(٧) في ت «تقلدك».
(٨) «ونهوضك بها» ساقطة من ت.
(٩) في ت «قبله».
(١٠) في ت «والنفوس تفلى» وفي ط «تفل».
تفلى: تضرب بالسيف وتفصل، من فلا الصبي والمهر فلواً وفلاءً إذا عزل عن الرضاع وفطم.
(١١) كذا في رواية المعري أيضاً: «القَسْمُ فيه».
=

ثُمَّ يقولُ، مُعَزِّياً له ببقاءِ أكبرِ أختَيْـهِ عن مَوْتِ أصْغَـرِهما: قـاسَمَكَ الموتُ شَخْصَينِ من أهلِكَ، ونَفْسَيْنِ من أحِبَّتِكَ جَوْراً من الدَّهرِ في فِعْلِهِ، وتَخَطِياً إليك في صَرْفِهِ، إلا أنَّ القَسْمَ جَعَلَ نَفْسَهُ عَدلاً عند تَبَيُّنِهِ، وإنصافاً عنـد تأمُّلِهِ، لأنَّ المـوتَ لا بُدَّ منـه، ولا مَحيصَ لأحدٍ عنـهُ، وقـد مَتَّعَـكَ بالأكرمِ[1] عليكَ، وأبْقَى لك أحبَّ الشَّخْصَيْنِ إليك.

١٣ ـ فـإذا قِسْـتَ مـا أخـذن بِمَـا أغْـدَرْنَ[2] سَرَّى عَـنِ الـفُـؤَادِ وَسَـلَّى

ثُمَّ قالَ، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ: فإذا قِسْتَ ما أخَذَتْهُ المنونُ بما أبْقَتْهُ، سَلاَّكَ ذاكَ وصَبَّرَكَ، وعزَّاكَ وسَكَّنَكَ؛ لأنَّها أصابَتْكَ في الأخفِّ عليك، ومَتَّعَتْـكَ بالأحبِّ إليكَ.

١٤ ـ وَتَـيَـقَّـنْـتَ أن حَـظَّك أوْفَى وَتَـبَـيَّـنْـتَ أنَّ جَـدَّكَ أعـلا[3]

ثمَّ قالَ، على نَحْوِ ما قدَّمَهُ مُخاطِباً له: فإذا تَأَمَّلْتَ، تَبيَّنتَ أن حظَّكَ في هذه القِسْمَةِ أوفى وأكمَلُ[4]، وجَدَّكَ أعلَى وأفْضَلُ؛ لأنَّ المنونَ التي قاسَمَتْكَ

= وفي رواية الواحدي والتبيان «جعل القَسْمَ فيك» بنصب القَسْم. قال الواحدي موجهاً الروايتين: «والمعنى إذا كنت أنت البقية فالجورُ عدل، هذا إذا نصبت القسم، وجعلت الفعل للجور، وروى قوم جعل القسمُ نفسه فيه عدلاً في الجور، لأنه وإن كان أخذ الصغرى فقد ترك الكبرى، ويدل على صحة هذا قوله: فإذا قست ما أخذن... البيت».

(شرح الواحدي ٢/٥٧٩).

(١) في ت «بالإكرام».

(٢) أغدر: ترك وأبقى.

(٣) سقط هذا البيت من رواية التبيان، وأسند شرحه، الذي نقله عن الأفليلي حرفياً، للبيت الثالث عشر.

(انظر التبيان ٣/١٢٧).

(٤) في ط «تبينت أن حظك أوفى في هذه القسمة وأكمل».

لا مَدْفَعَ لها، ولا يَدانِ لِأحدٍ بها[1]، وقد آثَرَتْكَ بالحظِّ الأَوْفَرِ، واقْتَصَرَتْ على المفقودِ الأَصْغَرِ، وهذا الكلامُ على تَجَوُّزِ الشُّعراءِ وَتَزَيُّدِهم، وما تُبَيِّنُهُ اللُّغَةُ من مفهومِ قَصْدِهم.

١٥ ـ وَلَعَمْـري لَقَـدْ شَغَلْتَ المَنَـايَـا بـالأَعَـادي فَكَيْفَ يَـطْلُبْنَ شُغْـلا

ثُمَّ يقولُ لَهُ: لَعَمْري لقد شَغَلْتَ المَنَايا بما تواصِلُهُ في أعـاديكَ[2] من القَتْلِ، وما توجِبُ[3] عَلَيْهِمْ من الهلاكِ في الحَرْبِ، فكيفَ تَطْلُبُ المنـايا شُغْلاً بِغيْرِهم، أو تَسْتَعْمِلُ أَنْفُسَها إلاَّ فيهم. يُشيرُ إلى أنَّ الموتَ من أعوانِ سَيْفِ الدَّولةِ على أعاديهِ، فَكَيْفَ تَخَطَّى إلى ذَوي[4] قَرابَتِهِ، وخَالفَ مُرادَهُ في أهلِ عِنايَتِهِ؟

١٦ ـ وكم انْتَشْتَ[5] بالسُّيوفِ من الدَّهـ ـرِ أَسِيْـراً وبـالنَّـوَالِ مُـقِـلاًّ

ثمَّ قالَ، مُخاطباً لسَيْفِ الدَّولةِ: وكم استَنْقَذَتْ سيوفُكَ مِنْ أسيرٍ، قد أَسرَهُ الدَّهرُ، وأحاطَ بِهِ النُّكوبُ[6] والعُسْرُ، وكم أَغْنَيْتَ بجودِكَ من مُقِلٍّ فَقِيْرٍ، وجَبَرْتَ من ضَعيفٍ كَبِيْرٍ، فخالَفْتَ الدَّهرَ فيما قَصَدَهُ، وأَظْهَرْتَ عَجْزَهُ فيما اعتَمَدَهُ.

١٧ ـ عَـدَّهَـا نُـصْـرَةً عَـلَيْـهِ فَـلَمَّا صَـالَ خُـتْـلاً رآه أَدْرَكَ تَبْلا[7]

---

(١) «ولا يدان لأحدٍ بها» ساقطة من ت.

(٢) في ت «أعدائك».

(٣) في ت «وما توجبه».

(٤) في ت «فكيف يتخطى إلى ذي قرابته».

(٥) انتاشه: تناوله وأخرجه.

(٦) النكوب: جمع النَّكْب، كالنكبة، المصيبة من مصائب الدهر.

(٧) صال: وثب، الختل: الخداع، التبل: الثار.



ثُمَّ قالَ: فَعَدَّ الدَّهرُ فِعْلَك في جَبْرِ الفقيرِ، واستِنْقاذِ الأسيرِ، نُصْرَةً عليه، وتَسَرُّعاً بالخلافِ إليه، فاضطَغَنَ ذلك من فِعْلِكَ، واستكرَهَهُ من أمرِكَ، فلما صَالَ على هذه المُتوفَّاةِ، مُحاتِلاً غيرَ مجاهِرٍ، ومُخادِعاً غيرَ مُكَاثِرٍ، رأى نَفْسَهُ مُدْرِكاً منكَ لِثَأْرٍ[1] طَلَبَهُ، ومُجازِياً بِضِغْنٍ اعتَقَدَهُ.

١٨ ـ كَذَبَتْهُ ظُنُونُهُ أَنْتَ تُبْلِيـ ـه وَتَبْقَى في نِعْمَةٍ لَيْسَ تَبْلَى

ثمَّ يقولُ: كَذَبَتِ الدَّهرَ ظنُونُهُ، فيما رامَك بهِ من الثُّكْلِ[2]، وعَرَّكَ[3] له من الحزنِ، أنتَ تُبْلِيهِ بِطُولِ سلامَتِكَ، وتَغْلِبُهُ باتِّصالِ سَعَادَتِكَ، ويُبْقِيكَ الله في نِعْمَةٍ لا تَبْلَى سابِغَةٍ، ورِفْعَةٍ لا تُنْتَقَصُ نامِيَةٍ[4].

١٩ ـ ولقد رَامَكَ العُدَاةُ كما رَا مَ فَلَمْ يَجْرَحوا لِشَخْصِكَ ظِلاً

ثمَّ قالَ، يُخاطِبُهُ: ولقد رامَكَ أعداؤك بمثلِ ما رامَكَ به الدَّهرُ؛ من التَّعرضِ لِمساءَتِكَ، والإقدامِ على مُعارضَتِكَ، فَعَجَزوا عن التَّأثيرِ في ظِلِّكَ، فَضْلاً على أن يَنالوكَ بذلك في خاصَّةِ نَفْسِكَ[5].

٢٠ ـ وَلَقَدْ رُمْتَ بالسَّعَادَةِ بَعْضاً مِنْ نُفُوسِ العِدَا فَأَدْرَكْتَ كُلاً

ثُمَّ قالَ، مُخاطِباً لَهُ: ولقد رُمتَ بِسَعْدِكَ، وما تكفَّلَ اللَّهُ لكَ به[6] من إعلاءِ أمرِكَ، بَعْضَ نُفوسِ أعدائِكَ، فأَدْرَكتَ كلَّها، وحاولتَ خُصوصاً منها،

(١) في ت «فرأى... ثأراً طلبه».

(٢) في ت «الشكل».

(٣) في ت «عرضك»، وعرَّه: ساءه.

(٤) في ت «لا تنقص تامة نامية».

(٥) في ت «فضلاً عن أن ينالوا بذلك خاصة نفسك».

(٦) «به» ساقطة من ت.



فَمكَّنَ لكَ الإقبالُ جميعَها. فالأقدارُ تُيَسِّرُ[١] لك أفضلَ ما تَرْغَبُهُ، وتُقَرِّبُ[٢] لك أكثَرَ[٣] مما تَطْلُبُهُ.

٢١ - قَـارَعَتْ رُمْحَـكَ الـرِّمَـاحُ وَلَكِـنْ   تَـرَكَ الـرَّامِحِـينَ رُمْحُـكَ عُـزْلا

ثُمَّ يقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: قارَعَتْ رمحَكَ الرِّماحُ؛ بِمُنازَلَتِكَ للأَقْرانِ، ومُطاعَنَتِكَ لِلفُرْسَانِ، ولكنَّ شِدَّةَ قَرْعِكَ، وزيادةَ قوَّتِكَ، أطارَتا[٤] رِماحَ[٥] المُطاعِنينَ لكَ، وأَسْقَطَتَاهَا[٦] من أيدي المُتَمَرِّسينَ[٧] بكَ، فصاروا عُزَّلاً بَيْنَ يَدَيْكَ[٨]، عاجِزينَ عن الإقدامِ عَلَيْكَ. يُشيرُ إلى ما هو عليهِ من الحَذْقِ[٩] بالطَّعنِ، والاقْتِدارِ على التَّصَرُّفِ في الحَرْبِ.

٢٢ - لـو يكـونُ الـذي وَرَدْتَ مِنَ الفَجْـ   ـعَـةِ طَعْناً أَوْرَدْتَـه الخيـلَ قُبْـلا

ثُمَّ قالَ: لو يكونُ الذي وَرَدَكَ من رَزِيَّتِكَ[١٠]، وطَرَقَكَ من فَجِيْعَتِكَ طِعاناً ومنازَلَةً، وقِتالاً ومُبارَزَةً[١١]، لأَوْرَدْتَ[١٢] ذلكَ المَوْطِنَ الخَيْلَ قُبْلاً[١٣]

---

(١) كذا في ت، و «تيسر» ساقطة من ر، ف، ط.

(٢) كذا في ت، وفي ر، ف، ط «تقرب».

(٣) زاد في ت «أكثر وأفضل».

(٤) في ت «أطْرَت».

(٥) في ط «رماحك».

(٦) في ر، ف، ط «واسقطناها» في ت «وأسقطتها».

(٧) في ت «المترسمين».

(٨) «بين يديك» ساقطة من ف.

(٩) في ف «الحقد».

(١٠) في ط «زنيتك».

(١١) في ت «ومفاوزه».

(١٢) في ط «وردت».

(١٣) القبل: جمع أقبل وهو الذي يقبل إحدى عينيه على الأخرى عزة وتشاوساً.

مُقْدِمَةً، ولأَقْحَمَتَها على المَوْتِ أَشَدَّ الإقحامِ مُكْرَهَةً، وأشَارَ بقولِهِ قُبْلاً [إلى][1] هذهِ العِبَارَةِ أو نَحْوِها.

٢٣ - وَلَكَشَفْتَ ذَا الحَنِيْنَ بِضَرْبٍ طَالَمَا كَشَّفَ الكُروبَ وَجَلاَّ

ثُمَّ قالَ، على نَحْوِ ما قَدَّمَهُ: ولو كانَ هذا الحَنِيْنُ المُتَّصِلُ على رَزِيَّتِكَ، مما يُسْتَدفعُ بِمُغَالَبَةٍ، ويُسْتَكَفُّ[2] بمكاثَرَةٍ، لكَشَفْتَهُ بِضَرْبٍ بالِغٍ، وإقدامٍ على الموتِ صَادِقٍ، وطالَمَا[3] كَشَفَ الكروبَ الموجِعَةَ، وجَلَّى المخافاتِ المُفْزِعَة، ولكنَّ الموتَ لا يُسْتَدْفَعُ[4] بشدَّةٍ، ولا يُعْتَصَمُ منه بقوَّةٍ.

٢٤ - خِطْبَةٌ لِلْحِمَامِ لَيْسَ لَهَا رَدْ دُإِنْ كَانَتْ المُسَمَّاةَ[5] ثُكْلاَ

ثُمَّ يقولُ، مُشيراً إلى وفاةِ أختِ سَيْفِ الدَّولةِ: كانَتْ هذه الوَفَاةُ خِطْبَةً من الموتِ، لا تُرَدُّ ولا تُمْنَعُ، ورغبةً لا تُكَفُّ ولا تُدْفَعُ[6]، وإنْ كانَ اسمُها ثُكلاً وفَجِيْعَةً[7]، ورُزْءاً ومُصِيْبَةً، فهي لِلمَوْتِ فائدةٌ وحُظْوَةٌ[8]، ومَنْزِلَةٌ ورِفْعَةٌ[9]، لِجَلاَلَةِ مَنْ ظَفِرَ بها، وعُلُوِّ مَنْزِلَةِ التي عَرَضَ لها.

٢٥ - وإذَا لم تَجِدْ مِنَ النَّاسِ كُفْواً ذاتُ خِدْرٍ أَرادتِ المَوْتَ بَعْلا

---

(١) زيادة «اقتضاها السياق، وهي ساقطة من ر، ف، ط.
(٢) في ت «يستكشف».
(٣) في ت «فطالما».
(٤) في ت «يدفع».
(٥) نصب «المسماة» على أنها خبر كان، وفي رواية التبيان بالرفع على تقدير هذه المسماة.
(٦) «لا تكف ولا تدفع» ساقطة من ت.
(٧) في ت «فجعة».
(٨) في ر، ف «وخطوة» وهو تصحيف، والكلمة ساقطة من ط، ت.
(٩) «ومنزلة ورفعة» ساقطة من ط.



ثُمَّ قالَ: وإذا كانَتْ ذاتُ الخِدْرِ لا تَجِدُ من النَّاسِ كُفُؤاً لِنَفْسِها، ولا عَديلاً[1] لِقَدْرِها، أَرَادَتِ الموتَ بَعْلاً[2] يَتَكَفَّلُ بِصيانَتِها، ويَذْهَبُ بها، مُوفِياً بِحَقٍّ[3] جَلالَتِها، دونَ أن تُتَمَلَّكَ بالنِّكاحِ تَمَلُّكَ[4] سائِرِ النِّساءِ، وذواتِ النُّظَراءِ والأكفاءِ.

٢٦ ـ وَلَـذِيـذُ الحَيَـاةِ أَنْفَسُ في النَّفْـ ـسِ وَأَشْهَى من أَنْ يُمَـلَّ وَأَحـلاَ

ثُمَّ يقولُ: ما تَسْتَلِذُّهُ[5] أَنْفُسُ النَّاسِ من الحَياةِ، أَنْفَسُ فيها، وأَشْهَى إليها، من أن يُمَلَّ ذلك ويُسْتَطالُ، ويُكْرَهُ ولا يُسْتَدامُ.

٢٧ ـ وإذَا الشَّـيْـخُ قَـالَ أُفٍّ فَـمَا مَـلَّ حَيَـاةً وإنَّمَـا الضَّـعْفَ مَـلاَّ

ثُمَّ قالَ، على نَحْوِ ما قدَّمَهُ: وإذا الشَّيْخُ قالَ[6] أُفٍّ لِنَفْسِهِ، وأَظهرَ الاستِطَالَةَ لِمُدَّةِ عُمْرِهِ، فليسَ ذلك بأَنَّهُ[7] مَلَّ الحياةَ وسَئِمَها، واستثقَلَها وكَرِهَها[8]، وإنما مَلَّ الضَّعْفَ والهَرَمَ، واستَكْرَهَ الكِبَرَ والأَلَمَ، يُشِيرُ إلى أَنَّ الحياةَ تَأْلَفُها طِباعُ البَشرِ، وتُسْتَحَبُّ في الشَّبِيْبَةِ والكِبَرِ.

٢٨ ـ آلَـةُ الـعَيْشِ صِحَّـةٌ وَشَبَـابٌ فَـإِذا وَلَّـيَـا عَـنِ المَـرْءِ وَلَّى

ثُمَّ قَالَ: آلةُ العَيْشِ وبَهْجَتُهُ، وحَقِيْقَتُهُ وغِبْطَتُهُ: الشَّبَابُ والصِّحَّةُ،

---

(١) في ف «وعديداً».
(٢) ساقطة من ط.
(٣) كذا في ر، ف، وفي ط، ت «الحق».
(٤) كذا في ط، ت، وفي ر، ف «يملك».
(٥) كذا في ت، وفي ر، ف، ط «يستلذه».
(٦) في ت «وإذا قال الشيخ».
(٧) في ت «فلم يكن ذلك لأنه».
(٨) «واستثقلها وكرهها» ساقطة من ف.

والاقْتِبالُ[1] والقوَّةُ، فإذا وَلَّى ذلكَ عن الإنسانِ، وَلّى عَيْشُهُ[2]، وأَدْبَرَ، وتنغَّصَ عليه وتَكَدَّرَ.

٢٩ ـ أَبَداً تَسْتَرِدُّ ما تَهَبُ الدُّنـ ـيا فَيا لَيْتَ جُودَها كانَ بُخْلا

ثمَّ يقولُ: إنَّ الدُّنيا مُسْتَحِيلَةٌ مُتَنَقِّلَةٌ، مُتَغيِّرَةٌ مُتَبَدِّلَةٌ[3]، تَسْتَرِدُّ هِبَتَها، وتُكَدِّرُ مَسَرَّتَها[4]، وتُعْقِبُ البَقاءَ بالفَناءِ[5]، والسَّرَّاءَ بالضَّرَّاءِ، فَلَيْتَ[6] الحياةَ التي جَادَتْ بِكَوْنِها[7]، واخْتَرَعتِ الأَنْفسَ بِحُبِّها، لم تَكُنْ واقِعَةً، ولم توجَدِ النُّفوسُ إليها ساكِنَةً، ولَيْتَها بَخِلَتْ بما جادَت بِبَذْلِهِ، ومَنَعَتْ ما تَسَرَّعَتْ إلى فِعْلِهِ.

٣٠ ـ فَكَفَتْ كَوْنَ فَرْحَةٍ تُورِثُ الغَمْـ ـمَ وَخِلٍّ يُغَادِرُ الحُزْنَ[8] خِلّا

ثُمَّ قَالَ: فكانَتْ تَكْفِي أَهْلَها بِذَلِكَ، كَوْنَ[9] فَرْحَةٍ تُؤَدِّي إلى غَمٍّ، ومَسَرَّةٍ تَئُولُ إلى حُزنٍ، وكونَ خِلٍّ[10] يُؤْنِسُ بِقُرْبِهِ، وتتأكَّدُ البَصِيرَةُ في حُبِّهِ، ثُمَّ تَخْتَرِمُهُ المَنِيَّةُ، فَتُغَادِرُ الهمَّ خِلاً لِلمَحْزونِ[11] عليه، وإلفاً لِذي[12] الوَجْدِ المُشْتَاقِ إليه.

---

(١) في ت «الإقبال».
(٢) «عيشه» ساقطة من ت.
(٣) «متبدله» ساقطة من ت.
(٤) في ت «مشربها».
(٥) في ط «وبالفناء».
(٦) في ت «فيا ليت».
(٧) في ت «بها».
(٨) في رواية الواحدي والتبيان «الوجد».
(٩) «كون» ساقطة من ت.
(١٠) في ت «خليل».
(١١) في ت «خليلاً للخازن».
(١٢) في ط «لذوي».

٣١ - وَهيَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى الغَدْرِ لا تَحْـ ـفَظُ عَهْداً ولا تُتَمِّمُ وَصْلاَ

ثُمَّ قالَ، وهو يُريدُ الدُّنيا: وهي مَعْشُوقَةٌ من أهلِها، على كَثْرَةِ غَدْرِها بهم، مَحْبُوبَةٌ فيهم، على قِلَّةِ وفائِها بالعَهْدِ لهم، لا تُتَمِّمُ وَصْلَها، ولا يَتَشَكَّرُ[1] مَنْ صَحِبَها فِعْلَها.

٣٢ - كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْهَا عَلَيْهَا وَبِفَكِّ اليَدَيْنِ منها تُخَلَّى

ثمَّ قالَ: وكلُّ دَمْعٍ تُسِيْلُهُ، فإنَّما هو أَسَفٌ على مُفارَقَتِها، وكُلُّ حُزْنٍ تَبْعَثُهُ فإنَّما ذلك إشفاقٌ على مُبَاعَدَتِها، وبِحَلِّ اليَدَيْنِ المُتَمَسِّكَتَيْنِ[2] بها تُتْرَكُ وتُزايَلُ، وبِفَكِّها عنها تُخَلَّى وتُبايَنُ، يُشيرُ بهذا إلى المَوْتِ الذي يَغْلِبُ أهلَ الدُّنيا على قُوَّتِها، ويُخْرِجُهم عنها مَعَ كَلَفِهم بِحُبِّها.

٣٣ - شِيَمُ الغَانِيَاتِ فِيْهَا فَلا أدْ رِي لِذَا أَنَّثَ اسْمَهَا النَّاسُ أم لا

ثُمَّ قالَ، وهو يُريدُ الدُّنيا: شِيَمُ الغانياتِ فيها، يُشيرُ إلى ما هُنَّ عليه من الضِّنَانَةِ[3] بالوِدِّ، وقِلَّةِ الإقامَةِ على العَهْدِ، وتَخَلُّقِ الدُّنيا بهذه الخَليقةِ، واحتِمَالِها على هذه الطَّريقَةِ، فلا أدري أأَنَّثَ النَّاسُ اسمَها لهذه المماثَلَةِ، وبَعُدوا بها عن التَّذكيرِ لهذه المُشَاكَلَةِ، أم لِغَيْرِ ذلك مما قَصَدوا نَحْوَهُ، وسِواهُ مما أدركوا عِلْمَهُ.

٣٤ - يَا مَلِيكَ الوَرَى المُفَرِّقَ مَحْيَاً وَمَمَاتاً فيهِمْ وَعِزَّاً وذُلاَّ

ثُمَّ يقولُ لِسَيْفِ الدَّولَةِ: يا مَليكَ الوَرَى، الجليلَ قَدْرُهُ، المَشهورَ

(١) في ت «يشكر».

(٢) كذا في ت، وساقطة من ط، وساقط نصفها من ر، ف

(٣) في ت «عدم الصيانة».



فَضْلُهُ، الذي تُسْتَدَامُ[1] الحياةُ بموالاتِهِ، ويُتَعَرَّضُ للمَوْتِ والقَتْلِ بمُعاداتِهِ، ويُكْتَسَبُ[2] العِزُّ بطاعَتِهِ، والذُّلُّ بمَعْصِيتهِ، وتُفَرَّقُ[3] هذه الأحوالُ فيمن والاَهُ ووافَقَهُ، ونابَذَهُ وخالَفَهُ.

٣٥ ـ قَـلَّدَ الله دولـةً سَـيْـفُـهـا أَنْـ ـتَ حُسَـامـاً بـالمكـرُمَاتِ مُحَـلَّى

ثُمَّ قالَ[4]: قَلَّدَ اللَّهُ دَوْلَةً جَعَلَكَ سَيْفَها المحاميَ عن حَوْزَتِها، وحائِطَها المُدَافِعَ عن بَيْضَتِها، حُسَاماً حَلاَّهُ بـالمَنَاقِبِ والفَضَـائِلِ، وزيَّنـهُ بالمَحَـاسِنِ والمكارِمِ، فهو يَحْمِي تلكَ الدَّولةَ وَيُزَيِّنُها، ويُعِزُّ تلكَ المَلَكَةَ ويُمَكِّنُها.

٣٦ ـ فَـبِـهِ أَغْـنَـتِ المَـوالِي بَـذْلاً وَبِـهِ أَفْـنـتِ الأَعَـادِي قَـتْـلاَ

ثُمَّ قالَ: فَبِذلِكَ السَّيْفِ أَغْنَتْ هذهِ الدَّولةُ أَوْلِياءَها، بَذْلاً ومُكارَمَةً، وبه أَفْنَتْ أعاديها قَتلاً ومُراغَمةً[5].

٣٧ ـ وإذا اهـتَزَّ لِلنَّـدَى كَـانَ بَـحْـراً وإذَا اهـتزَّ لِلوغَـى كَـانَ نَـصْـلاً

ثُمَّ قالَ، وهو يُريدُ سيفَ الدَّولَةِ: وإذا اهتَزَّ للنَّدَى كان كالبَحْرِ في كَثْرَةِ مواهِبِهِ، وعُمومِ مَكارِمِهِ، وإذا اهتَزَّ للوَغَى كانَ كالسَّيفِ في نَفَاذِ عَزْمِـهِ، وقوَّتِهِ على ما يُحاوِلُ[6] من أَمْرِهِ.

٣٨ ـ وإذا الأَرْضُ أَظْلَمَتْ كَـانَ شَمْسـاً وإذَا الأَرْضُ أَمْحَـلَتْ كَـانَ وَبْـلاَ

(١) في ت «تسلم».

(٢) في ت «ويقسم».

(٣) كذا في ت وفي ر، ف، ط «يفرق».

(٤) «ثم قال» ساقطة من ف.

(٥) زاد في ت «فهو يحيي الموالي بماله، ويميت الأعادي بسيفه ورجاله».

(٦) في ت «فيما يحاوله».



ثُمَّ قالَ، مشيراً إلى سيفِ الدَّولةِ: وإذا الأرضُ أَظْلَمتْ[1] خُطوبُها، كانَ كالشَّمْسِ المُشرِقَةِ، وإذا اتصَلَتْ مُحولُها كان جُودُهُ كالسَّحابِ المُغْدِقَةِ، فَيُنيرُ إذا استَبْهَمَ الأمرُ، ويَجُودُ إذا كَلِبَ[2] الدَّهرُ.

٣٩ ـ وَهُـوَ الضَّـارِبُ الكَتِيبَـةَ والـطَّعْـ ـنَـةُ تَغْلُو والضَّـرْبُ أغْـلى وأغْـلَى

ثُمَّ قالَ، مُخبراً عَنْهُ: وهو الضَّاربُ الجماعةَ من الخيلِ، والكَتِيْبَةَ المتوقِّعَةَ من الجَيْشِ، والحَـرْبُ[3] مُتَوَقِّـدةٌ[4]، ونيْرَانُها مُضْـطَرِمَةٌ[5]، والـطَّعنُ بـينَ الفُرسانِ يَغْلُو ويُشْرِفُ[6]، ويَشْتَدُّ ويُفْـرِطُ، والضَّربُ أغْـلى وأَفْرَطُ، وأَشَـدُّ وأَبْلغُ. فَدَلَّ على أنَّ سيفَ الدَّولةِ عند اشْتِدادِ الحَرْبِ، يَقْتَحِمُ على الكتائِبِ بِنَفْسِهِ، وَيَسْتَخِفُّ ذلك بِشِدَّةِ بَأْسِهِ.

٤٠ ـ أيُّهـا البَـاهِـرُ العُـقَـولَ فَـما يُـدْ رِكُ[7] وَصْفـاً أَتْعبْتَ فِكْـري فَمَهْـلاً

ثُمَّ قالَ، مخاطِباً سَيْفَ الدَّوْلَـةِ: أيُّها المَلِكُ الـذي بَهَرَ العقـولَ بِكَثْرَةِ فَضَائِلِهِ، وأَعْجَزَ الأوْصَافَ بِتَتَابعُ مَكارِمِهِ، مَهْلاً على فكري فَقَدْ أَتْعَبْتَهُ، ورِفْقاً بما أَنْظُمُ[8] فيكَ فَقَدْ أَعْجَزْتَهُ.

---

(١) في ت «أعتمت».
(٢) في ت «بخل».
وكلب الدهر: اشتد.
(٣) في ف «والحر».
(٤) كذا في ت، وفي ر، ف، ط «متقدمة».
(٥) كذا في ت، وفي ر، ف، ط «مضطربة».
والإضرام أشبه بالنار من الإضطراب.
(٦) كذا في ر، ت، وفي ف، ط «يسرف».
(٧) كذا في رواية ابن جني والتبيان وفي رواية الواحدي «فما تُدرك».
(٨) في ط «انضم».



٤١ ـ مَنْ تَعَاطَى تَشَبُّهاً بِكَ أعْيَا ... هُ وَمَنْ دَلَّ في طَرِيقِكَ ضَلاَّ

ثُمَّ قالَ: وكيفَ لا يكونُ ذلكَ، ومَنْ تَعاطى تَشبُّهاً بكَ فقد أعيَتْهُ مَكارِمُكَ، ومَنْ رامَ[1] الدَّلالَةَ في طُرُقِكَ فقد ضَلَّلَتْهُ فَضائِلُكَ؛ لأَنَّكَ تَسْبِقُ ولا تُسْبَقُ، وتَتَقَدَّمُ فلا تُلْحَقُ.

٤٢ ـ فَإِذَا ما اشْتَهى خُلُودَكَ داعٍ ... قَالَ لا زِلْتَ أو تَرَى لَكَ مِثْلا

ثُمَّ قالَ: إذا ما[2] اشْتَهى أحدٌ أن يَدْعو لَكَ بِطولِ العُمْرِ، واتِّصالِ البَقاءِ على مَرِّ الدَّهرِ، فليَقُل بَقيتَ حَتَّى تَرى[3] شَبيهاً بِنَفْسِكَ، ومَلِكاً يُعادِلُكَ في مَجْدِكَ. فأشارَ[4] إلى أَنَّه لا يَظْفَرُ الزَّمانُ بِمِثْلِهِ، ولا يَبْلُغُ أحدٌ إلى غايةِ فَضْلِهِ.

تمَّ القصيد بحمد الله، يتلوه

ذي المعالي فَلْيَعْلُونْ مَن تَعالى ... هكذا هكذا وإلا فلا لا

* * *

انتهى السفر الأول من شرح أبي القاسم الأفليلي

على شعر أبي الطيب المتنبي في مدح الأمير سيف الدولة أبي الحسن علي ابن عبدالله.

فرغ منه على يد كاتبه عبيدالله واقل عمر بن موسى بن عبدالله

وفي تاريخ أوائل ذي القعدة الحرام عام خمسة وسبعين وتسعمائة.

---

(١) في ت «ومن أراد».

(٢) ساقطة من ت.

(٣) ساقطة من ف.

(٤) في ت «يشير».





فهرس قصائد الجزء الثاني

مصادر الدراسة والتحقيق ومراجعهما



- الهمزة -

- أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة - الدكتور محمد ابن شريفة - دار الغرب الإسلامي ١٩٨٦.
- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة د. أحمد هيكل.
- إصلاح المنطق لإبن السكيت (ت ٢٤٤هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ط دار المعارف ١٩٥٦.
- الأشباه والنظائر في النحو لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ط الثانية حيدر أباد - الهند ١٣٦٠ هـ.
- إنباه الرواة على أنباء النحاة - جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي تحقيق أبو الفضل ابراهيم ط دار الكتب ١٩٥٠.
- الأنساب لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السرماني (ت ٥٦٢هـ) - صححه الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ط الأولى - مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد ١٩٦٦.
- الأمبراطورية البيزنطية - تعريب د. حسين مؤنس ط الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٥٧.

- الباء -

- البداية والنهاية لابن كثير.

بغية الملتمس - تحقيق لجنة إحياء التراث ط دار الكاتب العربي - القاهرة ١٩٦٧.
- بغية الوعاة - لجلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط الأولى عيسى البابي ١٩٦٥.

- البلغة في تاريخ أئمة اللغة - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ت ٨١٧هـ تحقيق محمد المصري ط دمشق ١٩٧٢.
- البيان المغرب لابن عذارى المراكشي نشر ج. س كولان - وليفي بروفنسال ط ليدن - هولندا - ١٩٥١.

- التاء -

- تاريخ ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون) - المجلد الثالث والسادس ط دار الكتاب اللبناني ١٩٥٧.
- تاريخ أخبار القرامطة لابن العديم تحقيق د. سهل زكار - ط مؤسسة الرسالة ١٩٧١.
- تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٣ هـ).
- تاريخ المذاهب الإسلامية محمد أبو زهرة - ط دار الفكر العربي - القاهرة (ب.ت).
- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس - د. محمد رضوان الداية - ط دار الأنوار الأولى ١٩٦٩.
- التربية الإسلامية في الأندلس خوليان ريبي - ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي - ط دار المعارف.
- التكملة في شرح ديوان المتنبي لأبي علي الحسين بن عبدالله الصقلي المغربي (مخطوط) مصور. عن الأصل المحفوظ بمكتبة ولي الدين بتركيا رقم ٢٦٨٨.
- تيارات النقد الأدبي في الأندلس - د. مصطفى عليان ط الأولى مؤسسة الرسالة ١٩٨٤.

- الجيم -

- جذوة المقتبس لأبي عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الحميدي ت ٤٨٨ تحقيق لجنة إحياء التراث ط دار الكاتب العربي - القاهرة ١٩٦٧.



- الحاء -

- الحضارة العربية في إسبانيا - ليفي بروفنسال - ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي ط دار المعارف ١٩٧٩.
- الحلة السيراء لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٦هـ) تحقيق حسين مؤنس ط ١ الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٦٣.
- الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ط عيسى البابي الحلبي الأولى ١٩٤٥.

- الخاء -

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) ط بولاق ١٢٩٩هـ.

- الدال -

- ديوان ابن شهيد الأندلسي تحقيق يعقوب زكي ط دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.
- ديوان أبي تمام بشرح التبريزي تحقيق محمد عبده عزام ط دار المعارف ١٩٥١.
- ديوان أبي الطيب المتنبي (الفسر) بشرح أبي الفتح عثمان بن جني تحقيق د. صفاء خلوصي ط ١ دار الجمهورية - بغداد ١٩٦٩ والجزء الثاني ط بغداد وزارة الثقافة ١٩٧٧.
- ديوان امرىء القيس تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط دار المعارف الثالثة - القاهرة.
- ديوان أبي الطيب المتنبي - المسمى بالتبيان في شرح الديوان شرح أبي البقاء العكبري - مصطفى السقا - البابي الحلبي ١٩٧١.
- ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري تحقيق درية الخطيب - لطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق - ١٩٧٥.



- ديوان المتنبي (مخطوط) مجهول المؤلف - المكتبة الوطنية - باريس رقم ٢٠٣٥.
- ديوان العباس بن الأحنف تحقيق عاتكة الخزرجي ط دار الكتب المصرية ١٩٥٤.
- ديوان المتنبي شرح علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ) تحقيق فريدرخ ديتريصي - ط برلين.
- ديوان النابغة الذبياني صنعة ابن السكيت تحقيق د. شكري فيصل - ط دار الفكر.
- ديوان النابغة الذبياني تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط دار المعارف بمصر ١٩٧٧.
- ديوان الهذليين صنعة أبي سعيد السكري تحقيق عبد الستار فراج ط مكتبة دار العروبة - مصر (ب.ت).

- الذال -

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - لابن بسام الشنتريني - تحقيق د. احسان عباس ط بيروت، ط دار الكتب المصرية.
- ذكرى أبي الطيب المتنبي بعد الف عام د. عبد الوهاب عزام ط دار المعارف - الثالثة ١٩٦٨.
- الذيل والتكملة لكتاب الصلة والموصول السفر الخامس تحقيق د. احسان عباس ط دار الثقافة - بيروت

- الراء -

- رسالة التوابع والزوابع - بطرس البستاني - دار صادر ١٩٦٧.
- الروض المعطار في خبر الأقطار - محمد بن عبد المنعم الحميري تحقيق د. احسان عباس ط مكتبة لبنان - ١٩٧٥.



- السين -

- سير أعلام النبلاء للذهبي - (الجزء الثامن عشر) - تحقيق شعيب الأرناؤوط ط مؤسسة الرسالة.
- سيف الدولة الحمداني - د. مصطفى الشكعة ط عالم الكتب الثانية ١٩٧٧.
- سرقات المتنبي ومشكل معانيه لابن بسام النحوي - تحقيق الطاهر بن عاشور - الدار التونسية ١٩٧٣.

- الشين -

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية - محمد بن محمد مخلوف ط دار الكتاب العربي بيروت - مصورة عن الطبعة الأولى للمكتبة السلفية ١٣٩٤ هـ.
- شذرات الذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) ط المكتب التجاري للطباعة والنشر - بيروت.
- شرح الأشموني - ط دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي - القاهرة.
- شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي تحقيق عبد السلام هارون، ط التأليف والترجمة ١٩٦٨.
- شرح ديوان المتنبي (معجز أحمد) لأبي العلاء المعري (مخطوط) مصور عن الأصل المحفوظ بمكتبة خراجي اوغلو بتركيا رقم ٣٧ أدب.
- شرح ديوان المتنبي لأبي الفتح عثمان بن جني (مخطوط) مصور عن الأصل المحفوظ بالمكتبة الأحمدية بحلب رقم ١١٥٧.
- شرح ديوان المتنبي لأبي الفتح عثمان بن جني (مخطوط) مصور عن الأصل المحفوظ بدار الكتب المصرية رقم أدب ٢٣.
- شرح شذور الذهب لابن هشام أبي محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن



أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري ـ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ط دار الفكر ـ بيروت.

ـ شرح شواهد المغني لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ تصحيح محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي ـ ط دار مكتبة الحياة ـ لبنان.

ـ شعر زهير بن أبي سلمى صنعة الأعلم الشنتمري ـ تحقيق د. فخر الدين قباوة ط دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ١٩٨٠.

ـ شعر عبدالله بن الزبير الأسدي جمع وتحقيق د. يحي الجبوري ط دار الحرية بغداد ١٩٧٤.

ـ شعر المتوكل الليثي د. يحي الجبوري ـ مكتبة الأندلس ـ بغداد.

ـ شعر النابغة الجعدي ـ جمع عبد العزيز رباح ط المكتب الإسلامي دمشق ١٩٦٤.

ـ الصاد ـ

ـ الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ـ يوسف البديعي تحقيق مصطفى السقا ـ دار المعارف القاهرة ١٩٦٣.

ـ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ـ مدريد ـ التشيع في الأندلس ـ د. محمود مكي عدد ١ـ٢ سنة ١٩٥٤.

ـ الصلة لابن بشكوال ـ تحقيق لجنة إحياء التراث ط دار الكاتب العربي ـ القاهرة ١٩٦٧.

ـ الصناعتين ـ لأبي هلال العسكري ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ ومحمد أبو الفضل ابراهيم ط عينى البابي الحلبي الرابعة ١٩٦٦.

ـ الطاء ـ

ـ طبقات النحويين واللغويين ـ لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت ٣٧٩) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار المعارف ١٩٧٣.



- العين -

- عيون الأخبار لابن قتيبة أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) تحقيق عبد السلام هارون - ط دار الكتاب العربي - بيروت مصورة عن ط دار الكتب المصرية ١٩٢٥.

- الفاء -

- فهرسة ابن خير الأشبيلي - [أبو بكر محمد بن خير] (ت ٥٧٥هـ) تحقيق فرنسشكه قداره زيدين ط المكتب التجاري بيروت - ١٩٨٣.

- الكاف -

- كتاب سيبويه لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر - تحقيق عبد السلام هارون - ط عالم الكتب - بيروت.
- الكامل - لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - ط دار نهضة مصر - القاهرة.

- اللام -

- اللباب في تهذيب الأنساب - عز الدين بن الأثير الجوزي (ت ٦٣٠هـ) ط دار صادر - بيروت.
- لغة الحب في شعر المتنبي د. عبد الفتاح صالح نافع ط دار الفكر - عمان ١٩٨٣.

- الميم -

- المتنبي في آثار الدارسين د. عبدالله الجبوري.
- مجلة المجمع العلمي العربي - دمشق - مجلد ٢٢ سنة ١٩٤٧.
- المذكر والمؤنث لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد - تحقيق د. رمضان عبد التواب ط دار الكتب - القاهرة ١٩٧٠.



- المذكر والمؤنث لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) تحقيق رمضان عبد التواب - مكتبة دار التراث - القاهرة ١٩٧٥.
- المشترك وضعاً والمفترق صقعاً - شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي تحقيق فرديناند دستيفليد - ط ليدن ١٨٤٦.
- معجم الأدباء - ياقوت الحموي - مطبوعات دار المأمون - و. عيسى البابي الحلبي - القاهرة.
- معجم البلدان - ياقوت الحموي ط دار صادر - بيروت ١٩٧٩.
- معجم ما استعجم أبو عبدالله البكري تحقيق مصطفى السقا - لجنة التأليف والترجمة القاهرة ١٩٤٥.
- المغرب في حلى أهل المغرب لابن سعيد علي بن موسى تحقيق د. شوقي ضيف ط دار المعارف - الثانية ١٩٦٤.
- المقتبس في أخبار أهل الأندلس لأبي مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي (ت ٤٦٩هـ) تحقيق الدكتور عبد الرحمن علي الحجي ط دار الثقافة بيروت ١٩٦٥.
- موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي د. خديجة الحديثي - ط دار الرشيد - بغداد ١٩٨١.

- النون -

- النحو الوافي - عباس حسن ط دار المعارف - السادسة.
- نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة - ماريوس كانا - ط الجزائر ١٩٣٤.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط دار نهضة مصر.
- النظام في شرح المتنبي وأبي تمام (شرح المشكل من ديواني المتنبي وأبي تمام) تصنيف الإمام العالم شرف الدين أبي البركات المبارك بن أحمد المستوفي



الأربلي (مخطوط) مصور عن الأصل المحفوظ في مكتبة سوهاج ١٣٥ أدب.
- نكت الهميان - صلاح الدين الصفدي.

- الواو -

- وفيات الأعيان - لابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان) - (ت ٦٨١هـ) تحقيق د. احسان عباس ط الأولى - دار الثقافة - بيروت.
- الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ).

- الياء -

- يتيمة الدهر - لأبي منصور - عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت ٤٢٩) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط دار الفكر - بيروت.

الفهارس العامة ملحقة بالسفر الثاني من هذا الكتاب.

